مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الخامس والستون
شوال ١٤٤٣هـ

الجزء الأول

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail : arabicjournal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع :٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ ـ ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخنين
الأستاذ في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

مدير التحرير
الدكتور/ عبدالعزيز بن علي الغامدي
وكيل عمادة البحث العلمي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي – معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. إبراهيم بن محمد أبا نمي
الأستاذ في قسم الأدب – كلية اللغة العربية

أ. د. محمد محمد أبو موسى
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة
الأستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

أ. د. يوسف بن عبد الله العليوي
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية

أ.د. ممدوح إبراهيم محمود
أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة العلوم العربية مجلة علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

حذف العاطف في القرآن الكريم (دراسة نحوية) د. أحمد بن إبراهيم بن صالح الطويان	١٣
منهج النُّحاة في ترتيب أبواب النّحو عرضٌ ونقد د إبراهيم بن سالم بن محمّد الجهنيّ	١٠٩
عِلَّةُ الذُّهولِ في التَّوجيهِ النحويّ والصرفيّ العربيّ د. مأمون تيسير محمد مباركة	١٩٣
الاعتراضات المعنوية على وجه الحال في إعراب القرآن الكريم د. خالد بن سليمان بن عبد العزيز المليفي	٢٣٧
تقاطب الفضاء في المجموعة القصصية تضاريس الرخام د. عبدالملك بن عبدالعزيز آل الشيخ	٣٤٥
القَصْدِيَّةُ في خِطابِ خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملِكِ سَلْمَانَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ (الخِطَابُ السَّنَوِيُّ لمجلِسِ الشُّورى حتى السّنة السّابعة أُنمُوذَجًا) د. حمدة بنت خلف العنزي	٤٠١

حذف العاطف في القرآن الكريم (دراسة نحوية)

د. أحمد بن إبراهيم بن صالح الطويان
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حذف العاطف في القرآن الكريم (دراسة نحوية)

د. أحمد بن إبراهيم بن صالح الطويان

قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٨/ ٨/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٥/ ٣/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

من الظواهر التركيبية التي تتصل بأسلوب العطف ظاهرة الحذف، وشرط وقوعه كما يرى النحويون هو بقاء عامل أو ما يدل عليه، والنسق مكوّن تباعًا من المعطوف عليه وحرف العطف والمعطوف، وقد نصَّ النحويون على جواز حذف العاطف في الكلام، وساقوا عليه شواهد قدَّروا فيها حذف العاطف.

وقد رُصِد حذف العاطف في الاستعمال اللغوي العربي مع المعطوف عليه، ومع المعطوف، كما رُصِد حذفه دون المعطوف والمعطوف عليه.

وتُعنى هذه الدراسة ببيان موقف النحويين تُجاه حذف العاطف في القرآن الكريم، وذلك بعرض شواهد وجَّهها بعض العلماء على حذف العاطف مع تقديره في الكلام.

وقد جعلته في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: موقف النحويين من حذف العاطف.

المبحث الثاني: شواهد على توجيه حذف العاطف في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب حذف العاطف.

الكلمات المفتاحية: العاطف، الحذف، النحو.

Omission in Holy Quran Syndetic Copulative Study Grammatical

Dr. Ahmed Ibrahim Saleh Al Tawyan
Department of Grammar, Morphology and Philology – Faculty of Arabic Language
Imam Mohamed Ibn Saud Islamic university

Abstract:

The omission phenomenon is one of the structural phenomena connected with the syndetic style; the grammarians see that; its existence condition as the existence of a factor or its indication. The sequential coordination is composed, in turn, of the conjoined, the conjunction, and the coordinated; the grammarians stated that the syndetic copulative may be omitted from speech, and they gave evidence of that.

The syndetic copulative omission with the conjoined and the coordinated has been observed, as well as omitting it without the conjoined and the coordinated.

This study aims to state the grammarians' situation regarding the syndetic copulative omission in Holy Quran. By giving evidence which was directed by some scholars about the syndetic copulative omission with considering it in speech.

I made that in three topics:

The first topic: The grammarians' situation towards the syndetic copulative omission.

The second topic: Pieces of evidence of directing the syndetic copulative omission in the Holy Quran.

The third topic: The syndetic copulative omission's reasons.

key words: Syndetic copulative, omission, grammar

تقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن حروف العطف لها اتصال شديد الوَثاقة بفهم المعنى؛ لأنها تدل على معنى في غيرها، ولذا نجد النحويين عقدوا لها في مصنفاتهم فصولًا خاصة بها، وكتبًا مستقلة.

ومن أهم حروف العطف: الواو؛ لأنها كما ذكر النحويون هي الأصل في العطف(١)، ولأنها أيضا محتملة لدلالات مُوزَّعة في أبواب النحو المختلفة كالحالية والاستئنافية(٢).

ومنها أيضا: الفاء، و(أو)، و(أم)(٣).

وقد نصَّ بعض النحويين على جواز حذف هذه الأحرف العاطفة، قال ابن مالك: "قد تحذف الواو مع معطوفها ودونه، وتشاركها في الأول الفاء و(أم)، وفي الثاني (أو)"(٤).

---

(١) ينظر الجنى الداني١٥٨، ومغني اللبيب٤٠٩ وما بعدها.

(٢) ينظر مغني اللبيب٤١٤.

(٣) ينظر أوضح المسالك٣/٣١٥، والتصريح٢/١٥٣ ، ١٥٤.

(٤) شرح التسهيل٣/٢٣٦.

وهذا الموضوع يتناول حذف العاطف في القرآن الكريم، ومن أنواعه: حذف العاطف مع المعطوف، نحو قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[١] أي: تقيكم الحرَّ والبرد[٢].

ومن أنواعه أيضًا: حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾[٣]، بتقدير: ووجوه يومئذ ناعمة[٤].

وقد اشترط النحويون لجواز حذف العاطف أن يدل عليه دليل يغني عن ذكره[٥]، فيحسن حينئذ الإيجاز والإضمار، يقول الفراء: "وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدل أوله على آخره كقولك: أصاب فلان المال، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن،فقد ترى البناء لا يقع على العبيد والإماء ولا على الدواب ولا على الثياب،ولكنه من صفات اليسار، فحسن الإضمار لما عرف"[٦] .

ويرمي هذا البحث إلى دراسة حذف العاطف دراسة تطبيقية في النص القرآني منطلقًا من التحليل الإعرابي بوصفه أداة من أدوات تمييز العناصر اللفظية للجملة، وتحديد علائقها التركيبية.

ويسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية، وهي:

---

(١) سورة النحل، من الآية٨١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/٢٧٥، وشرح التسهيل٣/٢٣٦.

(٣) سورة الغاشية، الآية٨.

(٤) ينظر مغني اللبيب٧٣٠، وأضواء البيان١/١٩٥.

(٥) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، والمقاصد الشافية٥/١٦٣ وما بعدها، والتصريح٢/١٨٦.

(٦) معاني القرآن١/١٣.

- جمع الآراء المتباينة في الموقف من حذف العاطف في القرآن الكريم، وإبراز حجج كل فريق في قبول حذف العاطف أو رفضه[١].
- بيان الأسباب التي أدت إلى حذف العاطف في القرآن الكريم.
- إيضاح المقصود بحذف العاطف في القرآن الكريم، وذلك بعرض شواهد وجَّهها بعض العلماء على حذف العاطف مع تقديره في الكلام[٢].

وقد كُتِب في موضوع حذف العاطف دراسات، ومنها:

١- بحث (حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه في الدرس النحوي)، للدكتور مأمون تيسير مباركة، وهو منشور في العدد الأول من مجلة جامعة الخليل للبحوث عام (٢٠١٩م)، وهذا البحث تناول نوعًا واحدًا من أنواع حذف العاطف، وهو حذف العاطف وحده دون المعطوف والمعطوف عليه، ولم يتناول النوعين الآخرين – وهما حذف العاطف والمعطوف عليه، وحذف العاطف مع المعطوف –، فينحصر تلاقي بحثي بهذا البحث من حيث الظاهر في نوع واحد فقط من أنواع حذف العاطف، إضافة إلى أن الشواهد التي درستُها في هذا البحث شواهد قرآنية فقط، وهي في معظمها مختلفة عن الشواهد المذكورة في هذه الدراسة.

٢- بحث (مواطن الحذف في أسلوب العطف في كشاف الزمخشري)، للدكتور إبراهيم منّاد، وهذه الدراسة أشارت إشارة سريعة إلى نوع واحد

---

(١) ينظر بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه" ٢٠٧.

(٢) ينظر المصدر السابق ٢٠٧.

من أنواع حذف العاطف، وهو النوع المذكور في الدراسة السابقة: (حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه في الدرس النحوي).

٣- بحث (دلالة حذف واو العطف: دراسة نصية في ضوء مؤثرات الخطاب)، للدكتور محمد مريخان العجمي، وهو منشور في العدد السابع عشر من مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عام (١٤٤٣هـ).

وهو يجري في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف النحويين من حذف العاطف.

المبحث الثاني: شواهد على توجيه حذف العاطف في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب حذف العاطف.

وختامًا أسأل الله أن يغفر لي ولوالدي، وأن يتقبل هذا العمل، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: موقف النحويين من حذف العاطف.

في هذا المبحث أبيّن موقف النحويين من حذف العاطف مع المعطوف عليه، وموقفهم من حذف العاطف مع المعطوف، كما أبيّن موقفهم من حذف العاطف دون المعطوف عليه والمعطوف.

المطلب الأول: موقف النحويين من حذف العاطف والمعطوف عليه:

نصَّ بعض النحويين على جواز حذف العاطف مع المعطوف عليه(١)، وساقوا على ذلك شواهد قدَّروا فيها حذف العاطف مع المعطوف عليه.

والذين جوَّزوا هذا الحذف رأوا أن ذلك ممكن جائز إذا أُمِن اللبس(٢)، وذلك إذا كان السياق للكلام دالًّا على الحذف للعاطف والمعطوف عليه، ويكون هذا إذا كان في الكلام دليل على المحذوف(٣).

قال ابن مالك في باب العطف:

وحذف متبوعٍ بدا هُنا استبح وعطفك الفعل على الفعل يصحّ(٤)

ومعنى هذا أن المعطوف عليه يجوز حذفه إذا ظهر معناه مع حذفه(٥).

---

(١) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، وأوضح المسالك٣/٣٥٣، والمقاصد الشافية٥/١٧٤، ١٧٥، والتصريح٢/١٨٩.

(٢) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، وأوضح المسالك ٣/٣٥٣، والمقاصد الشافية٥/١٧٥.

(٣) البحر المحيط١/١٩٢.

(٤) ألفية ابن مالك٤٨.

(٥) ينظر المقاصد الشافية٥/١٧٤.

وقد جاء حذف المعطوف عليه كثيرًا، قال الشاطبي: "المعطوف عليه قد يجوز حذفه إذا بدا وظهر معناه مع حذفه ... وقد وُجِد الحذف كثيرًا .."[١].

وقال أبو حيان: ثبت في كلام العرب حذف المعطوف عليه وفيه حرف العطف[٢].

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] فقد ذهب الزمخشري[٤] إلى أن (فتاب عليكم) ظاهره أنه إخبار من الله تعالى عليهم بالتوبة عليهم، ولا بد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة: أي: ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم[٥].

وقوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[٦]، أي: فضرب فانفجرت[٧]، "ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتبًا على

---

(١) المصدر السابق٥/١٧٤، ١٧٥.

(٢) البحر المحيط١/٣٦٨.

(٣) سورة البقرة، الآية٥٤.

(٤) ينظر الكشاف٧٧.

(٥) ينظر المصدر السابق٧٧.

(٦) سورة البقرة، من الآية٦٠.

(٧) ينظر الكشاف٧٩، وإملاء ما منَّ به الرحمن٤١، وشرح التسهيل٣/٢٣٨، والبحر المحيط١/٦٣٩.

ضربه؛ إذ لو كان يتفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة، ولكان تركه عصيانًا، وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[١].

وجعل ابن عصفور الكلام على تقدير آخر، فزعم أن الفاء في (فانفجرت) هي الداخلة على الفعل (ضرب) المحذوف، والفاء الداخلة على (انفجرت) محذوفة[٢]، وكأنه يقول: حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، وحذفت الفاء الثانية لدلالة الأولى عليها[٣].

قال ناظر الجيش:"ولابن عصفور في قوله تعالى:﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾[٤] تقرير عجيب، وهو أن حرف العطف لم يحذف وإنما حذف المعطوف عليه وحده دون الفاء، وحذفت الفاء من المعطوف وأُقرت الفاء من المعطوف عليه واتصلت بالمعطوف فأبقى من كلٍّ ما دلّ على المحذوف"[٥].

وأجيب بأن لفظ الفاءين واحد، ولا يمكن أن يحصل دليل بذلك على الحذف[٦].

- وفي قوله تعالى:﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٧] ذهب العكبري إلى

---

(١) البحر المحيط١/١٩٢.

(٢) ينظر شرح الجمل١/٢١٤، ومغني اللبيب٧٢٢.

(٣) ينظر مغني اللبيب٧٢٢.

(٤) سورة الشعراء، من الآية٦٣.

(٥) تمهيد القواعد٧/٣٥٠٩.

(٦) ينظر مغني اللبيب٧٢٢.

(٧) سورة البقرة، من الآية ٢٣٦.

أن (ومتعوهن) معطوف على فعل محذوف، تقديره: فطلقوهن ومتعوهن[1]، فجاز حذف المعطوف عليه وحرف العطف (فطلقوهن)؛ لأنهما مفهومان من قوله تعالى:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾.

ونُسب إلى الزمخشري أن (ومتعوهن) معطوف على موضع الجزاء[2]، كأنه قيل: وإن طلقتم النساء فلا جناح ومتعوهن[3].

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الزمخشري – وإن كان فيه عطف الطلبي على الخبري – أولى من تقدير (فطلقوهن)؛ لأن الضمير المنصوب في (ومتعوهن) عائد على المطلقات قبل المسيس وقبل الفرض المذكورين في قوله تعالى:﴿ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾، فلا حاجة إلى تقدير (فطلقوهن)[4]؛ ولأن تقدير معطوف عليه محذوف في هذه الآية يأباه الذوق؛ إذ لا معنى لقولنا: إذا طلقتم النساء فطلقوهن ومتعوهن، إلا أن يكون المقصود المعطوف[5].

---

(١) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٩٣، والدر المصون٢/٤٨٧.

(٢) ينظر روح المعاني٢/١٥٣.

(٣) ينظر دراسات لأسلوب القرآن٣/٥٤٣.

(٤) ينظر الدر المصون٢/٤٨٧، ٤٨٨.

(٥) ينظر روح المعاني٢/١٥٣.

- وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[1] ذهب العكبري[2] إلى تقدير معطوف عليه وحرف عطف قبل (ثم أحياهم)، والتقدير: فماتوا ثم أحياهم[3].

وقيل: لا حاجة هنا إلى تقدير معطوف عليه وحرف عطف؛ لأن قوله تعالى:(ثم أحياهم) معطوف على (قال)، حين كان عبارة عن الإماتة[4].

ومما سبق يتبين أن النحويين يجوزون حذف العاطف مع المعطوف عليه، ويشترطون لذلك الدليل الذي يدل عليهما بعد الحذف.

---

(١) سورة البقرة، الآية٢٤٣.

(٢) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٩٥.

(٣) ينظر المصدر السابق، والدر المصون٢/٥٠٧، وفتح القدير١٦٨.

(٤) ينظر فتح القدير١٦٨.

المطلب الثاني: موقف النحويين من حذف العاطف مع المعطوف:

نصَّ بعض النحويين على جواز حذف العاطف مع المعطوف، وساقوا على ذلك شواهد قدَّروا فيها حذف العاطف مع المعطوف.

وممن نصَّ على جواز ذلك: الفراء، وابن جني، والرضي، وابن مالك، وابن هشام، والشاطبي(١).

وقد جوَّز النحويون هذا الحذف حين رأوا أن ذلك ممكن جائز إذا أُمِن اللبس،

وذلك إذا كان السياق للكلام دالًّا على الحذف للعاطف والمعطوف، ويكون هذا إذا كان في الكلام دليل على المحذوف(٢).

يقول الرضي:"قد يحذف واو العطف مع معطوفه مع القرينة كما إذا قيل: (من الذي اشترك هو وزيد؟ قلت: اشترك عمرو، أي: اشترك عمرو وزيد. قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾(٣)، أي: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد"(٤).

فبيّن هنا أن حرف العطف ومعطوفه محذوفان؛ لوجود الدليل.

---

(١) ينظر آراؤهم في كتبهم على الترتيب: معاني القرآن للفراء١١٢/٢، والخصائص٢٣٦/١، وشرح الرضي على الكافية٣٤٨/٢، وشرح التسهيل٢٣٦/٣، ومغني اللبيب٧٢٠، والمقاصد الشافية١٦٢/٥.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء١١٢/٢، وشرح التسهيل٢٣٦/٣، المقاصد الشافية١٦٢/٥.

(٣) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٤) شرح الرضي على الكافية٣٤٨/٢.

وقد دلَّ على حذف الواو وما عطفت هنا شيئان:

الأول: قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ ﴾[1]، فحُذِف المعطوف وحرف العطف (ومن أنفق من بعد الفتح) لدلالة ما بعدهما عليهما[2].

الثاني: قوله (يستوي) في صدر الآية، فإن الاستواء يستدعي شيئين بينهما تفاوت، ليتحقق نفي المساواة بينهما، وليس في صدر الآية إلا شيء واحد[3]، وقد قال تعالى:﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[4].

وقد ذهب أبو حيان[5]، وناظر الجيش[6]، والشاطبي[7] إلى أن حذف المعطوف

مع العاطف قليل. قال الشاطبي: قد يحذف المعطوف مع العاطف قليلًا؛ "إذ ليس له في النقل كثرة"[8].

---

(١) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٢) ينظر الكشاف١١٨٢.

(٣) ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة١/٤٨٦.

(٤) سورة الحشر، من الآية٢٠.

(٥) ينظر التذييل٧/٣٤٠.

(٦) ينظر تمهيد القواعد٤/١٩٧٠.

(٧) ينظر المقاصد الشافية٥/١٦٢.

(٨) المصدر السابق٥/١٦٢.

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[1] أي: تقيكم الحرَّ والبرد[2]، والذي دلَّ على هذا الحذف دلالة واضحة هو المعطوف عليه، فلم "يذكر البرد اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر؛ لأن ما وقى من الحر وقى من البرد"[3]، وحذف الشيء "تارة يكون لدلالة خلافه أو ضده أو نقيضه..."[4]، وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض بإثبات نقيضه[5].

- وفي قول الله تعالى:﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾[6] يقول العكبري: إن التقدير: فمن ربكما يا موسى وهارون[7]، فحذفت الواو وما عطفت للعلم بهما[8].

ويبدو أنه لا داعي هنا إلى تقدير عاطف ومعطوف؛ لأن موسى عليه السلام هو الأصل في النبوة، وهو المتحمل أعباء الرسالة، فكان المتكلم عن نفسه وعن أخيه، وهارون عليه السلام إنما هو وزيره وشريكه في النبوة والرسالة.

---

(١) سورة النحل، من الآية٨١.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء٢/١١٢، وشرح التسهيل٣/٢٣٦، ومغني اللبيب٧٢١.

(٣) فتح القدير٧٩٦.

(٤) البحر المحيط٦/١٦.

(٥) المصدر السابق٦/١٦.

(٦) سورة طه، الآية٤٩.

(٧) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٣٧٠.

(٨) المصدر السابق٣٧٠.

– وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾[1]، ذهب الفراء[2]، والطبري[3]، وأبو حيان[4] إلى أن العاطف والمعطوف محذوفان، والتقدير: فأقم وجهك وأمتك[5]؛ لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته[6]، أي:فأقيموا وجوهكم منيبين إليه[7]، و(منيبين) حال من الجميع[8].

وقد نصَّ النحويون على أن حروف العطف التي يجوز حذفها مع معطوفها الواو والفاء وأم[9]، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله: "قد تحذف الواو مع معطوفها ودونه، وتشاركها في الأول الفاء وأم، وفي الثاني أو"[10]، وقد ساق النحويون شواهد على ذلك؛ فمن حذف الواو– غير الشواهد السابقة – قوله تعالى:﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ

(١) سورة الروم، من الآية٣٠، ومن الآية٣١.

(٢) ينظر معاني القرآن٢/٣٢٥.

(٣) ينظر جامع البيان٢/٢٣٢.

(٤) ينظر البحر المحيط٨/٣٩٠.

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢، والبحر المحيط٨/٣٩٠، والدر المصون٩/٤٤ .

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢.

(٧) ينظر معاني القرآن للأخفش٢/٤٧٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢.

(٨) ينظر الدر المصون٩/٤٤.

(٩) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، والتصريح٢/١٨٦.

(١٠) شرح التسهيل٣/٢٣٦.

أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾[1] بتقدير: وقلت لا أجد ما أحملكم عليه[2].

ومن شواهد حذف الفاء قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًا ﴾[3]، والتقدير: فضرب فانبجست[4]، وهذا الفعل المحذوف معطوف على "أوحينا"، فحذف المعطوف (ضرب) وحرف العطف، وهو الفاء[5].

ومن خلال ما سبق يتضح أن النحويين يجوزون حذف العاطف والمعطوف مع وجود الدليل الذي يدل عليهما بعد الحذف، وأن العاطف الذي يجوز حذفه مع المعطوف ثلاثة: الواو، والفاء، وأم.

---

(١) سورة التوبة، الآية٩٢.

(٢) ينظر الدر المصون٦/١٠٠.

(٣) سورة الأعراف، من الآية١٦٠.

(٤) ينظر التصريح٢/١٨٦، وفتح القدير٥٠٦.

(٥) ينظر التصريح٢/١٨٦.

المطلب الثالث: موقف النحويين من حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه:

أجاز بعض النحويين حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه، وساقوا عليه شواهد قدَّروا فيها حذف العاطف وحده.

وممن نصَّ على جواز حذف حرف العطف وحده: الفارسي[١]، والسيرافي[٢]، وابن عصفور[٣]، وابن مالك[٤].

وقد رأى هؤلاء المجوزون أن حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه ممكن جائز في اللغة إذا أُمِن اللبس بعد الحذف[٥]؛ وذلك إذا كان الكلام متعلقًا ببعضه، وكان السياق للكلام دالًّا على وقوع الحذف للعاطف دون معطوفه، ويكون ذلك في الأمور والمتعلقات القريبة من بعضها نوعًا أو جنسًا أو حالًا أو معنى[٦]، وأن مواضع الحذف "وإن اقتضت الجواز فينبغي أن يقتصر به على ما كان مثلها؛ حيث يكون المعطوفان متجاورين غير متراخٍ بعضهما عن بعض"[٧].

---

(١) ينظر رأيه في الارتشاف٢/٦٦١.

(٢) ينظر رأيه في الهمع٢/٢٣.

(٣) ينظر شرح الجمل له١/٢١٤.

(٤) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦.

(٥) ينظر المصدر السابق٣/٢٣٦ وما بعدها، والمقاصد الشافية٥/١٦٣.

(٦) ينظر بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه في الدرس النحوي"٢٠٨، ٢٠٩.

(٧) الفصول المفيدة في الواو المزيدة١٢٧.

نقل أبو سعيد العلائيّ احتجاج الفارسي بقوله تعالى:﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾[1]على جواز حذف العاطف إذا دلَّ عليه المعنى بقوله: "وذهب أبو علي الفارسي وجماعة من المتأخرين كابن مالك، وابن عصفور ونحوهما إلى جواز ذلك، وقيّده المحققون عند فهم المعنى، واستدل الفارسي له بقوله تعالى:﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾[2]، قال تقديره: وقلت لا أجد ما أحملكم عليه، كان جواب (إذا) قوله: (تولوا)"[3].

- وفي قوله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾[4]، ذهب الفخر الرازي إلى أن التقدير: لتطمئن قلوبكم به وليقطع طرفًا من الذين كفروا، يقول في تفسير قوله تعالى:﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾:"قيل: إنه راجع إلى قوله: ولتطمئن قلوبكم به، ليقطع طرفًا، ولكنه ذكر بغير حرف العطف؛ لأنه إذا كان البعض قريبًا من البعض جاز حذف العاطف .."[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية٩٢.

(٢) سورة التوبة، الآية٩٢.

(٣) الفصول المفيدة في الواو المزيدة١٢٤ ، ١٢٥.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان١٢٦، ١٢٧.

(٥) مفاتيح الغيب٨/٢٣٦.

فبيّن أن علة جواز تقدير حذف العاطف هنا هي قرب معنى المعطوف والمعطوف عليه؛ "حيث يجمع المعطوف والمعطوف عليه صلاح كون كل منهما سببًا من أسباب تنزل النصر في معركة بدر، وهذا الربط المعنوي هو ما جوز تقدير حذف العاطف في هذا الموضع"(١).

وقد منع بعض النحويين حذف العاطف دون معطوفه، وممن منع حذفه: ابن جني(٢)، والسهيلي، وابن الضائع(٣)، ووجّه هؤلاء المانعون شواهد حذف العاطف دون معطوفه توجيهات نحوية أخرى، كتوجيه البدل، أو الاستئناف في الكلام، دون الحاجة إلى تقدير حذف حرف العطف(٤)، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾(٥)، بتقدير: ووجوه يومئذ ناعمة؛ حيث يرفض أبو سعيد العلائي هذا التوجيه بقوله:"وكذلك المنع أيضًا متوجه في قوله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾(٦)؛ إذ لا ضرورة إلى العطف، ويجوز أن يكون ذلك جملة ابتدائية مستأنفة"(٧).

(١) بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه"٢٠٩.

(٢) ينظر الخصائص ٢٣٦/١، وحاشية الصبان١٧٣/٣.

(٣) ينظر حاشية الصبان١٧٣/٣.

(٤) ينظر بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه"٢١٠.

(٥) سورة الغاشية، الآية٨.

(٦) سورة الغاشية، الآية٨.

(٧) الفصول المفيدة في الواو المزيدة١٢٧.

ويبدو أن العطف بالحرف المحذوف ممكن في هذه الآية، ويدل له إثبات العاطف في نظيره في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[2][3]، وكان القياس أن يكون المعطوف (وجوه) في سورة الغاشية بواو العطف، لكنه جاء على وفاق الجمل قبلها، وبعدها، وليس معهنّ واو العطف[4].

وكذلك وجَّه بعض النحويين الكلام على البدل، لا على تقدير حذف العاطف في قوله تعالى:﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[5]، حيث قرئ:(يكّفرْ عنكم) بإسقاط الواو وجزم الراء[6]، فقد خُرِّجت هذه القراءة على وجهين: أحدهما: أن (يكّفرْ) بدل من محل قوله:(فهو خير لكم)، وكأن المعنى: وإن تخفوها يكن لكم الإخفاء خيرًا من الإبداء ويكفرْ عنكم سيئاتكم[7].

---

(١) سورة القيامة، الآيات٢٢-٢٤.

(٢) سورة عبس، الآيات٣٨-٤٠.

(٣) ينظر أضواء البيان١/١٩٥.

(٤) ينظر بصائر ذوي التمييز١/٥١٦.

(٥) سورة البقرة، الآية٢٧١.

(٦) قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص:(ويكفِّرُ) بضم الراء. ينظر السبعة في القراءات١٩١. وقرأ الأعمش (ويكفِّرْ) بإسكان الراء. ينظر البحر المحيط٢/٦٩١، والدر المصون٢/٦١٠.

(٧) ينظر البحر المحيط٢/٦٩١، والدر المصون٢/٦١٠.

وقد ضُعِّف بأن:"فيه حذف حرف العطف، وهو ممنوع لم يرد منه إلا شيء شاذ يمكن تأويله"(١).

ويبدو أن حذف حرف العطف جائز وليس ممنوعًا، وقد وَرَد منه كثير، قال القرطبي:"حذف حرف العطف كثير .."(٢). وإنما يمتنع حذف حرف العطف إن أوقع حذفه في لبس(٣)، ولا لبس بحذفه في الآية، فتكون القراءة بحذف الواو في (ويكفّر) كالقراءة المشهورة بإثبات الواو.

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن حذف حرف العطف وحده واقع في اللغة، غير شاذ وغير قليل، قياسًا إلى توجيه المفسرين والنحويين كثيرًا من آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حذف العاطف دون معطوفه، "والحق أن كثيرًا من شواهد حذف العاطف دون معطوفه تكون واضحة جلية على تقدير الحذف، ويكون توجيهها على غير الحذف ضربًا من التمحك والتكلف وليّ

عنق المعنى حتى يتساوق مع التوجيه الإعرابي الذي يراه صاحبه أولى من القول بحذف العاطف"(٤).

وقد نصَّ النحويون على أن حروف العطف التي يجوز حذفها دون معطوفها (الواو، وأو)، واختُلف في جواز حذف (الفاء) دون المعطوف بها؛

---

(١) الدر المصون١٠/٥١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧.

(٣) ينظر المقاصد الشافية٥/١٦٢، ١٦٣.

(٤) بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه"٢١١.

وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله:"قد تحذف الواو مع معطوفها ودونه، وتشاركها في الأول الفاء و(أم)، وفي الثاني(أو)"[١]، وقد ساق العلماء شواهد على ذلك؛ فمن حذف الواو – غير الشواهد السابقة – قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢] بتقدير حرف عطف محذوف قبل (كمثل الشيطان) على أنه معطوف على (كمثل الذين من قبلهم)[٣].

واختلف النحويون في حذف الفاء دون معطوفها في مثل قول العرب:(ادخلوا رجلًا رجلًا)، وقولهم:(بينت له الحساب بابًا بابًا)، على تقدير: رجلًا فرجلًا، وبابًا فبابًا، وللعلماء في ذلك قولان:

الأول: أنه لا يجوز أن يدخل حرف العطف الفاء في مثل هذه الأحوال المكرَّرة[٤].

الثاني: أنه يجوز أن يدخل حرف العطف الفاء في شيء من هذه المكررات، يقول أبو حيان:"ولو ذهب ذاهب إلى أن نصبه إنما هو بالعطف على تقدير حذف الفاء، وأن المعنى: بابًا فبابًا، وأول فأول، لكان مذهبًا حسنًا عاريًا عن التكلف"[٥].

---

(١) شرح التسهيل٣/٢٣٦.

(٢) سورة الحشر، ١٥، ١٦.

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٨/٦٠٤.

(٤) ينظر التذييل والتكميل٩/١٩.

(٥) الارتشاف٣/١٥٥٨.

المبحث الثاني: شواهد على توجيه حذف العاطف في القرآن الكريم.

في هذا المبحث أورد ما أمكن الوقوف عليه من شواهد حذف العاطف في القرآن الكريم، وقد جعلتها تحت ثلاثة مطالب، وقد توخيت الإيجاز في مناقشتها حتى لا يخرج البحث عن موضوعه.

المطلب الأول: شواهد على توجيه حذف العاطف والمعطوف عليه في القرآن الكريم.

قد يرِد في الكلام حذف المعطوف عليه، وذلك إذا دلّ عليه دليل يغني عن ذكره(١)، فيحسن حينئذ الإيجاز والإضمار، يقول الفراء:"وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدل أوله على آخره كقولك: قد أصاب فلان المال، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن، فقد ترى البناء لا يقع على العبيد والإماء ولا على الدواب ولا على الثياب، ولكنه من صفات اليسار، فحسن الإضمار لما عرف"(٢).

ويقول الشاطبي:"المعطوف عليه قد يجوز حذفه إذا بدا وظهر معناه مع حذفه"(٣).

والمعطوف عليه تارة يحذف مع حرف العطف، وتارة يحذف وحده لا مع حرف العطف، فالأول نحو قولك:(أتيت زيدًا لأكلمه فأجابني)، والتقدير:

---

(١) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، وأوضح المسالك٣/٣٥٣، والمقاصد الشافية٥/١٧٤، والتصريح٢/١٨٩.

(٢) معاني القرآن للفراء١/١٣.

(٣) المقاصد الشافية٥/١٧٤.

فكلمته فأجابني، والثاني كقولك لمن قال: ألم تضرب زيداً؟ فتقول:بلى وعمرًا، والتقدير: بلى ضربت زيدًا وعمرًا[١].

وقد جاء حذف العاطف والمعطوف عليه كثيرًا[٢]، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] فقد ذهب البغوي[٤]، والزمخشري[٥]، والعكبري[٦]، والقرطبي[٧] إلى أن قوله تعالى:﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ظاهره أنه إخبار من الله تعالى عليهم بالتوبة عليهم، وأنه لا بد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة: أي: ففعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم[٨]، فحُذِف المعطوف عليه وحرف العطف.

وأجاز الزمخشري أن يكون قوله تعالى:﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ مندرجًا تحت قول موسى عليه السلام على تقدير شرط محذوف، كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب الله عليكم[٩].

---

(١) ينظر المصدر السابق٥/١٧٥.

(٢) ينظر المصدر السابق٥/١٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية٥٤.

(٤) ينظر معالم التنزيل١/١١٨.

(٥) ينظر الكشاف٧٧.

(٦) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن٣٩.

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن١/٤٠٣ .

(٨) ينظر الكشاف٧٧، وإملاء ما منَّ به الرحمن٣٩، والدر المصون١/٣٦٧.

(٩) ينظر الكشاف٧٧.

ولعل الصواب هو أن يكون قوله تعالى:﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ معطوفًا على محذوف، والتقدير –كما سبق–: ففعلتم فتاب عليكم؛ لأن المعنى يرشد إليه؛ ولأن حذف فعل الشرط وأداة الشرط معًا، وإبقاء الجواب لا يجوز؛ إذ لم يثبت ذلك في كلام العرب(١).

ومنه في القرآن الكريم أيضًا ما يأتي:

– قال تعالى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٢).

اتفق الزمخشري وابن عطية على تقدير معطوف عليه محذوف قبل قوله تعالى: (وما ظلمونا)، فقدّره الزمخشري: فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا، فحُذف المعطوف عليه وحرف العطف(٣).

وقدّره ابن عطية: فعصوا ولم يقابلوا نعمة الله بالشكر وما ظلمونا(٤)، وخالفهما أبو حيان بأنه لا يتعين تقدير معطوف عليه قبل جملة (وما ظلمونا)، وعلل ذلك بأنه قد صَدَر من بني إسرائيل قبائح من اتخاذ العجل إلهًا، وسؤال رؤيته تعالى ظلمًا، وغير ذلك(٥).

---

(١) ينظر البحر المحيط١/٣٣٩، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٣/٢٣٩.

(٢) سورة البقرة ، الآية٥٧.

(٣) ينظر الكشاف٧٨.

(٤) ينظر المحرر الوجيز١/١٤٩.

(٥) ينظر البحر المحيط١/٣٤٨.

والذي يظهر لي أنه لا حاجة إلى تقدير معطوف عليه قبل جملة (وما ظلمونا)، وأن هذه الجملة معطوفة على ما قبلها مثلها في أنها من أحوال بني إسرائيل[١]، أو أنها جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها[٢].

- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[٣].

أجاز العلماء في (فانفجرت) من هذه الآية وجهين:

الأول: أن يكون معطوفًا على فعل محذوف، والتقدير: فضرب فانفجرت[٤]، فحذف المعطوف عليه (ضرب) وحرف العطف وهو الفاء[٥].

وقال ابن عصفور: إن الفاء في (فانفجرت) هي الداخلة على الفعل (ضرب) المحذوف، والفاء الداخلة على (انفجرت) محذوفة[٦]، وكأنه يقول: حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه، وحذفت الفاء الثانية لدلالة الأولى عليها[٧].

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٥١١.

(٢) ينظر المصدر السابق ١/٥١١.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٦٠.

(٤) ينظر الكشاف ٧٩، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٤١، وشرح التسهيل ٣/٢٣٨، والبحر المحيط ١/١٩٢، ومغني اللبيب ٧٢٢.

(٥) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١/٢١٤، والمقاصد الشافية ٥/١٦٤، ١٧٧، والتحرير والتنوير ١/٦٦٥.

(٦) ينظر شرح الجمل ١/٢١٤، ومغني اللبيب ٧٢٢.

(٧) ينظر مغني اللبيب ٧٢٢.

وما ذهب إليه ابن عصفور تكلف بغير دليل[١]؛ لأن لفظ الفاءين واحد، ولا يمكن أن يحصل دليل بذلك على الحذف[٢].

الثاني: أن يكون جواب شرط محذوف، والفاء ليست عاطفة، بل رابطة ، والتقدير: (فإن ضربت فقد انفجرت)[٣].

ويبدو أن الصواب هو الأول، لأمرين:

الأول: أن حذف فعل الشرط وأداة الشرط معًا، وإبقاء الجواب لا يجوز[٤].

الثاني: أن وجود الانفجار مرتب على ضربه؛ "إذ لو كان يتفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة، ولكان تركه عصيانًا، وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[٥]؛ ولأن المروي في الأخبار أن تقديره:فضرب فانفجرت[٦].

- قوله تعالى:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾[٧].

---

(١) ينظر البحر المحيط ٣٦٨/١.

(٢) ينظر مغني اللبيب ٧٢٢.

(٣) ينظر الكشاف ٧٩.

(٤) ينظر البحر المحيط ٣٣٩/١.

(٥) البحر المحيط ١٩٢/١.

(٦) ينظر مفاتيح الغيب ٤٥٠/١.

(٧) سورة البقرة، من الآية١٠٢

ذهب الفراء[١]،والزجاج[٢] إلى أن(فيتعلمون منهما) من قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[٣] معطوف على فعل محذوف، تقديره: فيأبون فيتعلمون[٤].

وقال الفراء أيضًا: إن (فيتعلمون منهما) معطوف على:(يعلمون الناس السحر)، أي: يعلمون الناس السحر فيتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم[٥].

وذهب سيبويه إلى أن (فيتعلمون) معطوف على (كفروا)، قال:"وارتفعت (فيتعلمون)؛ لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلمون، ليجعلا كفره سبباً لتعلم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلمون"[٦].

يريد سيبويه أن (فيتعلمون) ليس بجواب لقوله: (فلا تكفر) فينصب؛ لأن كُفْر من نُهي أن يكفر في الآية ليس سبباً لتعلم من يتعلم، و(كفروا) في موضع فعل مرفوع فعُطف عليه[٧].

قال أبو حيان:"ولا وجه لاعتراض من اعترض في العطف على (كفروا) أو على (فيتعلمون) بأن فيه إضمارَ الملكين. قيل: ذكَرهما من أجل أن

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء١/٦٤، والبحر المحيط١/٥٣٠.

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه١/١٨٥، والبحر المحيط١/٥٣٠.

(٣) سورة البقرة، من الآية١٠٢.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء١/٦٤، ومعاني القرآن وإعرابه١/١٨٥، والبحر المحيط١/٥٣٠.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء١/٦٤، والبحر المحيط١/٥٣٠.

(٦) الكتاب٣/٣٨.

(٧) ينظر البحر المحيط١/٥٣١.

التقدير: ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما؛ لأن قوله: (فيتعلمون منهما) إنما جاء بعد ذكر الملكين"[١].

وقد جوّز الزجاج[٢]، وأبو حيان[٣] أن يكون (فيتعلمون) معطوفًا على: (وما يعلمان)، والضمير الذي في (يتعلمون) لـ (أحد)، وجُمِع حملًا على المعنى، وجاز العطف على منفي؛ لأن معناه: أنهما يعلمان كل واحد إذا قالا له إنما نحن فتنة فلا تكفر، فهو موجب في المعنى[٤].

ولعل أقرب هذه الأقوال هو أن يكون: (فيتعلمون) معطوفًا على محذوف، تقديره: فيأبون فيتعلمون، أو معطوفًا على (يعلمان) المنفية لكونها موجبة في المعنى.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، ذهب الفخر الرازي[٦]، والواحدي[٧]، إلى تقدير معطوف عليه محذوف قبل (فلا إثم عليه)،

---

(١) البحر المحيط ١/٥٣١.

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه ١/١٨٥. وقد جعل الزجاج هذا القول هو الأجود.

(٣) ينظر البحر المحيط ١/٥٣١.

(٤) ينظر المصدر السابق ١/٥٣١.

(٥) سورة البقرة١٧٣.

(٦) ينظر مفاتيح الغيب٥/١٩٣.

(٧) ينظر الوجيز١/١٤٥.

أي:(فأكل فلا إثم عليه)[١]، فالمعطوف عليه المحذوف هو (أكل) وحرف العطف هو الفاء.

قال الفخر الرازي: "الاضطرار ليس من أفعال المكلفين حتى يقال إنه (لا إثم عليه إن الله غفور رحيم)، فإذن لا بد هاهنا من إضمار، وهو الأكل، والتقدير: فمن اضْطُرَّ فأكل فلا إثم عليه ..."[٢].

- وفي قوله تعالى:﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣] ذهب ابن عطية[٤]، وأبو حيان[٥]، والسمين الحلبي[٦]، وناظر الجيش[٧]، إلى تقدير محذوف قبل (فعدّة)، والمعنى: فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أُخر[٨]، فحُذِف المعطوف عليه (أفطر) وحرف العطف وهو الفاء[٩].

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب٥/١٩٣، واللباب في علوم الكتاب٣/١٧٩، والوجيز١/١٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب٥/١٩٣.

(٣) سورة البقرة، من الآية ١٨٤.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ١/٢٥١.

(٥) ينظر البحر المحيط ٢/١٨٤، ١٨٦.

(٦) ينظر الدر المصون ٢/٢٧٠.

(٧) ينظر تمهيد القواعد ٧/٣٥٠٧.

(٨) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ١/٢١٤، والبحر المحيط ٢/١٨٤، ١٨٦، والدر المصون ٢/٢٧٠.

(٩) ينظر البرهان في علوم القرآن ٣/١٥٨.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

- أن قضاء الصوم إنما يجب بالإفطار، لا بالمرض أو السفر، فلما أوجب الله تعالى القضاء، والقضاء مسبوق بالفطر، دلّ على أنه لا بد من إضمار الإفطار[١].
- أن قوله تعالى:﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[٢] يدل على وجوب الصوم[٣]، وهذا الوجوب منتفٍ في حق المريض والمسافر[٤]، فدل ذلك على إضمار محذوف، وتقديره:(فأفطر)، فإن قضاء الصوم إنما يجب بالإفطار، وليس لمجرد المرض أو السفر[٥].

وذهب آخرون إلى أنه لا حذف في الآية ولا إضمار، وقالوا: إن من صام رمضان في السفر لم يجزئه، ويلزمه القضاء، سواء صام في سفره أو أفطر[٦]، واستدلوا على

ذلك بما يأتي:

- أن الله تعالى أوجب على المريض والمسافر صوم عدة من أيام أُخر[٧]، فقال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١]، أي: فعليه

---

(١) ينظر اللباب في علوم الكتاب ٣/٢٦٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية١٨٥.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب٥/٦٦.

(٤) ينظر المصدر السابق٥/٦٦.

(٥) ينظر اللباب في علوم الكتاب٣/٢٦٦.

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن٢/٢٨٦، والبحر المحيط٢/١٨٦.

(٧) ينظر البحر المحيط٢/١٨٦، وتفسير ابن عثيمين٢/٣٢٨.

عدةٌ[٢]، و(على) للوجوب، فوجب أن يكون فِطر هذه الأيام واجبًا[٣]، وأن مَن صام وهو مريض أو مسافر صار كمن صام قبل دخول رمضان[٤].

– قوله صلى الله عليه وسلم:"ليس من البر الصيام في السفر"[٥]، فنفى النبي صلى الله عليه وسلم البِرَّ عن الصوم في السفر، وما لم يكن من البر فهو من الإثم، فدل ذلك على أن صوم رمضان لا يجوز في السفر[٦].

وهذا القول لولا أن السنة بينت جواز الصوم لكان له وجه قوي؛ لأن الأصل عدم الحذف[٧]، وقد أجاب الجمهور عن هذا بأن الحذف متعين، وتقدير الكلام –كما سبق –: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أُخر[٨]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم صام في السفر والصحابة معه منهم الصائم ومنهم المفطر، فلم يعب أحد على أحد، فلو

---

(١) سورة البقرة، من الآية١٨٤.

(٢) ينظر الكشاف١١٢، والدر المصون٢/٢٧٠.

(٣) ينظر اللباب في علوم الكتاب٣/٢٦٥.

(٤) ينظر تفسير ابن عثيمين٢/٣٢٨.

(٥) الحديث في سنن ابن ماجه "كتاب الصيام"، "باب ما جاء في الإفطار في السفر"، رقم ١٦٦٤ ، ٥٣٢/١، وفي سنن الترمذي "أبواب الصوم"، "باب ما جاء في كراهية الصوم في السفر"، رقم "٧١٠"، ٨٠/٣.

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن٢/٢٨٦.

(٧) ينظر تفسير ابن عثيمين ٢/٣٢٨.

(٨) ينظر شرح الجمل لابن عصفور ٢١٤/١، والبحر المحيط ١٨٤/٢، ١٨٦، والدر المصون ٢٧٠/٢.

كان الصوم حرامًا ما صامه النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنكر المفطر على الصائم[١].

- في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[٢] ذهب العكبري إلى تقدير محذوف قبل:(ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره)، أي: فطلقوهن ومتعوهن[٣]، فحُذِف المعطوف عليه وحرف العطف.

ونُسب إلى الزمخشري أن (ومتعوهن) معطوف على موضع الجزاء[٤]، كأنه قيل:

وإن طلقتم النساء فلا جناح ومتعوهن[٥].

والذي يظهر أن ما نُسِب إلى الزمخشري – وإن كان فيه عطف الطلبي على الخبري – أولى من تقدير (فطلقوهن)؛ لما يأتي:

- أن الضمير المنصوب في (ومتعوهن) عائد على المطلقات قبل المسيس وقبل الفرض المذكورين في قوله تعالى: (إن طلقتم النساء)، فلا حاجة إلى تقدير (فطلقوهن)[٦].

---

(١) ينظر تفسير ابن عثيمين ٣٢٨/٢.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٣٦

(٣) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن ٩٣.

(٤) ينظر روح المعاني ١٥٣/٢.

(٥) ينظر دراسات لأسلوب القرآن ٥٤٣/٣.

(٦) ينظر الدر المصون ٤٨٧/٢، ٤٨٨.

– أن فعل الأمر المقدر (فطلقوهن) مفهوم من قوله تعالى:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[1][2]؛لأن المعنى: أننا قد أبحنا لكم طلاق النساء فطلقوهن[3]، وما دام المعنى يفهم بدون تقدير، فإنه لا حاجة إلى التقدير؛ لأن الأصل تمام الكلام وعدم احتياجه إلى تقدير[4].

– أن تقدير معطوف عليه محذوف في هذه الآية يأباه الذوق؛ إذ لا معنى لقولنا: إذا طلقتم النساء فطلقوهن ومتعوهن، إلا أن يكون المقصود المعطوف[5].

– قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، من الآية٢٣٦.

(٢) ينظر دراسات لأسلوب القرآن٣/٥٤٣، وتفسير القرآن لابن عثيمين٣/١٦٧.

(٣) ينظر تفسير القرآن لابن عثيمين٣/١٦٧.

(٤) ينظر المصدر السابق٣/١٦٧.

(٥) ينظر روح المعاني٢/١٥٣.

(٦) سورة البقرة، الآية٢٤٣.

في قوله تعالى: (ثم أحياهم) وجهان:

الأول: أنه معطوف على فعل محذوف يقتضيه المقام، والتقدير: فماتوا ثم أحياهم[١]، فحُذف المعطوف عليه وحرف العطف.

الثاني: أنه معطوف على: قال، حين كان عبارة عن الإماتة[٢].

ويبدو أن الصواب هو الأول، وهو حذف المعطوف عليه وحرف العطف، وجاز حذفه لكونه معلومًا[٣]، و"للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن إرادته الكونية"[٤].

- وفي قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[٥]

قيل إن التقدير: فوارى سوءة أخيه فأصبح من النادمين، فحُذِف المعطوف عليه مع حرف العطف[٦].

---

(١) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٩٥، والدر المصون٥٠٧/٢، وفتح القدير١٦٨.

(٢) ينظر فتح القدير١٦٨.

(٣) ينظر تفسير ابن عثيمين١٩٧/٣، ١٩٨.

(٤) روح المعاني١٦١/٢

(٥) سورة المائدة، الآية٣١.

(٦) ينظر البحر المحيط٢٣٦/٤، وفتح القدير٣٦٧.

وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على المواراة، بل على قتل أخيه وحمله إياه، وحيرته به، حتى بعث الله إليه الغراب[١]، فالمواراة إزالة الندم، وليست سببًا فيه[٢].

وأقول: يمكن حمل الندم على تعلمه من الغراب واتباعه إيّاه في تقليده له المواراة، فيندم على المواراة الموجبة لتعلمه من الغراب[٣]، ويمكن أيضًا حمل الندم على قتل أخيه؛ لأنه لا تعارض بين هذين القولين، فيمكن حمل الندم عليهما جميعًا.

- وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾[٤]

ذهب أبوحيان إلى أن التقدير: فأرسلون فأرسلوه فقال: يا يوسف، فحُذف المعطوف عليه والمعطوف وحرف العطف[٥].

قلت: الذي يدل على هذا الكل المحذوف هو طرفا الكلام، وهما: (فأرسلون)، و(يوسف أيها الصديق)؛ لأن بين هذين الطرفين تلازمًا طبيعيًّا؛ لأنهم لو لم يرسلوه ما حدث قوله ليوسف عليه السلام: يوسف أيها الصديق أفتنا ..[٦].

---

(١) ينظر البحر المحيط٤/٢٣٦، ونكت وتوجيهات في تفسير القرآن المجيد٢/١٩٣.

(٢) ينظر نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد٢/١٩٣.

(٣) ينظر تفسير ابن عرفة٢/١٠٨.

(٤) سورة يوسف، الآية٤٥.

(٥) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٧، والبحر المحيط١/٣٦٨، والمقاصد الشافية٥/١٦٤، وفتح القدير٦٩٩.

(٦) ينظر الموسوعة القرآنية١/٤٧٧.

- وفي قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾[1] ذهب الطبري[2]، والزمخشري[3]، وابن عطية[4]، والعكبري[5]، والقرطبي[6]، وأبو حيان[7] إلى أن المعطوف عليه محذوف، وتبعه حرف العطف، والتقدير: فذهبا فكذبوهما فدمرناهم[8].

قال الزمخشري مفسرًا الآية:"والمعنى: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم .. أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها وآخرها؛ لأنهما المقصود من القصة .."[9].

والذي يبدو أن المعنى يرشد إلى هذا المحذوف، وهو أن قوله تعالى:﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ ليس عقِب قوله تعالى:﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ ﴾، وإنما هو في عقِب المعطوف عليه المحذوف، وهو التكذيب بالآيات الذي هو مفهوم من دلالة الكلام[10].

---

(١) سورة الفرقان، الآية٣٦.

(٢) ينظر جامع البيان١٩/٢٦٩.

(٣) ينظر الكشاف٧٤٦.

(٤) ينظر المحرر الوجيز٤/٢١٠.

(٥) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٤٠٧.

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٣/٣١.

(٧) ينظر البحر المحيط٨/١٠٦.

(٨) ينظر الكشاف٧٤٦، والمحرر الوجيز٤/٢١٠، وإملاء ما منّ به الرحمن٤٠٧، والجامع لأحكام القرآن١٣/٣١، وفتح القدير١٠٤١.

(٩) الكشاف٧٤٦.

(١٠) ينظر معاني النحو٣/٢٣٤.

- وفي قوله تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] ذهب الطبري[2]، وأبو حيان[3]، والسمين الحلبي[4] إلى تقدير عاطف ومعطوف عليه محذوفين قبل جملة (فانفلق)، أي: فضرب فانفلق، فحُذِف المعطوف عليه وحرف العطف[5].

وقال ابن عصفور:إن المحذوف هو(ضرب) وفاء (انفلق)[6]،والفاء في (انفلق) هي فاء(ضرب)، فأُبقي من كلٍ ما يدل على المحذوف،أُبقيت الفاء من(ضرب) واتصلت بـ(انفلق) لتدل على (ضرب) المحذوفة، وأُبقي (انفلق) ليدل على الفاء المحذوفة منه[7].

وما ذهب إليه ابن عصفور تكلف بغير دليل[8]؛ لأن لفظ الفاءين واحد، ولا يمكن أن يحصل دليل بذلك على الحذف[9].

ولعل مما يدل على صحة هذا المعطوف عليه المقدر –(فضرب فانفلق)– أن انفلاق البحر لم يكن من دون ضرب موسى عليه السلام له[1]؛ ولأنه

---

(١) سورة الشعراء، الآية٦٣.

(٢) ينظر جامع البيان٢/٢٣٢.

(٣) ينظر البحر المحيط٨/١٦٠.

(٤) ينظر الدر المصون٨/٥٢٧.

(٥) ينظر البحر المحيط٨/١٦٠، والدر المصون٨/٥٢٧، والمقاصد الشافية٥/١٧٧.

(٦) ينظر شرح الجمل١/٢١٤، والبحر المحيط٨/١٦٠.

(٧) ينظر البحر المحيط٨/١٦٠.

(٨) ينظر البحر المحيط١/٣٦٨.

(٩) ينظر مغني اللبيب٢٢٧.

ليس من لازم الأمر بالضرب انفلاق البحر[٢]؛ ولأن انفلاقه بضربه أعظم في النعمة عليه وأقوى، لعلمهم أن ذلك حصل لمكان موسى عليه السلام[٣]، ولولا هذا التقدير لكان هذا الكلام مخالفًا للواقع الذي حكاه القرآن.

(١) ينظر مفاتيح الغيب٢٤/١٢٠.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب٢٤/١٢٠، والدر المصون٦/٢٨٨.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب٢٤/١٢٠.

المطلب الثاني: شواهد على توجيه حذف العاطف والمعطوف في القرآن الكريم:

قد يرِد في الكلام حذف العاطف والمعطوف، وذلك إذا أُمِن اللبس وكان المراد ظاهرًا مع حذفهما(١)، فيحسن حينئذ الإيجاز والإضمار، يقول الرضي:"قد يحذف واو العطف مع معطوفه مع القرينة كما إذا قيل: من الذي اشترك هو وزيد؟ قلت: اشترك عمرو، أي: اشترك عمرو وزيد. قال الله تعالى:﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ﴾(٢)، أي:لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد"(٣).

وقد دلَّ على هذا الحذف ما يأتي:

الأول:قوله تعالى:﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ﴾(٤)، فحُذِف المعطوف مع حرف العطف (ومن أنفق من بعد الفتح) لدلالة ما بعده عليه(٥).

الثاني:قوله (يستوي) في صدر الآية، فإن الاستواء يستدعي شيئين بينهما تفاوت، ليتحقق نفي المساواة بينهما ، وليس في صدر الآية إلا شيء

---

(١) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، والمقاصد الشافية٥/١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٣) شرح الرضي على الكافية٢/٣٤٨.

(٤) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٥) ينظر الكشاف١٠٨٢، والموسوعة القرآنية المتخصصة١/٤٨٥.

واحد[1]، وقد قال تعالى:﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[2].

ومنه في القرآن الكريم أيضًا ما يأتي:

- تقتضي كلمة (بين) شيئين فصاعدًا[3]، ولم يأتِ بعدها في قول الله تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[4] إلا اسم إشارة مفرد، فقال الزمخشري: أشير بـ (ذلك) إلى المثنى على معنى ما ذُكر، كأنه قال: عوان بين ما ذُكر من الفارض والبِكر، فصورته صورة المفرد، وهو في المعنى مثنى[5].

ويرى أبو حيان أن ذلك مما حذف منه العاطف والمعطوف، لدلالة المعنى عليهما، والتقدير: عوان بين ذلك وهذا، أي: بين الفارض والبكر[6].

ولعل قول الزمخشري أولى؛ لأن أسماء الإشارة ليست تثنيتها وجمعها وتأنيثها على الحقيقة[7]، وذلك أن تثنية أسماء الإشارة وجمعها لم يكن بزيادة علامات بل كان بألفاظ خاصة بتلك الأحوال، فلذلك كان استعمال بعضها

---

(١) ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة١/٤٨٥.

(٢) سورة الحشر، من الآية٢٠.

(٣) ينظر فتح القدير٦٦.

(٤) سورة البقرة، من الآية٦٨.

(٥) ينظر الكشاف٨١، والتذييل٦/٢٠.

(٦) ينظر البحر المحيط١/٤٠٧، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٣/٥٤٨.

(٧) ينظر الكشاف٨١، والتحرير والتنوير١/٥٢٩.

في معنى بعض أسهل إذا كان على تأويل[١]، ولذلك حسُن استعمال (ذلك) للدلالة على المثنى.

- وفي قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢] ذهب الطبري[٣]، والزمخشري[٤]، وابن عطية[٥]، وأبو حيان[٦] إلى أن في الآية حذفًا، والتقدير: فضربوه فحيي كذلك يحيي الله الموتى[٧]، فحُذف المعطوف والمعطوف عليه وحرف العطف، أي: (فضربوه فحيي)[٨].

قال الطبري:"فإن قال قائل: وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها؟ قيل: ليحيا فينبئ نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم والذين أدارؤوا فيه مَن قاتله. فإن قال قائل: وأين الخبر عن أن الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك؟ قيل: ترك ذلك اكتفاء بدلالة ما ذُكِر من الكلام الدال عليه .. ومعنى الكلام: فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا فضربوه فحيي ..."[٩].

---

(١) ينظر التحرير والتنوير١/٥٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية٧٣.

(٣) ينظر جامع البيان٢/٢٣١ ، ٢٣٢.

(٤) ينظر الكشاف٨٢.

(٥) ينظر المحرر الوجيز١/١٦٥.

(٦) ينظر البحر المحيط١/٤٢٠.

(٧) ينظر الكشاف٨٢، والمحرر الوجيز١/١٦٥، والبحر المحيط١/٤٢٠، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٣/٥٤٨.

(٨) ينظر الكشاف٨٢، والمحرر الوجيز١/١٦٥، والبحر المحيط١/٤٢٠.

(٩) جامع البيان٢/٢٣١، ٢٣٢.

ولعل مما يدلّ على صحة هذا التقدير ما قبله وما بعده، فـ"دلّ على (ضربوه) قوله تعالى:﴿ ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا ﴾[1]، ودلَّ على (فحيي) قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[2].

- وفي قوله تعالى:﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا ﴾[3] ذهب الفراء[4]، والزجاج[5]، إلى أن العاطف والمعطوف محذوفان، والمعنى: لا يسألون الناس ألبتّة، لا سؤالَ إلحاح، ولا سؤالَ غير إلحاح[6]؛ والإلحاف: الإلحاح في السؤال[7]، "فاكتُفي بالإلحاف من غيره، وجاز اختصاصه بالذكر؛ لأن القصد إنما هو نفي صفة الذم عنهم"[8].

---

(١) البحر المحيط١/٤٢٠.

(٢) ينظر الكشاف٨٢، والبحر المحيط١/٤٢٠.

(٣) سورة البقرة، من الآية٢٧٣.

(٤) ينظر معاني القرآن١/١٨١.

(٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه١/٣٥٧.

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء١/١٨١، ومعاني القرآن وإعرابه١/٣٥٧، والكشاف١٥٣، وفتح القدير١٨٨.

(٧) ينظر الكشاف١٥٣.

(٨) التفسير البسيط٤/٤٥٧.

قال الفراء: لا يسألون الناس إلحافًا ولا غير إلحاف، "ومثله قولك في الكلام: قلما رأيت مثل هذا الرجل ، ولعلك لم تر قليلًا ولا كثيرًا من أشباهه"(١)، فهم لا يسألون الناس إلحافًا ولا غير إلحاف(٢).

وذهب الزمخشري إلى أن المعنى: أنهم إن سألوا سألوا بتلطف، ولم يُلحّوا في سؤالهم(٣).

ولعل ما ذهب إليه الفراء أولى لما يأتي:

١-أن الله تعالى وصفهم بالتعفف قبل ذلك فقال:﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾(٤)، فجعل التعفف صفة لازمة لهم لا تفارقهم، والتعفف ترك السؤال أصلاً(٥).

٢- أن كون الجاهل بهم يحسبهم أغنياء لا يكون إلا مع عدم السؤال ألبتّة(٦).

٣- قوله تعالى قبل ذلك أيضاً:﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾(٧)، "ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت بالنبي صلى الله وسلم إلى معرفتهم بالعلامة والدلالة حاجة؛ إذ السؤال ينبئ عن حالهم .. "(١).

---

(١) معاني القرآن١/١٨١.

(٢) ينظر فتح القدير١٨٨.

(٣) ينظر الكشاف ١٥٣.

(٤) سورة البقرة، من الآية٢٧٣

(٥) ينظر فتح القدير١٨٨.

(٦) ينظر المصدر السابق١٨٨.

(٧) سورة البقرة، من الآية٢٧٣.

- أجاز العلماء في (أحد) من قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[٢] وجهين:

الأول: أن يكون (أحد) بمعنى (واحد)[٣]، فهمزته مبدلة من واو[٤]،

وعلى هذا يكون المعطوف وحرف العطف محذوفين، والتقدير: بين أحد وأحد منهم[٥]، أي: بين واحد وواحد[٦].

قال أبو حيان: "وحذف المعطوف لفهم السامع، والتقدير: بين أحد منهم وبين نظيره، فاختصر، أو بين أحد منهم والآخر ..."[٧].

الثاني: أن يكون (أحد) في معنى العموم، وهو (أحد) الذي لا يستعمل إلا في الجحد، ويراد به العموم[٨]، وهمزته أصلية لا مبدلة من الواو، فلا تقدير[٩]؛ فكأنه قيل: لا نفرق بين الجميع من الرسل[١٠].

---

(١) الكشف والبيان٧/٣٥٤.

(٢) سورة البقرة، من الآية٢٨٥.

(٣) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، والبحر المحيط١/٦٥١، و٨/٤٧٥، ومغني اللبيب٧٢١، والمقاصد الشافية٥/١٦٥.

(٤) ينظر البحر المحيط١/٦٥١، ومغني اللبيب٧٢١.

(٥) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، ومغني اللبيب٧٢١، والمقاصد الشافية ٥/١٦٥.

(٦) ينظر البحر المحيط ٨/٤٧٥، والدر المصون ٩/١١٨.

(٧) البحر المحيط ١/٦٥١.

(٨) ينظر مغني اللبيب ٧٢١.

(٩) ينظر المصدر السابق ٧٢١، وروح المعاني ٩/٨٨.

(١٠) ينظر الدر المصون ٢/٦٩٤، ٦٩٥.

ورُدَّ الثاني "بأنه يقتضي حينئذ أن المعرَّض بهم وهم الكافرون فرقوا بين كل الرسل، وإنما فرقوا بين محمد عليه الصلاة والسلام وبين غيره في النبوة"[١].

ولعل القول الأول أولى، وأن المقدَّر (بين أحد وبين الله)[٢]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣]، والقرآن الكريم يفسر بعضه ببعض، ويستدل على التقدير في بعض مواضعه من بعض[٤].

- وفي قول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٥] ذهب الفراء إلى أن (أمة) مرتفعة بـ (سواء) ارتفاع الفاعل[٦]، والتقدير: ليس يستوي أمة من أهل الكتاب قائمة يتلون آيات الله وأمة كافرة[٧]، فحُذفت الجملة المعادِلة - المشتملة على المعطوف وحرف العطف -، اكتفاء بالجملة الأولى[٨]؛ ولأن المساواة تقتضي شيئين[٩]، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[١٠].

---

(١) مغني اللبيب ٧٢١.

(٢) ينظر المصدر السابق ٧٢١.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٥٠.

(٤) ينظر حاشية الدسوقي ٣٩٢/٣.

(٥) سورة آل عمران، من الآية ١١٣.

(٦) ينظر البحر المحيط ٣٠٨/٣، وفتح القدير ٢٣٩.

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٤، والبحر المحيط ٣٠٨/٣، وفتح القدير ٢٣٩.

(٨) ينظر فتح القدير٢٣٩ .

(٩) ينظر البحر المحيط٣٠٨/٣.

(١٠) سورة الحج، من الآية٢٥.

وقد رُدَّ قول الفراء بأنه يرفع (أمة) بـ (سواء) فلا يعود على اسم (ليس) شيء، وبأنه يضمر ما لا يحتاج إليه؛ لأنه قد تقدم ذكر الأمة الكافرة[١].

ويبدو أن ما قاله الفراء قوي، وحاصله: أن معنى الآية: لا يستوي أمة من أهل الكتاب شأنها كذا وأمة أخرى شأنها كذا[٢]، وليس تقدير هذا المحذوف من باب ما لا حاجة إليه "فإن تقدم الأمة الكافرة لا يفيد مفاد تقدير ذكرها هنا، وأما قوله: إنه لا يعود على اسم (ليس) شيء، فيرده أن تقدير العائد شائع مشتهر .."[٣].

- وفي قوله تعالى:﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٤]، قيل: إن (سكن) في الآية بمعنى ثبت واستقر[٥]، وقيل: هو من سكن مقابل تحرك[٦]، فعلى الأول لا حذف في الآية[٧]، وعلى الثاني اختُلف في ذلك على قولين أيضًا:

---

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن٤/١٧٦، وفتح القدير٢٣٩.

(٢) ينظر فتح القدير٢٣٩.

(٣) المصدر السابق٢٣٩ .

(٤) سورة الأنعام، الآية١٣.

(٥) ينظر البحر المحيط٤/٤٤٩، ومغني اللبيب٧٢١.

(٦) ينظر مغني اللبيب٧٢١، والبحر المحيط٤/٤٤٩.

(٧) ينظر مغني اللبيب٧٢١.

الأول: أن المعطوف وحرف العطف محذوفان لفهم المعنى[١]، والتقدير: وله ما سكن وما تحرك[٢]، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر[٣].

قال البغوي: "أراد: ما سكن وما تحرّك .. وقيل: إنما خصّ السكون بالذكر؛ لأن النعمة فيه أكثر"[٤].

الثاني: أنه لا حذف في الآية[٥]؛ لأن كل متحرك قد يسكن[٦]، قال أبو حيان: "واقتصر على الساكن؛ لأن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ما يسكن يتحرك، وقيل: لأن السكون أكثر وجودًا من الحركة"[٧].

ولعل القول الأول أولى؛لأن حذف المعطوف كثير في كلام العرب[٨]،وجاز حذفه، لفهم المعنى ،وحذف الشيء "تارة يكون لدلالة خلافه أو ضده أو نقيضه...وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض بإثبات نقيضه"[٩] .

---

(١) ينظر المصدر السابق٧٢١، والجامع لأحكام القرآن٦/٣٩٦، والبحر المحيط٤/٤٤٩.

(٢) ينظر مغني اللبيب٧٢١، والبحر المحيط٤/٤٤٩.

(٣) ينظر فتح القدير ٤١١.

(٤) معالم التنزيل٢/١١٣.

(٥) ينظر البحر المحيط٤/٤٤٩، واللباب في علوم الكتاب٨/٥٢.

(٦) ينظر البحر المحيط٤/٤٤٩.

(٧) المصدر السابق٤/٤٤٩.

(٨) ينظر الدر المصون٢/٦٩٦.

(٩) البحر المحيط٧/٢٥.

– في قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] أجاز الزجاج[2]، والقرطبي[3]، وأبو حيان[4]، أن يكون المعنى: ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين، ثم

حُذفت الواو وما عَطَفَتْ؛ لدلالة المعنى عليهما[5]، واكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر[6].

قال الزجاج:"وجائز أن يكون المعنى: ولتستبين سبيل المجرمين ولتستبين سبيل المؤمنين، إلا أن الذكر والخطاب هاهنا في ذكر المجرمين، فذُكِروا وتُرِك ذكر سبيل المؤمنين؛ لأن في الكلام دليلًا عليها"[7].

وقيل:إن(سبيل المؤمنين) مضمنٌ به الكلام؛ لأن(سبيل المجرمين) إذا بانت فقد بانت معها (سبيل المؤمنين)[8]، "كما تقول:(زيد ضارب) تضمن هذا الكلام ذكر المضروب"[9].

---

(١) سورة الأنعام، الآية٥٥

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه٢/٢٥٥.

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن٦/٤٣٧.

(٤) ينظر البحر المحيط٤/٥٢٩.

(٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه٢/٢٥٥، والجامع لأحكام القرآن٦/٤٣٧، والبحر المحيط٤/٥٢٩.

(٦) ينظر غرائب التفسير١/٣٦٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٥٥.

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٢/٢٩٨، والجامع لأحكام القرآن ٦/٤٣٧، والبحر المحيط ٤/٥٢٩.

(٩) التفسير البسيط٨/١٨٢.

ويبدو أنه لا داعي هنا إلى تقدير عاطف ومعطوف؛ لأن المقام إنما يقتضي ذكر المجرمين فقط؛ إذ هم الذين أثاروا ما تقدم ذكره قبل هذه الآية من الأقوال[١]، وهم أهم في هذا الموضع؛ لأنها آياتُ ردٍّ عليهم[٢].

- وفي قول الله تعالى:﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾[٣] ذهب النحاس[٤]، والبغوي[٥]، والشوكاني[٦]، إلى أن المعطوف وحرف العطف محذوفان، والتقدير: يغشي الليل النهار ويغشي النهار الليل[٧]، وذلك لأن كلًا من الليل والنهار يغطي صاحبه، ولم يذكر المعطوف وحرف العطف لدلالة الكلام عليهما[٨].

قال البغوي: ومعنى الآية "أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف أي: ويغشي النهار الليل، ولم يذكر لدلالة الكلام عليه ..."[٩].

---

(١) ينظر البحر المحيط٤/٥٢٩.

(٢) ينظر المصدر السابق٤/٥٢٩.

(٣) سورة الأعراف، من الآية٥٤.

(٤) ينظر إعراب القرآن٣/٤٢.

(٥) ينظر معالم التنزيل٣/٢٣٦.

(٦) ينظر فتح القدير٤٧٨.

(٧) ينظر معالم التنزيل٣/٢٣٦، وفتح القدير٤٧٨.

(٨) ينظر معالم التنزيل٣/٢٣٦.

(٩) المصدر السابق٣/٢٣٦.

ولعل مما يدلّ على حذف المعطوف مع العاطف هنا أيضًا ذِكرهما في آية أخرى، وذلك قوله تعالى:﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[1][2]، و"تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه، ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته"[3].

- أجاز العلماء في قوله تعالى:﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾[4] وجهين:

الأول: أن يكون المعطوف وحرف العطف محذوفين، أي: تقيكم الحرَّ والبرد[5].

قال الفراء: "ولم يقل: والبرد، وهي تقي الحرَّ والبرد، فترك لأن معناه معلوم والله أعلم .."[6].

وقال الزجاج: "ولم يقل: تقيكم البرد؛ لأن في الكلام دليلًا على أنها تقي البرد؛ لأن ما يستر من الحر يستر من البرد"[7].

---

(١) سورة الزمر، من الآية ٥.

(٢) ينظر معالم التنزيل ٢٣٦/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٥.

(٤) سورة النحل، من الآية ٨١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٥/٢، وشرح التسهيل ٢٣٦/٣، والبحر المحيط ١٦/٦، ومغني اللبيب ٧٢١، والمقاصد الشافية ١٦٤/٥.

(٦) معاني القرآن ١١٢/٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٥/٢.

قيل: ووجه تخصيص (الحر) بالذكر أن الوقاية منه كانت أهم عند العرب من الوقاية من البرد؛ لغلبة الحر في بلادهم[١].

الثاني: أن يكون اكتفى عن ذكر المعطوف والعاطف هنا بقوله تعالى في أول السورة:﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾[٢]، وحينئذ لا حذف في الآية[٣].

ولعل القول الأول أولى، وهو العطف بالحرف المحذوف، "ولم يذكر البرد اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر؛ لأن ما وقى من الحر وقى من البرد"[٤]، وحذف الشيء "تارة يكون لدلالة خلافه أو ضده أو نقيضه..."[٥]، وهذه الآية من هذا القبيل يستدل على حذف النقيض بإثبات نقيضه[٦].

– وفي قول الله تعالى:﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾[٧] خاطب فرعونُ موسى وهارونَ عليهما السلام، ثم نادى موسى وحده بعد مخاطبتهما معا، وللعلماء في ذلك أقوال:

---

(١) البحر المحيط ١٦/٦.

(٢) سورة النحل، من الآية ٥.

(٣) ينظر مغني اللبيب ٧٢١.

(٤) فتح القدير٧٩٦.

(٥) البحر المحيط١٦/٦.

(٦) المصدر السابق١٦/٦.

(٧) سورة طه، الآية٤٩.

الأول: أن موسى هو الأصل في النبوة والرسالة، وهارون عليه السلام وزيره وشريكه في النبوة ورِدءٌ له[١].

الثاني: أن المجاوبة إنما تكون من الواحد لا من الجميع[٢]، قال الفراء: "يكلم الاثنين ثم يجعل الخطاب لواحد؛ لأن الكلام إنما يكون من الواحد لا من الجميع، ومثله مما جُعِل الفعل على اثنين وهو لواحد قوله: (نسيا حوتهما) وإنما الذي نسيه واحد؛ ألا ترى أنه قال لموسى:(فإني نسيت الحوت) .."[٣].

الثالث: أن المعطوف وحرف العطف محذوفان، للعلم بهما، أي: فمن ربكما يا موسى وهارون[٤].

قال العكبري: "قوله تعالى:﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ أي: وهارون، فحذف للعلم به"[٥].

ويبدو أن الأول أولى، وهو أن موسى هو الأصل في النبوة، وهو المتحمل أعباء الرسالة، فكان المتكلم عن نفسه وعن أخيه، وهارون إنما هو وزيره وشريكه في النبوة والرسالة.

---

(١) ينظر الكشاف٦٥٧، والبحر المحيط٣٣٩/٧.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء١٨٠/٢، وجامع البيان٣١٦/١٨.

(٣) معاني القرآن١٨٠/٢.

(٤) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٣٧٠.

(٥) المصدر السابق٣٧٠

- وفي قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[1] ذهب ابن مالك إلى أن التقدير: أن عبَّدت بني إسرائيل – أي: استعبدتهم – ولم تعبّدني[2]، فحذف المعطوف وحرف العطف[3].

قلت: تُرِك ذكر العاطف والمعطوف (ولم تُعبّدني)؛ لدلالة قوله:(أن عبّدت بني إسرائيل) عليهما، "والعرب تفعل ذلك اختصارًا للكلام"[4]، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة، فيعاقب أحدهما ويعفو عن الآخر، فيقول المعفو عنه: هذه نعمة عليّ من الأمير أن عاقب فلانًا ولم يعاقبني، ثم حذف (ولم يعاقبني) لدلالة الكلام عليه[5].

فموسى عليه السلام يقول: كيف تمّنُ عليّ أن عبّدت بني إسرائيل ولم تستعبدني، فهذه ليست نعمة؛ لأن كون الإنسان لا يقتل هذا الرجل وهو يقتل غيره عدوانًا، ليس بنعمة؛ إذ لم يُسدِ إليه نفعًا، ولم يدفع عنه ضررًا ، غاية ما هنالك أنه امتنع عن ظلمه[6].

---

(١) سورة الشعراء، الآية٢٢.

(٢) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦.

(٣) ينظر مغني اللبيب٧٤٨، والمقاصد الشافية٥/١٦٤.

(٤) جامع البيان١٩/٣٤٢.

(٥) ينظر جامع البيان١٩/٣٤٢.

(٦) ينظر تفسير ابن عثيمين١/٦٦ – ٦٨.

- وفي قول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَقَـٰسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴾[1] ذهب أبو حيان إلى أن العاطف والمعطوف محذوفان، والتقدير: ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه[2].

وقيل: إن في حذف المعطوف هنا ما لا يخفى[3].

والظاهر أن في الآية معطوفًا محذوفًا، ويدلّ عليه شيئان:

الأول: قول الرهط الذين تقاسموا وتحالفوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام: لنبيتنّه وأهله[4].

الثاني: ما رُوي من أنهم كانوا عزموا على قتل صالح عليه السلام وقتل أهله[5].

- وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾[6] ذهب الفراء[7]، والطبري[8]، والقرطبي[9]، وأبو حيان[10] إلى أن المعطوف وحرف

---

(١) سورة النمل، الآية٤٩.

(٢) ينظر البحر المحيط٨/٢٥١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٣/٥٥٢.

(٣) ينظر روح المعاني١٩/٢١٣.

(٤) ينظر البحر المحيط٨/٢٥١، والبرهان في علوم القرآن٣/١٥٧.

(٥) ينظر المصدران السابقان.

(٦) سورة الروم، الآية٣٠، ومن الآية٣١.

(٧) ينظر معاني القرآن٢/٣٢٥.

(٨) ينظر جامع البيان٢٠/١٠٠.

(٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢.

(١٠) ينظر البحر المحيط٨/٣٩٠.

العطف محذوفان، والتقدير: فأقم وجهك وأمتك[١]؛ لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته[٢]، أي: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه[٣]، و(منيبين) حال من الجميع[٤].

قال الطبري:"فإن قال قائل: وكيف يكون حالًا منها ، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة بجماعة؟ قيل:لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع أمر منه له ولأمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفاً، منيبين إليه"[٥].

والذي يظهر لي أنه جاز حذف المعطوف هنا لدلالة (منيبين إليه) عليه[٦]، فهو حال من الجميع[٧]؛ ولأن المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه فيها الأمة[٨].

---

(١) ينظر جامع البيان٢٠/١٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢، والبحر المحيط٨/٣٩٠، والدر المصون٩/٤٤.

(٢) ينظر معالم التنزيل ٦/٢٧١، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٢، والبحر المحيط ٨/٣٩٠.

(٣) ينظر معاني القرآن للأخفش٢/٧٥، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢.

(٤) ينظر الدر المصون٩/٤٤.

(٥) جامع البيان٢٠/١٠٠.

(٦) ينظر الدر المصون٩/٤٤

(٧) ينظر المصدر السابق٩/٤٤.

(٨) ينظر معالم التنزيل٦/٢٧١.

- وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[1] خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء، ثم عمم الخطاب في الحكم فقال:(إذا طلقتم النساء)، وللعلماء في هذا الخطاب أقوال:

الأول: أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته[2]، والتقدير: يا أيها النبي وأمته إذا طلقتم النساء، فحذف المعطوف وحرف العطف لدلالة ما بعدهما عليهما[3]، قال أبو حيان:"فكأنه ثَمَّ محذوف تقديره:

يا أيها النبي وأمة النبي إذا طلقتم، فالخطاب له ولهم، أي: أنت وأمتك"[4].

الثاني: أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقط، وذُكر بلفظ الجمع تعظيمًا له وتفخيمًا[5].

الثالث: أنه على إضمار قول، أي: يا أيها النبي قل للمؤمنين إذا طلقتم النساء[6].

---

(١) سورة الطلاق ، من الآية١

(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه٢٩٣/١، وجامع البيان٢٩٨/١٢، والمحرر الوجيز٣٢٢/٥، والبحر المحيط١٩٦/١٠.

(٣) ينظر البحر المحيط١٩٦/١٠.

(٤) البحر المحيط١٩٦/١٠.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣٢٢/٥، والجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١٨، والبحر المحيط ١٩٦/١٠.

(٦) ينظر البحر المحيط ١٩٦/١٠.

وقد رُدَّ الثاني بأنه يقتضي اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم دون أمته[١].

ورُدَّ الثالث بأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه صلى الله عليه وسلم[٢].

وقيل: إن القول الثالث أكثر مناسبة بالمقام، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾[4]؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان أصيلًا في المأمورات كما أن أمته أصيلة في المنهيات إلا أن الطلاق لما كان أبغض المباحات إلى الله تعالى كان الأولى أن يسند التطليق إلى أمته دونه صلى الله عليه وسلم[٥].

والراجح عندي هو الأول؛ لأنه صلى الله عليه وسلم إمام الأمة وقدوتهم والمقدم عليهم[٦]، فإذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب[٧]؛ ولأن حكم الطلاق يشترك فيه النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل٢/٣٨٣.

(٢) ينظر المصدر السابق٢/٣٨٣.

(3) سورة الأحزاب، من الآية٢٨.

(4) سورة النور، من الآية٣٠.

(٥) ينظر روح البيان١٠/١٩.

(٦) ينظر الكشاف١١١٤.

(٧) ينظر المصدر السابق١١١٤.

وأمته[١]، وخُصَّ عليه السلام بالنداء تعظيمًا له، كما يقال لرئيس القوم: يا فلان افعلوا كيْت وكيْت[٢]، أي: افعل أنت وقومك، فكأنه قال: يا أيّها النبي إذا طلقت أنت وأمتك[٣].

***

(١) ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ٣٨٣/٢.

(٢) ينظر الكشاف١١١٤.

(٣) ينظر الكشاف١١١٤، والبحر المحيط١٩٦/١٠، والتسهيل لعلوم التنزيل٣٨٣/٢.

المطلب الثالث: شواهد على توجيه حذف العاطف وحده في القرآن الكريم:

أجاز كثير من النحويين – كما سبق – حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف عليه، وساقوا عليه شواهد قدَّروا فيها حذف العاطف وحده(١).

ومنه في القرآن الكريم ما يأتي:

– قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾(٢).

قُرئ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ بوجهين:

أحدهما: (وقالوا اتخذ الله ولدًا) بالواو(٣) عطفًا لهذه الجملة الخبرية على قوله تعالى قبل ذلك: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾(٤)(٥)، وقيل: هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾(٦)(٧).

---

(١) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، ومغني اللبيب٧٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآيات١١٤-١١٦.

(٣) وهي قراءة الجمهور. ينظر السبعة في القراءات١٦٩، والبحر المحيط١/٣١٣، والدر المصون٢/٨٣، والنشر في القراءات العشر٢/٢٥٠، والتحرير والتنوير١/٦٦٥.

(٤) سورة البقرة، من الآية ١١١.

(٥) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٥٩.

(٦) سورة البقرة، من الآية ١١٣

(٧) ينظر التحرير والتنوير١/٦٦٥.

والآخر:(قالوا) بغير واو[١]، وفي تخريج هذه القراءة قولان:

الأول: الاستئناف[٢]. قال ابن عاشور:"كأن السامع بعد أن سمع ما مر من عجائب هؤلاء الفرق الثلاث جمعًا وتفريقًا تسنى له أن يقول: لقد أسمعتنا من مساويهم عجبًا فهل انتهت مساويهم أم لهم مساوٍ أخرى؟ لأن ما سمعناه مؤذن بأنها مساوٍ لا تصدر إلا عن فطر خبيثة"[٣].

الثاني: حذْف حرف العطف وهو مراد[٤].

ولعل أمثل التخريجين هو التخريج الثاني، وذلك لما يأتي:

الأول: أنه يجوز عند حذف الواو أن يُلْحظ معنى العطف، ويستغنى عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة[٥].

الثاني: أن هذه الآية ملابسة لما قبلها من قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[٦]؛ لأن القائلين: (اتخذ الله ولدًا) من جملة المتقدم ذكرهم، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها[٧].

---

(١) وهي قراءة ابن عامر. ينظر السبعة١٦٩.

(٢) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٥٩، والبحر المحيط١/٣١٣، والدر المصون٢/٨٣ .

(٣) التحرير والتنوير١/٦٦٥.

(٤) ينظر الدر المصون٢/٨٣.

(٥) ينظر المصدر السابق٢/٨٣.

(٦) سورة البقرة، من الآية١١٤.

(٧) ينظر البرهان في علوم القرآن٣/٢١١.

- قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[1].

قرئ قوله تعالى: (ويكّفر) بوجهين:

أحدهما: بالواو (ويكفِّرُ)[2].

والآخر: (يكّفرْ) بإسقاط الواو وجزم الراء[3]، وفي تخريج هذه القراءة قولان:

الأول: أنه معطوف على محل قوله: (فهو خير لكم)، وحرف العطف محذوف[4].

الثاني: أنه بدل من محل قوله: (فهو خير لكم)، وكأن المعنى: وإن تخفوها يكن لكم الإخفاء خيرًا من الإبداء ويكفرْ عنكم سيئاتكم[5].

وقد ضعَّف السمين الحلبي القول الأول فقال:"وهو ضعيف جدًا؛ لأن فيه حذف حرف العطف، وهو ممنوع لم يرد منه إلا شيء شاذ يمكن تأويله"[6].

ويبدو أن حذف حرف العطف جائز وليس ممنوعًا، وقد وَرَد منه كثير، قال القرطبي:"حذف حرف العطف كثير .."[7]. وإنما يمتنع حذف حرف

---

(١) سورة البقرة، الآية٢٧١.

(٢) وهذه قراءة ابن عامر وعاصم في رواية حفص. ينظر السبعة في القراءات١٩١، والدر المصون٢/٦١١.

(٣) وهذه قراءة الأعمش. ينظر البحر المحيط٢/٦٩١، والدر المصون٢/٦١٠.

(٤) ينظر البحر المحيط٢/٦٩١، والدر المصون٢/٦١١.

(٥) ينظر المصدران السابقان.

(٦) الدر المصون١٠/٥١٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧.

العطف إن أوقع حذفه في لبس[١]، ولا لبس بحذفه في الآية، فتكون القراءة بحذف الواو في (ويكفّر) كالقراءة المشهورة بإثبات الواو.

- قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[٢].

أجاز العلماء في الواو من قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ وجهين:

الأول: أن تكون عاطفة، فيكون قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ معطوفًا على لفظ الجلالة[٣].

الثاني: أن تكون استئنافًا[٤].

وعلى القول بكون الواو هنا عاطفة اختُلف في إعراب جملة (يقولون آمنا به) على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها معطوفة بحرف محذوف، أي: ويقولون آمنا به[٥].

الثاني: أن تكون في محل نصب على الحال، أي: والراسخون في العلم يعلمونه قائلين: آمنا به[٦].

---

(١) ينظر المقاصد الشافية٥/١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧

(٣) ينظر النكت في القرآن١/١٨٧، والبحر المحيط٢/٤٠١، والدر المصون٣/٢٩.

(٤) ينظر النكت في القرآن١/١٨٦، الدر المصون ٣/٢٩.

(٥) ينظر أضواء البيان١/١٩٥.

(٦) ينظر النكت في القرآن١/١٨٧، والبحر المحيط٢/٤٠١، والدر المصون٣/٢٩.

الثالث: أنها خبر مبتدأ محذوف، أي: هم يقولون[١]، أو: هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به[٢].

ورُدَّ الثاني بأن فيه إشكالًا، وهو أن صاحب الحال هو الذي تقدم ذكره، وهنا تقدم ذكر الله تعالى وذكر الراسخين في العلم، والحال لا يمكن إلا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر[٣].

وأجيب بأنه يجوز إتيان الحال من المعطوف فقط دون المعطوف عليه، فيكون قوله تعالى:﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالًا من قوله تعالى:﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ فقط[٤]، وعليه يكون المعنى: والراسخون في العلم يعلمون تأويله كذلك قائلين آمنا به[٥].

ولكنْ هنا مانع آخر من جعل ذلك حالًا، وهو تقييد علمهم بتأويله بحال كونهم قائلين آمنا به ليس بصحيح، "فإن الراسخين في العلم على القول بصحة العطف على الاسم الشريف يعلمونه في كل حال من الأحوال لا في هذه الحالة الخاصة فاقتضى هذا أن جعل قوله:(يقولون آمنا به) حالًا غير صحيح"[٦].

---

(١) ينظر الدر المصون٣/٢٩.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب٧/١٥٤.

(٣) ينظر المصدر السابق٧/١٥٤.

(٤) ينظر الدر المصون٣/٢٩، وفتح القدير٢٠٣.

(٥) ينظر الدر المصون٣/٢٩.

(٦) فتح القدير٢٠٣.

ورُدَّ الثالث بأن تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه إلى الإضمار أولى من تفسيره بما يحتاج معه إلى الإضمار(١).

ويبدو أنه إذا كانت جملة (يقولون) لا يصح أن تكون حالًا لما سبق، فالأقرب – والله أعلم– أنها معطوفة بالحرف المحذوف، والعطف بالحرف المحذوف أجازه ابن مالك(٢)، وجماعة من النحويين(٣).

– قال تعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٤).

قرئ قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾بوجهين:

أحدهما: (إن الدين) بكسر الهمزة على الاستئناف، وهذه قراءة الجمهور(٥).

والآخر: (أن الدين) بفتح الهمزة، وهذه قراءة ابن عباس(٦)، والكسائي(٧)، وقد خُرِّجت هذه القراءة على أوجه، منها:

الأول:أن يكون "أن الدين" معطوفًا بحرف محذوف على قوله تعالى:﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، أي: وشهد أن الدين عند الله الإسلام(٨).

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب٧/١٥٤.

(٢) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦ وما بعدها.

(٣) ينظر أضواء البيان١/١٩٥.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان١٨، ١٩ .

(٥) ينظر السبعة٢٠٢، والبحر المحيط٢/٣٠٩، والدر المصون٣/٨٣.

(٦) ينظر البحر المحيط٢/٣٠٩.

(٧) ينظر السبعة ٢٠٢، والبحر المحيط ٢/٣٠٩، والدر المصون٣/٨٣.

(٨) ينظر البحر المحيط٢/٣٠٩، والدر المصون٣/٨٥ ، ومغني اللبيب٧٣٠.

الثاني:أن يكون "أن الدين" بدلًا من قوله تعالى:﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١]، "كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بيانا صريحًا؛ لأن دين الله هو التوحيد والعدل"[٢].

الثالث: أن يكون (أن الدين) معمولاً لقوله تعالى:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾، أي: شهد الله بأن الدين، فلما حذف حرف الجر جاز أن يحكم على موضعه بالنصب أو الجر[٣].

ورُدَّ الأول من الأوجه السابقة بأن فيه فصلًا بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول، وهو قوله:﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع، وهو قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٤].

وردَّ أبو حيان الثاني بأنه يؤدي إلى تركيب بعيد أن يأتي مثله في كلام العرب، وهو (عرف زيد أنه لا شجاع إلا هو، وبنو تميم وبنو دارم ملاقيًا للحروب لا شجاع إلا هو البطل المحامي أن الخصلة الحميدة هي البسالة)[٥]، "وتقريب هذا المثال:(ضرب زيد عائشة والعمران حنقا أختَك)، فحنقًا حال من زيد، وأختك بدل من عائشة، ففصل بين البدل والمبدل منه بالعطف وهو لا يجوز، وبالحال لغير المبدل منه، وهو لا يجوز؛ لأنه فصل بأجنبي بين المبدل منه والبدل"[٦].

---

(١) ينظر الدر المصون٣/٨٣، ومغني اللبيب٧٣٠.

(٢) الكشاف ١٦٥.

(٣) ينظر البحر المحيط٢/٣١٠، والدر المصون٣/٨٥.

(٤) ينظر البحر المحيط٢/٣١٠، ومغني اللبيب٧٣٠.

(٥) ينظر البحر المحيط٢/٣١٠.

(٦) المصدر السابق٢/٣١٠.

ولا يظهر لي منع ذلك "ولا عدم صحة تركيبه حتى يقول ليس بجيد (وبعيد أن يأتي عن العرب مثله)، وما ادعاه .. في المثال الثاني أن فيه الفصل بأجنبي فيه نظر؛ إذ هذه الجمل صارت كلها كالجملة الواحدة لِما اشتملت عليه من تقوية كلمات بعضِها ببعض"(١).

- قوله تعالى:﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(٢).

قرئ قوله تعالى:(وسارعوا) بوجهين:

أحدهما: (وسارعوا) بالواو(٣).

والآخر: (سارعوا) بدون واو(٤)، وفي تخريج هذه القراءة ثلاثة أقوال:

الأول: أنه معطوف على قوله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾(٥)، وحرف العطف محذوف(٦)، وإنما "حُذِف العاطف؛ لقرب كل واحد منهما من الآخر في المعنى، فإن قوله:(وسارعوا)، وقوله:(وأطيعوا) كالشيء الواحد"(٧).

---

(١) الدر المصون٣/٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية١٣٣.

(٣) ينظر السبعة٢١٦، والنشر٢/٢٤٢.

(٤) ينظر السبعة٢١٦، والنشر٢/٢٤٢.

(٥) سورة آل عمران، من الآية١٣٢.

(٦) ينظر البحر المحيط٢/٢٤٥، والدر المصون٢/٦١١.

(٧) اللباب في علوم الكتاب٥/٥٣٤.

الثاني: أنه بدل من جملة (وأطيعوا الله والرسول)[١]، قال ابن عاشور:"تتنزل جملة (سارعوا) منزلة البيان أو بدل الاشتمال لجملة (وأطيعوا الله والرسول) مسارعة إلى المغفرة والجنة ..."[٢].

الثالث: أنه استئناف[٣]، كأنه قيل: "كيف نطيعهما؟ فقيل: سارعوا إلى ما يُوجب المغفرة، وهو الطاعة بالإسلام والتوبة والإخلاص، وكل ما يتقرب به إلى جنة هذه صفتها .."[٤].

وقد ضعَّف السمين الحلبي القول الأول، فقال:"وهو ضعيف جدًا؛ لأن فيه حذف حرف العطف، وهو ممنوع لم يرد منه إلا شيء شاذ يمكن تأويله"[٥].

والذي يظهر أن حذف حرف العطف جائز –كما سبق– وليس ممنوعًا، وقد وَرَد منه كثير[٦].

– في قوله تعالى:﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[٧]، أجاز ابن عطية[٨]

---

(١) سورة آل عمران، من الآية١٣٢.

(٢) التحرير والتنوير٤/٨٨.

(٣) ينظر البحر المحيط٢/٢٤٥، والدر المصون٢/٦١٠ .

(٤) حدائق الروح٥/١٣٣.

(٥) الدر المصون١٠/٥١٦.

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧.

(٧) سورة التوبة، الآية٩٢.

(٨) ينظر المحرر الوجيز٣/٧١.

أن تكون جملة:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه) معطوفة على الشرط من قوله تعالى:﴿ مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾، وحرف العطف محذوف[١]، و(تولوا) جواب الشرط[٢]، أو حال على إضمار (قد)[٣].

ومنع السهيلي العطف بالحرف المحذوف في هذه الآية، وجعل جواب (إذا) قوله تعالى:﴿ قُلْتَ لَآ أَجِدُ ﴾، وقوله تعالى:﴿ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ ﴾ إخبارًا عنهم وثناءً عليهم؛ لأنها نزلت في قوم مخصوصين عرفوا بأعيانهم[٤]، قال: ولو كان جواب (إذا) في قوله:﴿ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾ لكان من لم تفض عيناه من الدمع هو الذي عليه حرج وإثم، وما رفع الله الحرج عنهم إلا لأن الرسول عليه السلام لم يجد ما يحملهم عليه، وإذا عطفت (قلت لا أجد) على (أتوك) كان الحرج غير مرفوع عنهم حتى يقال(وأعينهم تفيض)[٥]، وقال:"والكلام غير محتاج إلى العطف بالواو؛ لأنه مرتبط بما قبله كالتفسير له"[٦].

وقيل: إن جملة:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه) جواب (إذا) الشرطية[٧]، و(تولوا) جواب لسؤال مقدر "كأن قائلًا قال: ما كان حالهم إذا أجيبوا بهذا الجواب؟ فأُجيب بقوله: (تولوا)"[٨].

---

(١) ينظر البحر المحيط٥/٤٨٤، والدر المصون٦/١٠٠، ومغني اللبيب٧٣٠.
(٢) ينظر البحر المحيط٥/٤٨٤، ومغني اللبيب٧٣٠.
(٣) ينظر مغني اللبيب٧٣٠.
(٤) ينظر نتائج الفكر ٢٠٨، والفصول المفيدة في الواو المزيدة ١/١٢٧.
(٥) ينظر البرهان في علوم القرآن ٣/٢١٠.
(٦) نتائج الفكر ٢٠٨.
(٧) ينظر الدر المصون٦/٩٩، ومغني اللبيب٧٣٠.
(٨) الدر المصون٦/٩٩.

وقيل: إن جملة:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه) في محل نصب على الحال من كاف "أتوك"، أي: إذا أتوك وأنت قائل: لا أجد ما أحملكم عليه[١].

وجوَّز الزمخشري أن تكون جملة:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه) استئنافا[٢]، أي:

إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، ثم قُدِّر أنه قيل:لِم تولوا باكين؟ فقيل:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه)، إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض[٣].

ورُدَّ هذا القول بأنه لا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله؟[٤].

وأُجيب بوضوح الاستئناف في الآية وظهوره، وذلك لأن توليهم على حاله، فيصير الدمع ليس مترتبًا على مجرد مجيئهم له عليه السلام ليحملهم، بل على قوله لهم:(لا أجد ما أحملكم)، وإذا كان كذلك فقوله عليه السلام لهم ذلك سبب في بكائهم، فحسُن أن يُجعَل قوله:(قلت لا أجد ما أحملكم عليه) جوابًا لمن سأل عن علة توليهم وأعينهم فائضة دمعًا[٥].

- في قول الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٦]

---

(١) ينظر الكشاف٤٤٥، وفتح القدير٥٩١.

(٢) ينظر الكشاف٤٤٦.

(٣) ينظر الكشاف٤٤٦، والدر المصون٦/١٠٠، ومغني اللبيب٧٣٠.

(٤) ينظر البحر المحيط٥/٤٨٤.

(٥) ينظر الدر المصون٦/١٠٠.

(٦) سورة الكهف، الآية ٢٢.

ذهب جمع من العلماء إلى أن الجمل الثلاث (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم)، (خمسة سادسهم كلبهم) ،(سبعة وثامنهم كلبهم) مترابطة فيما بينها، معطوفة بعضها على بعضها، وقد حُذِف حرف العطف من الجملتين الأولى والثانية اكتفاء بدلالة حرف العطف المثبت في الجملة الثالثة على حرف العطف المحذوف[١]، كما أن الضمير في (رابعهم)، و(سادسهم) رَبَطَهما بالضمير المضمر قبلهما على تقدير: (هم ثلاثة، وهم أربعة)، فكان حذف الواو ودخولها واحدًا؛ لأمن اللبس بحذف حرف العطف فيهما[٢].

نُقل عن الفارسي قوله: إن قوله تعالى: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقوله تعالى:﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى وهي قوله :(ثلاثة)، والتقدير: هم ثلاثة[٣]، وهذا معنى قول الزجاج: دخول الواو في (وثامنهم) وإخراجها واحد[٤].

وذهب الزمخشري[٥]، والعكبري[٦]، إلى أن جملة (رابعهم كلبهم) صفة لـ (ثلاثة)، و(ثلاثة) خبر لمبتدأ محذوف.

---

(١) ينظر سر صناعة الإعراب٢/٦٤٤، وفتح القدير ٨٥٤.

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب ٢/٦٤٤.

(٣) ينظر فتح القدير٨٥٤.

(٤) ينظر المصدر السابق٨٥٤.

(٥) ينظر الكشاف٦١٦.

(٦) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٣٥٠.

وذهب الشوكاني إلى أنها في محل نصب على الحال، "أي: حال كون كلبهم جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم"(١).

ومنع العكبري(٢)، أن تكون جملة (رابعهم كلبهم) حالًا لـ (ثلاثة)؛ لعدم العامل فيها، ولا يصح أن يقدر (هؤلاء ثلاثة)؛ ويكون العامل اسم الإشارة أو التنبيه؛ لأنها إشارة إلى حاضر، ولم يشيروا إلى حاضر(٣).

ومنع ابن جني أن تكون هذه الجملة صفة لـ (ثلاثة)، وقال:"والذي منع من إجازته هنا وضعفها أن الجملة في آخر الكلام فيها واو العطف وهو قوله عز وجلّ:﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فكما ظهرت الواو في آخر الكلام فكذلك – والله أعلم – هي مرادة في أوله لتتجنس الجمل في أحوالها والمراد بها، فكأنه – والله أعلم –:(سيقولون ثلاثة ورابعهم كلبهم ويقولون خمسة وسادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) إلا أن الواو حذفت من الجملتين المتقدمتين؛ لأن الذي فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما لا عقد الوصف ولا عقد الحال لما ذكرناه، ولكن عقد الاتباع لاسيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين"(٤).

---

(١) فتح القدير٨٥٤ .

(٢) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٣٥٠.

(٣) ينظر سر صناعة الإعراب٦٤٣/٢، وإملاء ما منّ به الرحمن٣٥٠، والدر المصون٤٦٦/٧.

(٤) سر صناعة الإعراب ٦٤٤/٢.

ويبدو أن سياق الكلام يدل على حرف العطف المحذوف دلالة لا توقع تقدير الكلام في لبسِ فهم المعنى؛ لأن المعطوف إذا كان قريبًا من المعطوف عليه جاز حذف الحرف العاطف(١)، وقد تحقق هذا بوجود الضمير في (رابعهم) و(سادسهم)، فرُبط اللاحق بالسابق(٢).

- قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

أجاز العلماء في (كمثل الشيطان) من الآية السابقة أقوالًا، منها:

الأول: أنه معطوف على (كمثل الذين)، وحرف العطف محذوف(٤).

الثاني: أن (كمثل) خبر مبتدأ محذوف(٥)، تقديره: مثلهم كمثل الشيطان(٦) أو: هؤلاء كمثل(٧).

الثالث: أنه خبر ثانٍ للمبتدأ المحذوف قبل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(٨)، "كأنه قيل: مثل أولئك الذين كفروا من أهل الكتاب في حلول

---

(١) ينظر اللباب في علوم القرآن ١/١٢٣٥.

(٢) ينظر النكت في القرآن ١/٣٠٤.

(٣) سورة الحشر، الآيتان١٥، ١٦.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧، واللباب في علوم الكتاب١٨/٦٠٤، وفتح القدير ١٤٧٨.

(٥) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/٧٢٥، والبحر المحيط ٨/١٨٨، وفتح القدير ١٤٧٨.

(٦) ينظر البحر المحيط٨/١٨٨، وفتح القدير ١٤٧٨.

(٧) ينظر مشكل إعراب القرآن٢/٧٢٥.

(٨) ينظر روح المعاني٢٨/٥٩، وفتح القدير ١٤٧٨.

العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في إغرائهم إياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ..."[1].

وقد استبعد ابن عاشور أن يكون (كمثل الشيطان) معطوفًا على ما قبله؛ لأنه لو كان ذلك لكان بالواو أو بـ (أو) كقوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]، وقال:"هذا مثل آخر لمِمَثَّل آخر، وليس منضمًّا إلى المثل الذي قبله"[3].

ولعل القول الأول هو الأقرب، وأن المعنى: مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم، ومثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين[4]، قال القرطبي: "هذا ضرْب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم، وحُذِف حرف العطف، ولم يقل:(وكمثل الشيطان)؛ لأن حذف حرف العطف كثير، كما تقول:(أنت عاقل أنت كريم أنت عالم)"[5].

---

(١) روح المعاني٢٨/٥٩

(٢) سورة البقرة، من الآية١٩.

(٣) التحرير والتنوير٢٨/١٠٨.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٨/٣٧.

(٥) المصدر السابق١٨/٣٧.

- اختلف العلماء في إعراب (وجوه) من قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾[١]، وذلك على وجهين:

الأول:أنه معطوف على (وجوه) من قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾[٢]، وحرف العطف محذوف[٣].

الثاني: أنه مبتدأ[٤]، و(ناعمة) خبره[٥]، وسوّغ الابتداء هنا بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل[٦].

ولعل أمثل الوجهين هو الأول، وهو العطف بالحرف المحذوف، ويدل له إثبات

العاطف في نظيره في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾[7]، وقوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾[٨][٩].

وكان القياس أن يكون المعطوف (وجوه) في سورة الغاشية بواو العطف، لكنه جاء على وفاق الجمل قبلها وبعدها، وليس معهنّ واو العطف[١٠].

---

(١) سورة الغاشية، الآية٨.

(٢) سورة الغاشية، الآية ٢.

(٣) ينظر مغني اللبيب٧٣٠، وأضواء البيان١/١٩٥.

(٤) ينظر مشكل إعراب القرآن٢/٨١٥، والدر المصون١٠/٥٧٥، ٧٦٥.

(٥) ينظر الدر المصون١٠/٥٧٥، ٧٦٥، والتحرير والتنوير٣٠/٢٦٥.

(٦) ينظر البحر المحيط٨/٣٤٧.

(7) سورة القيامة، الآيات٢٢-٢٤.

(٨) سورة عبس، الآيات٣٨-٤٠.

(٩) ينظر أضواء البيان١/١٩٥.

(١٠) ينظر بصائر ذوي التمييز١/٣٤٩.

المبحث الثالث: أسباب حذف العاطف:

تبين في ما سبق أن الحذف يقع في أسلوب العطف، وأن العاطف يحذف مع المعطوف عليه، ومع المعطوف، كما أنه يحذف دون المعطوف والمعطوف عليه، والسؤال الذي يتردد هنا: ما الأسباب التي أدت إلى حذف هذا العاطف؟

ذكر العلماء أن العاطف قد يحذف في الكلام، لدلالة الكلام عليه، أو لوضوح المعنى، أو لوجود الملابسة في الكلام، وسوف أذكر في ما يأتي أهم تلك الأسباب:

١- الإيجاز والاختصار:

الناظر في بعض الشواهد المذكورة في المبحث الأول يجد أن العاطف قد يحذف للإيجاز والاختصار، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[(١)]، فقد ذكر الزمخشري أن الإيجاز سبب للحذف في هذه الآية، فقال:"يعني: فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا .. وما ظلمونا، فاختصر الكلام بحذفه .."[(٢)].

ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(١) سورة البقرة، الآية٥٧.

(٢) الكشاف٧٨.

يَشۡكُرُونَ ﴾[1]، فإن سبب حذف العاطف والمعطوف عليه في هذه الآية هو الإيجاز[2]، والتقدير: فماتوا ثم أحياهم[3].

٢- دلالة الكلام: وأعني به أن يكون في الكلام دليل على العاطف المحذوف، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾[4]، حيث ذهب الفراء[5]، والطبري[6] إلى أن المعطوف وحرف العطف محذوفان، والتقدير: فأقم وجهك وأمتك[7]، فحذفت الواو وما عطفت؛ لدلالة (منيبين إليه)عليهما[8]، فهو حال من الجميع[9]؛ ولأن المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه فيها الأمة[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية٢٤٣.

(٢) ينظر تفسير ابن عثيمين٣/١٩٧، ١٩٨.

(٣) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٩٥، والدر المصون٢/٥٠٧، وفتح القدير١٦٨.

(٤) سورة الروم، من الآية٣٠.

(٥) ينظر معاني القرآن٢/٣٢٥.

(٦) ينظر جامع البيان٢٠/١٠٠.

(٧) ينظر المصدر السابق٢٠/١٠٠، والجامع لأحكام القرآن١٤/٣٢، والبحر المحيط٨/٣٩٠، والدر المصون٩/٤٤.

(٨) ينظر الدر المصون٩/٤٤.

(٩) ينظر المصدر السابق٩/٤٤.

(١٠) ينظر معالم التنزيل٣/٥٧٨.

ومنه في القرآن الكريم أيضًا قوله تعالى:﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[1]، فإن المعنى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح؛ لأن الاستواء يطلب اثنين، فحذفت الواو وما عطفت، لدلالة الكلام عليهما[2]، "ألا تراه قال بعده:﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾"[3][4].

٣- وضوح المعنى: قد يحذف العاطف مع المعطوف؛ لوضوح المعنى، ومنه في القرآن الكريم قول الله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[5]، فقد أجاز الزجاج أن يكون المعنى: ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين، ثم حُذفت الواو وما عَطَفَتْ؛ لدلالة المعنى عليهما[6]؛ "إذ أحد الضدين يفهم منه الآخر"[7].

ومنه في القرآن الكريم أيضًا قوله تعالى:﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[8]، أي: تقيكم الحرَّ والبرد[1]، فحذفت الواو وما عطفت "لفهم المعنى؛ إذ أحد

---

(١) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٢) ينظر شرح التسهيل٣/٢٣٦، ومغني اللبيب٧٢٠.

(٣) سورة الحديد، من الآية١٠.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣/١٢١.

(٥) سورة الأنعام، من الآية٥٥.

(٦) ينظر معاني القرآن وإعرابه٢/٢٥٥.

(٧) غرائب التفسير١/٣٦٢.

(٨) سورة النحل، من الآية٨١.

الضدين يفهم منه الآخر"[٢]. قال الفراء: "ولم يقل: (والبرد)، وهي تقي الحر والبرد، فترك لأن معناه معلوم، والله أعلم"[٣].

٤- العلم بالمحذوف:

ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]، فقد ذهب الفخر الرازي إلى أن سبب حذف العاطف والمعطوف عليه في هذه الآية هو علم المخاطبين بالحذف، ولدلالة الخطاب عليهما، والتقدير: (فأكل فلا إثم عليه)[٥].

ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[٦]، فقد ذهب العكبري إلى أن التقدير:فمن ربكما يا موسى وهارون، فحذفت الواو وما عطفت للعلم بهما[٧].

٥- الملابسة: أي التباس الجملة المعطوفة بما قبلها، فإن الكلام إذا كان ملتبسًا ببعض جاز حذف العاطف، ومنه في القرآن قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ

---

(١) معاني القرآن للفراء٢/١١٢، وشرح التسهيل٣/٢٣٦، والبحر المحيط٣/٨٧، و٦/١٦، ومغني اللبيب٧٢١.

(٢) البحر المحيط٣/٨٧.

(٣) معاني القرآن٢/١١٢.

(٤) سورة البقرة١٧٣.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب٥/١٩٣.

(٦) سورة طه، الآية٤٩.

(٧) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٣٧٠.

مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[1]، فقد قُرئ قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ بغير واو[2]؛ لأن هذه الآية ملابسة لما قبلها من قوله تعالى:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾[3]؛ لأن القائلين:(اتخذ الله ولدًا) من جملة المتقدم ذكرهم، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها[4].

ومنه أيضًا قوله تعالى:﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[5]، فقد حُذِف حرف العطف من جملة (رابعهم كلبهم)، لالتباس الجملة بما قبلها[6]، واكتفاء بدلالة حرف العطف المثبت في جملة (وثامنهم كلبهم) على حرف العطف المحذوف[7]، فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها[8].

---

(١) سورة البقرة، الآيات١١٤ – ١١٦.

(٢) وهي قراءة ابن عامر. ينظر السبعة في القراءات١٦٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية١١٤.

(٤) ينظر البرهان في علوم القرآن٣/٢١١.

(٥) سورة الكهف، الآية٢٢.

(٦) ينظر البرهان٣/٢١١.

(٧) ينظر سر صناعة الإعراب٢/٦٤٤، وفتح القدير٨٥٤.

(٨) ينظر البرهان في علوم القرآن٣/٢١١.

خاتمة:

الحمد لله على أن منّ عليّ بإتمام هذا العمل، مؤملًا أن أكون قد وُفِّقت لتقديم عملٍ علمي يُنتفَع به ، ويُكتَب له القبول.

وشأن هذا العمل شأن أيِّ جهد يبذله الإنسان؛ فيه من الهفوات والعثرات ما لا أقدر على تبرئة ساحته منها.

ولعله من المناسب هنا ذكرُ بعض الأمور التي استخلصتها من هذا العمل، ومنها:

- من الظواهر التركيبية التي تتصل بأسلوب العطف ظاهرة الحذف، وشرط وقوعه كما يرى العلماء هو بقاء عامل أو ما يدل عليه.
- أن استدعاء المحذوف أدعى لإقامة الدلالة وإتمام التأويل، فالكلام المحذوف إن قُدِّر تمَّ المعنى واستقامت الدلالة.
- أن عطف النسق مكوّن تباعًا من المعطوف عليه وحرف العطف والمعطوف، وقد نصَّ بعض العلماء على جواز حذف حرف العطف في الكلام إذا دلَّ عليه دليل يغني عن ذكره.
- أنه قد رُصِد حذف العاطف في الاستعمال اللغوي العربي مع المعطوف عليه ومع المعطوف ودون المعطوف والمعطوف عليه.
- أن هناك شواهد قرآنية يحسن في تفسيرها تقدير حذف العاطف – مع المعطوف عليه ومع المعطوف ودون المعطوف والمعطوف عليه –، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء في توجيه الآيات القرآنية، ما يعضد كون حذف العاطف واقعًا درسًا واستعمالًا.

- أن النحويين والمفسرين يُجوِّزون حذف العاطف – مع المعطوف عليه، ومع المعطوف – غير أن الأمر في حذف العاطف لا يُترك هكذا غفلًا دون شروط ومحددات، ومن أهم تلك الشروط: أن يستقيم المعنى على حذف العاطف من السياق مع تقديره في الكلام.
- أن بعض العلماء يُجوِّز حذف العاطف دون معطوفه في القرآن الكريم. وفي المقابل منعت جماعة من العلماء حذف العاطف دون معطوفه، وأوَّلت ما ورد من شواهده تأويلات إعرابية تناسب السياق الذي وردت فيه؛ كتوجيهها على البدل أو الاستئناف، "ولم تخلُ هذه التوجيهات في كثير من الأحايين من التكلف والإغراق في التأويل وتقدير كثير من المحذوفات لمناسبة توجيهاتهم الإعرابية على غير حذف العاطف"(١).
- أن من أهم أسباب حذف العاطف في الكلام: الإيجاز والاختصار، ووضوح المعنى، والعلم بالمحذوف.
- تحتمل الواو في النص القرآني دلالات كثيرة، وقد ظهر ذلك في اختلاف المفسرين والنحويين في نصوص كثيرة تضمنها هذا البحث.
- أن القول بحذف العاطف يمتنع إذا أدى إلى خلاف المعنى المراد من النص القرآني، كما أن القول بحذف العاطف يُطلَب عندما يؤدي إلى وفاق المعنى المراد منه.

(١) بحث "حذف العاطف دون المعطوف والمعطوف والمعطوف عليه" ٢١٠.

وأشكر في الختام كلّ من قدم لي عونًا، أو أسدى إليّ نصحًا، سائلًا الله – عزَّ وجلَّ – أن يجزيه خير الجزاء، كما أسأله تعالى أن يغفر لي ولوالديّ، وأن يجعل فيما عملت نفعًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- الأشباه والنظائر في النحو, للإمام جلال الدين السيوطي, وضع حواشيه غريد الشيخ, دار الكتب العلمية, ط٢, ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.
- الأصول في النحو, لابن السراج, تحقيق د. عبد الحسين الفتلي, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط٤, ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ألفية ابن مالك، لابن مالك الطائي الجياني، دار التعاون.
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، للعكبري، راجعه وعلّق عليه/ نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك, لابن هشام الأنصاري, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, صيدا- بيروت, ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.
- البحر المحيط, لأبي حيان الأندلسي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ط٢ , ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل, لأبي حيان الأندلسي, الجزء التاسع، تحقيق أ.د. حسن هنداوي, دار كنوز إشبيليا, الرياض, ط١, ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
- تفسير ابن عرفة، للورغمي، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- التفسير البسيط، للواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر عاشور، الدار التونسية، تونس.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين الشافعي، إشراف ومراجعة د. هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة ، بيروت ، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٣٧هـ.
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي، إشراف مكتبة التوثيق والدراسات في دار الفكر.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، وآخرين، دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٨هـ .
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك, للمرادي, تحقيق أحمد محمد عزوز, المكتبة العصرية, صيدا- بيروت, ط١, ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.

- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٩م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني, تحقيق د. عبد الحميد هندواي, المكتبة العصرية, صيدا بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق د. محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, للسمين الحلبي, تحقيق د. أحمد محمد الخراط, دار القلم, دمشق, الطبعة الثالثة, ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك, تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد, المكتبة الأزهرية للتراث.

- شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد, لابن مالك الأندلسي, تحقيق محمد عبد القادر عطا, طارق فتحي السيد, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان , ط١, ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو, لخالد الأزهري, تحقيق محمد باسل عيون السُّود, دار الكتب العلمية, بيروت, ط٢, ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
- شرح جمل الزجاجي لأبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد ابن عصفور الإشبيلي, قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فواز الشعار, إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب, در الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط١, ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.
- شرح كافية ابن الحاجب, لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي, قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب, دار الكتاب العلمية, بيروت- لبنان, ط٢, ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، لصلاح الدين العلائي، تحقيق: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م.
- الكشاف، للزمخشري، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، أشرف على إخراجه د.صلاح باعثمان، د.حسن الغزالي، أ.د. زيد مهارش، أ.د. أمين باشة ، تحقيق: أ.د. ناصر المنيع ، دار المنيع، دار التفسير، ط١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠١١م.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي, تحقيق الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا, الدكتور عبد المجيد قطامش, معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي, جامعة أم القرى – مكة المكرمة, ط١, ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- معاني القرآن، لأبي الحسن الأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- معاني القرآن للفراء, تحقيق ومراجعة أ. محمد علي النجار، دار الكتب والوثائق القومية, بالقاهرة, ط٣, ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، عمّان، ط ٥ ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, لابن هشام الأنصاري, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد, المكتبة العصرية, صيدا- بيروت, ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق د. محمد بن إبراهيم البنا، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.
- النكت في القرآن، لابن فضال المجاشعي، تحقيق ودراسة د. إبراهيم الحاج علي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس البسيلي التونسي، وبذيله تكملة النكت لابن غازي العثماني المكناسي، تحقيق: محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

Sources & References:

- Holy Quran
- Irteshaf Al Dharb mn Lesan Al Arab, for Abu Hayan Al Andalusi, verified, explained and studied by Ragab Othman Mohamed, reviewed by Ramadan Abdeltawab, Al Khanji library, Cairo, v.1, 1418 AH, 1998 AD.
- Adhwaa Al Bayan fi Iydhah Al Quran b Al Quran, for Al Shanqiti, Dar Al Fekr, Beirut, 1415 AH, 1995 AD.
- Rouh Al Maany fi Tafsir Al Quran Al Azim w Al Saba Mathany, for Al Alousi, verified by Ali Abdelbari Attia, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 1415 AH.
- Al Sabaah fi Al Qera'at, for Ibn Megahed, verified by Shwaqi Dhaif, Dar Al Maaref, Egypt, v.2, 1400 AH.
- Ser Senaiet Al Iarab, for Ibn Jenni, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 1421 AH, 2000 AD.
- Sunnan Ibn Majah, for Ibn Majah, verified by Mohamed Fouad Abdelbaqi, Dar Ihyaa Al Kotob Al Arabiah.
- Sunnan Al Termethi, verified and commented by Ahmed Mohamed Shaker, Mohamed Fouad Abdelbaqi and Ibrahim Atwah Awad, published by company of library and press of Mostafa Al Babi Al Halabi, Egypt, v.2, 1395 AH, 1979 AD.
- Sharh Al Ashmouni Lalfyat Ibn Malek, verified by Dr. Abdelhamid Elsayed Mohamed Abdelhamid, Al Maktaba Al Azharia lelturath.
- Sharh Al Tashil Tashil Al Fawaied w Takmil Al Maqased, for Ibn Malek Al Andalusi, verified by Mohamed Abdelqader Atta, and Tarek Fathi Elsayed, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, Lebanon, v.1, 1422 AH, 2001 AD.
- Sharh Al Tasrih ala Al Tawdhih aw Al Tasrih b Madhmoun Al Tawdhih fi Al Nahw, for Khaled Al Azhari, verified by Mohamed Basel Oyoun Al Soud, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.2, 1427 AH, 2006 AD.
- Sharh Gomal Al Zugagi for Ibn al Hassan Ali Ibn Moamen Ibn Mohamed Ibn Asfour Al Ishbili, Fawaz al Shaar present it, put its margins and indexes, supervised by Dr. Emil Badie Yacoub, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, Lebanon, v.1, 1419 AH, 1998 AD.
- Sharh Kafyat Ibn Al Hajeb, for Reda Aldin Ibn Al Hassan Al Astrabathi, Dr. Emil Badie Yacoub present it, put its margins and indexes, Dar Al Kotob Al

Ilmiah, Beirut, Lebanon, v.2, 1428 AH, 2007 AD.
- Gharaieb Al Tafsir w Ajaieb Al Taawil, for aAl Kermani, Dar Al Qeblah for Islamic Culture, Jeddah, Oloum Al Quran Corporation, Beirut.
- Fath Al Qadir Al Jamie Bain Fanai Al Rewayah w Al Derayah mn Ilm Al Tafsir, for Al Shoukani, verified by Yousef Al Ghoush, Dar Al Maarefa, Beirut, Lebanon, v.4, 1428 AH, 2007 AD.
- Tafsir Hadaieq Al Rouh w Al Rayhan fi Rawabi Oloum Al Quran, for Mohamed Al Amin Al Shafie, supervised and reviewed by Dr. Hashim Mohamed Mahdi, Dar Touk Al Najah, Beirut, v.1, 1421 AH, 2001 AD.
- Tafsir Al Quran Al Azim, for Ibn Kathir, verified by Sami Ibn Mohamed Al Salama, Dar Tiba, v.1, 1422 AH, 2002 AD.
- Tafsir Al Quran Al Karim, for Ibn Al Othaimin, Sheikh Mohamed Ibn Saleh Al Othaimin Charity Corporation, Dar Ibn Al Jawzi, v.4, 1437 AH.
- Al Tafsir Al Kabir w Mfatih Al Ghaib, for Al Fakhr Al Razi, supervised by Documentation and Studies Library in Dar Al Fekr Al Arabi.
- Tamhid Al Qawaied b Sharh Tashil Al Fawaied, for Nazer Al Gaish, studied and verified by Dr. Ali Mohamed Fakher et al, Dar Al Salam, Cairo, Egypt, v.1, 1428 AH.
- Tawdhih Al Maqased w Al Masalek bsharh Alfyat Ibn Malek, for Al Murdi, verified by Ahmed Mohamed Azouz, Al Maktaba Al Asrya, Sidon, Beirut, v.1, 1426 AH, 2005 AD.
- Jamie Al Bayan fi Taawil Al Quran, for Al Tabari, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, Lebanon.
- Al Jamie Lahkam Al Quran, for Al Qurtubi, verified by Ahmed Al Baardouni, Dar Al Shaab, Cairo, v.2, 1372 AH.
- Al Jana Al Dany fi Hrouf Al Maany, for Al Muradi, verified by Dr. Fakhr Aldin Qabawah, and Mohamed Nadim Fadhel, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 1413 AH, 1992 AD.
- Hashiat Al Desouki ala Mughani Al Labib, Dar Al Helal, Beirut, 2009 AD.
- Hashiat Al Saban ala Sharh Al Ashmouni ala Alfyat Ibn Malek, with Sharh Al Shawahed for Al Aini, verified by Dr. Abdelhamid Hendawi, Al Maktaba Al Asrya, Sidon, Bierut, 1430 AH, 2009 AD.
- Al Khasaies, for Ibn Jenni, verified by Dr. Mohamed Ali Al Nagar, Alam Al Kotob, Beirut, Lebanon, v.1, 1433 AH, 2012 AD.

- Studies for Holy Quran Style, for Mohamed Abdelkhaleq Edhaimah, Dar Al Hadith, Cairo.
- A Dor Al Masoun fi Oloum Al Ketab Al Maknoun, for Al Samin Al Halabi, verified by Dr. Ahmed Mohamed Al Kharat, Dar Al Qalam, Damascus, v.3, 1432 AH, 2011 AD.
- Al Fosoul Al Mufida fi Al waw Al Zaieda, for Salah Aldin Al Alali, verified by Hassan Mousa Al Shair, Dar Al Bashir, Amman, v.1, 1410 AH, 1990 AD.
- Al Ketab, for Sibawayh, verified by Dr. Emil Badie Yacoub, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 1420 AH, 1999 AD.
- Al Kashaf, for Al Zamakhshari, Khalil Mamoun Shikha has took care of it, documented its Hadiths and commented on it, Dar Al Maarefa, Beirut, Lebanon, v.3, 1430 AH, 2009 AD.
- Al Kashf w Al Bayan an Tafsir Al Quran, for Al Thaalabi, supervised by Dr. Salah Abu Othman, Dr. Hassan Al Ghazali, Dr. Zaid Maharesh, and Dr. Amin Pasha, verified by Dr. Nasser Al Manie, Dar Al Manbaa, Dar Al Tafsir, v.1, 1436 AH, 2015 AD.
- Al Lobab fi Oloum Al Ketab, for Ibn Adel Al Damashqi, verified by Adel Ahmed Abdelmawgoud, sheikh Ali Moawadh, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut.
- Al Moharar Al Wagiz, for Ibn Attia Al Andalusi, verified by Abdelsalam Abdelshafi Mohamed, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, Lebanon, v. 3, 2011 AD.
- Moshkel Iarab Al Quran, for Mekki Al Qaisi, verified by Hatem Saleh Al Dhamen, Al Resala Corporation, Beirut, v.2, 1405 AH.
- Al Maqased Al Shafia fi Sharh Al Kholasa Al Kafya, for Imam Abu Ishaq Ibrahim Ibn Mousa Al Shatebi, verified by Dr. Mohamed Ibrahim Al Banna, and Dr. Abdelmajid Qatamesh, Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm Al Qura University, Mecca, v.1, 1428 AH, 2007 AD.
- Quranic Specialized Encyclopedia, for group of the specialized scholars, supreme council for Islamic affairs, Egypt, 1423 AH, 2002 AD.
- Maalem Al Tanzil fi Tafsir Al Quran, for Al Baghawi, verified by Mohamed Abdullah Al Nemr. Othman Gomaa Dhumairya and Solaiman Muslim Al Harsh, Dar Tiba, v.4, 1417 AH, 1997 AD.

- Many Al Quran, for Abu Al Hassan Al Akhfash, verified by Dr. Huda Mahmoud Quraa, Al Khanji Library, Cairo, v.1, 1411 AH, 1990 AD.
- Al Ashbah w Al Nazaier fi Al Nahw, for Imam Galal Aldin Al Siouti, Gharid Al Sheikh put its margins, Dar Al Kotob Al Ilmiah, v.2, 1428 AH, 2007 AD.
- Al Osoul fi Al Nahw, for Ibn Al Sarag, verified by Dr. Abdelmohsen Al Fatli, Al Resala Corporation, Beirut, v.4, 1420 AH, 1999 AD.
- Ierab Al Quran, for Abu Jaafar Al Nahas, Abdelmonem Khalil Ibrahim put its margins and commented on it, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 1421 AH.
- Alfyat Ibn Malek, for Ibn Malek Al Taie Al Gayani, Dar Al Taawaon.
- Imlaa ma mna bhe Al Rqahman mn Wgouh Al Iarab w Al Qeraat fi Gamie Al Quran, for Al Kaabari, reviewed and commented by Nagib Al Majedi, Al Maktaba Al Asria, Sidon, Beirut, 2007 AD, 1428 AH.
- Awdhah Al Masalek ila Alfyat Ibn Malek, for Ibn Hesham Al Ansari, verified by Mohamed Mohey Aldin Abdelhamid, Al Maktaba Al Asria, Sidon, Beirut, 1425 AH, 2004 AD.
- Al Bahr Al Mohit, for Ibn Hayan Al Andalusi, Dar Al Fekr for printing, publishing and distribution, v.2, 1403 AH, 1983 AD.
- Al Borhan fi Oloum Al Quran, for Al Zarkashi, verified by Mohamed Abu Al Fadhl Ibrahim, Dar Al Maarefa, Beirut, v.1, 1376 AH, 1957 AD.
- Basaier Zawi Al tamyez fi Lataief Al Ketab Al Aziz, for Al Fairouzabadi, verified by Mohamed Ali Al Nagar, Supreme Council for Islamic Affairs, Islamic Heritage Revival Committee, Cairo.
- Al Tathiel w Al Takmil fi shrh Ketab Al Tashil, for Ibn Hayan Al Andalusi, ninth part, verified by Dr. Hassan Hendawi, Dar Knouz Ishbilia, Riyadh, v.1, 1431 Ah, 2010 AD.
- Al Tashil l Oloum Al Tanzil, for Ibn Gazi Al Kalbi, verified by Dr. Abdullah Al Khaledi, compny of Dar Al Arqam Ibn Abu Al Arqam, Beirut, v.1, 1416 AH.
- Tafsir Ibn Arafa, for Al Warghami, verified by Galal Al Siouti, Dar Al Kotob Al Ilmiah, Beirut, v.1, 2008 AD.
- Al tafsir al Basit, for Al Wahedi, the publisher Deanship of Scientific Research in Imam Mohamed Ibn Saud University, v.1, 1430 AH.
- Tafsir Al Tahrir w Al Tanwir, for Mohamed Al Taher Ashour, Al Dar Al

Tonesia, Tunisia.
- Many Al Quran, for Al Faraa, verified and reviewed by Mohamed Ali Al Nagar, National Books & Dcuments House, Cairo, v.3, 1422 AH, 2002 AD.
- Many Al Quran w Iarabo, for Al Zagag, verified by Abdeljalil Abdou Shalabi, Alam Al Kotob, Beirut, v.1, 1408 AH, 1988 AD.
- Many Al Nahw, for Dr. Fadhel Al Sameraie, Dar Al Fekr, Amman, v.5, 1432 AH, 2011 AD.
- Mughni Al Labib an Kotob Al Aarib, for Ibn Hesham Al Ansari, verified by Mohamed Mohey Aldin Abdelhamid, Al Maktaba Al Asria, Sidonm Beirut, 1424 AH, 2003 AD.
- Results of thinking about grammar, for Abu Al Qassim Abdelrahman Ibn Abdullah Al Suhaili, verified by Dr. Mohmed Ibn Ibrahim Al Banna, Dar Al Kotob Al Ilmiah, v.1, Beirut, 1412 AH, 1992 AD.
- Al Nashr fi Al Qraat Al Ashr, for Ibn Al Gazri, verified by Ali Mohmed Al Dhabaa, Al Matbaa Al Togaria Al Kobra, Dar Al Kotob Al Ilmiah.
- Al Nekat fi Al Quran, for Ibn Fedhal Al Mogashie, verified and studied by Dr. Ibrahim Al haj Ali, Al Roshd Library, v.1, 1427 AH, 206 AD.
- Nekat w Tanbitat fi Tafsir Al Quran Al Majid, for Abu Al Abbas Al Basili Al Tunisi, and followed by the completion of Al Nekat for Ibn Ghazi Al Othmani Al Meknasi, verified by Mohamed Al Tabarani, publications of Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Matbaat Al Nagah Al Gadida, Casablanca, Morocco, v.1, 1429 AH, 2008 AD.
- Al Wagiz fi Tafsir Al Ketab Al Aziz, for Abu Al Hassan Ali Ibn Ahmed Al Wahedi, verified by Safwan Adnan Daoudi, Dar Al Qalam. V.1, 1415 AH, 1995 AD.

منهج النُّحاة في ترتيب أبواب النّحو عرضٌ و نقد

د إبراهيم بن سالم بن محمّد الجهنيّ
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة

منهج النُّحاة في ترتيب أبواب النّحو عرضٌ ونقد

د إبراهيم بن سالم بن محمّد الجهنيّ

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة

تاريخ تقديم البحث: ٢١/ ١١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٨/ ٨/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

كثرت المؤلفات النّحويّة وتعددت طرق تأليفها، وتباينت آراء الباحثين والدّارسين في تصنيف هذه المناهج، فطائفة تذكر الاعتماد على نظرية العامل، وأخرى تذكر المعمولات، ومنهم من يذكر التقسيم على أنواع الكلمة: الفعل والاسم والحرف.

وقد تجد من يصف بعض كتب النّحو بالخلط في ترتيب الأبواب؛ لما يرونه من عدم اتساق بين التّصورات الموضوعة.

وإذا أنعمنا النّظر وجدنا أنّ جلّ كتب النّحو وضعت أساساً، وهو النّظر إلى الجملة المتمثلة بالمسند والمسند إليه، وهما ما لا يتمّ كلام عربيّ إلاّ بهما.

ولا يمنع ذلك من وجود أبواب بين هذه الأبواب إذ كانت تبعاً لها.

الكلمات المفتاحية: مناهج التأليف، ترتيب أبواب النّحو.

Grammarians' approach in the arrangement of grammar sections: A critical analysis

Dr. Ibraheem Salem ALJohani
Department of Arabic language - Faculty of Arts and Humanities
Taibah university

Abstract:

Grammarians' approach in the arrangement of grammar sections: A critical analysis

.There are many grammatical works, and the ways of their composition have varied. And the opinions of researchers and scholars have varied in classifying these curricula.

You may find those who describe some grammar books by mixing up the arrangement of the chapters; what they see is an inconsistency between the established perceptions.

And if we look carefully, we will find that most of the grammar books have laid a foundation, which is looking at the sentence represented by the predicate and the ascribed to it, and they are what Arabic speech is not complete without them.

This does not preclude the presence of doors between these doors, as they follow them.

key words: Composition methods, arrangement of grammar chapters.

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

والصّلاة على أفصح الخلق بياناً، وأقومهم حجة، وبعد:

فلم تظفر لغة من اللّغات بما ظفرت به العربيّة، لأمرٍ أراده الله لهذا اللّسان المبين، فألفت المؤلفات، وصنّفت المصنفات، وجمعت المسائلُ، وقيدت المجالس ولأمالي.

والنّحو العربيّ ذروةُ سنامها، أصيلٌ قديمٌ، قيض الله أعلاماً جمعوا، ورووا، وحفظوا، وصنّفوا، فرُفِدتْ المكتبة العربيّة بمصنفاتٍ ومؤلفات في شتّى العصور، تباينت آراء الدّارسين وتضاربت أقوالهم في أسس ترتيب أبوابها وفصولها، وقد صح العزم مني على الكتابة في هذا الباب مع كثرة ما كتب فيه لأسباب دفعتني لذلك هي:

١. الخلف في هذا الموضوع، وتباين الآراء بين الدّراسين والباحثين.

٢. رأيت كثيراً من الباحثين لا يقيم دراسته على استعراض مؤلفات النّحو، وهذا ما أوقعهم في خللٍ ظاهرٍ في وصف أساس التّأليف في تلك المصنفات.

٣. أنّ النّحاة عرضوا لعللٍ جزئيّة تتعلق بترتيب بعض الأبواب والفصول في أثناء مؤلفاتهم، وهذا يشعر بأنّ هناك أساساً في التّأليف تنتظم عليه جلّ مؤلفات النّحو.

٤. عدم تفسير ترتيب تقديم بعض الأبواب كالمجرورات في كثيرٍ ممّا كتب في هذا الباب.

٥. أنّ دراسة الأسس المنهجيّة في ترتيب الأبواب طريقٌ يهدي إلى أساليب تعليم العربية ونشرها.

وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث: المبحث الأول: (عرض الدّراسات السّابقة)، والمبحث الثّاني: (عرض المصنفات النّحويّة وتقسيمات أبوابها على أساس نظرية الجمل)، المبحث الثالث: (الجملة وبناء الكلم العربية).

ولمّا رأيت كثيراً من الدّراسات ترجع إلى ما سبقها، وتسير على آرائهم دون نقد، اقتصدت فانتخبت جملة ليست باليسيرة يتحقّق بها مقصود البحث إن شاء الله.

وهدفي من ذلك أن أَصِل إلى ذلك المنهج والأساس من خلال كتب النّحو؛ لعلّي أهتدي إلى طريقٍ يوضح شيئاً من إشكالات التّأليف، والله الهادي إلى الصّواب.

المبحث الأوّل: عرض الدّراسات السّابقة:

عرضت بعض الدّراسات إلى طريقة ترتيب الأبواب وتقسيمها، فمن تلك الدِّراسات ما كتبه الدّكتور حسن عون في كتابه (تطور الدّرس النّحوي)، فقد ذكر أنّ المصنفات قبل الزّمخشري كانت تسير على أربعة صور:

الأولى: تصنف المادة العلميّة في كتب النّحو على أساس تأثير العامل.

والثّانية: تصنف على أساس العامل، أو الشّكل الإعرابي، أي: أن يكون شكل الكلمة في الجملة هو المتحكم في عملية التّأليف، وفي تنظيم المادة النّحوية.

والثالثة: صنفت فيها المادة النّحوية على أساس الفصل بين قضايا النّحو وقضايا الصّرف.

والرّابعة: صنّفت فيها الأحكام النّحوية على أساس النّظر في المفرد والمركب، فالبحث النّحوي يقسّم على البحث في المفرد وأحكامه، ثم البحث في التّركيب اللُّغويّ أو الإسنادي[١].

ثم ذكر أنّ هذه الصّور الأربعة كان سيبويه واعياً بأسسها؛ ولكن ((عدم التّخطيط الدّقيق قد أضعف قدرته على التّنفيذ))[٢]، وأشار إلى أنّ المبرّد وقع بما وقع فيه سيبويه، فقد اتسم منهجه بالتّخليط، ثم وصف جملة من المؤلفات

(١) تطور الدّرس النّحوي ٨٥.

(٢) تطور الدّرس النّحوي ٨٦.

النّحوية كالجمل للزّجاجي، و (التّفاحة) لأبي جفعر النّحاس و (الإيضاح) للفارسيّ، و (اللّمع) لا بن جنيّ بالتّخليط وعدم الاتساق[١].

وهنا نرى في الأقسام الأربعة تداخلاً، فالثّاني يتداخل مع الأوّل، والثّالث هو ما سارت عليه جلّ المؤلفات النّحويّة، والرّابع إنْ أراد بالمفرد دراسة الأبواب النّحوية بالنّظر للكلمة داخل التّركيب كالفاعل والمبتدأ، وأراد بالتّركيب الجملة فهذا أيضا قلّما يتضمنه كتاب نحويّ، والتّركيب اللغويّ والإسناديّ لا يخرج دراسة المفردات ضمن الجمل، وإن أراد بالمفرد الصّرف و أراد في التّركيب النّحو فقد تداخل مع الثّالث، ولعلّ عدم تمثيله لهذه الأقسام جعلنا نستشكل هذه التقسيمات.

أمّا الدّكتور محمد إبراهيم عبادة فقد ذكر أنّ لتبويب النّحو أربعة أنماط:

أولها: ما سار عليه سيبويه من ترتيبه للكتاب وبدئه بالجملة الفعليّة وتراكيبها، وانتقاله بعد جملة من الأبواب إلى الجملة الاسميّة، ثم أشار إلى سيطرة فكرة العامل على سيبويه[٢]، وأشار إلى أنّ الإطار العام لدى سيبويه هو البدء بالمركبات والانتهاء إلى أصغر وحدة لغويّة، وأنّ البناء الدّاخلي للكتاب هو تقسيمه إلى أبواب دون أن يفرق بين المسائل الرئيسة والمسائل المتفرعة عنها، وعلل ذلك بأنّه قد وجد أبوابا في غير موضعها في الكتاب[٣].

---

(١) تطور الدّرس النّحوي ٨٨.

(٢) ينظر : النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٠ ــ ٢٢.

(٣) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٤ ــ ٢٦.

والنّمط الثّاني: من أنماط التّأليف قام على أساس المعمولات، أي: على أوجه الإعراب: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات فالمجزومات، ومثل لهذا النّمط بكتاب (اللّمع) لابن جنيّ، و (المقدِّمة في النّحو) لعليّ بن فضال المجاشعيّ، و (تسهيل المقاصد وتكميل الفوائد) لابن مالك، و (شرح شذور الذّهب) لابن هشام الأنصاريّ، و (همع الهوامع) للسُّيوطي[١].

والنّمط الثّالث: يعتمد على البدء بالعوامل التي ترفع وتنصب وتجرُّ وتجزم، ومثل لهذا النّمط بـ (المقدِّمة لخلف الأحمر)[٢]، و (التّفاحة) لأبي جعفر النَّحاس، وكتاب (العوامل) لعبد القاهر الجرجانيّ، و (الفصول الخمسون) لابن معطي[٣].

والنّمط الرّابع: حديثٌ يتمثّلُ بعرض مسائل النّحو في إطار التّقسيم الثّلاثي لأجزاء الكلام الاسم و الفعل و الحرف، وهو منهج سار عليه الزّمخشري في (الأنموذج) و (المفصّل)، واقتفى أثره ابن الحاجب في (الكافية)، ومحمد بن عثمان البلخي في (الوافي في النّحو)[٤]، وأشار بعد دراسة هذا النَّمط إلى أنّ الزمخشري جدّد في هذا التَّصنيف[٥].

ثم ذكر أنّ هناك أنماطاً أخرى خرجت عن تلك الأربعة، وهي مصادر لم تسر على منهج واضح في عرض الأبواب، ومثل لهذا الاتجاه بكتاب

---

(١) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٧.

(٢) اختلف في نسبة هذه المقدّمة لخلف الأحمر، والقول في نسبتها له بعيد ؛ لذا فإنّي استبعدتها في عرضي للمصنّفات النّحويّة .

(٣) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٤٠ ــ ٥٦.

(٤) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٥٧ .

(٥) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٦١.

(الواضح)للزبُّيدي، و (المقرّب) لابن عصفور، وابن هشام في (مغني اللَّبيب)، و (الإعراب عن قواعد الإعراب)[1].

وسيأتي الجواب عن الأبواب التي أتت في غير موضعها في الكتاب لسيبويه، وما ذكره في كتاب (التفاحة) الذي يظهر سيره على منهج سيبويه، كما أن منهج الزّمخشري ومن سار عليه لم يخرجه عن نسق المعمولات.

وممن عرض لمناهج التّأليف والأسس التي قامت عليها الدّكتور كريم حسين الخالديُّ، فالمؤلفات النّحويّة لديه على أسسٍ أربعة:

أولاً: العامل، فقد قدَّموا الأبواب التي يكون العامل فيها الفعل، ثم تليها الأبواب التي يكون العامل فيها الاسم، ثمّ الأبواب التي يكون العامل فيها الحرف، ثم أشار إلى أن ممن سار على هذا الأساس (الكتاب) لسيبويه، و (مقدِّمة في النّحو) لخلف الأحمر، و (الجمل) للزّجاجي، و (التّفاحة) للنّحاس، والعوامل للجرجانيّ[2].

أمّا الأساس الثّاني فهو (الإعراب والبناء)، فقد ذكر أنّه من أهم الأسس التي استند إليها النُّحاة في تبويب كتبهم، وقد بدأ الاعتماد عليه مبكراً منذ النِّصف الأول للقرن الثّاني الهجريّ، واستمر إلى يومنا هذا بصيغ متغايرة، ومع جعل النّحاة ذلك أساساً فقد تباينوا في بناء الهيكل العام و التّقسيم الدّاخلي لكتبهم، وذكر أنّ من أوائل من اعتمد هذا الأساس أبو بكر بن السّراج في

(١) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٦٥ ــ ٨٠.

(٢) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٥٥ــ ١٥٦.

(الأصول)[١]، والفارسي في (الإيضاح)، وابن جنيّ في (اللّمع)، والحريريّ في (الملحة)، وأبو البركات الأنباري في (أسرار العربيّة)[٢].

وحسبك أن تنظر في (الأصول) و (الإيضاح) للفارسيّ؛ لتعلم أنّ ما ذكره في هذه الكتب مجانبٌ للصّواب، فـ (نعم وبئس)، و (أسماء الأفعال) وغيرها من المبنيات جاءت في (الأصول)[٣]بين المعربات، ولم يعرض الفارسيّ في (الإيضاح) للمبنيات استقلالاً عدا ما كان من إشارات في المقدِّمة[٤]، وقد عرض لإعراب الفعل وبنائه في موطن واحد[٥].

والأساس الثّالث _ لدى الخالديّ _ مبنيٌّ على تقسيم الكلمة إلى اسم و فعل و حرف، وذكر أنّ هذا التّقسيم أوّل ما ظهر في (الكتاب) لسيبويه، ثم ذكر أنّه لم يخرج عن سبيل هذا التقسيم الثلاثيّ في كونه معتمداً في التّبويب إلاّ الزّمخشريّ، فقد ابتدع قسماً رابعاً سماه بالمشترك[٦].

ولعلّ مراده بقوله ((لم يخرج عن سبيل هذا التقسيم الثلاثيّ في كونه معتمداً في التّبويب إلاّ الزّمخشريّ)) ممن سار على هذا النّهج، أمّا أنّ يكون هذا هو المنهج العامّ في جميع كتب النّحو _ وهو ما يرجحه حديثه في القسم الرّابع _

(١) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٢ _ ١٤٤.

(٢) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٥٦.

(٣) ينظر: الأصول ١/ ١١١و ١٤٣.

(٤) ينظر: الإيضاح ٦٠.

(٥) ينظر: الإيضاح ٣١٧.

(٦) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٤ _ ١٤٥.

فهو أمرٌ لا يسلّم له فقد تجد مسائل في الحروف تتوسط أبواب النّحو، وكذا القول في الأفعال في سائر المصنفات.

والأساس الرّابع هو المفرد والجملة، وأراد بالمفرد الاسم و الفعل و الحرف، وبالجملة (دراسة الجملة وأحكامها)[١]، ويبعد أن يكون مراده بالجملة التّركيب الإسنادي المنحصر في جملة المبتدأ والخبر والفعل والفاعل[٢]، أو دراسة النّحو الدّراسة التّركيبية التي تقابل دراسة الصّرف المتعلّقة بالمفرد، ذلك أنّ جلّ كتب النّحو جمعت بين دراسة التّركيب والمفرد.

ثم أشار الخالديُّ إلى أنّ هذا الأساس ليس له كبير أثرٍ في التّأليف النّحويّ؛ فقد استبدّت فكرة التّقسيم الثّلاثيّ على مناهج النّحاة في كلّ عصور التّأليف النّحويّ[٣]، وأشار إلى أنّ للزَّمخشري أثراً واضحاً في هذا النّوع من التّبويب؛ لتأليفه كتاب (المفرد والمؤلف) الذي درس فيه أحوال المفرد والتّركيب.

ثم ذكر أنّ ممن سار على هذه الطّريقة ابن عصفور في (المقرب)، وأبوحيان في (ارتشاف الضّرب) و (اللُّمحة البدريّة) و (وغاية الإحسان)، و (الموفور من شرح ابن عصفور)[٤].

---

(١) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٦_ ١٤٧.

(٢) يدلك على ذلك أنّه لما عرض للجمل للزّجاجي قال: ((ليس للجمل فيه نصيب إلاّ باب (حكايات الجمل))، وذكر توسع ابن هشام الأنصاري في (مغني اللبيب) في هذا الباب (ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٦_ ١٤٧).

(٣) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٦ _ ١٤٤.

(٤) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٥٦.

وأنت إذا نظرت إلى (المقرب) لا تجد فيه حديثاً عن الجملة وأقسامها، إلاّ ما كان من حديث في باب الحكاية، وهذا لا يمكن أن يبنى عليه القول بأنّ (المقرب) بني على أساس المفرد والجملة[١]، وهناك أسسٌ أظهر من ذلك كما سيأتي، أمّا (الموفور من شرح ابن عصفور) لأبي حيان فهو اختصار لشرح ابن عصفور على الجمل، إلاّ أنّ أبا حيان سار في (الموفور) على ترتيب (المقرّب)، كما ذكر في مقدّمة (الموفور)[٢]، ولم تكن الجملة قسيمة لغيرها من الأبواب، عدا ما عرض له أبو حيان في باب الحكاية وما تفرع عنها[٣]، وكذا القول في (غاية الإحسان)، فلم يذكر الجملة البتة إلاّ ما كان في باب الاشتغال[٤]، بل إنّ تقسيمه على الاسم و الفعل و الحرف أظهر، فقد جعل آخر الأبواب ما يتعلق بالحروف صرفاً ونحواً بعد أن عرض لجملة أحكام تتعلق بالاسم و الفعل نحواً و صرفاً[٥]، وكذا القول في (اللُّمحة البدريّة)، و (ارتشاف الضّرب)، فلم تدرس الجملة استقلال، أمّا ما ذكره في بعض الأبواب كباب المبتدأ والخبر فهو حديث عن الجملة ضمن باب من الأبواب[٦]، ولا يمكن أن يقال في مثله إنّه

(١) ينظر: المقرب ١/ ٢٩٣.

(٢) ينظر: الموفور من شرح ابن عصفور ١٣١.

(٣) ينظر: الموفور من شرح ابن عصفور ٢٩٨ _ ٣٠٣.

(٤) ينظر: النّكت الحسان شرح غاية الإحسان ٦٢.

(٥) ينظر: النّكت الحسان شرح غاية الإحسان ٢٧٠ _ ٣٠٠.

(٦) ينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١١٠.

أساسٌ بني عليه ترتيب هذه المؤلفات، أمّا قول أبي حيان (القول في الأحكام الإفرادية)[١]، فهو يريد بذلك الصّرف.

وأشار الخالديّ إلى أساس خامس: وهو تداخل مباحث الصّرف والنّحو في بعض المصنّفات، واستقلالها في مصنفات أخرى، ثمّ ذكر الكتب المستقلّة بالصّرف كالتّصريف للمازني، والتّكملة للفارسي[٢]، وهو يريد بهذا الأساس الكتب التي جمعت بين النّحو والصّرف، وجعلت الصّرف قسيما للنّحو في التّأليف، وقد مثّل لهذه المجموعة بكتاب (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، (والكافية الشّافية)، و (لباب الإعراب للإسفراييني)، و (قطر النّدى)، و (شذور الذّهب) لابن هشام الأنصاري[٣].

والحق أن جلّ كتب النّحو التي عرضت للصّرف جعلت الصّرف قسيماً للنّحو، ولم يخرج عن ذلك إلاّ نزرٌ يسيرٌ، وإن كانوا يعرضون لمسائل تدعو لها الحاجة في أثناء أبواب النّحو كما سيأتي.

وأشار إلى أنّ ثمّة كتباً تنفرد بسمات لا تشاكل غيرها، وأنّ تلك السِّمات ليست منهجية، وإنّما تدلّ على اضطراب وعدم تنظيم[٤]، ومثّل لها بـ (المقتضب) للمبرّد، و (المقدّمة المحسِّبة) لابن بابشاذ، و (كشف المشكل) لحيدرة اليمنيّ، و (مغني اللّبيب) لابن هشام الأنصاري[٥].

---

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٣/ ١١٠.

(٢) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٤٨_ ١٤٩.

(٣) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٥٦_ ١٥٧.

(٤) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ٢٤٩.

(٥) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٥٧و ٢٤٩.

وسيأتي الحديث عن بعض هذه المصنفات؛ لنرى أنّ ما ذكره فيه نظر، ولا يستقيم عند التّحقيق.

أمّا الدّكتور غانم قدوري الحمد فقد عرض لمناهج العلماء التي ساروا عليها في مؤلفاتهم التّعليمية، وذكر أنّ المنهج العام الذي سار عليه النّحاة هو النّظر إلى نوع الكلمة:الأسماء والأفعال والحروف، ومنها ما هو مرتب بحسب نوع الحركة الإعرابيّة: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، ومنها ما هو مرتب بناء على الوظيفة النّحوية لمكونات الجملة العربية، أي: جملة المبتدأ وفروعها، والجملة الفعليّة ولواحقها، ثم أبواب لمكملات الجملة الاسمية والفعليّة(١).

وقد وصف كتاب سيبويه بأنّه يسير على البناء الوظيفيّ، وأنّ (المقتضب) للمبرّد أحسن ترتيباً منه، وإن كان تتابع الأبواب في (المقتضب) لا يدلُّ على أساسٍ واضحٍ، أمّا ابن السّراج في (الأصول) فقد قدّم مسائل النّحو على مسائل الصّرف، ومباحث الأسماء على مباحث الأفعال، والمعرب على المبني، فالأسماء المعربة لدى ابن السّراج مرتّبةٌ موضوعاتها على أساس العلامة الإعرابية.

ثم أشار إلى أنّ ابن السّراج بذلك قد وضع أساساً آخر للتّرتيب، يقوم على تقسيم موضوعات النّحو إلى: مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، ثم ذكر أنّ مجموعة من الكتب اتبعت هذا المنهج ك (الجمل) للزّجاجي، و (الإيضاح) للفارسيّ، و (الواضح) للزّبيدي، و (اللّمع) لابن جنّي، و (التّبصرة و التّذكرة) للصّيمري، وترسخ هذا المنهج لدى ابن مالك(٢).

---

(١) مناهج التّأليف النّحوي عرض ومناقشة ٤١.

(٢) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٥ _ ٤٧.

وأشار في مبحث (ترتيب الموضوعات بحسب الإعراب والبناء) إلى أنّ (الأصول) لابن السّراج يسير على الوظيفة النّحوية إلاّ أنّ المادة النّحويّة رتبت فيه على أساس الإعراب والبناء[١].

وأشار (الحمد) إلى أنّ منهج ترتيب الموضوعات النّحوية بحسب حركة الإعراب ظهرت معالمه لدى الزّمخشري في (المفصّل)، وكان أكثر وضوحاً لدى ابن الحاجب في كتاب (الكافية)[٢].

كما ذكر أنّ النُّحاة قد يرتبون الموضوعات بحسب العمدة والفضلة، وجعل السُّيوطي في كتابه (همع الهوامع) نموذجا لهذا الاتجاه[٣]، ولا يستقيم ذلك، فكلّ من العمدة والفضلة جزء من أقسام الكتاب، وثمّة أقسامٌ أخرى، كالمجرورات والعوامل والتّوابع، ومسائل صرفيّة عنون لها السيوطي بتغييرات الكلم الإفرادية[٤]، على أنّ العلماء يعدون ما أتى بعد الفاعل فضلة[٥].

أمّا زروقي جمعة فقد قسمت اتجاهات التّأليف إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: عالج النّحو عن طريق (التّراكيب) كسيبويه دون الانتظام في نسق معين.

والقسم الثّاني: قسّم على أساس (المعمولات)، ومثلت له بـ (اللّمع) لابن جنّي.

---

(١) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٧ ــ ٤٨.

(٢) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٨.

(٣) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٨.

(٤) ينظر: همع الهوامع ١/ ٢ــ٣.

(٥) ينظر: شرح المفصل ١/ ١٧٢.

والقسم الثّالث: قسّم على أساس (العوامل)، ومثلت له بـ (مقدّمة النّحو) المنسوبة لخلف، و (التّفاحة) لأبي جعفر النّحاس، وكتاب (العوامل المئة) لعبد القاهر الجرجاني، و (الفصول) لابن معطي.

القسم الرّابع: قسّم على أساس عناصر الكلام، ومثلت له بـ (المفصّل) للزّمخشريّ[١].

وممّن كتب في مناهج العلماء وتقسيمهم أبواب مصنفاتهم النّحويّة (ليلى شكورة) فقد أشارت إلى أنّ تناول القضايا النّحويّة في أغلب المصنفات النّحويّة يراعى فيه الجانب التّطبيقي[٢]، وقد سارت في تقسيماتها على ما سار عليه الدّكتور إبراهيم عبادة، واقتفت أثره[٣].

أمّا الدّكتور سعود بن غازي أبو تاكي فقد عرض لأمّات كتب النّحو، إلاّ أنّ دراسته لترتيب الأبواب وتقسيماتها لم يكن له نصيب كبير من البحث، ولعلّ دراسة مقاصد التّأليف استبدت بالكتاب، فقد عرض للأصول لابن السّراج، وتحدث عن أبواب الكتاب دون أن يعرض إلى الطّريقة التي سلكها في كتابه، واكتفى بوصفه بالدّقة والوضوح وحسن التّرتيب[٤]، وذكر أنّ مما يؤخذ

---

(١) ينظر: أصول التّأليف في مصادر التّراث النّحويّ ١٣٨، وقد عرضت لمؤلفات أخرى، ونقلت آراء كثير ممن سبقها كأبي تاكي وكاظم والخالدي، فالنقد المذكور في من نقلت عنه يغني (ينظر: ١٦٨ و ١٦) .

(٢) ينظر: الباب النّحوي ٤١_٥٥.

(٣) ينظر: الباب النّحوي ٥٧ _ ٦٢.

(٤) خصائص التّأليف النّحوي ١٤٧_ ١٥٨.

على كتاب (الجمل في النّحو) للزّجاجيّ عدم ترابط أبوابه[١]، أمّا كتاب (التّفاحة) لأبي جعفر النّحاس فقد عرض لأبوابه دون أنْ يوضح المنهج الذي سار عليه في ترتيب تلك الأبواب، سوى ما ذكره من أنّ المؤلّف جمع في كلِّ باب المسائل المتشابهة[٢]، ووصف كتاب (الإيضاح) لأبي عليٍّ الفارسيّ بأنّه متجانس الموضوعات، وأنّ هذا التّجانس أقرب إلى التّرتيب والتّبويب المتعارف عليه في المؤلفات التّعليمية، رابطاً ذلك بنظرية العوامل من رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزمٍ، وذكر أنّ ذلك التّقسيم يلائم تفكير المتعلمين[٣]، أمّا (الواضح) للزُّبيدي فقد عرض له ووضح أبوابه وفصوله دون أن يعرض إلى طريقة ترتيبها[٤]، وعرض لكتاب (اللّمع) لابن جنيّ وذكر أنّ موضوعاته ومسائله رُتّبتْ على طريقة ما سبقه من كتب النّحاة[٥].

وممن عرض لتقسيم الأبواب النّحويّة الدّكتورة وضحة عبد الكريم الميعان فقد وصفت كتابي _ (تلقين المتعلم) لابن قتيبة، و (الموفقي) لابن كيسان _ بأنّهما اتسما بالخلط والاضطراب في عرض المادة العلميّة، وأنّهما لم يسيرا على ترتيب معيّن في عرض الأبواب النّحويّة[٦]، وعرضت لجملة من المؤلفات، فلم

(١) خصائص التّأليف النّحوي ١٠٩ و ١١٠.
(٢) خصائص التّأليف النّحوي ١١٢.
(٣) خصائص التّأليف النّحوي ١١٦.
(٤) خصائص التّأليف النّحوي ١٢٢.
(٥) خصائص التّأليف النّحوي ١٣٣.
(٦) التّأليف النّحويّ بين التعليم والتفسير ٢٣١.

توضح منهجية التّقسيم والتّبويب بصورة تفصيليّة[١]، ولعلّ دراستها كانت مقتصرة على مقاصد التّأليف التي تعنى بالاتجاه و المسار التّأليفي، أهو نحو التّعليم أم الوصف، وهذا ما جعلها تعرض لمؤلفات ليست تعليميّة، ككتب إعراب القرآن.

وممن عرض لأسس تقسيم أبواب النّحو وموضوعاته بشيء من التّفصيل الدّكتور احميدة العوني، موضحاً في خاتمة بحثه أنّ النّحو العربي في ترتيبه وتبويبه نشأ مضطرباً غامضاً، ثم استقام بعدُ[٢]، وأشار إلى أنّ النّحاة مختلفون في أساس ترتيب أبوابه وتفريعاتها، وأنّ الأسس المنهجيّة لترتيب الأبواب بدأ بمقدِّمات الأبواب النّحوية و أبوابها الكبرى والتّفصيليّة، مشيراً إلى أنّه في عمومه رُتِّب على أساس نظريّة العامل والمعمول[٣]، وأشار إلى أنّ ابن السّراج[٤]وابن جني[٥] أقاما ترتيب (الأصول) و (اللّمع) على أساس أقسام الكلمة، وذكر أنّ الزمخشري رتب (المفصّل) على أقسام الكلمة، وأنّ الأساس الذي اعتمد عليه هو نظرية (العامل والمعمول)[٦]، وذكر أنّ جملة من الكتب النّحوية اعتمدت تبويبها النّحوي على أساس الكلمة[٧].

---

(١) التّأليف النّحويّ بين التعليم والتفسير ٢٣٦ ــ ٢٥٩.

(٢) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٢٦٧و٢٦٨.

(٣) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ١٣٣و ٢٦٧.

(٤) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٣.

(٥) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٩.

(٦) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٦ و٩٧ و ١٣٣.

(٧) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ١٠٤.

وحينما عرض أسس ترتيب المرفوعات، وارتباط النّواسخ بها، أشار إلى أنّ متأخري النُّحاة جعلوا دراسة النّواسخ بعد باب الابتداء، وليس بعد الفاعل، وأنّ ابن مالك كان من أولائك العلماء الذين ساروا على هذا التّرتيب، فترتيبه مناسب لخصوصيّة التّراكيب، فقد رتب النّواسخ على أنّها تركيبٌ كاملٌ، لا على أنّ المرفوع من أجزائها، وعليه فترتيب النُّواسخ محا تلك النّظرية التّجزيئية التي تعنى بالمرفوع من حيث هو مرفوع، فالذي جعل النّواسخ تأتي تاليةً المبتدأ هو كونها مبتدأ وخبراً في الأصل، وأشار إلى أنّنا لو تأمّلنا باب (المبتدأ والخبر)، ثم نظرنا إليه نظرة تركيبية لوجدنا أنّ النُّحاة بنوا تبويبهم على أساس الجملة الاسمية، وما يتفرع عنها، وهذا كفيل باستبدال باب (المبتدأ والخبر) بالجملة الاسمية؛ لنكون أمام منهج آخر للتّبويب مبنيٍّ على التّركيب، لا على المرفوعات والمنصوبات والمجرورات(١).

وأشار إلى أنّ محوري التّبويب النّحوي – لدى متأخري النُّحاة _ هما باب (المبتدأ والخبر)، وما بقي متعلّقة بهذين البابين، وكان ذلك عند عرضه للنّواسخ وأسس ترتيبها(٢)، فقد ربط ترتيب غيرها من الأبواب بقضايا أخرى، وجعل تفسير ترتيب الأبواب مغايراً لهذا الأصل(٣).

بعد هذا العرض الموجز لما ذكره الباحثون في مناهج التّأليف يتبين لنا ما يأتي:

---

(١) الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ١٨٤.

(٢) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٢١٥ و ٢١٦و ٢١٨.

(٣) ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ٢٢٨ و٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩.

أولاً/ عدم اتفاق الدّارسين في وصف مناهج التّصنيف للمؤلفات النّحويّة[١]، وهو أمرٌ يفرضه واقع الاختلاف في التّأليف النّحويّ، فالمتقدّمون لم يسيروا على منهج واحد في مصنفاتهم، قال ابن بابشاذ: ((ولما كانت الطُّرق في فروع العلم مُتّسعة، والعبارات في تنويعه وتقسيمه مختلفة بحسب ما أوتي كلُّ مصنَّف من قدر...ألف العبد مختصرا يشتمل على الأصول؛ لكي يختص بأسهل طرقها، وأبين مناهجها))[٢]، وقد وصفت أكثر كتب النّحو بالتّشويش في التّرتيب والتّقسيم[٣].

كما أنّ جُلُّ كتب النّحو لم يوضّح أصحابها مناهجهم، والأسس التي بنوا عليها ترتيب الأبواب وتقسيمها[٤]، مع ما يفرضه اختلاف التّصور الذهنيّ من عالم لآخر ممّن عرضوا لبيان هذه المناهج، فكلٌّ قد يعينه واقع التّأليف على ما يؤيد تصوره، فقد يقول قائلٌ بأنّ التأليف في بعض المصنفات النّحويّة غير متّسق، وهو أقرب إلى الاعتباط منه إلى التّرتيب المنطقي، وقد ينظر آخر فيرى أنّ بعض المصنفات رتّبت بالنّظر إلى العامل؛ لما رأى من تقديم عوامل أو تأخير أخرى، ومنهم من يرى أنّ كتب النّحو رتبت على أساس الاسم والفعل؛ لأنّ هذه الكتب بدأت بنحو الاسم، ثم عرضت لإعراب الفعل، وآخر يرى أنّ للجانب الوظيفيّ أثراً في التّرتيب، وكلّ ذلك في الغالب لا يخلو من اعتراض،

---

(١) ينظر : مناهج التّأليف النّحوي (للخالدي) ١٤٢.

(٢) المفيد في النّحو ٣١ _٣٢.

(٣) ينظر : المستوفى ١/ ٣ و الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ٣٨.

(٤) ينظر : الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ٣٩ _ ٤٢.

إلاّ ما كان من بعض المصنفات التي نصّ أصحابها على أسس التّرتيب والتّقسيم، لذا فَجُلُّ ما قيل في أسس التّأليف النّحويّ أقوال افتراضية مستنتجة من استقراء مفردات المؤلفات النّحوية[١]، وهذا ما جعل الأمر يتقطّع بينهم، فكتاب سيبويه لا يسير على منهج ظاهر عند بعضهم[٢]، ويراه آخرون ظاهر المنهج[٣]، ومنهم من يرى أنّه قسّم على أساس نظرية العامل[٤]، ومنهم من يرى أنّه قسّم على أساس الوظيفة النّحوية للكلمة في الجملة العربية[٥]، وكذا القول في (المقتضب) و (الأصول)[٦]، ويرى الدّكتور غانم قدوري الحمد أنّ منهج ابن السّراج في (الأصول) اتسم بالوضوح، وأنّه رُتّبت موضوعاته على أساس العلامة الإعرابية، ووضع أساساً آخر للتّرتيب، يقوم على تقسيم موضوعات النّحو إلى: مرفوعات و منصوبات و مجرورات، وأنّ مجموعة من الكتب اتبعت منهج ابن السّراج في (الأصول)[٧]، ويرى آخرون أنّ (الأصول) لابن السّراج أفاد من كتاب سيبويه في تبويبه، فقد قسم كتابه إلى أقسام بحث في أحدها الاسم، وفي

(١) ينظر: مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٣٨ و١٥٠ و ١٥١.

(٢) ينظر: التّأليف النّحوي ١٨٦ و ١٨٧و ١٨٩ و١٩١ و١٩٤.

(٣) ينظر: المدارس النّحوية خديجة الحديثي ٨٢ و منهج كتاب سيبويه في التّقويم النّحوي ١٩ و ٤٥٠ و أصول التّأليف في مصادر التّراث النّحوي العربي ١٤٢ _ ١٤٦و ١٩٤ و تطور الدّرس النّحوي ٤٠ و ٤٢ و مناهج التّأليف النّحويّ ٤٥.

(٤) ينظر: الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدّرس النّحويّ ٣.

(٥) مناهج التّأليف النّحويّ ٤٥.

(٦) ينظر : الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدّرس النّحويّ ٣ و الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ١٦٩.

(٧) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٥ _ ٤٧.

الثّاني الفعل، وفي الثّالث الحرف[١]، ويصف الدّكتور حسن عون (الجمل) للزّجاجي، و (التّفاحة) لأبي جعفر النّحاس، و (الإيضاح) للفارسيّ، و (اللّمع) لا بن جنيّ بالتّخليط وعدم الاتساق[٢]، ويشير الدّكتور سعود أبو تاكي إلى أنّ كتاب (الجمل في النّحو) للزّجاجي ليس مترابط الأبواب[٣]، ووصف الدّكتور عبد الفتاح شلبي (الجمل) بأنّ ترتيبه ((مضطرب مشوه متعثر، لا يخضع لملاك عام، ولا يصدر عن نظرة خاصّة))[٤]، وأشار الخالدي أيضاً إلى عدم ترابط ألفية ابن معطي[٥].

وحينما يذكر بعض الدّارسين أنّ ابن مالك لم يخالف منهجه في التبّويب يرى الخالدي أنّه لم ينهج نهجاً واحداً في تبويبه لبعض أقسام المعربات[٦].

ويرى الدّكتور سعود أبو تاكي كتاب (الإيضاح) لأبي عليٍّ الفارسيّ بأنّه متجانس الموضوعات، وأنّ هذا التّجانس أقرب إلى التّرتيب والتبويب المتعارف عليه في المؤلفات التّعليمية، رابطاً ذلك بنظرية العوامل من رفع ونصب وجرّ وجزم[٧].

---

(١) ينظر: ١٦٨.

(٢) تطور الدّرس النّحوي ٨٨ .

(٣) خصائص التّأليف النّحوي ١٠٩ و ١١٠.

(٤) أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التّفسير والعربية ٥٢١.

(٥) مناهج التّأليف النّحويّ (الخالدي) ٢٤٠.

(٦) مناهج التّأليف النّحويّ (الخالدي) ٢٣٨ _ ٢٤٠.

(٧) خصائص التّأليف النّحوي ١٠٩ و ١١٠.

وإنْ رأى الدّكتور محمّد إبراهيم عبادة أنّ السّيوطي في (همع الهوامع) سار على أساس المعمولات[١] فالدّكتور غانم قدوري يرى أنّه قسّم أبوابه على أساس العمدة والفضلة[٢]، وقد وصف الدّكتور إبراهيم عبادة بعض المؤلفات بأنّها لم تسر على منهج واضح كـ (الواضح) للزُّبيديّ و (المقرّب) لابن عصفور، وترى الدّكتورة وضحة عبد الكريم الميعان أنّ (تلقين المتعلم) لابن قتيبة، و (الموفقي) لابن كيسان اتسما بالخلط والاضطراب في عرض المادة العلميّة، ونصت على أنّهما لا يسيران على ترتيب معيّن في عرض الأبواب النّحويّة[٣]، ويرى الدّكتوراحميدة العوني أنّ كتب النّحو شابها كثير من الخلط والفوضى في ترتيب الأبواب الصُّغرى[٤].

وهناك من يرى أنّ مناهج التّأليف قد تتداخل في الكتاب الواحد[٥]، وأنّ وضع بعض المؤلفات في مجموعة واحدة ليس دليلاً على التّجانس والتّطابق، ذلك أنّ كثيراً من أوجه الاختلاف بين كتب المجموعة الواحدة ظاهرٌ[٦]؛ وهذا ما دفع إلى الحيرة في وصف مناهج بعض الكتب، قال الدّكتور تركي بن سهو العتيبي في مقدّمة تحقيقه (شرح المقدمة الجزوليّة): ((لم أستطع أن أحدد منهجاً

---

(١) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٧.

(٢) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٨.

(٣) التّأليف النّحويّ بين التعليم والتّفسير ٢٣١.

(٤) الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٣ و ٢٤٤، وقد أشار في ص ٢٣٤ إلى أنّ منهج النُّحاة القدامى هو أن يذكروا موضوعات الباب النّحويّ مرتبة ترتيبا منهجيّاً، دون تصريحٍ بذلك .

(٥) مناهج التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة ٤٩ و مناهج التّأليف النّحويّ (الخالدي) ٢٢٥.

(٦) مناهج التّأليف النّحويّ (الخالدي) ٢٢٥.

معيناً للنهج الذي اقتفاه أبو موسى الجزولي في مقدِّمته، وكذلك صنع غيري ممن كتب عنه وعن مقدّمته هذه))[١].

ثانيا/ إنْ غَلب على أصحاب المصنفات التّعليمية عدم بيانهم لمناهجهم، وتقسيم أبواب كتبهم[٢]، فَجِلَّةٌ من أصحاب المصنفات عرضوا لذلك، فابن السّراج وضح ترتيب (الأصول) بقوله: ((وأنا أتبع هذا الذي ذكرت من عوامل الأسماء والأفعال والحروف بالأسماء المفعول فيها، فنبدأ بالمرفوعات، ثم نردفها المنصوبات، ثمّ المخفوضات، فإذا فرغنا من الأسماء وتوابعها وما يعرض فيها ذكرنا الأفعال وإعرابها، وعلى الله تعالى يتوكل وبه نستعين))[٣]، وأشار عليٍّ بن فضال المجاشعيّ في مقدّمة كتابه (المقدّمة في النّحو)، إلى تقسيمه إلى عشرة فصول[٤]، وأشار ابن بابشاذ إلى أن تحصيل النّحو ((يكون بإحكام أصوله

---

(١) شرح المقدّمة الجزولية ١/ ٥٤، وينظر ص ٥٩، على أنّ في النّسخ اختلافا كما أشار الدكتور تركي ١/ ٥٦ و ٥٧.

(٢) ينظر : مختصر النّحو ٣٩ و تلقين المتعلم ٥ و الموفقي ٩٥ و الشّجرة ٨١ و الموجز ٣١ و الأصول ٣٥ و التّفاحة ١٣ و الجمل في النّحو ١ و الواضح ٤٧ و الإيضاح ٥١ و اللّمع ٤٥ و التّبصرة والتّذكرة ١/ ٧٤ و شرح المقدّمة الكافية في الإعراب ١/ ٢ و المفيد ٢٩ و شرح المقدّمة الكافية في الإعراب ١/ ٢ و الملخص في ضبط قوانين العربية ١٠١ و الدّرر في شرح الإيجاز للنيسابوري ٢ و الإرشاد إلى علم الإعراب للقرش الكيشي ٦٥، وقد خصّ الدكتور احميدة العوني ذلك المنهج بالمتقدمين، وهو أمرٌ لا يستقيم (ينظر: الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ٢٣١) ،كما أشار في مواضع أخرى إلى مراعاة التّرتيب (ص ٢٣٤).

(٣) الأصول ١/ ٥٧.

(٤) المقدّمة في النّحو ٢١.

وتقديم الأهم فالأهمّ من فصوله))[1]، وكذا الزّمخشري في مقدمة (المفصّل) أشار إلى تقسيم كتابه إلى أربعة أقسام: الأسماء والأفعال والحروف والمشترك في أحوالها[2]، وقال ابن رشد: ((وأمّا التّرتيب الذي سلكنا نحن في هذا الكتاب؛ فإنّا رأينا أن نقدِّم أولاً من أمر الألفاظ المفردة، ما الاهتمام بمعرفته مساو للاهتمام بمعرفة الإعراب بل لعله أكبر...، وهذا هو شكل التّثنية وشكل الجمع، وشكل المذكّر وشكل المؤنث...ونجعل هذا الجزء الأول من هذا الكتاب، والجزء الثاني النّظر في الإعراب والمعربات، وفي هذا الجزء نذكر أشكال المركبات، ومواد الإعراب))[3]، ثم قال: ((ولذلك كان النّظر في هذا الكتاب ينقسم أربعة أقسام:

الأول: في المقدمات، والثاني: في الأشكال الثّلاثية، الثالث: في الإعراب، الرابع: فيما يفي من معرفة أشكال الألفاظ المفردة، ومن معرفة أشكال أطراف الكلم التي لا تسمى إعرابا))[4].

وقد نص أمين المحلّي (ت٦٧٣هـ) في مقدّمة (مفتاح الإعراب) على تقسيم كتابه على خمسة أبواب، أولها في فواتح التّعليم، والثّاني في الجملة الاسمية،

---

(١) المفيد ٣٨.

(٢) المفصّل ٣٢.

(٣) الضّروري في صناعة النّحو ٨ ــ ٩.

(٤) الضّروري في صناعة النّحو ١٠ .

والثّالث في الجملة الفعلية، والرابع في توابع الأسماء والأفعال، والخامس في الخواتيم المكمِّلة[١].

وأشار السُّيوطيّ في مقدّمة (همع الهوامع) إلى ترتيبه، فذكر أنّه جعله من مقدّمات، ثم بابا في العمد (المرفوعات)، وبابا في الفضلات (المنصوبات)، وثالثاً في المجرورات، ورابعاً في العوامل، وخامساً في التّوابع، وسادساً في الأبنية، وسابعاً في تغييرات الكلم الإفراديّة، وذكر السُّيوطيّ أنّه ترتيب بديع لم يسبق إليه[٢].

ثالثاً/ ذكر الدّكتور بهاء الدّين أنّ جميع كتب النّحو رتبت على وفق نظرية العامل[٣]، وأشار د احميدة العوني إلى أنّه لا يمكن أن نتحدث عن تبويب نحوي دون اعتماد نظرية العامل[٤]، وأنّ أهم أساس اعتمد عليه النُّحاة في التّبويب هو أساس المعمولات، وأنّ سيبويه هو أوّل من سار على ذلك[٥].

ولا ريب أنّ نظرية العامل حاضرة في الدّرس النّحويّ[٦]، وقد يقدّم بعضهم الحديث عن العامل في مقدّمة كتبهم التّعليمية قبل الشّروع في الأبواب، كأبي

---

(١) مفتاح الإعراب ٢٣_٢٤، وممن أشار لترتيب ركن الدّين الشَّوكاني ت ٥٧١هـ (ينظر: القواعد والفوائد في الفوائد في الإعراب ٣٣) .

(٢) ينظر : همع الهوامع ١/ ٢_٣.

(٣) ينظر: الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر القرائن في الدّرس النّحوي ٢.

(٤) الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٧.

(٥) الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ١٢١ و ١٣٤.

(٦) ينظر : منهج كتاب سيبويه في التقويم النّحوي ٢٥٠ و تطور الدّرس النّحويّ ٨٥ و النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٠ _ ٢٢ و أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية ٥١٨ _ ٥٢١ و النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢١.

بكر الشّنتريني، فقد أشار في مقدّمة كتابه (تلقيح الألباب في عوامل الإعراب) إلى تقسيم العوامل، فقال: ((عامل الإعراب على ضربين: لفظي ومعنويّ، فالمعنويّ على ضربين:

أحدهما: الرّافع للفعل المضارع، وهو وقوعه موقع الأسماء في نحو قولك: (زيد يقوم).

والثّاني: هو الرّافع للمبتدأ، وخبره عند بعضهم، وهو تعرية الأسماء المحدث عنها، أو بها من العوامل اللّفظية))[1]، وقال قبل (باب الفاعل): ((وأمّا العامل اللَّفظي: فعلى ثلاثة أضرب: أفعال وحروف وأسماء.

أمّا الأفعال فعلى ضربين: متصرِّف، وغير متصرف، وكلّها عاملة، وعملها على ضربين: رفع ونصب، والمرتفع بها على ثلاثة أضرب: فاعل ومفعول جعل الفعل حديثا عنه، واسم كان وأخواتها))[2].

كما ربط ابن معطي تقسيمه في (الفصول الخمسون) بنظرية العامل[3]، فبعد المقدِّمات تحدث عن ما يعمل فيه الفعل إلى أن بلغ العامل في المبتدأ والخبر[4]، كلّ هذه الأبواب يصدرها بالحديث عن العامل، وكذلك عصام

(١) تلقيح الألباب في عوامل الإعراب ٥٦.

(٢) تلقيح الألباب في عوامل الإعراب ٥٩.

(٣) الفصول الخمسون ٩٥ ــ ١٩٨.

(٤) الفصول الخمسون ١٩٨.

الإسفرائيني في (شرح الفريد)[١]، فقد قسّم كتابه على نظرية العامل[٢]، وذكر المحقق أنّ تقسيمه وترتيبه جديد لم يسبق إليه[٣].

وأشار الزّنجانيّ إلى أنّ المنصوبات تذكر عقب المرفوعات؛ ((لاشتراكهما في أنّ العامل الواحد يعمل فيهما))[٤]، وعرض الدّكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي إلى كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسيّ، وبين أنّ ترتيبه كان مبنياً على أثر العامل يقول: ((وأنت إذا نظرت إلى أبواب كتاب الإيضاح رأيتها تصدر عن فكرة أثر العوامل... هذا هو الملاك العام الذي صدر عنه الشيخ أبو علي في ترتيب (الإيضاح)؛ نظراً إلى أثر العوامل من حيث الرّفع، والنّصب، والجرّ في الأسماء أولاً، ثمّ من حيث الرّفع والنّصب والجزم في الأفعال ثانياً، وبين هذين يذكر التّوابع))[٥]، ووصف ابن جني بأنّه سائرٌ على طريقة شيخه، ثم خلص إلى أنّ ترتيب أبي عليّ يعدّ تجديداً، وأنّه كان قدوة للنُّحاة بعده كالزّمخشريّ وغيره[٦].

---

(١) ينظر : شرح الفريد ١٢١.

(٢) ينظر : شرح الفريد ٨٦ ــ ٨٩ ، والفهارس ٥٥٦ ــ ٥٦٠.

(٣) ينظر : شرح الفريد ٨٧ .

(٤) الكافي شرح الهادي ٢/ ٦٠٠.

(٥) أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية ٥١٨ ــ ٥١٩ و ينظر الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ١٠١.

(٦) ينظر: أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية ٥٢١.

ولعلّ القول بأنّ المصنفات النّحويّة بنت ترتيبها وتقسيمها على نظريّة العامل مردّه إلى سيطرة فكرة العامل على الفكر النّحوي في كثير من تأويلاته[١]، فالعامل هو وسيلة تفسيريّة للعمل، المقصود منها ضبط القوانين في ما يرفع وينصب ويخفض[٢]، وهي لا تعمل بذاتها، قال الصّيمري: ((العوامل إنّما هي علامات للعمل؛ لا أنّها تعمل شيئا في الحقيقة))[٣]، وقال ابن الحاجب: ((هو الأمر الذي يتحقق به المعنى المقتضي للإعراب))[٤].

وقد حاول أبو عبدالله الحسين الدّينوري ربط التّقسيم بالعامل فلم يستقم له ذلك، فعدل إلى علل أخرى، فقال: ((فالمبتدأ والخبر أخوان؛ لأنّ عامل الرّفع في المبتدأ هو نفسه عامل الرّفع في الخبر إمّا وحده في قول، وإمّا مع المبتدأ في قول آخر، والفاعل وما لم يسم فاعله أخوان؛ لأنّ كلاً منهما يرتفع بإسناد الفعل إليه مع تقدمه عليه، و (اسم كان وأخواتها) و (خبر إن وأخواتها)) أخوان؛ لأنّ كل واحد منهما مشبه بالفاعل؛ ولأنّ المنصوب مع كل واحد منهما هو المرفوع في المعنى، و (الفعل المضارع) مفرد وإن كان بينه وبين (المبتدأ) مناسبة ضعيفة في أن عامليهما معنويان، ولكنها مناسبة ضعيفة؛ فلذلك

(١) ينظر : النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢١.

(٢) ينظر : أسرار العربيّة ٦٨ ، و شرح جمل الزّجاجي لابن الضّائع ١/ ١٤٤.

(٣) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٩٩.

(٤) الإيضاح شرح المفصّل ١/ ١٢٥.

أفرد))[1]، وعرض ابن السّراج للعوامل في (الموجز) ولم يجعل تقسيمه مبنيّاً عليها[2].

ومع عناية الجرجانيّ في بيان مقاصد النّحو وعلله، إلاّ أنّه لم يتحدث عن ترتيب الأبواب وربطها بالعامل[3]، وفي كتابه (العوامل المئة النّحويّة) قسّمه على نظريّة العامل، ولو أخذ بهذا التّقسيم لوجدنا اختلافاً كبيراً بين هذا التقسيم والمصنفات التي ذكر أنّها تسير على نظريّة العامل، فالعوامل اللّفظية القياسية سبعة هي: الفعل واسم الفاعل و اسم المفعول و الصّفة المشبهة والمصدر والاسم المضاف والاسم التّام، يذكر كلّ ما عملت فيه هذه العوامل[4]، والعوامل اللّفظية السّماعية ثلاثة أقسام: حروف وأفعال وأسماء، يبدؤها بحروف الجرّ ثم حروف النصب، يبدؤها بواو المعية و حروف النداء و حروف الاستثناء ثم إن وأخواتها، ثم ما ينصب الفعل المضارع والجوازم[5]، ثم يتحدث عن الأفعال السماعية وهي: الأفعال الناقصة و أفعال المقاربة وأفعال الشّك واليقين[6]، أمّا الأسماء في هذا القسم فهو يريد بها الأدوات الجازمة، وما يعمل في التّمييز، وبعض

(١) ثمار الصّناعة ٢٤٥.

(٢) الموجز ٤٠.

(٣) شرح الجمل للجرجاني ١٢٥، ١٤٣.

(٤) العوامل المئة ٨٣ و المصباح ٦٤_٧٠.

(٥) العوامل المئة ٨٧ _ ٢١٦ و المصباح ٧١ .

(٦) العوامل المئة ٢٥١ _ ٢٧٧ و المصباح ٨٥ _ ٨٩ .

الكلمات كروريد وبله))[1]، ليخلص إلى العوامل المعنويّة، وهي: الابتداء، ورافع الفعل المضارع، وما يعمل في الصّفة[2].

ولما عرض ابن إياز في كتابه (قواعد المطارحة) للعوامل، وتحدث عنها حديثاً مفصلاً لم يجعله أساساً لترتيب الأبواب[3]، بل قسّمه على أساس المعمولات[4].

وقد أشار الزّنجاني إلى أنّ المنصوبات تذكر عقب المرفوعات؛ لاشتراكهما في أنّ العامل الواحد يعمل فيهما))، إلاّ أنّه لم يكتف بالعامل علّة في الترتيب، بل ذكر أنّ المنصوب قد يكون هو المرفوع والعكس، ثمّ لم يذكر علّة لتأخيره الجرّ، سوى أنّه لم يبق عقب المرفوعات والمنصوبات إلاّ المجرورات، فجعل ذلك علّة تأخيرها[5]، وكأنّ علّة العامل لم تستطع أن تفسر تأخر الجرّ، كما فسّرت الترتيب المرفوعات والمنصوبات.

وقد جعل ابن بابشاذ معرفة العامل قسماً من أقسام النّحو ينبغي معرفته ودراسته، إلاّ أنّه لم يرتب (المقدّمة المُحْسِبة) و (المفيد)[6] على نظريّة العامل.

---

(١) العوامل المئة ٢٣١_ ٢٥١ و المصباح ٨٣_ ٨٥.

(٢) العوامل المئة ٣١٧ و المصباح ٩٠.

(٣) قواعد المطارحة ٥٤_١١٤.

(٤) قواعد المطارحة ١١٥.

(٥) الكافي شرح الهادي ٢/ ٦٠٠.

(٦) شرح المقدّمة المحسبة ١٠٠ و المفيد ٥٥ و ٥٢ و ٩٢.

واختلافهم في العوامل يضعف القول بأنّ التّقسيم والتّبويب مبنيّ عليها[١]، قال ابن أبي الرّبيع: ((وإذا نظرت إلى الرّفع والنّصب والجرّ، وجدتها حادثة في الاسم بأوصافٍ: فما منها حادثٌ بلفظ، نسب العمل إلى ذلك اللّفظ، وما منها حادث بغير لفظ يقتضيه ويدلُّ عليه، نسب العمل إلى الوصف، وقيل فيه: عاملٌ معنويٌّ، وجميع المرفوعات والمنصوبات والمجرورات هو من القسم الأوّل، إلاّ المبتدأ فإنّه من القسم الثّاني، فعامله معنويٌّ))[٢]، والمبتدأ من المرفوعات، وربّما قدّم على غيره من الأبواب.

كما أنّ العامل قد يكون في تركيب واحد لمعمولين، كتركيب الجملة الفعليّة، فالمشهور أنّ الفعل عمل في الفاعل و المفعول به والظّرف و المفعول معه، ومع ذلك فهذه الأبواب قد يقدّم بعضها في مصنفات وسمت بأنّها تسير على نظرية العامل.

لذا فإنّ ((فكرة العامل لا يمكن استيعاب جميع الموضوعات النّحويّة، فظهور الخلل في التّرتيب ظاهر على أثر هذه النظريّة))[٣].

رابعاً: إذا نظرنا إلى كثيرٍ من مصنفات النّحو، يظهر لنا أنّ منهج البناء والتّرتيب والتّقسيم ليس غائباً عن النّحاة في مؤلفاتهم، فهيكلة كتب النّحو وتسلسل مسائله، وتقديم مرفوعها على منصوبها، وتأخير مجرورها، ومباينة

---

(١) ينظر : الفوائد والقواعد (شرح اللّمع للثمانيني) ١٥٩ و أسرار العربية ٦٢ و ٦٨و١٤٤ و الإيضاح في شرح المفصل ١/ ١٢٠ _ ١٢٢ و شرح المقدّمة الجزولية ٢٣٥/١ و الفصول الخمسون ٩٦ و قواعد المطارحة ٥٤_٥٥ و المغني في النّحو ٢/ ١٣٦ و أصول النّحو العربي ١٩٩.

(٢) الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح ٢/ ٢٩٢.

(٣) ينظر : مناهج التّأليف النّحوي (الخالدي) ١٣٨_ ١٤٢.

الحروف للأسماء والأفعال، وجعلهم لبعض المسائل أصلاً ينزع إليه عند الخلاف؛ كلُّ ذلك مشعرٌ بمنهج متصور في أذهانهم يسيرون عليه[١].

وقد عرض النّحاة لمسائل أدقّ من التصّور العام للتّأليف، كتقديم بعض الأبواب على بعض، وأشاروا إلى ذلك في أثناء الشُّروح والتّعليقات، فذكروا أنّ المنصوبات تذكر عقب المرفوعات؛ ((لاشتراكهما في أنّ العامل الواحد يعمل فيهما))[٢]، واختلفوا في الفاعل والمبتدأ أيهما أحق بالتّقديم، فمن قائل إن الفاعل أولى بالتّقديم؛ لأنّ عامله عامل لفظي، وهو ظاهر مذهب الزّجاجي كما ذكر البطليوسي و أبوحيان[٣]، ومنهم من قدّم المبتدأ، وهو ظاهر مذهب ابن السّراج والفارسي كما ذكر البطليوسي و أبوحيان[٤]، ومذهب الجرجاني[٥]؛ لأنّ المبتدأ أول الجملة، وهو أقوى في التّصرف، وأعمّ من الفاعل، والفاعل يأتي عقب الفعل فهو ثاني الجملة، ويضعف في التّصرف؛ فإذا قدّم بطلت فاعليته

(١) ينظر: الباب النّحويّ ٢١.

(٢) الكافي شرح الهادي ٢/ ٦٠٠.

(٣) ينظر : الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ١٤٤ و ١٤٥ و منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك ١/ ١٥٨، ولعلهما بنيا ذلك على صنيعه في كتابه الجمل (ينظر : الجمل ١٠) والنكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة ١/ ٢٢١.

(٤) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ١٤٥ و منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك ١/ ١٥٨ ، لعله بنياه على تقديمه لباب المبتدأ والخبر في الأصول (ينظر: الأصول ١/ ٥٨).

(٥) شرح الجمل في النّحو ٢٩٨.

على مذهب البصريين[١]، وأوجبوا ((تقديم ذكر المفاعيل على المشبّهة، وانتصابها كلّها؛ لكونها فضلة يستغني الكلام عنها))[٢].

وقد عرضوا لعلّة كون المبتدأ أولاً[٣]، وعلّة تقديم المفعول له عند بعضهم؛ لأنّه مصدر فجعل تابعاً للمفعول المطلق، وأخره بعضهم بعد المفعول فيه؛ لأنّ الفعل محتاج إلى الزّمان والمكان أشدّ من احتياجه للعلّة[٤].

ومع ما ذُكر من اضطراب الأقوال في مناهج التّأليف النّحويّ بين الدّارسين فإنّ النّاظر في كتب النّحاة يجد أنّ التّأليف يقوم على أساس بنية الكلم العربي، القائم على الجملة بشقيها: الاسميّة و الفعليّة، التي لا يتمّ الكلام إلاّ بها، وذلك ظاهرٌ في تقديم سيبويه وغيره من النُّحاة دراسة ركني الجملة: (المبتدأ والخبر والفعل والفاعل) في جلّ المصنفات التّعليمية[٥]، وإن قُدّم شيءٌ من ذلك أو أخر، فهو لعلّة كما سيأتي، ثم تعقبها بعد ذلك أبواب النّحو الأخرى، فقد ذكر البطليوسي وأبوحيان: أنّه لا خلاف في أنّ رتبة المرفوع قبل المنصوب

---

(١) ينظر : الفوائد والقواعد (شرح اللّمع للثمانيني) ١٥٨ و شرح عيون الإعراب ٣٠ و ترشيح العلل في شرح الجمل ٨١ و اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ١٢٤ و الكافي شرح الهادي ١/ ٣٥٠ و شرح جمل الزّجاجي لابن الضائع ١/ ١٤٤ و المغني في النّحو ٢/ ١٢٥ _ ١٢٧ و شرح اللمحة البدريّة ١/ ٢٩٦ و النُّكت على الألفيّة والكافية والشّافية والشّذور والنّزهة ٢٢١ و ينظر : منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفية ٣٨٠.

(٢) الكافي شرح الهادي ٢/ ٦٠٠.

(٣) ينظر: شرح الجمل في النّحو ١٤١.

(٤) ينظر: النُّكت على الألفيّة والكافية والشّافية والشّذور والنّزهة ٣٩١ و ٤٠٢.

(٥) ينظر: الحلل في إصلاح الخلل ١٤٤ و منهج السّالك في الكلام على ألفية ابن مالك ١/ ١٥٨.

والمجرور[1]، وعلى هذا الأساس قدِّمت المرفوعات في عامّة كتب النّحو، وهو أمرٌ له دلالته، وهو أنّ المرفوعات هي أساس بناء الجمل في العربيّة، لا يتمّ الكلام إلاّ بها، ولا يمكن أن تخلو جملة من مرفوعٍ، فأولى العلماء هذين البابين عناية في التّأليف والتّقسيم، وفي ما سيأتي عرض لجملة من المؤلفات النّحويّة، واستعراض ترتيب أبوابها، مع النّظر إلى بناء الجملة في ترتيب تلك المؤلفات، وجعله أساساً يمكن الرّكون إليه في تفسير شيءٍ ممّا أشكل.

(١) الحلل في إصلاح الخلل ١٤٤ و منهج السّالك في الكلام على ألفية ابن مالك ١/ ١٥٨، وسيأتي مزيد بيان في بعض المصنفات التي خرجت عن ذلك النّهج.

المبحث الثّاني: عرض المصنفات وتقسيمات أبوابها على أساس نظرية الجمل:

لم يصل إلينا شيءٌ صحيح النِّسبة من المؤلفات النّحويّة في الصّدر الأوّل قبل الكتاب لسيبويه، والقول بأنّ النّحو في تلك الحقبة مضطرب الأبواب غامض[١]، وأنّه كان عبارة عن مسائل متفرقة[٢]ضربٌ من الظّن لا يغني من العلم شيئاً، يوهنه ما ذكر أهل التّراجم من مؤلفات لم نقف عليها، فقد ذكروا أنّ لنصر بن عاصم اللّيثي (ت ٨٩ هـ) كتاباً في العربيّة، وهو أحد تلاميذ أبي الأسود الدّؤلي، وذكر الرّافعي أنّه أول كتاب وضع في العربية[٣]، وذكر الأستاذ سعيد الأفغاني أنّ ليحيى بن يعمر (ت١٢٩هـ) أوليّة التّأليف، مستنداً في ذلك على ما ذكره القفطيّ[٤]، ثم يأتي بعد ذلك كتابا عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ) (الإكمال) و (الجامع)[٥]، وكلّ ذلك لم نقف عليه، بل قد أشار بعض المتقدِّمين

(١) ينظر: الباب النّحوي ١٢ و ٥٠ و الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ ٩٣.

(٢) ينظر: الباب النّحوي ١٢ و ٥٠.

٣(٣) ينظر: تاريخ العلماء النّحويين من البصريين والكوفيين ١٥٧ و تاريخ آداب العرب ١/ ٢٩١ و التّأليف النّحوي بين التّعليم والتّفسير ٦٥، ذكرت بعض المصادر كتابا في القراءات ليحيى بن يعمر ١٢٩هـ، ودراسة النّحو والقراءات مختلطة، إلاّ أننا لا نستطيع أن نجزم بما في هذا الكتاب لأننا لم نقف عليه (ينظر التّأليف النّحوي ٦٢).

(٤) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النُّحاة ١/ ٤٤ و من تاريخ النّحو ٣٥.

(٥) ينظر: أخبار النّحويين البصريين ٤٩ و طبقات النحويين واللغويين ٢٢و٢٣.

إلى عدم الوقوف على بعض هذه المؤلفات أو فقدها(١)؛ لذا فالحديث عن مناهج الصّدر الأوّل ضرب من الظنّ.

أمّا سيبويه فهو من أوائل من أسس ترتيب كتابه على الجمل في العربيّة، فقد صدر كتابه بالفاعل، بعد أن عرض لتفسيرات الكلم في العربيّة(٢)، ثمّ أعقبه بأبواب جلُّها لها علاقة بالجملة الفعليّة(٣)، وعليه فقد بدأ بالجملة الفعلية، ولم يفصل بين الجملة الفعليّة والاسميّة إلاّ بالجرّ بالحرف و التّوابع، وأدرج النّكرة والمعرفة مع التّوابع لارتباطها بها(٤)، ودار حديثه حول دراسة الجملة الفعليّة في جملة من الأبواب إلى أن وصل إلى دراسة الجملة الاسمية(٥).

ومما يدلّ على رسوخ دراسة الجملة وجعله أساساً في الترتيب لدى سيبويه ما ذكره حول المسند والمسند إليه في مقدّمة الكتاب قبل عرضه لأبواب النّحو(٦).

---

(١) قال السِّيرافي عن كتابي عيسى بن عمر (الإكمال والجامع): (وهذان الكتابان ما وقعا إلينا ولا رأيت أحدا يذكر أنّه رآهما) أخبار النّحويين البصريين ٤٩، وينظر : إنباه الرواة على أنباه النُّحاة ١ ٤٤ .

(٢) ينظر : الكتاب ١/ ٣٣ و النّحو التّعليمي في التّراث النّحويّ ٢٠_ ٢١.

(٣) من تلك الأبواب : إعمال المصادر والصفة المشبهة والحال والمفاعيل.. (ينظر : النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٠ _ ٢٢ و الباب النّحويّ ٥٢).

(٤) ينظر : الكتاب ١/ ٤١٩ و ٤٢١ و النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٠ _ ٢٢ و الباب النّحويّ ٢٢_ ٢٣.

(٥) ينظر: النّحو التّعليمي في التّراث العربي ٢٠ _ ٢٢ و الباب النّحويّ ٥٢.

(٦) ينظر : الكتاب ١/ ٢٣.

أمّا (**المقتضب**) للمبرّد فقد أشارت الدّكتورة خديجة الحديثي إلى أنّ المبرّد رتب مسائل الكتاب ترتيباً خيراً مما كانت عليه في الكتاب[١]، ويرى فريق من الباحثين أنّ المبرد خالف سيبويه، وأنّه مختلُّ التّرتيب[٢]، ولعلّ الخلل الذي وقع في ترتيب المخطوط هو ما جعل بعض الدّارسين يقعون في بعض إشكالات ترتيب أبوابه، فكتاب (المقتضب) لم يخرج على الصّورة التي أرادها المبرِّد، بل وقع التّقديم والتّأخير في أبوابه، فبعض أجزاء الجزء الرّابع هي أبواب (المقتضب) الأولى، وبعض أبواب الجزء الأوّل هي آخر الكتاب[٣]، وعلى هذا التّرتيب نجد أنّ المبرِّد بدأ بالنّحو قبل الصّرف[٤]، فقد بدأ بإعراب الأسماء والأفعال (المعرب والمبني)[٥]، ثم أعقب ذلك بباب الفاعل[٦]، وعرض بعد ذلك لحروف العطف

---

(١) ينظر: المبرد سيرته ومؤلفاته ٢٧٣ و ٢٧٩و٢٨١.

(٢) ينظر : المبرد سيرته ومؤلفاته ٢٨٣ و ٢٩٣ و ٢٩٤ ، و أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية ٥١٩ و تطور الدّرس النّحوي ٨٧ و مناهج التّأليف النّحوي للخالدي ٢٤٩_٢٥٠ ، و أصول التّأليف في مصادر التّراث النّحوي العربي ١٤٧ و مناهج التّأليف النّحوي عرض ومناقشة ٤٦ و الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربي ٩٣.

(٣) ينظر : مناهج التّأليف النّحوي للخالدي ٢٥٠ و المقتضب للمبرّد قراءة في تحقيقه ١٠٠ _ ١٠٦.

(٤) ينظر :المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٥) المقتضب ١/ ٣_ ٧ ، (١٤١ _ ١٦٦) المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥، الترقيم الأول لطبعة المقتضب الأولى ، وما بين قوسين للطبعة الثانية المتداولة ، وسأكتفى بالإشارة إلى الطبعة الأولى ، مع الإشارة إلى بحث أ د ماجد القرني في مجلة العلوم العربية، وهو على الشّابكة، العدد خمسون.

(٦) المقتضب ١/ ٨ ، و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

ومعانيها[١]، ثم أعقبه بمسائل التّمرين، ثم باب (المفعول الذي لم يسم فاعله)[٢]، ثم باب التّنازع[٣]، ثم باب (كان وأخواتها)، وقد عنون له (هذا باب الفعل المتعدي إلى مفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد)[٤]، ثم أعقبه بمسائل تتعلق بكان وأخواتها[٥]، وعرض بعد ذلك لـ (إن وأخواتها)[٦]، ثم مسائل من باب (كان) و (إنّ)[٧]؛ ليعرض بعد ذلك لباب (المبتدأ والخبر)[٨]؛ وبذلك نرى أنّه أسس بناء المقتضب كان على الجملة، فبعد أن عرض ما يتعلق بالفاعل، أعقبه بالفعل الذي يدخل على الجملة الاسمية فيغير تركيبها، وناسب أن يصله بباب (إنّ وأخواتها) فهي قائمة مقام الفعل مشبهة له؛ لذا قال في ترجمة الباب: (هذا باب الأحرف الخمسة المشبهة بالأفعال)[٩].

(مختصر النّحو) لابن سعدان الكوفي (٢٣١هـ)، اختصر ابن سعدان كتابه فقدم بمقدمة وضح فيها اليسير من مسائل الإعراب والبناء[١٠]، ثم بدأ

---

(١) المقتضب ١/ ١٠ ، و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٢) المقتضب ٤/ ٥٠ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٣) المقتضب ٤/ ٧٢ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٤) المقتضب ٤/ ٨٦ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٥) المقتضب ٤/ ٩٨ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٦) المقتضب ٤/ ١٠٧ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٧) المقتضب ٤/ ١١٥ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٨) المقتضب ٤/ ١٢٦ ، و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(٩) المقتضب ٤/ ١٠٧ و المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه ١٠٥.

(١٠) مختصر النّحو ٣٩.

بباب الفاعل والمفعول به[١]، وأعقبه باب النّعت[٢]، والإضافة وتقديم الفعل وتأخيره وحروف النّسق[٣]، والقطع (الحال)[٤]، ثم بيان التّاء الأصليّة وغير الأصلية، والنّون الأصلية وغير الأصلية[٥]، وحروف الخفض[٦]، وباب حروف التّوكيد، والأفعال المضارعة[٧]، وحروف الخفض[٨]،وحروف الرّفع، والظّن[٩]، والتّعجب[١٠]، إلى أن بلغ باب (ما لم يسم فاعله)[١١]، وهو الباب ذو العلاقة الرئيسة بباب الفاعل الذي بدأ به، وجعل المفعول به تابعاً لباب الفاعل كما سبق؛ لأنّ المفعول به مرتبطٌ بالجملة الفعلية، أو ما يقومُ مقامها، وذكر حروف الخفض والإضافة، ثم أتى بعد ذلك بباب الابتداء[١٢]، وهو الباب الآخر في بناء الجملة في العربيّة.

---

(١) مختصر النّحو ٤٠.

(٢) مختصر النّحو ٤١.

(٣) مختصر النّحو٤٢ _ ٤٥.

(٤) مختصر النّحو ٤٦.

(٥) مختصر النّحو ٤٧_ ٤٨.

(٦) مختصر النّحو ٥٤.

(٧) مختصر النّحو ٥٠ _ ٥٣.

(٨) مختصر النّحو ٥٤.

(٩) مختصر النّحو ٥٨ .

(١٠) مختصر النّحو ٥٩ .

(١١) مختصر النّحو ٦٠.

(١٢) مختصر النّحو ٦١ _ ١٠٧.

(**تلقين المتعلم من النّحو**) لابن قتيبة ت٢٧٦هـ، بعد مقدّمة بدأها بإعراب البسملة[١]، تحدث باختصار عن مسائل الإعراب[٢]، ثم بدأ بحروف الجرّ[٣]،وتابعه بجملة من المسائل المتعلقة بالحروف (حروف الرّفع، حروف الجزم، حروف النّصب، الحروف المبهمة وحروف الاستثناء والمضمرة)[٤]، ثم تحدّث عن باب الفاعل و نائبه[٥]، ثم أتبعه بباب المبتدأ و الخبر[٦]، وهنا نجد تمحور الكتاب حول الجملة الاسميّة، وقد قدّم بدراسة الحروف، وذلك لا يعارض بناء ترتيبه على أساس الجملة.

(**الموفّقي**) لابن كيسان (ت ٢٧٨هـ)، فبعد البدء بباب الإعراب والبناء وما يلحق به من تقسيم معاني الكلام[٧]، أتى بما يوجب الرّفع، فذكر من المرفوعات الفاعل ومالم يسم فاعله، والمبتدأ والخبر، واسم (كان)، وخبر (إنّ)[٨]، ثم عقب بما يوجب النّصب[٩]، وما يوجب الخفض[١٠]، ثم التّوابع[١١]، ثم بعد

---

(١) تلقين المتعلم ٥ .

(٢) تلقين المتعلم ١٤ .

(٣) تلقين المتعلم ١٦ .

(٤) تلقين المتعلم ١٦ _ ٧٦.

(٥) تلقين المتعلم ٧٧ _ ٧٨ .

(٦) تلقين المتعلم ٨٥ .

(٧) الموفقي ٩٦ _ ١١٢.

(٨) الموفقي ١١٣ .

(٩) الموفقي ١١٤.

(١٠) الموفقي١١٦.

(١١) الموفقي١١٩.

ذلك أعاد الحديث عن مسائل (الابتداء وكان وإن وأخواتها وظن وأخواتها وما النّافية والتّعجب والاستفهام)، وجعله ضمن الحديث عن الابتداء فقال: ومما يجري مجرى الابتداء وخبره[١]، وما لم يسم فاعله[٢]، ثم تحدث عن مسائل الصّرف[٣]، ثم تحدث عن بعض الأبواب النّحوية كالاستثناء و (الإغراء) و (التّمييز) و (نعم وبئس)، ونواصب الفعل المضارع والعدد، و (لا) و ما وحروف القسم...[٤].

وتصدير ابن كيسان الحديث عن المرفوعات بشقيها قبل أن يشرع بسائر لهو خير دليلٍ على اعتماد الجملة في العربيّة أساساً في الترتيب.

(الشّجرة) لأبي إسحاق الزّجاج (ت ٣١١هـ)، بعد أن أوجز الإعراب والبناء وما يتعلق بهما[٥]، بدأ ببيان المرفوعات، مبتدئاً بالفاعل ونائبه، ثم المبتدأ وخبره، وخبر إنّ وأخواتها، ثم تابع المرفوع[٦]، ثم بين أوجه النّصب[٧]، وتابع المنصوب، وأوجه الجرّ وتابع المجرور[٨]، ثم بين الحروف التي ترفع بعدها الأسماء[٩]، وبعد ذلك بدأ ببيان بعض ما أجمله من أحوال الجملة وما يدخل

---

(١) الموفقي ١٣٨.

(٢) الموفقي ١٤٢.

(٣) الموفقي١٤٣ _ ١٦٢.

(٤) الموفقي١٦٢ _ ١٨١.

(٥) الشّجرة ٨١_ ٨٥.

(٦) الشّجرة ٨٦.

(٧) الشّجرة ٨٧.

(٨) الشّجرة ٨٨ .

(٩) الشّجرة ٨٩ .

عليها (كان وأخواتها، وظنّ، وإنّ)[١]، ثم بين ما يجرّ الأسماء من حروف الجرّ و الظُّروف والأسماء[٢]، ونلاحظ أنه في كلّ ذلك يقدّم أحكام المرفوع قبل المنصوب والمجرور، ثم ختم كتابه باب (الاستثناء)[٣]، والقول فيه كالقول في (الموفقي) لابن كيسان.

أمّا ابن السّراج (ت ٣١٦هـ)، فقد وصل إلينا من تراثه النّحويّ كتابان: (**الأصول**) و (**الموجز**)، فالأصول كان واضح التّقسيم حسن التّرتيب[٤]، وقد أشار في مقدّمته إلى منهجه في التّرتيب والتّقسيم[٥]، فبعد أن عرض مسائل تتعلق بتعريف الاسم والفعل والحرف و مسائل الإعراب والبناء[٦]، بدأ بذكر الأسماء المرفوعة[٧]، مبتدئاً بالمبتدأ[٨]، ثم الفاعل[٩]، وجعل بعض الأبواب ذات العلاقة بالفعل والفاعل كـ (نعم وبئس)، و (الأسماء التي عملت عمل الفعل)

---

(١) الشّجرة ٨٩ _ ٩١.

(٢) الشّجرة ٩٢_ ٩٦.

(٣) الشّجرة ١١١ .

(٤) ينظر: منهج كتاب سيبويه في التقويم النّحوي ٢١ و مناهج التّأليف النّحوي عرض ودراسة ٤٦ .

(٥) الأصول ١/ ٥٧.

(٦) الأصول ١/ ٣٦ _ ٥٥.

(٧) الأصول ١/ ٥٨.

(٨) الأصول ١/ ٥٨.

(٩) الأصول ١/ ٧٢ .

بعد باب (الفاعل)[١]، ثم عرض للمنصوبات[٢]، ثم ذكر الأسماء المجرورة[٣]، ثم تحدث عن التّوابع[٤]، ثم عرض للمنوع من الصّرف[٥]، ثم باب الأسماء المبنية[٦]، وإعراب الأفعال وبنائها[٧]، ثم عرض لحروف المعاني[٨]، ثمّ عرض لبعض الأبواب التي لها علاقة بما قبلها كباب (التّقديم والتّأخير)[٩]، فبعد أن قدّم أصول الأبواب عرّج على مسائل لها علاقة بها، إلاّ أنّها لا يمكن أن تدرك قبل ما سبقها من أبواب ومسائل، ثم ختم بالصّرف[١٠]، وعرض لمرفوع (كان) في المرفوعات، ومنصوبها في المنصوبات[١١]، كما عرض لـ (ما) الحجازية و (لا) و (لات) في المرفوعات[١٢]، وعرض لـ (إنّ وأخواتها) في المنصوبات فقط، ولم يذكر مرفوعها في المرفوعات[١٣]، وكذا (**الموجز**)، فقد قدّم الاسم المرتفع بعد مقدّمة

---

(١) الأصول ١/ ١١١ _ ١٤٨.
(٢) الأصول ١/ ١٥٨.
(٣) الأصول ١/ ١١٦ و ٢/ ١١
(٤) الأصول ٢/ ١٩ .
(٥) الأصول ٢/ ٧٩.
(٦) الأصول ٢/ ١١١ .
(٧) الأصول ٢/ ١٤٥.
(٨) الأصول ٢/ ٢٠٦.
(٩) الأصول ٢/ ٢٢٢.
(١٠) الأصول ٢/ ٣٩٨ و الجزء الثالث من الكتاب .
(١١) الأصول ١/ ٨٢ و ٢٢٨ (وقال في جزء المنصوبات قد مضى شرح ذلك).
(١٢) الأصول ١/ ٩٤ _ ٩٧.
(١٣) الأصول ١/ ٢٢٩.

الإعراب[١]، وهو عمدة الكلام في العربية، وأساس بناء الجملة، وعرض بعد ذلك للأفعال التي لا تتصرف والأسماء التي عملت عمل الفعل[٢]،ولا تخفى علاقتها بالجملة، ثم ذكر الأسماء المنصوبة[٣]،ثم ذكر المجرورات[٤]، وأعقب ذلك بالتّوابع[٥]، والممنوع من الصّرف[٦]، وإعراب الفعل[٧]، وباب الحكاية[٨]، ثم ختم كتابه بمسائل صرفية[٩]، وما صنعه في (كان وأخواتها وإنّ وأخواتها) في **(الأصول)** صنعه في **(الموجز)**، فالموجز تلخيص للأصول كما هو ظاهر من تبويب الأبواب وتقسيمها.

وهو بذلك يقسم كتابيه على قسمين: النّحو والصّرف، ثم يقسم النّحو إلى: الأسماء والأفعال و الحروف، كما هو ظاهر، ثم في داخل تقسيمه يقدّم ركني الجملة، فيبدأ بالمبتدأ والفاعل، إلاّ أنّه عرض في أبواب المنصوبات لمسائل تتعلق بالفاعل[١٠]، ولعلّ الذي دفعه العلاقة بينها وبين المفعول به، وهذا يوضح لنا أثر بناء الجملة في كتابه.

---

(١) الموجز ٣٤.

(٢) الموجز ٣٦ _ ٣٩.

(٣) الموجز ٤٠.

(٤) الموجز ٦١.

(٥) الموجز ٦٧.

(٦) الموجز ٧٢.

(٧) الموجز ٨٦.

(٨) الموجز ٨٩.

(٩) الموجز ٩٣.

(١٠) الأصول ١/ ٥١ _ ٥٧.

(**التّفاحة في النّحو**) لأبي جعفر النَّحاس (ت٣٣٨)، فبعد مقدّمة الإعراب قدّم الحديث عن الفاعل ومفعوله[١]، ثم ذكر باب الابتداء[٢]، ثم عرض لحروف الجرّ[٣]، وأتى بعد ذلك على بعض ما يدخل على الجملة الاسمية (كان وأخواتها)[٤]، والجملة الفعلية (نواصب الفعل المضارع وجوازمه)[٥]، ثم حروف الرّفع[٦]؛ ولعلّ هذا ما يجعلنا نقول إنّ حضور الجملة بادٍ في ترتيبه، فقد قدّم بدراسة الفاعل والمبتدأ، ثم أعقبه بالمجرورات وما يدخل على الجملتين، ثمّ عرض للتّوابع[٧]، ثم ذكر بعض المنصوبات (الحال، الظّروف الإغراء والتّحذير التّمييز النّداء والاستثناء)[٨]،وختم بالتّأنيث وألفات الوصل، والأسماء التي لا تتصرف[٩].

(**الجمل في النّحو**)، لأبي إسحاق الزّجاجي (ت٣٤٠هـ)، فبعد حديثه عن الإعراب و البناء قدّم الفاعل ومفعوله[١٠]، ثمّ أتى بالتّوابع[١١]، والأفعال

---

(١) التّفاحة ١٧ .

(٢) التّفاحة ١٨.

(٣) التّفاحة ١٩.

(٤) التّفاحة ٢٠.

(٥) التّفاحة ٢٠ _ ٢٢.

(٦) التّفاحة ٢٤ .

(٧) التّفاحة ٢٦.

(٨) التّفاحة ٢٩_ ٣٢.

(٩) التّفاحة ٣٤ _٣٩.

(١٠) الجمل ١٠.

(١١) الجمل ١٣_ ٢٧.

المتعدية واللازمة[١]، وهذا الباب مرتبط بالجملة الفعلية، ثم عرض لباب الابتداء[٢]، فجعل الابتداء يتلو الفاعل، ثم عرض لـ (كان وأخواتها وإنّ وأخواتها)، وهذه الأبواب مرتبطة بالجملة الاسميّة كما لا يخفى، ثمّ أتى بحروف الخفض والقسم[٣]، ثم تحدث عن بعض الأبواب المتعلّقة بعمل الفعل (مالم يسم فاعله، واسم الفاعل وأمثلة المبالغة والصِّفة المشبهة)[٤]، وفي هذه الأبواب يعرض لمسائل نحويّة وصرفيّة؛ لحاجة هذه الأبواب لها، وأتى على باب الإضافة؛ فنظر للمجرور بالحرف والقسم فجعله بعد (كان وأخواتها)، و (إن وأخواتها)، وبعد (المبتدأ)[٥]؛ لأنّه تحدّث في هذه الأبواب عمّ يدخل على الجملة الاسميّة فيغير من أحكامها، وسمّاها حروفاً وإن كان بعضها أفعالاً، وجعل (الإضافة) بعد أبواب لا ترتبط بباب الإضافة كباب (العدد، والفصل، والجمع بين إن وكان، والتأريخ)[٦]، ثم أتى على جملة من المنصوبات[٧]، ثم الممنوع من الصّرف وإعراب الفعل[٨]، وعاد لبعض المنصوبات (الاستثناء التمييز...)[٩]، وختم

---

(١) الجمل ٣٢.

(٢) الجمل ٣٦.

(٣) الجمل ٦٠_٧٠.

(٤) الجمل ٧٦_٩٤.

(٥) الجمل ٦٠_ ٧٠.

(٦) الجمل ١٤٤.

(٧) الجمل ١٤٧_١٨٢.

(٨) الجمل ١٨٢_٢٢٨.

(٩) الجمل ٢٣٠_٢٤٢.

بالصّرف[١]، وجعل بعض أبواب النّحو بين أبواب الصّرف كـ (أحكام لولا والموصولات)، وباب (الحكاية)و (القول)[٢].

وسار أبو علي الفارسيّ (ت٣٧٧ هـ) ــ في (**الإيضاح**)ــ على النّحو الذي قد مضى من البدء بمقدمات الإعراب والبناء[٣]، ثم بدأ بباب الابتداء[٤]، ثم الخبر[٥]، وباب الفاعل[٦]، ثم أتى بالأبواب الأخرى، وأخر التّوابع[٧].

وعلى أثرِ شيخه سار ابن جني (ت٣٩٢هـ) في (**اللّمع في العربيّة**)[٨] فقدّم الابتداء والخبر[٩] ثم أتى بباب الفاعل[١٠]، ثم أتى بأبواب المنصوبات[١١]، ثم الأسماء المجرورة[١٢]، ثم أتى بالتّوابع[١٣]، وصنيعهما ظاهرٌ في مراعاة الجملة أساساً في ترتيب أبواب النّحو.

---

(١) الجمل ٢٤٥.

(٢) الجمل ٣٢٥_ ٣٤٥.

(٣) الإيضاح ٥١ _ ٧٢.

(٤) الإيضاح ٧٣.

(٥) الإيضاح ٨٢.

(٦) الإيضاح ١٠٦.

(٧) الإيضاح ٢٩١ .

(٨) ينظر: أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير والعربية ٥٢٠.

(٩) اللّمع ٧١ و ٧٢.

(١٠) اللّمع ٧٩.

(١١) اللّمع ١٠١.

(١٢) اللّمع ١٢٧و ١٣٦.

(١٣) اللّمع ١٣٨.

(**الواضح**) لأبي بكر الزُّبيدي (٣٧٩هـ)، بعد أن عرض لأقسام الكلام[١]، تحدث عن الأفعال وأقسامها[٢]، ثم عرض لباب الفاعل من خلال حديثه عن الأفعال التي لا تتعدى فاعلها إلى مفعول[٣]، ثم الفعل الذي يتعدى فاعله إلى مفعول واحد[٤]، ثم الأفعال التي تتعدى فاعلها إلى مفعولين[٥]، والمفعول الذي لم يسم فاعله[٦]، وهذه الأبواب تمثل ما يتعلق بالجملة الفعليّة، والفاعل مذكور في تبويبها ودراستها، فهو يدرس الفاعل والمفاعيل داخل الجملة الفعلية، ولم يكن مقصده الحديث عن الأفعال بذاتها، لذا قدّم دراسة (حَسِب وظنّ)[٧]؛ لأنّه نظر إلى كون ما بعدهما فاعلاً ومفعولاً، وأخر الحديث عن (كان وأخواتها)[٨]، فـ (كان) إذا كانت ناقصة ليس لها فاعل، فهي وما بعدها داخلٌ في دراسة الجملة الاسميّة، ثم أتى لأدوات الخفض والإضافة[٩]،ثم النّعت والعطف[١٠]، ليخلص إلى الابتداء والخبر[١١]، ثم يتحدث بعد ذلك عن (إن

---

(١) الواضح ٤٧ _٤٩.

(٢) الواضح ٤٩_ ٥٠.

(٣) الواضح ٥٠.

(٤) الواضح ٥٢.

(٥) الواضح ٥٥.

(٦) الواضح ٥٧.

(٧) الواضح ٥٥.

(٨) الواضح ٧٧.

(٩) الواضح ٥٩ _ ٦٢.

(١٠) الواضح ٦٤ _ ٦٩.

(١١) الواضح ٧٠.

وأخواتها و كان وأخواتها)[١]، ثم عرض بعد ذلك لإعراب الفعل[٢]، مما يؤكد أنّ حديثه أولاً كان المقصود به الجملة الفعلية، ثم أتى بأبواب نحويّة، ليست من أصل الجملتين[٣]، وختم بأبواب صرفيّة[٤]، جعل بينها بعض الأبواب النّحويّة، ليست من أصل الجملتين[٥].

(التّبصرة والتّذكرة) للصَّيمري (توفي في القرن الرّابع)، فقد عرض أولاً لباب الابتداء والفاعل[٦]، فربط الجملتين في أوّل كتابه، ثم أعقبه بالفعل الذي يتعدى إلى مفعول واحد[٧]، والذي يتعدى إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر[٨]، والذي يتعدى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر (ظن وأخواتها)[٩]، والذي يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل (أعلم وأرى)[١٠]، ثم أتى على حروف العطف وأبواب التّوابع[١١]، ثم عرض (لكان وأخواتها و إن وأخواتها)[١٢]، وإعمال اسم

---

(١) الواضح ٧٤ _٧٦ .
(٢) الواضح ٨١_ ٨٩.
(٣) الواضح ٩٠_٢٢١.
(٤) الواضح ٢٢٢_٣٢٢ .
(٥) الواضح ٢٧١ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و٣١٠.
(٦) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٩٩ و ١٠٦.
(٧) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١٠٩.
(٨) التّبصرة والتّذكرة / ١١٠.
(٩) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١١٣.
(١٠) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١١٩.
(١١) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١٣١_ ١٨٣
(١٢) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١٨٥ _ ٢١٦.

الفاعل والمفعول وصيغ المبالغة والصِّفة المشبهة[١]، وإعمال المصدر[٢]، ثم أتى على المفعولات[٣]، وسائر المنصوبات، ثم الجرّ، وأخر من المنصوبات (الحال والتّمييز والظّروف والنّداء والاستغاثة والنّدبة والتّرخيم والاستثناء)[٤]، ثم أتى على إعراب الأفعال، وبعض الأبواب كالقسم وحتى و الممنوع من الصّرف[٥]، ثم على أبواب الصّرف[٦].

وهكذا تجد الجملة بشقيها حاضرةً في تأليفه، فالأفعال الدّاخلة على ما ليس أصله المبتدأ والخبر لا يَغْبَى ارتباطها بالجملة الفعلية، كما لا يغبى ارتباط الأفعال التي أصلها المبتدأ والخبر بالجملة الاسمية، وإن خالف في بعض الأبواب، فقد أرجأ باب (كان وأخواتها وإن وأخواتها)_ بعد ذكر الأفعال المتعدية والتّوابع _ وهما يدخلان على ما أصله المبتدأ و الخبر، وقد بين ذلك الصّيمري[٧]، وأخر أبواباً من المنصوبات و أبوابا أخرى كالحال و النِّداء و التّمييز و القسم عن الجرّ[٨].

---

(١) التّبصرة والتّذكرة ١/٢١٦_ ٢٤٦.

(٢) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٢٥٤ _ ٢٥٨.

(٣) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٢٨٢.

(٤) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٢٩٧_ ٣٧٧

(٥) التّبصرة والتّذكرة ١/ ٣٩٥_ ٥٢٥.

(٦) التّبصرة والتّذكرة ٢/ ٥٣٩.

(٧) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١٨٥ و ١٨٧.

(٨) التّبصرة والتّذكرة ١/ ١٨٤ و (٢٩٧ _ ٥٢٥).

(**الملحة**) للحريري٥١٦هـ، قدّم المجرورات[١] في أول كتابه، ثم بدأ دراسة المبتدأ والخبر والفاعل، مقدّما بها على غيرها من الأبواب الأخرى[٢]، ولم يفصل بينهما إلاّ بالاشتغال[٣]، ولا تخفى علاقة الاشتغال بالجملتين، وجعل باب التّصغير[٤]، والنّسب[٥] قبل التّوابع والممنوع من الصّرف، والضّرورات الشّعرية وإعراب الفعل والبناء[٦]، فجعل أبوابا صرفيّة تفصل مسائل النّحو عن بعضها.

وفي تقديمه دراسة المبتدأ والخبر والفاعل وعدم الفصل بينهما بفاصل ــسوى الاشتغالــ دلالة على أنّ دراسة الجملتين يمثل أساساً في دراسته للمسائل النّحو، أما تقديمه الجرّ لربما كان في الجملتين الاسمية أو الفعلية؛ لذا فالتقديم به مطلب تعليميّ.

(**المفيد في النّحو**) لأبي الحسن بن بابشاذ ت٤٦٩هـ، بعد المقدّمة التي تحدث فيها عن النّشأة والإعراب والبناء[٧]، عرض في الفصل الثّاني للفعل وما يتعلق به من أحكام[٨]، ثم في الفصل الثّالث عرض للحروف وما يتعلق بها من أحكام[٩]سواء أكانت هذه الحروف تدخل على الأسماء ك (إنّ وأخواتها)، أو

---

(١) شرح الملحة ١٢٢ و ١٣٥ و ١٣٩.

(٢) شرح ملحة الإعراب ١٤٣ و ١٥٥.

(٣) شرح ملحة الإعراب ١٥٣.

(٤) شرح الملحة ٢٦٥.

(٥) شرح الملحة ٢٨٠.

(٦) شرح الملحة ٢٨٦ ــ ٣٧٢.

(٧) المفيد في النّحو٢٩ ــ ٥١.

(٨) المفيد في النّحو ٤٨.

(٩) المفيد في النّحو ٥٢.

على الأفعال كـ (أنْ لن وكي)، ثم عرض للمعرب والمبني وحدهما، وما يتعلق بأحكام المعربات[١]، ثم قسّم كتابه إلى الرّفع وعلاماته، وهو الفصل الرّابع[٢]، ثم النّصب وعلاماته، وهو الفصل الخامس[٣]، ثم الجرّ، وهو الفصل السّادس[٤]، ثم الجزم وعلاماته والمجزومات، وهو الفصل السّابع[٥]، وفي مقدّمته يعتمد على جانبين عام يتعلق بالأفعال والأسماء و الحروف، والجانب الآخر في تقسيمه، يتحدث عن ما تحدثه العوامل من رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزمٍ، يقدّم بذكر العلامات الإعرابيَّة قبل الحديث عن أنواع المعمولات، وإن كان قد ختم كتابه بقوله (تم المفيد لعوامل الإعراب)، فهو يشير إلى دراسة العوامل دون أن يذكر أنّه قسم كتابه على العوامل.

ونلاحظ أنّه في باب المرفوعات و المنصوبات لا يقصره على الحديث على المرفوع والمنصوب من الأسماء بل يتحدث عن المرفوع والمنصوب من الأفعال، كما أنّه يتحدث عن (كان وأخواتها) عقب (الفاعل)، ويجعل اسمها مما شبه بالفاعل[٦]، ويشير إلى أنّه تم الحديث عن (إنّ) وأخواتها في الحروف العاملة[٧]،

---

(١) المفيد في النّحو ٥٩.

(٢) المفيد في النّحو ٧٤.

(٣) المفيد في النّحو ٨٢.

(٤) المفيد في النّحو ٨٨.

(٥) المفيد في النّحو ٩٠.

(٦) المفيد في النّحو ٨٠.

(٧) المفيد في النّحو ٨١.

وتصديره المبتدأ والخبر والفاعل على غيرها من الأبواب، وربطه كان وأخواتها بالفاعل، دليلٌ على استحضار الجملة في ترتيبه وتقسيمه لأبواب الكتاب.

وإن رأينا الاتساق في بعض تقسيماته وترتيب أبوابه إلاّ أنّ تكراره الحديث عن المجزومات في بابين، وجعل الفعل المضارع المجزوم باباً مستقلاً عن إعراب الفعل يشكل؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى اختصاص الجزم بالأفعال، فذكرها عقب ما يخص الأسماء، وهو الجرّ، وكان قد تحدث عن رفع الفعل المضارع، ونصبه في المرفوعات والمجرورات.

وفي (**المقدِّمة المُحْسِبة**) سار على ما سار عليه في (**المفيد**) إلا أنّه اكتفى بذكر ما يتعلق بالجرّ والجزم عند ذكر الحروف في المقدّمة[١]، ثم ذكر المرفوعات والمنصوبات[٢] دون أن يعرض للمجرورات والمجزومات.

وعلي بن فضال المجاشعيّ (٤٧٩هـ) في (**المقدِّمة في النّحو**) يقسِّم مقدِّمته على مسائل النّحو والصّرف[٣]، ثم يقسم النّحو على مسائل إعراب الأسماء، ومسائل الأفعال وإعرابها[٤]، ثم يقسم مسائل النّحو على أبواب الأسماء: المرفوعة و المنصوبة و المجرورة[٥]، ثم التّوابع، إلاّ أنّه يبدأ كتابه بالمبتدأ والخبر، ثم

---

(١) شرح المقدّمة المحسبة ٤٦٢ _ ٤٩٩.

(٢) شرح المقدّمة المحسبة ٤٦٥ و ٥٧٢.

(٣) المقدّمة في النّحو ٨٦ _ ٨٨.

(٤) المقدّمة في النّحو ٦٠.

(٥) المقدّمة في النّحو ٢٨ _٥٩.

يتبعه بالفاعل[١]، وجعل باب (كان وأخواتها)[٢]، و (إنّ وأخواتها) و (ما) و (لا)[٣]، بعد باب المفعول الذي لم يسم فاعله، فدرس هذه الأبواب ضمن الأسماء المرفوعة، مع أنّ خبر (كان) واسم (إن) من المنصوبات، وهذا يؤكد حضور دراسة الجملة في التّرتيب، فأصل مرفوع هذه الأبواب ومنصوبهما المبتدأ والخبر، كما لا يخفى[٤].

أمّا الزّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) في (**المفصّل**)[٥]، فقد قسّم كتابة أربعة أقسام: الأسماء والأفعال والحروف والمشترك، وهو تقسيم ابتدعه لم يسبق إليه[٦]، إلاّ أنّه جعل المرفوعات وهما ركنا الجملة أوّل الكتاب، مما يوضح الأساس الذي أشرنا إليه في المؤلفات السّابقة.

وابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في (**المقدِّمة الكافية**)[٧]، قسّم كتابه على الإعراب والبناء، فبدأ بالمرفوع والمنصوب والمجرور، ثم التّوابع من الأسماء ثم المبني من الأسماء، ثم عرض للفعل وأحكامه إعرابا وبناء، ثم الحروف، ولم يجعل قسماً

---

(١) المقدّمة في النّحو ٨٦ _ ٨٨.

(٢) المقدّمة في النّحو ٣٠.

(٣) المقدّمة في النّحو ٣٠ _ ٣٣.

(٤) وقد فعل ذلك أيضا في (شرح عيون الإعراب) إلاّ أنه لم يذكر الصّرف.

(٥) المفصّل ٤٤و ٤٧.

(٦) ينظر: الباب النّحوي ٢٨

(٧) شرح المقدّمة الكافية لابن الحاجب ١/ ٣٢٣ و ٢/ ٣٥٣ .

للمشترك كما فعل الزّمخشري[١] إلاّ أننا نلحظ تقديمه ما يتعلق بالجملة الفعلية والاسميّة على غيره من الأبواب.

وابن مالك في (**الألفية في النّحو والصّرف (الخلاصة)**) بدأ بمقدّمة الإعراب والبناء وما يتعلق به، يقسمها على النّحو والصّرف[٢]، وإن كان عرض لبعض القضايا المتعلقة في مسائل صرفية بين الأبواب النّحوية[٣]، ثم يذكر ما يتعلق بالجملة الاسميّة (المبتدأ والخبر)، وما دخل على المبتدأ والخبر[٤]، ثم يذكر ما يتعلق بالجملة الفعلية مبتدئاً بالفاعل وما يتعلق به[٥]، ثم يوالي بالمفاعيل التي تأتي عقب الجملة الفعلية التي عاملها الفعل أو ما يقوم مقامه، وتبعها بالاستثناء والحال والتّمييز[٦]، ثم يذكر حروف الجرّ و الإضافة[٧]، وإعمال المصدر واسم الفاعل واسم المفعول[٨]، ويقفو هذه الأبواب بأبواب صرفيّة لها علاقة بما سبقها، وهي (أبنية المصادر وأسماء الفاعلين والصّفة المشبهة)[٩]، ثم يأتي بعمل الصّفة المشبهة باسم الفاعل، ثم يعرض إلى الأبواب التي هي في حقيقتها أساليب

---

(١) ينظر مقدمة تحقيق : شرح المقدّمة الكافية لابن الحاجب ١/ ٦٣_ ٦٨.

(٢) ألفية ابن مالك ٧١_ ١٦٠.

(٣) ألفية ابن مالك وهي باب (أبنية المصادر ١٢٣) و(أبنية أسماء الفاعلين والصفات المشبهة بها ١٢٦) و باب (الصّفة المشبهة باسم الفاعل ١٢٧) ، .

(٤) ألفية ابن مالك ٨٦_ ٩٨.

(٥) ألفية ابن مالك ٩٩ .

(٦) ألفية ابن مالك ١٠٦_ ١١٤.

(٧) ألفية ابن مالك ١١٥_ ١٢١.

(٨) ألفية ابن مالك ١٢١-١٢٣ .

(٩) ألفية ابن مالك ١٢٣_١٢٦.

جرت مجرى المثل كالتّعجب و (نعم وبئس)[١]، ثم التّوابع[٢]، وبعد ذلك يعرض إلى منصوبات كان العامل فيها مقدّراً كالنّداء والتّرخيم والاستغاثة[٣]، ثم يعرض لأسماء الأفعال والأصوات ونون التوّكيد وما لا ينصرف[٤]، ليخلص بعد ذلك إلى إعراب الفعل[٥]، ويعقبه بأدوات تتعلق بباب الشّرط وبعض أدوات لا تتعلّق به، وهي (لو وأمّا ولولا ولوما)[٦]، ثم يأتي بأبواب الإخبار بالذي والألف واللام والعدد وكم وكأين وكذا والحكاية[٧]، وهذه الأبواب مرتبطة ببعضها عدا (الإخبار بالذي والألف واللام) الذي يضعه النّحاة للتّدريب والامتحان[٨] ثم يختم بأبواب الصّرف[٩]، أمّا (العدد) فهو باب يقع في الجملتين، ومحور درسه يتعلق بتذكيره وتأنيثه وتمييزه، و (كم وكأين وكذا) ألفاظ جرت مجرى أسماء العدد في طلب التّمييز[١٠]، ثم يختم بأبواب الصّرف[١١]، وهكذا تراه يناسب

(١) ألفية ابن مالك ١٢٨_ ١٣٠.

(٢) ألفية ابن مالك ١٣١_١٣٨ .

(٣) ألفية ابن مالك ١٣٩_١٤٦.

(٤) ألفية ابن مالك ١٤٦_١٤٩.

(٥) ألفية ابن مالك ١٥١_ ١٥٥.

(٦) ألفية ابن مالك ١٥٥ وينظر المقاصد الشّافية ٦/ ١٧٨.

(٧) ألفية ابن مالك ١٥٥ _١٥٩.

(٨) ألفية ابن مالك ينظر : المقاصد الشّافية ٦/٢٠٥.

(٩) ألفية ابن مالك ١٦٠_ ١٨٧.

(١٠) ألفية ابن مالك ينظر: المقاصد الشّافية ٦/ ٢٩٤.

(١١) ألفية ابن مالك ١٦٠_ ١٨٧.

بين الأبواب، وينظر إلى العلاقة بينها وإن لم يشر إلى ذلك[١]، والنّظر إلى بناء الجملتين في الألفية ظاهرٌ[٢].

والقول بأنّ ابن مالك سار على تقسيم واحد في جميع كتبة[٣]، فيه نظرٌ، فقد خالف التّرتيب في (عمدة الحافظ وعدّة اللّافظ) في كثير من الأبواب ك (الفاعل وكان وأخواتها و إنّ وما و لا ولات والمنادى وحروف الجرّ وإعراب الفعل والحال و الإضافة)[٤]، وكذا في (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) فقد أضاف باب (القسم)، وجعله بين الجرّ بالحرف والجرّ بالإضافة[٥]، وخالف في ترتيب (العدد كم وكأين وكذا)، والمجرورات، وغير ذلك من الأبواب[٦]، وكذلك

(١) ينظر: منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفية ٣٦١.

(٢) ينظر: منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفية ٣٦٤ ، استشكل الدّكتور سلطان العوفيّ ترتيب ابن مالك، ووضعه باب الجرّ عقب ما يتعلّق بالجملة، فذكر أنّ القسم الرّابع في الألفية أبوابٌ تتعلق بالفعل، وأشار إلى بابي الجرّ و الإضافة، وقد يكون ذلك ممكنا في باب الجرّ؛ لارتباطه بما يتعلق به من تقدير فعل أو اسم، أمّا الإضافة فلا يتضح ذلك ، ولعلّ الأولى القول بأنّ ابن مالك رأي ما جرى عليه كثير من العلماء من تأخيره الجرّ عقب المرفوعات و المنصوبات ، فسار على طريق من سبقه، فالجرّ موجودٌ في أحدى الجملتين، ولا يمكن أن يستقلّ عنهما، ولربّما كان أحد ركنيهما، كأنْ يكون الفاعل أو المفعول أو المبتدأ أو الخبر .

(٣) ينظر: منهج ابن مالك في في ترتيب أبواب الألفية ٢٤٠ و ٣٦١.

(٤) ينظر: شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ ١١٥٥/٢ و ١١٥٦ و ١١٥٧.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣٤٩.

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣٥١ و ٣٥٢.

في (سبك المنظوم وفك المختوم)، خالف في ترتيب بعض أبوابه على غير ما كان في كتبه الأخرى[1].

(١) ينظر: سبك المنظوم وفك المختوم ٣٠٠.

المبحث الثّالث: الجملة أساس بناء الكلم في العربيّة.

مما سبق يظهر لنا أثر بناء الكلام العربيّ في كثير من تقسيمات المؤلفات النّحويّة، ظهر ذلك من خلال تقديم الحديث عن الكلام وما تتم الفائدة به، فالجملة كانت حاضرة في الدرس النّحوي، ولا أدلّ على ذلك من تقديمهم المرفوعات في جلّ مصنفاتهم(١).

وقد أشار سيبويه في مقدّمة كتابه إلى ركني الإسناد، إسناد الاسم، وإسناد الفعل، وهما أساس دراسة الجملة في العربيّة، المتمثلة بالمبتدأ والخبر، وجملة الفعل والفاعل(٢)، قال سيبويه: ((باب المسند والمسند إليه، وهما مالا يستغني واحد منهما عن الآخر، و لا يجد منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: (عبدالله أخوك)، و (هذا أخوك)، ومثل ذلك قولك: (يذهب زيدٌ)، فلابد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء))(٣)، ثم عقب بجملة ثالثة فقال: ((ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبدُ الله منطلقاً))، ثم قال: ((فالمبتدأ أوّلُ جزء كما كان الواحدُ أوّلَ العدد))(٤)، فتمثيل سيبويه بالجملتين، وإيضاحه أنّ الكلام لا يكون إلاّ بهما، وبيان ما يدخل الجملة فيغير إعرابها في أوّل كتابه، ثم بدأه بباب الفاعل؛ وجعل الأبواب التي بين الفاعل والمبتدأ تابعةً لهذين الأصلين له خيرُ دليلٍ على أساس

---

(١) ينظر : المعنى الإسنادي في الجملة العربية ٤١ ــ ٤٢ و مصطلح الجملة بين التراث العربي والدراسات الغربية المعاصرة ٣٤٤ و الأسس المنهجيّة لتبويب النّحو العربيّ ١٣٦.

(٢) الكتاب ١/٢٣و ٣٣ و منهج كتاب سيبويه في التّقويم النّحوي ٣٢.

(٣) الكتاب ١/ ٢٣.

(٤) الكتاب ١/ ٢٣و٢٤.

التّرتيب لدى النّحاة، قال ابن الدَّهان: ((ومرتبة الرَّفع في الاسم قبل أخويه؛ لأنّه يتلئبُّ به كلامٌ مع عدمها، ويفترقان في الفائدة إليه))[١]، ((وهو معتمد البيان))[٢]، ((فلا يوجد كلام مفيدٌ ليس فيه رفع))[٣]، فالجمل الاسميّة تقوم على المبتدأ والخبر، وهما مرفوعان، والجملة الفعليّة تبدأ بالفعل وفاعله، والفاعل مرفوعٌ أبداً؛ لذا كان أساس بناء الكتب التّعليمية في الغالب هو الجملة بشقيها.

والجملة حاضرة في أساس ترتيب أبواب النّحو العربيّ، ذلك أنّ لكلِّ لغة أساساً تبني عليها تراكيبها، وأساس العربيّة هو الجملة بشقيها: جملة المبتدأ والخبر، وجملة الفاعل وفعله، فهما كما ذكر ابن جني قواعد الحديث[٤]؛ لذلك قامت دراسة النّحو على تحليل أجزاء الجملة[٥]، فوجدنا بعض العلماء يقدّم دراسة الجمل في مطالع كتبهم[٦]، وما حديث المصنفين وبيان أنواع الكلم إلاّ لإيضاح ما تتم به الفائدة، وهو الجملة التي هي مناط دراستهم.

والجملتان أساسهما الرّفع؛ قال المبرّد: ((وإنّما كان الفاعل رفعاً؛ لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السُّكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، إذا قلت: (قام زيد)، فهو بمنزلة قولك: (القائمُ

---

(١) الفصول في العربية ٤.

(٢) شرح عيون الإعراب ٧١.

(٣) الفضة المضية شرح الشّذرة الذّهبية ٣٩.

(٤) الخصائص ١/ ٣٠ و موضوعات في نظرية النّحو العربي ١٠٧.

(٥) موضوعات في نظرية النّحو العربي ١٠٧.

(٦) ينظر: موضوعات في نظريّة النّحو العربي ١٠٧.

زيدٌ)))[1]، قال أبو الحسن الورّاق: ((ووجه آخر وهو أنّ الفاعل قد بيّنا أنّه مشبهٌ للمبتدأ، إذ كان هو و الفعل جملة، فحسن السكوتُ عليها، كما أنّ المبتدأ والخبر جملة يحسن عليها السّكوت، فلمّا وجب للمبتدأ أن يكون مرفوعاً، حمل الفاعلُ عليه))[2]، قال ابن السّراج: ((فالفاعل مضارع للمبتدأ من أجل أنهما جميعاً محدث عنهما، وأنهما جملتان لا يستغني بعضهما عن بعض))[3]، وقال أيضاً: ((اعلم أنَّ أصول الكلامِ جملتان: فعلٌ وفاعلٌ،ومبتدأ وخبرٌ))[4]، وحينما عرض للمنصوبات أشار إلى أنّ ((المنصوب يذكر بعد أن يستغني الرافع بالمرفوع...))[5]، ((وحكى النّحاس عن أبي اسحاق الزّجاج أنَّه قال: رفعت المبتدأ؛ لأنّه في المعنى يشبه الفاعل؛ لأنك تحدّث عنه كما تحدث عن الفاعل))[6]، وقال أبو البركات الأنباري: ((الفاعل يشبه المبتدأ، والمبتدأ مرفوع، فكذلك ما أشبهه، ووجه الشّبه بينهما أنّ الفاعل يكون هو والفعل جملة، كما يكون المبتدأ مع الخبر جملة))[7]، وقال العُكبريُّ: ((وإنّما بدئ بالمرفوع؛ لأنّ الجملة المفيدة تتمُّ بالمرفوع، و لا منصوب معه و لا مجرور، ولا تجد منصوباً و

(١) المقتضب ١/ ٨.

(٢) علل النّحو ٢٦٩.

(٣) الأصول ١/ ٥٨.

(٤) الأصول ٢/ ٢٧٦.

(٥) الأصول ١/ ١٥٩.

(٦) الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل ١٤٦.

(٧) أسرار العربية ٦٣.

لا مجروراً إلاّ ومعه مرفوع لفظاً أو تقديراً))[١]، وقال ابن يعيش: ((قدم الكلام في الإعراب على المرفوعات؛ لأنّها اللّوازم للجملة والعمدة فيها والتي لا تخلو منها، وما عداها فضلة يستقلُّ الكلام دونها))[٢]، وقال التيجانيّ: ((إنما قدّم المرفوعات؛ لأنّ الرّفع مستغن عن النّصب والجرّ، فإنّ الكلام يتمّ به دونهما))[٣]، وهذا هو مفهوم الأصالة في البناء، فكان للجملة حظّها من التّقديم في الدِّراسة قبل غيرها من الأبواب، وقال الرَّضي: ((قدّم المرفوعات على المنصوبات والمجرورات؛ لأنّ المرفوع عمدة الكلام كالفاعل والمبتدأ والخبر والبواقي محمولة عليه، والمنصوب في الأصل فضلة، لكن يشبه بها بعض العمدة كاسم (إن) وخبر (كان) وأخواتها وخبر (ما) و (لا)، والمجرور في الأصل منصوب المحل))[٤]، وقال أبوحيان: ((وإنما يبتدأ بالمرفوعات؛ لأنّه لا يخلو منها كلام، ولا تكون إلاّ عمداً غير صالحة للاستغناء عنها)[٥]، وقال الشَّاطبيّ: ((هنا ابتدأ كلامه في الأحكام التّركيبية، والتّراكيب كلُّها راجعة عند الاعتبار إلى الجملتين: جملة اسمية، وهي المصدرة بالاسم، وهي جملة المبتدأ والخبر، وجملة فعلية، وهي مصدرة بالفعل، وهي جملة الفعل والفاعل، وإلى هاتين الجملتين ترجع التّراكيب الإفادية كلُّها))[٦]، وقد قيل: إنّ رافع المبتدأ شبهه بالفاعل، كما قيل: إنّ رافع

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/ ١٢٤ .

(٢) شرح المفصّل ١/ ١٧٣.

(٣) الكافي شرح الهادي ١/ ٣٤٩.

(٤) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ١/ ٢٠٠.

(٥) شرح اللمحة البدرية ١/ ٢٩١ و ينظر : شرح المقدّمة المُحسبة ١٠٠.

(٦) المقاصد ١/ ٥٨٩ ، وينظر : منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفية ٣٧٦.

الفاعل شبهه بالمبتدأ، وقيل: بأصالة المبتدأ[١]، وهذا هو مفهوم الأصالة في البناء، فكان للجملة حظّها من التّقديم في الدِّراسة قبل غيرها من الأبواب.

وهذه النّظرة مرتبطة بالاتجاه التّعليمي في مؤلفات النّحو التّعليمية، وأكثر المناهج الحديثة شيوعا ترى الجملة تتكون م (Subjec، وهو الفاعل أو المبتدأ ويسمى الموضوع ويعادل المسند إليه عند النّحاة العرب (pred_icate)، وهو يخبر عن الموضوع، ويسمى المحمول ويعادل المسند[٢].

والجملة الاسمية هي عند اليونان رابطة بين عنصرين اسميين، يكونان عبارة مكتفية بنفسها، والجملة الفعلية تتميز بوجود الفعل[٣].

يقول المستشرق الفرنسي جيرار تروبو: ((لا شك أنّ النّظام في كل لغة له أهمية كبرى؛ لأنّ النّظام النّحوي يعبر عن بنية اللّغة، ويصوغ أفكار النّاطقين بها))[٤].

وقد سبقت الإشارة إلى ما ذكره البطليوسيّ وأبوحيان من أنّه لا خلاف في أنّ رتبة المرفوع قبل المنصوب والمجرور[٥]، وأشار بعض المتأخرين إلى أنّ وضع المرفوعات أولاً محلّ اتفاق بين النّحاة[٦]، وقد خالف هذا النّهج إمام النُّحاة

---

(١) ينظر : شرح جمل الزّجاجي لابن الضّائع ١/ ١٤٤ و شرح اللمحة البدرية ١/ ٢٩٦ و ٢٩٧.

(٢) الجمل الفرعية في اللغة العربية ٢٩.

(٣) النّحو بين العرب واليونان ١٠٨.

(٤) مصطلح الجملة ٣٥٦.

(٥) الحلل في إصلاح الخلل ١٤٤ و منهج السّالك في الكلام على ألفية ابن مالك ١/ ١٥٨، وسيأتي مزيد بيان في بعض المصنفات التي خرجت عن ذلك النّهج.

(٦) الأسس المنهجيّة لتبويب النّحو العربيّ ١٣٣.

سيبويه، فقد عرض للجرّ و التّوابع[١] قبل أن يشرع في الحديث عن باب الابتداء[٢]، وقدّم ابن شقير النّصب على غيره، مُعلِّلاً ذلك؛ ((بأنّه أكثر الإعراب طرقاً ووجوهاً))[٣]، وقدّم أبوبكر الزُّبيدي في كتابه (الواضح) المجرورات معنوناً لها بـ (باب أدوات الخفض) و (باب الإضافة[٤]و (النّعت)[٥]و (العطف)[٦] قبل أن يبدأ بباب المبتدأ والخبر[٧]، أمّا الفاعل فقد ذكره في باب (الأفعال التي لا تتعدى فاعلها إلى مفعول) يريد: الأفعال اللّازمة[٨]، وقدم الحريريُّ (المجرورات)[٩] قبل أن يشرع في (الابتداء والفاعل)، وقدّم أبو عبد الله الحسين الدّينوري باب (المجرورات) على المنصوبات، فجعله بعد المرفوعات مباشرة[١٠]، وقدّم ابن معطي الحديث على المجرورات، فجعل (حروف الجرّ)[١١]و

(١) ينظر: الكتاب ١/ ٤١٩ _ ٤٢١ ، أما المنصوبات التي عرض لها قبل ذلك فلها علاقة بالجملة الفعلية.

(٢) ينظر: الكتاب ٢/ ١٢٦ ، وليس معنى ذلك أنه لم يعرض لمسائل الابتداء قبل ذلك، بل عرض لها في مواطن قبل أن يشرع في باب الابتداء (ينظر: فهارس كتاب سيبويه لمحمد عبد الخالق عضيمة ١٤٠).

(٣) المحلى ١ ، وغير خافٍ اختلاف الباحثين في نسبة الكتاب .

(٤) الواضح ٥٩_ ٦٢.

(٥) الواضح ٦٤ .

(٦) الواضح ٦٨.

(٧) الواضح ٧٠ .

(٨) الواضح ٥١.

(٩) شرح ملحة الحريري١٢٢ _ ١٣٥.

(١٠) ثمار الصّناعة ٢٤٦.

(١١) ينظر: الصفوة الصفية في شرح الدّرة الألفية ٢٦٣/١.

(القسم)[١]في أوّل الكتاب عند الكلام على الإعراب والبناء قبل أن يشرع في أبواب النّحو الرئيسيّة، ثم عرض للفاعل وأعقبه بالمفاعيل والتّوابع، ثم أتى بالمبتدأ والخبر[٢]؛ قال ابن الخبّاز ــ معلقاً على صنيع ابن معطي ــ ((والذين رتبوا النّحو كابن السّراج وأبي عليّ وابن جنّي يذكرون المجرورات بعد المنصوبات))[٣]، وابن طاهر في (المقدّمة المحْسِبة) تحدث عن جملة من المنصوبات كـ (الاستغاثة والنُّدبة والنِّداء) قبل المرفوعات والمنصوبات، فعرض للاسم المضاف في مقدمة كتابه[٤]، كما قدّم (الحروف العاملة) و (غير العاملة) وبين أحكامها وعرض إلى (حروف الجرّ ومعانيها) بين حروف (النَّصب والجزم)[٥]، ثم انتقل إلى المرفوعات والمنصوبات، ولم يذكر الجرّ بابا مستقلا، كما فعل في (المفيد في النّحو) وعرض بل ذكر حروف الجر ومعانيها بين حروف النصب والجزم، وقدّم الشّلوبين في (التّوطئة) الفاعل ثم ألحق به المفعول والتّوابع والظّرف الحال، ثم أتى بباب المبتدأ والخبر، وقدّ م المجرور بالحرف على بعض المفاعيل: (المندوب معه وله والتّحذير).

(١) ينظر: الصفوة الصفية في شرح الدّرة الألفية ٣٢٢/١.

(٢) ينظر : الصفوة الصفية في شرح الدّرة الألفية ٢/ ٨٣٣ ــ ٨٣٨ .

(٣) الغرة المخفية ٩٦.

(٤) شرح المقدّمة المحسبة ١٣٥.

(٥) شرح المقدّمة المحسبة ٤٨٦.

وإن رأى بعض الدّارسين في ذلك اضطراباً في منهج التّأليف النّحويّ(١)، إلاّ أنّنا إذا أدرنا الحديث على نظريّة بناء الكلام على أساس الجملتين تبيّن لنا اتساق المنهج في الغالب، فعلاقة هذه الأبواب بالجملة ظاهرٌ، إذ إنّ منها ما هو أصلٌ من أحدى الجملتين، كالجرّ بالحرف أو الجرّ بالإضافة، إلاّ أنّ علامته الإعرابيّة أخرجته من أن يكون ضمن المرفوعات، فأخره كثيرٌ من المتأخرين، بينما نرى كثيراً من المتقدّمين ــ كما سبق ــ يجعلونه مقدّماً أو يفصلون به بين الجملة الفعليّة وجملة الابتداء، أو يؤخرونه عقب دراسة الجملتين مقدّماً على المنصوبات.

ومنها ما هو تابع للجملتين كباب التّوابع، ومنها ما هو أحد أركان الجملتين كإعراب الفعل، وعمل ما ألحق به، ومنها ما أحد أركان الجملتين إلاّ أنّه جرى مجرى المثل كالتعجّب ونعم وبئس.

أمّا الصّرف ومسائله فهناك من فصل مسائله عن مسائل النّحو، إلاّ أنّ علاقة بعض أبوابه بالجملتين اضطرهم إلى جعل بعض مسائله تزاحم أبواب النّحو الأخرى فتكون في أثناء أبواب النّحو ومسائله.

---

(١) ينظر: الأسس المنهجيّة لتبويب النّحو العربيّ ٥٤، ٧١، ٢٣٢ و ٢٣٣، وقد ذكروا عللاً لهذا الاضطراب، وليس القصد مناقشة ما عرض من علل (٢٣٢،٢٢٥ ــ ٢٣٧).

نتائج البحث:

١/ عرض البحث إلى آراء الباحثين التي عرضت لترتيب أبواب النّحو فظهر التباين في بعض ما ذكره الدّارسون، وهو أمرٌ تفرضه المصنفات النّحويّة وتداخل أبوابها.

٢/كثيرٌ من الدّارسين يعرضون لمناهج العلماء دون النّظر لما ذكره العلماء في مقدّمة كتبهم.

٣/ بيان تفسيرُ بعض الأبواب كالمجرورات تقديماً وتأخيراً، على ضوء الجملة لدى المتقدّمين.

٤/ الجملة هي أساس البناء؛ لذا كانت محط أنظار كثير من العلماء في مصنفاتهم، فقد كان سيبويه والمبّرد وابن السّراج والفارسيّ من أوائل من اعتمدوا ذلك في مصنفاتهم.

٥/ العناية بالمرفوعات هو أساس في التّعليم، فهو ييسر كثيراً من طرق تعليم العربيّة على النّاشئة، وذلك من خلال نظريّة التراكيب النّحويّة، ثمّ يعقبه النّصب، أمّا المجرورات فهي من أركان الجملة الاسميّة أو الفعليّة؛ لذا فالتّقديم بها يسهل على الطّالب إدراك اللّغة المستعملة.

٦/ استعراض كتب النّحو والنّظر فيها مليّاً يهدينا إلى كثير من دقائق هذا العلم.

المصادر والمراجع

- أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التّفسير والعربية، وآثاره في القراءات والنّحو، د عبد الفتاح شلبي، دار المطبوعات الحديثة،جدّة،الطّبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- أخبار النَّحويين البصريين، للسِّيرافِيّ، تحقيق د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق د.رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- الإرشاد إلى علم الإعراب، لشمس الدِّين محمَّد بن أحمد القُرشيِّ الكِيشيِّ، تحقيق د. عبد الله علي الحسيني و د. محسن سالم العميري، مطبوعات جامعة أم القرى، مكَّة، ١٤١٠ هـ.
- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د.محمّد راضي، ووائل محمود، مراجعة د فيصل الحفيان، الوعي الإسلاميّ، وزارة الأوقاف، الكويت، الطّبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- الأسس المنهجية لتبويب النّحو العربيّ، د احميدة العوني، الطّبعة الأولى، دار الكتب العلمية. ١٤٣٦هـ.
- أصول النّحو العربيّ، د محمد عيد، عالم الكتب، الطّبعة الخامسة، ٢٠٠٦.
- أصول التّأليف في مصادر التّراث النّحويّ العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري، زروقي جمعة،كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر،٢٠١٨_٢٠١٧.
- الأصول في النَّحو، لأبي بكر بن السَّرَّاج، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ألفيّة ابن مالك (الخلاصة)، تحقيق د. سليمان عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الطّبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، لجمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ١٤٠٦هـ.

- أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، لابن هشام الأنصاريّ، تحقيق محمد محي الدِّين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، صيدا _ بيروت،١٤١٥هـ.
- الإيضاح العضدي، لأبي علي الفارسيّ، تحقيق د.حسن شاذلي فرهود، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- الإيضاح في شرح المفصَّل، لابن الحاجب، تحقيق د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدّين، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الباب النّحويّ بحث في المنهج، ليلى شكورة، رسالة ماجستير جامعة محمد خيضر، بسكرة، ١٤٣٤هـ.
- البديع في علم العربية، لمجد الدين بن الأثير، تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين و د. صالح حسين العايد، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.
- البسيط في شرح جمل الزّجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق د. عيَّاد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- البسيط في شرح الكافية، لركن الدّين الاسترا باذي، تحقيق د. حازم سليمان، المكتبة الأدبيّة المختصّة، ١٤٢٧هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة، لجلال الدين السُّيوطيّ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت.
- البيان في شرح اللّمع، للشَّريف عمر الكوفيّ، تحقيق د. علاء الدِّين حَمْويَّة، دار عمَّار، عمَّان، ١٤٢٣ هـ.
- تاريخ العلماء النَّحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، للمفضَّل بن محمَّد بن مِسْعَر، تحقيق د. عبد الفتَّاح محمَّد الحلو، مطبوعات جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، الرِّياض، ١٤٠١هـ.
- التّأليف النّحويّ بين التعليم والتفسير، د وضحة الميعان، مكتبة العروبة، الكويت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- التّأليف النّحويّ عرض ومناقشة
- التَّبصرة و التَّذكرة، للصَّيمريّ، تحقيق د. فتحي أحمد مصطفى علي الدين، جامعة أمّ القرى، مكَّة، ١٤٠٢هـ.

- التَّخمير (شرح المفصَّل في صنعة الإعراب)، لصدر الأفاضل الخوارزميّ، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- التَّذييل و التَّكميل في شرح كتاب التَّسهيل، لأبي حيَّان الأندلسي، تحقيق أ. د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطّبعة الأولى.
- ترشيح العلل، للخوارزميّ، تحقيق عادل محسن العميري، معهد البحوث العلميّة وإحياء التّراث الإسلاميّ، الطّبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد،لابن مالك، تحقيق د.محمد كامل بركات، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٣٨٧هـ.
- التَّصريح بمضمون التَّوضيح، لخالد الأزهريّ، تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الزَّهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطّبعة الأولى.
- تطور الدّرس النّحوي، د حسن عون، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربيّة، ١٩٧٠.
- التّفاحة في النّحو، لأبي جعفر النّحاس، تحقيق عبدالإله الشايع، دار الصميعي، الرياض، الطّبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.
- تلقين المتعلِّم من النَّحو، لابن قتيبة، تحقيق عبد الله النَّاصير، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤١٣هـ.
- تلقيح الألباب في عوامل الإعراب، للشنتينيّ، تحقيق د.معيض العوفي، دار المدني، جدّة، الطّبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لناظر الجيش، تحيق أ د علي محمد فاخر وآخرون، دار السّلام، القاهرة، الطّبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- توجيه اللُّمع، لابن الخبَّاز، تحقيق د. عبد الله عمر الحاج، مكتبة المتنبي، الطّبعة الأولى،١٤٣٨هـ.
- التَّوطئة، لأبي علي الشلوبيني، تحقيق يوسف أحمد المطوع، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٤٠١هـ.
- التّهذيب الوسيط في النّحو، لابن يعيش الصّنعاني، تحقيق د. فخر صالح قداره، دار عمّار، الطّبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- ثمار الصناعة في علم العربيّة، لأبي عبدالله الدينوري، تحقيق د محمّد الفاضل، إدارة الثقافة والنّشربجامعة الإمام، ١٤١١هـ
- الجمل في النَّحو، للزجَّاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار الأمل-إربد، ١٤٠٥هـ.
- الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، د. معصومة عبد الصاحب، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- خصائص التّأليف النّحوي في القرن الرّابع الهجري، د سعود أبو تاكي، دار غريب، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- الحُلل في شرح أبيات الجمل، لابن السِّيد البطليوسيِّ، تحقيق د. مصطفى إمام، مكتبة المتنبيّ، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الدّرر في شرح الإيجاز، لقطب الدّين النّيسابوريّ، تحقيق أ د محسن العميري،مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- سبك المنظوم وفك المختوم، لابن مالك، حققه د.عدنان محمّد سلمان و د فاخر جبر مطر، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التّراث دبي، الطّبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- الشّجرة، لأبي إسحاق الزّجاج، تحقيق د. يوسف بن حسين خنيفر، دار ابن حزم، بيروت، الطّبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- شرح الألفيّة، للمراديّ، تحقيق د. فخر الدّين قباوة، دار المعارف، الطّبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- شعر الأخطل، تحقيق د.فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ.
- شرح ألفيَّة ابن مالك، لابن النّاظم، تحقيق د. عبد الحميد السيد، دار الجيل، بيروت.
- شرح ألفيَّة ابن معط، لعبد العزيز بن جمعة الموصليِّ، تحقيق د. علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجيّ، الرِّياض، ١٤٠٥هـ.
- شرح التَّسهيل، لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون، هجر للطِّباعة و النشر، القاهرة، ١٤١٠هـ.

- شرح جمل الزّجاجي، لابن الضّائع، تحقيق د. يحي حسّون، دار بغداد، الطّبعة الأولى، ٢٠٢٦م.
- شرح جمل الزّجاجي، لابن خروف، تحقيق د. سلوى محمد عمر عرب، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
- شرح جمل الزّجاجي، لابن عصفور، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- شرح الجمل في النَّحو، لابن بابشاذ،تحقيق د. علي بن توفيق الحمد، عالم الكتب، الطّبعة الأولى، ٢٠١٦.
- شرح الجمل في النّحو، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. خليل عبد القادر عيسى، دار ابن حزم، الطّبعة العاشرة، ١٤٣٢ هـ.
- شرح الجمل، لابن الفخار، تحقيق د. روعة محمّد ناجي، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- شرح الحدود النّحويّة، للفاكهي، تحقيق د. صالح العايد، جامعة الإمام، ١٤١١هـ.
- شرح عمدة الحافظ وعدَّة اللافظ، لابن مالك، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف العراقيَّة، ١٣٩٧هـ.
- شرح عيون الإعراب، لعلي بن فضَّال المجاشعيِّ، تحقيق د. عبد الفتَّاح سليم، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- شرح الفريد، لعصام الإسفراييني، تحقيق نوري ياسين، الفيصلية، مكة المكرمة، الطّبعة الأولى، ١٤٠٥هـ
- شرح الكافية، للرَّضيِّ، تحقيق د. حسن بن محمد الحفظيّ و د. يحي بشير مصريّ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطّبعة الأولى.
- شرح الكافية، لعبد العزيز بن جمعة الموصليِّ، تحقيق د. علي الشوملّي، دار الكنديّ–إربد و دار الأمل–إربد، ١٤٢١هـ.
- شرح الكافية الشّافية، لابن مالك، تحقيق د. عبد المنعم هريدي، جامعة أم القرى،١٤٠٢هـ.

- شرح اللُّمع، للأصفهاني أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، تحقيق د. إبراهيم بن محمد أبو عباة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرّياض، الطّبعة الأولى.
- شرح اللّمع، لابن بَرهان العكبري، تحقيق د. فائز فارس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – قسم التراث العربي، الكويت، ١٤٠٤هـ.
- شرح اللّمع في النَّحو، للواسطيِّ الضَّرير، تحقيق د. رجب عثمان محمَّد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ.
- شرح اللّمحة البدريّة، لابن هشام الأنصاري، تحقيق د صلاح راوي، دار مرجان، مصر، الطّبعة الثانية.
- شرح المفصَّل، لابن يعيش، تحقيق د. إبراهيم محمّد عبد الله، دار سعد الدّين، الطّبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.
- شرح المقدَّمة الجزوليَّة الكبير، لأبي علي الشّلوبين، تحقيق د. تركي بن سهو العتيبيّ، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- شرح المقدّمة الكافية، لابن الحاجب، تحقيق د.جمال عبد العاطي مخيمر، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطّبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- شرح ملحة الإعراب، للحريريِّ، تحقيق بركات يوسف هبود، المكتبة العصريَّة، صيدا ــ بيروت، ١٤١٨ هـ.
- الصَّفوة الصَّفيَّة في شرح الدُّرَّة الألفيَّة، لتقي الدِّين إبراهيم بن الحسين المعروف بالنِّيليِّ، تحقيق أ.د محسن بن سالم العميريّ، مطبوعات جامعة أمَّ القرى، مكَّة، ١٤١٩ هـ.
- الضّروري في صناعة النّحو، لابن رشد، تحقيق د منصور علي، دار الفكر العربي، الطّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ القاهرة.
- طبقات النَّحويين و اللغويين، للزُّبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطّبعة الثَّانية.
- عقود الزّبرجد في إعراب الحديث النّبويّ، للسِّيوطي، تحقيق د. سلمان القضاة، دار الجيل، ١٤١٤هـ.
- علل النَّحو، لابن الورَّاق، تحقيق د. محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ.

- الغرّة المخفيَّة في شرح الدُّرَّة الألفيَّة، لابن الخبَّاز، مخطوط في مكتبة أحمد الثَّالث بتركيا، برقم (٢٢٣٦).
- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر، لمحمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق د. ممدوح محمد خسارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – التراث العربي , الكويت، ١٤٢٣هـ.
- الفصول الخمسون، لابن معطي، تحقيق د.محمود الطّناحي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- الفضّة المضيّة في شرح الشذرة الذّهبيّة، لأحمد العاتكيّ، تحقيق د. هزّاع المرشد، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الطّبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الفوائد و القواعد (الصَّحيح أنَّه شرح اللمع)، للثَّمانيني، تحقيق د. عبد الوهاب محمود الكحلة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح، لابن أبي الربيع، تحقيق د. فيصل الحفيان، مكتبة الرشد، الرياض،١٤٢٢هـ.
- الكافي في شرح الهادي، للزّنجانيّ، تحقيق أ د. محمود فجال، د. أنس محمود فجال،
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- كشف المشكل في النَّحو، لحيدرة اليمني، تحقيق د. هادي عطية مطر، دار عمَّار، الأردن، ١٤٢٣هـ.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، لجامع العلوم أبي الحسن الباقولي، تحقيق دعبد القادر السعدي، دار عمَّار، عمَّان ١٤٢١ هـ.
- اللّباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبريّ، تحقيق د.غازي مختار، دار الفكر، الطّبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- اللمع في العربيَّة، لابن جنّي، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب و مكتبة النَّهضة العربيَّة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- اللؤلؤة في علم العربيّة وشرحها، ليوسف السُّرَّمَرّي، تحقيق د. أمين عبد الله سالم، مطبعة الأمانة، الطّبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- المبرد سيرته ومؤلفاته، د خديجة الحديثي، دارالشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.
- المحرّر في النّحو، للهرميّ اليمنيّ، تحقيق د. أمين عبدالله سالم، مؤسسة العلياء، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- المحصول في شرح الفصول، لابن إياز، تحقيق د. شريف عبدالكريم النّجار، دار عمّار، الطّبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- المحلّى (وجوه النَّصب)، لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير البغداديّ، تحقيق د. فائز فارس، مؤسسة الرِّسالة ــ بيروت، و دار الأمل ــ إربد، ١٤٠٨هـ.
- مختصر النَّحو، لابن سَعْدان الكوفيّ، تحقيق د. حسين أحمد بوعبَّاس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيَّة، جامعة الكويت، الحوليَّة السَّادسة والعشرون، الرِّسالة السَّابعة والثَّلاثون بعد المئتين، ١٤٢٦هـ.
- المرتجل في شرح الجمل، لابن الخشَّاب، تحقيق علي حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ.
- المسائل المنثورة، للفارسيّ، تحقيق د. شريف عبد الكريم النَّجَّار، دار عمَّار، عمَّان، ١٤٢٤ هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، الطّبعة الأولى.
- مفتاح الإعراب، لمحمَّد بن عليّ بن موسى الأنصاريّ المحليّ، تحقيق د. محمَّد عامر أحمد حسن، مكتبة الإيمان، القاهرة، ١٤٠٥ هـ.
- المصباح في النّحو، للمطرّزيّ، تحقيق مقبول علي النّعمة، دار البشائر الإسلاميّة، الطّبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- مصطلح الجملة بين التّراث العربي والدّراسات الغربيّة المعاصرة، د محمّد الصّالح بوضياف، مجلة إشكالات، المجلد ٧، العدد ٠٢،السنة ٢٠١٨.
- العوامل المئة النّحويّة في أصول العربيّة، لعبد القاهر لجرجاني، شرح الشيخ خالد الأزهري، تحقيق د البدراوي زهران، دار المعارف، مصر، الطّبعة الثالثة.
- المعنى الإسنادي في الجملة العربية بين التأصيل والفنيّة، مراد قفي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر (باتنة)، الجزائر، ١٤٢٨_١٤٢٧هـ.

- المغني في النَّحو، لابن فلاح اليمنيّ، تحقيق الدكتور عبد الرزاق السعدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٩ م.
- المفصَّل في علم العربيَّة، للزَّمخشريّ، تحقيق د. فخر صالح قدارة، دار عمَّار، عمَّان، ١٤٢٥ هـ.
- المقدّمة في النّحو، لعليّ بن فضال المجاشعي، تحقيق د حسن شاذلي فرهود، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٨٠.
- المفيد في النّحو، لابن باشاذ، تحقيق د. محسن العميري، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشّاطبي، تحقيق د. عبد الرَّحمن العثيمين و د. محمَّد البنَّا و د. عيَّاد الثبيتي و د. عبد المجيد قطامش و د. سليمان العايد و د. السَّيِّد تقي، مطبوعات جامعة أمِّ القرى، مكَّة، ١٤٢٨هـ.
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. كاظم بحر مرجان، وزارة الثقافة و الإعلام العراقيَّة، ١٩٨٢م.
- المقتضب، للمبرِّد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- المقتضب (للمبرد) قراءة في تحقيقه، د.ماجد عمر القرني، مجلة العلوم العربيّة جامعة الإمام، الرّياض، العدد ٥٠، ١٤٤٠هـ.
- المقرَّب، لابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، الطّبعة الأولى ١٣٩١ هـ.
- الملخَّص في ضبط قوانين العربيَّة، لابن أبي الربيع، تحقيق د. علي بن سلطان الحكمي، ١٤٠٥هـ.
- من تاريخ النّحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، الطّبعة الثّانية، ١٣٨٩هـ.
- منهج السّالك في الكلام على ألفيّة ابن مالك، لأبي حيّان، تحقيق د. شريف عبد الكريم النّجار، د. يس أبو الهيجاء، عالم الكتب الحديث، الطّبعة الأولى، ٢٠١٥.
- مناهج التّأليف النّحوي، د.كريم حسين الخالدي،ل دار صفاء، عمّان، الطّبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

- مناهج التّأليف النّحوي عرض ومناقشة، د غانم قدوري الحمد،مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد،دبي، السنة الحادية عشرة، العدد الرابع والأربعون، ذو القعدة، ١٤٢٤هـ.
- منهج كتاب سيبويه في التقويم النّحويّ كتاب سيبويه في التقويم النّحوي، د محمد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ١٩٨٩.
- منهج ابن مالك في ترتيب أبواب الألفيّة، سلطان عواض العوفيّ، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانيّة، السنة الخامسة، العدد ١١، ١٤٣٧هـ.
- المنهل الصّافي في شرح الوافي، لأبي بكر الدّماميني، تحقيق د. فاخر جبر مطر، دارالكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، ٢٠٠٨.
- الموازنة بين نظرية العامل ونظرية تضافر الأدلة في الدرس النحوي، د. بهاء الدين عبدالرحمن، نشر نور، المكتبة الوطنية الألمانية.
- الموجز في النَّحو، لابن السرَّاج، تحقيق د. مصطفى الشويمي و بن سالم دامرجي، مؤسسة أ. بدران، بيروت، ١٣٨٥هـ.
- الموشح على كافية ابن الحاجب، للخبيصي، تحقيق د. شريف عبد الكريم النّجار، دار عمّار، الطّبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
- موضوعات في نظريّة النّحو العربي دراسات موازنة بين القديم والحديث، د زهير غازي، دار الزّمان، دمشق، الطّبعة الأولى، ٢٠١٠.
- الموفور من شرح ابن عصفور، لأبي حيّان، تحقيق مصطفى أبو السعود، درة الغواص، الطبعة الأولى،١٤٤١هـ.
- الموفقي في النّحو، لابن كيسان، تحقيق د.محمّد أحمد الوليد، دار النّابغة، الطّبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.
- النّحو التّعليمي في التّراث العربي، د محمّد إبراهيم عباده، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- النّحو بين العرب واليونان، د إبراهيم خليفة شعلان، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية، الطّبعة الأولى، ١٤٢٩.
- النُّكت الحسان في شرح غاية الإحسان، لأبي حيان، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي،مؤسسة الرسالة، الطّبعة الثالثة، ١٤٠٨.

- النّكت على الألفيّة والكافيّة والشّافيّة والشّذور والنّزهة،للسيوطي، تحقيق دفاخر جبر مطر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطّبعة الأولى١٤٢٨هـ.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسِّيوطيّ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة،١٤٢١هـ.
- الواضح، لأبي بكر الزّبيديّ، تحقيق د. عبدالكريم خليفة، دار جليس الزّمان، الطّبعة الثّانية، ٢٠١١.

***

Index of sources and references

-Abu Ali al-Farsi, his life and his place among the imams of interpretation and Arabic, and his effects on readings and grammar, Dr. Abdel Fattah Shalabi, Modern Publications House, Jeddah, third edition, 1409 AH.

-News of the Visual Grammarians, by the Serafi, achieved by Dr. Muhammad Ibrahim Al-Banna, Dar Al-I'tisam, Cairo, 1405 AH.

-Relishing beatings from Lisan Al-Arab, by Abu Hayyan Al-Andalusi, investigated by Dr. Rajab Othman Muhammad, Al-Khanji Library, Cairo, 1418 AH.

-Guidance to the science of syntax, by Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed Al-Qurashi Al-Kishi, achieved by Dr. Abdullah Ali Al-Husseini and d. Mohsen Salem Al-Amiri, Umm Al-Qura University Publications, Mecca, 1410 AH.

Asrar Al-Arabiya, by Abu Al-Barakat Al-Anbari, investigated by Dr. Muhammad Radi and Wael Mahmoud, revised by Dr. Faisal Al-Hafyan, Islamic Awareness, Ministry of Endowments, Kuwait, first edition, 1436 AH.

-Methodological foundations for tabulating Arabic grammar, Dr. Hamida Al-Awni, first edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya. 1436 AH.

-Origins of Arabic Grammar, Dr. Muhammad Eid, World of Books, Fifth Edition, 2006.

-Origins of authorship in the sources of the Arabic grammatical heritage from the second century AH to the tenth century AH, Zerrougui Jumaa, Faculty of Arts and Languages, Kasdi Merbah University, Algeria, 2017_2018.

Al-Osoul fi Grammar, by Abu Bakr bin Al-Sarraj, investigated by Dr. Abdul-Hussein Al-Fatli, Al-Resala Foundation, Beirut, 1405 AH.

Alfiya Ibn Malik (Summary), investigated by Dr. Suleiman Abdel Aziz Al-Ayouni, Dar Al-Minhaj Library, first edition, 1432 AH.

Attention to the narrators on the attention of the grammarians, by Jamal Al-Din Al-Qafti, achieved by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi in Cairo, and the Cultural Books Foundation in Beirut, 1406 AH.

-The clearest paths to Alfiya Ibn Malik, by Ibn Hisham Al-Ansari, investigated by Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Al-Mataba Al-Asriyyah, Sidon - Beirut, 1415 AH.

-Al-Iddah Al-Addi, by Abu Ali Al-Farsi, investigated by Dr. Hassan Shazly Farhoud, Dar Al-Uloom, Riyadh, 1408 AH.

-Clarification in Sharh Al-Mofassal, by Ibn Al-Hajeb, investigated by Dr. Ibrahim Muhammad Abdullah, Dar Saad al-Din, first edition, 1425 AH.

-Grammar section, Research in Curriculum, Laila Shakoura, Master's Thesis, Muhammad Khider University, Biskra, 1434 AH.

-Al-Badi' in the Science of Arabic, by Majd Al-Din bin Al-Atheer, investigated by Dr. Fathi Ahmed Ali El Din and d. Saleh Hussein Al-Ayed, Umm Al-Qura University, 1420 AH.

Al-Basit fi Sharh Al-Zajji's Camel, by Ibn Abi Al-Rabi`, achieved by Dr. Ayyad bin Eid Al-Thubaiti, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, 1407 AH.

Al-Basit fi Sharh Al-Kafia, La Rukn Al-Din Al-Istra Badhi, investigated by Dr. Hazem Suleiman, The Specialized Literary Library, 1427 AH.

-Pursuing Consciousness in the Layers of Linguists and Grammarians, by Jalal Al-Din Al-Suyuti, achieved by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriyya Library, Sidon - Beirut.

Al-Bayan fi Sharh Al-Lama', by Sharif Omar Al-Kufi, investigated by Dr. Aladdin Hamwiyah, Dar Ammar, Amman, 1423 AH.

The History of the Grammatical Scholars of Basra, the Kufic and others, by Al-Mufaddal bin Muhammad bin Mas`ar, investigated by Dr. Abdul Fattah Muhammad al-Hilu, Imam Muhammad bin Saud Islamic University Publications, Riyadh, 1401 AH.

-Grammar composition between education and interpretation, Dr. Wadha Al-Mayan, Al-Uruba Library, Kuwait, first edition, 1428 AH.

Grammar writing presentation and discussion

Al-Tasbeera wa Al-Tazkira, by Al-Saymari, investigated by Dr. Fathi Ahmed Mustafa Ali Al-Din, Umm Al-Qura University, Mecca, 1402 AH.

-Fermentation (Explanation of the Mufassal in the Art of Syntax), by Sadr Al-Afdal Al-Khwarizmi, investigated by Dr. Abd al-Rahman bin Suleiman al-Uthaymeen, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1990 AD.

-The appendix and the completion in the explanation of the book Al-Tashil, by Abu Hayyan Al-Andalusi, achieved by A. Dr.. Hassan Hindawi, Dar Al-Qalam, Damascus, first edition.

-Tarshih Al-Illal, by Al-Khwarizmi, investigated by Adel Mohsen Al-Amiri, Institute of Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage, first edition, 1419 AH.

Facilitating the Benefits and Completing the Objectives, Ibn Malik, investigated by Dr. Muhammad Kamel Barakat, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Cairo, 1387 AH.

Explanation of the Content of Clarification, by Khaled Al-Azhari, investigated by Dr. Abdel-Fattah Bahiri Ibrahim, Al-Zahraa for Arab Media, Cairo, first edition.

-Evolution of the Grammar Lesson, Dr. Hassan Aoun, Institute of Arab Research and Studies, League of Arab States, 1970.

The Apple in Grammar, by Abu Jaafar Al-Nahhas, investigated by Abdul-Ilah Al-Shaya, Dar Al-Sumaei, Riyadh, first edition, 1437 AH.

-Teaching the Learner from the Grammar, by Ibn Qutayba, achieved by Abdullah Al-Nasir, The Islamic Bureau, Beirut, 1413 AH.

-Immunization of the Hearts in the Abilities of Expression, by Al-Shantarini, investigated by Dr. Moaid Al-Awfi, Dar Al-Madani, Jeddah, first edition, 1410 AH.

-Paving the rules with an explanation of facilitating the benefits, for the army superintendent, investigated by Prof. Ali Muhammad Fakher and others, Dar Al-Salaam, Cairo, first edition, 1428 AH.

-Guiding Al-Luma', by Ibn Al-Khabbaz, investigated by Dr. Abdullah Omar Al-Hajj, Al-Mutanabbi Library, first edition, 1438 AH.

-Al-Tawteh, by Abi Ali Al-Shalubini, investigated by Youssef Ahmed Al-Mutawa, Sijill Al-Arab Press, Cairo, 1401 AH.

Al-Tahdheeb Al-Wasit in Grammar, by Ibn Ya'ish Al-Sana'ani, investigated by Dr. Fakhr Saleh Qadara, Dar Ammar, first edition, 1411 AH.

The Fruits of Industry in the Science of Arabic, by Abu Abdullah Al-Dinouri, investigated by Dr. Muhammad Al-Fadil, Department of Culture and Publication, Al-Imam University, 1411 AH

-Sentences in Grammar, by Al-Zajji, investigated by Dr. Ali Tawfiq Al-Hamad, Al-Resala Foundation - Beirut, Dar Al-Amal - Irbid, 1405 AH.

-Sub-sentences in the Arabic language between Sibawayh's analysis and Chomsky's generative transformational theory, d. Masooma Abdel-Saheb, Dar Gharib, Cairo, 2008.

The characteristics of grammatical composition in the fourth century AH, Dr. Saud Abu Taki, Dar Gharib, first edition, 1425 AH.

-Al-Halal fi Sharh Al-Ayat Al-Jamal, by Ibn Al-Sayyid Al-Batusi, investigated by Dr. Mustafa Imam, Al-Mutanabbi Library, Cairo, 1979.

***

عِلَّةُ الذُّهولِ في التَّوجيهِ النحويِّ والصرفيِّ العربيِّ

د. مأمون تيسير محمد مباركة
قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإنسانية
جامعة النجاح الوطنية

عِلَّةُ الذُّهولِ في التَّوجيهِ النحويِّ والصرفيِّ العربيِّ

د. مأمون تيسير محمد مباركة

قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإنسانية
جامعة النجاح الوطنية

تاريخ تقديم البحث: ٢٢/ ١١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٧/ ٣/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

يُشَكِّلُ الذهولُ النحويُّ والصرفيُّ ملمحًا توصيفيًّا اشتملتْ عليهِ الدراساتُ النحويَّةُ والصرفيَّةُ في التراثِ اللغويِّ العربيِّ، وخصوصًا عند متأخري النحاةِ: كابن مالك (٦٧٢ هـ)، والأزهري (٣٧٠هـ)، والسهيلي (٥٨١هـ)، وأبي حيّانَ، وغيرِهِمْ. ويقعُ توصيفُ الذهولِ في إطارِ الآراءِ النحويَّةِ والصرفيَّةِ بينَ العلماءِ، كما يشملُ أيضًا التعليلَ النحويَّ والصرفيَّ استنادًا إلى عِلَّةِ الذهولِ عندَ مُستعملِ اللغةِ مُرسِلًا أوْ مُستقبِلا؛ لِيُشَكِّلَ توجيهُ الذهولِ قِراءةً واقعيَّةً لِمُستعمِلِ اللغةِ بِوصفِهِ بَشرًا متَّصِفًا بِصفاتِ النقصِ التي جُبِلَ عَلَيْها؛ فيعتري لغتَهُ –أحيانًا– ما يعتري تكوينَهُ البشريَّ مِنْ غَلَطٍ، أوْ نِسيانٍ، أوْ ذُهولٍ عَنْ نمطٍ منْ أنماطِ اللغةِ التي بُنِيَتْ عليها، وتسلِّطُ هذهِ الدراسةُ الضوءَ على مصطلحِ الذهولِ في إطارِ الفكرِ النحويِّ والصرفيِّ عندَ العربِ وصفًا، وتحليلًا، ونقدًا موضوعيًّا.

كما تقدِّمُ الدراسةُ صورةً عنْ أسسِ الفكرِ النحويِّ والصرفيِّ التي اعتمد عليها العلماءُ العربُ في بِناءِ الدرسِ النحويِّ، ويتمُّ ذلكَ عبرَ دراسةِ ظاهرةِ الذهولِ التي تأتي في إطارِ انزياحِ الاستعمالِ اللغويِّ العربيِّ عنْ أَصلِ الاستخدامِ اللغويِّ، أوْ عمَّا هوَ شائعٌ مستقرٌّ في الاستخدامِ اللغويِّ انطلاقًا مِنْ علَّةِ الذهولِ عنْ أصلِ الاستخدامِ، أوِ الشائعِ في الاستعمالِ، إلى جانبِ دراسةِ بواعثِ وصفِ عالِمٍ لآخرَ بالذهولِ؛ إذا رأى العالِمُ الناقدُ الرأيَ النحويَّ مُخالِفًا لِما استقرَّتْ عليهِ قواعدُ اللغةِ من وجهةِ نظرِهِ.

الكلمات المفتاحية: الذهول، النحو، الصرف، العلَّة، الاستعمال.

absent-mindedness in the grammatical and morphological thought of the Arabs

Dr. Maamoun Tayseer Mohammed Mubarak
Assistant professor of grammar and morphology An-Najah National University
An-Najah National university

Abstract:

Grammatical and morphological stupor is a descriptive feature included in the grammatical and morphological studies in the Arabic linguistic heritage, especially in the late Grammarians: such as Bin Malik, Azhari, Suhaili, Abu Hayyan, and others.

The characterization of stupor falls within the framework of grammatical and morphological views among scholars. In addition, it includes grammatical and morphological reasoning based on the bug of stupor in the user of the language sent and the future. To guide the stupor a realistic reading of the user of the language being a human characterized by the qualities of imperfection created on it. infects his language-sometimes - what affects the human composition of error, forgetfulness, or stupor about a pattern of the language on which it is based .this study highlights the term stupor in the framework of grammatical and morphological thought in the Arabs' description, analysis, and objective criticism.

The study also provides a picture of the foundations of grammatical and morphological thought on which Arab scholars relied in building the grammatical lesson . This is done by studying the phenomenon of numbness. It comes in the context of the displacement of Arabic linguistic use from the origin of linguistic use. Or of what is common and stable in linguistic use based on the bug of stupidity from the origin of use. Or common use, as well as examining the reasons for describing another scientist as stunned, if the critical world considers the grammatical opinion contrary to what the grammar has settled on from his point of view.

key words: awesomeness, grammar, morphology, opinions, matters.

المقدمةُ:

يشتملُ الدرسُ النحويُّ والصرفيُّ على طائفةٍ منَ المصطلحاتِ التي شكَّلتْ ملامحَ الفكرِ اللغويّ عندَ العربِ، كمصطلحاتِ: العدولِ، والتقارُضِ، والتوهُّمِ، والتداخُلِ، والتضمينِ، وطردِ البابِ، وغيرِها منَ المصطلحاتِ التي اتكأ عليها النحاةُ واللغويونَ في توصيفِ النسقِ الذي انتظمت بهِ اللغةُ العربيَّةُ، ومنْ ثمَّ توصيفِ بعضِ الانزياحاتِ اللغويَّةِ في الاستعمالِ اللغويّ العربيّ؛ ما يُخالِفُ تلكَ الأنماطَ السائدةَ في سيرورةِ البناءِ اللغويّ، وهذا ما دفعَ النحاةَ واللغويّينَ إلى البحثِ عنْ تأويلاتٍ وتعليلاتٍ تفسِّرُ هذا الانزياحَ اللغويَّ عَن نسقِ اللغةِ الشائعِ، أوْ عنْ أصلِها الذي تصوَّروهُ لها في أساسِها البِنائيّ. وقد شكَّلَتْ هذهِ المصطلحاتُ ومثيلاتُها باعثًا قويًّا لكثيرٍ من الدارسينَ؛ فتناولوها بحثًا واستقصاءً وتحليلًا في سبيلِ فهمِ أسسِ التفكيرِ النحويّ والصرفيّ عندَ العربِ، وفي سبيلِ فهمِ النظامِ اللغويّ العربيّ بكلِّ محدداتِهِ ومساراتِهِ البنائيَّةِ والاستعماليَّةِ.

ومنْ هذهِ المصطلحاتِ اللافتةِ للانتباهِ التي لم تحظَ بتسليطِ الضوءِ عليها مصطلحُ الذهولِ في الفكرِ النحويّ والصرفيّ، سواءٌ في إطارِ وصفِ عالمٍ لآخرَ بالذهولِ في معالجةِ مسألةٍ ما، أمْ في إطارِ التعليلِ النحويّ والصرفيّ بِعلَّةِ ذُهولِ مُستعمِلِ اللغةِ عنْ بعضِ ضوابِطِها؛ ليغدُوَ توصيفُ الذهولِ علَّةً يعتمدُ عليها العالِمُ في بناءِ القاعدةِ النحويَّةِ والصرفيَّةِ، أو في تأصيلِ مسألةٍ منْ مسائلِ النحوِ والصرفِ.

وتجيبُ الدراسةُ عنِ الافتراضاتِ الآتيةِ: ما المقصودُ بالذهولِ في اللغةِ والاصطلاحِ؟ وما الرابطُ بينهما؟ وكيفَ بدا توصيفُ الذهولِ في إطارِ الآراءِ النحويَّةِ بينَ العلماءِ؟ وما مدى وجاهته؟ ثمَّ ما أسسُ التعليلِ النحويِّ والصرفيِّ استنادًا إلى علَّةِ الذهولِ؟ وما علاقةُ ذلكَ بالنظامِ اللغويِّ العربيِّ؟

ولقدْ وجدَ الباحثُ مجموعةً منَ الدراساتِ السابقةِ في إطارِ الاصطلاحاتِ الفكريَّةِ النحويَّةِ، وفي مجال التعليل النحوي، وإنْ لم تتطرقْ إلى المصطلحِ لا وصفًا ولا تحليلًا، ومنْ هذهِ الدراساتِ:

١ــ العدولُ النحويِّ في لغةِ القرآنِ الكريمِ: دراسةٌ تطبيقيةٌ، للباحثِ قصيّ الحلّيّ.

٢ــ الحمل على التوهم بين القدماءِ والمحدثين وتقارض المصطلحات فيه، للباحث ماهر عميرة.

٣ــ طردُ البابِ على وتيرةٍ واحدةٍ في العربيةِ، للباحثِ محمد القرشي.

٤ــ التضامُّ والتعاقبُ في الفكرِ النحويِّ، للباحثةِ نادية النجار.

٥ــ الثقافة المنطقية في الفكر النحوي، للباحثِ محيي الدين محسب.

٦ــ علَّة أمن اللبس في اللغة العربية، للباحث مجيد الزاملي.

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسات في إطار التفكير النحوي عند العرب، وفي إطار التعليل النحوي بمصطلحاته التي بنيت على النسق اللغوي الذي تنتظمُ فيه اللغة العربية بناءً واستعمالًا، غيرَ أنَّ هذه الدراسات لم تتطرَّق إلى مصطلح الذهول لا بلفظه، ولا بوصفه علَّةً لبعض التراكيب النحوية،

تنماز عن كثير من العلل النحوية في كيفيَّةِ وقوعها في اللغة، وفي توجيهها النحويّ.

مشكلةُ البحثِ:

يسعى البحث إلى الإجابة عنِ الأسئلةِ الآتيةِ: ما معنى الذهولِ في اللغةِ؟ وما مفهومها في الاصطلاحِ النحويّ والصرفيّ؟ وكيفَ تمَّ توجيهُ بعضِ المسائلِ النحوية والصرفيَّةِ استنادًا إلى علَّةِ الذهولِ عندَ مُستعمِلِ اللغةِ العربيَّةِ؟ وما مدى وجاهةِ هذهِ التعليلاتِ؟

أهدافُ البحثِ:

١ــ تهدفُ الدراسةُ إلى إعطاءِ صورةٍ شاملةٍ عنْ مفهومِ الذهولِ في الفكرِ النحويّ والصرفيّ عندَ النحاةِ مصطلحًا وتعليلًا.

٢ــ كما تهدفُ الدراسةُ إلى تحليلِ السياقاتِ التي وقعَ فيها هذا التوصيفُ الفكريُّ.

٣ــ وتسعى الدراسةُ إلى تقديمِ نقدٍ موضوعيٍّ لمدى وجاهةِ استخدامِ هذا التوصيفِ.

٤ــ تهدفُ الدراسةُ إلى تقديمِ فكرةٍ معمَّقةٍ عنْ فلسفةِ الذهولِ في عرفِ النحاةِ وعلاقتِهِ بالبناءِ الفكريّ اللغويّ عندَ العربِ.

٥ــ وترجو الدراسةُ فتحَ الآفاقِ أمامَ الدارسينَ لِدراساتٍ أكثرَ تنوعًا تتناولُ الفكرَ النحويَّ العربيَّ، وتُعطي صورةً أكثرَ شمولًا لِملامحِ التفكيرِ النحويّ عندَ العربِ.

منهجُ البحثِ:

اتبعَ الباحثُ النهجَ الوصفيَّ التحليليَّ؛ عبرَ رصدِ مواطنِ توصيفِ الذهولِ في الدراساتِ النحويةِ والصرفيَّةِ، ومنْ ثمَّ تحليلِ هذهِ المواطنِ، وتبيانِ مدى وجاهتِها في ميزانِ النقدِ النحويِّ استنادًا إلى ما استقرَّت عليهِ قواعدُ اللغةِ.

هيكليَّةُ البحثِ:

يتكوَّنُ البحثُ من تمهيدٍ خصَّصه الباحثُ لتعريفِ الذهولِ لغةً واصطلاحًا، وتم فيهِ الحديثُ عن طبيعةِ علَّةِ الذهولِ، وموقِعِها في إطارِ الفكرِ النحويِّ العربيِّ، وفي إطارِ التقعيدِ النحويِّ والصرفيِّ العربيِّ، ويقعُ البحثُ في فصلٍ واحدٍ يتكوَّنُ مِنْ ستَّةِ مطالبَ، تمَّ تخصيصُهُ للحديثِ في ستِّ مَسائلَ نحويَّةٍ وصرفيَّةٍ، تمَّ بَسطُها شَرحًا وتحليلًا، استنادًا إلى علَّةِ الذُّهولِ في الفكرِ اللغويِّ العربيِّ.

تمهيد:

معنى الذهولِ في اللغةِ والاصطلاحِ:

يتقاطعُ مصطلحُ الذهولِ مَعَ بعضِ المصطلحاتِ التي ترتكزُ على حالِ السامعِ والمتلقّي في نشأتها؛ كعلَّةِ أمنِ اللَّبسِ التي هيَ ظاهرةٌ لغويَّةٌ تعني: استغناءَ المعنى –بالقرائنِ المتوافرةِ عن غيرِهِ، وهي فُسحةٌ منَ الانزياحِ تسمحُ للمعنى بالانفلاتِ بعيدًا عنِ القواعدِ(١)، ومِنْ هذهِ المصطلحاتِ الحملُ على التوهُّمِ، وهو: "تفسيرٌ تخيليٌّ يضطرُّ إليه النحاةُ والصرفيونَ؛ وذلكَ عنْ طريقِ الاستعانةِ بالمعنى في محاولةٍ للتوفيقِ وتحقيقِ الانسجامِ بينَ ما قدْ يُظَنُّ مِنْ خطأٍ في إعرابِ ألفاظِ بعضِ التراكيبِ العربيةِ الفصيحةِ؛ التي لا ريبَ في صحَّتِها، وبينَ القواعدِ النحويةِ والصرفيةِ، ومحاولةِ تفسيرِ مجيئِها على هذا النَّظْمِ"(٢)، وغيرها من العللِ، كالعدولِ، والقُربِ، والبُعدِ، والمناسبةِ.

أمَّا في إطارِ الحديثِ عَنْ علَّةِ الذهولِ فيتأسَّسُ البحثُ على تعدّي الفعلِ (ذَهِلَ/ذَهَلَ) واشتقاقاتِه بحرفِ الجرِّ (عنْ)؛ لأنَّ هذا الاستعمالَ (ذهلَ عَنْ) يُمثِّلُ أُسَّ وُقوعِ الذهولِ في الفكرِ النحويّ والصرفيّ العربيّ، وينعقدُ معنى الذهولِ عنِ الشيءِ في المعجماتِ العربيَّةِ على النسيانِ، والغفلةِ، والانشغالِ عنِ الشيءِ، سَهوًا، أو بِعِلَّةٍ باعثةٍ على الذهولِ. جاءَ في مقاييسِ اللغةِ: "الذَّالُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شُغْلٍ عَنْ شَيْءٍ؛ بِذُعْرٍ أَوْ غَيْرِهِ.

(١) خورشيد، بكر عبد الله: أمن اللبس في النحو العربي: دراسة في القرائن، ص٩.

(٢) جاد الكريم، عبد الله: التوهم عند النحاة، ص٣٠.

ذَهِلْتُ/ذَهَلتُ عَنِ الشَّيْءِ أَذْهَلُ: إِذَا نَسِيتَهُ، أَوْ شُغِلْتَ. وَأَذْهَلَنِي عَنْهُ كَذَا. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ"(١)

وقد أشار ابنُ سيدَه (٤٥٨هـ) إلى معنى التشاغُلِ عنِ الشيءِ، أوِ الانشغالِ عنهُ لِعِلَّةٍ بِقولِهِ: "ذَهَلَ الشَّيْءَ، وذَهَلَ عَنهُ، وذَهِلَه وذَهِلَ عَنهُ، يَذْهَل فيهمَا، ذَهْلا وذُهُولا: تَرَكَهُ على عَمْدٍ، أَو نَسِيَهُ لِشُغْلٍ. وَقيل: الذَّهْلُ: السُّلُوُّ وَطِيبُ النَّفسِ عَنِ الإِلْفِ"(٢)

وفي هذا المعنى جاءَ قول اللهِ –تعالى–: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}(٣)، أي: يَشغلُ الأمَّ عنْ رضيعِها ما تراهُ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ، يقول الأزهري (٣٧٠هـ) في معنى الآيةِ:" أَي تسلُو عَن وَلَدِها فتتركَهُ؛ لشدَّةِ الْقِيَامَةِ، والفَزَعِ الْأَكْبَرِ"(٤)

وإذا ما ربطنا هذا المعنى اللغويَّ مَعَ مواضعِ مصطلحِ الذهولِ التي تتبَّعَها الباحثُ في كتبِ اللغةِ والنحوِ، فإنَّنا نجدُ أنَّ مفهومَ الذهولِ في الفكر النحويّ والصرفيّ العربيّ يَعني: انْشِغالَ العالِمِ النحويّ أوْ مُستعملِ اللغةِ –مُرسِلًا أوْ مُستقبلًا– عَنْ مسألةٍ مِنْ مسائِلِ النحوِ والصرفِ، أوْ سَمْتٍ مِنْ أنماطِ اللغةِ وطرقِ تأدِيَتِها التي تنتظمُ بِناءَها؛ لِعِلَّةٍ تُشغِلُهُ عَنْ تلكَ المسألةِ، أوْ لِغَفْلَةٍ دونَ شاغِلٍ.

ولعلَّ وجودَ هذا التوصيفِ في الفكرِ النحويّ والصرفيّ العربيّ إنَّما يُنبئُ عنْ أمرين:

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، ١٩٧٩م، ٣٦٣/٢ (ذهل).

(٢) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ٢٩٣/٤، (ذهل).

(٣) الحج: ٢.

(٤) الأزهري: تهذيب اللغة، (ذهل).

الأوَّل: الواقعيَّةُ التي تعاملَ بها علماءُ اللغةِ والنحوِ مَعَ عالِمِ اللغةِ، ومعَ متكلِّمِها؛ بوصفِهما بشرًا معرَّضينَ للسهوِ والغفلةِ والنسيانِ في أثناءِ التعاملِ معَ اللغةِ العربيَّةِ، وهذا ما يدعو للإعجابِ بأنَّ العلماءَ كانوا ينقدونَ بعضَهم البعضَ دونَ تحرُّجٍ مِن مكانةِ عالِمٍ، أو تقديسٍ لِمَقامِهِ.

ثانيًا: واقعيَّةُ الاستعمالِ اللغويِّ العربيِّ في إطارِ المرسِلِ والمستقبِلِ، وما قَدْ يترتَّبُ عليهِ أحيانًا مِنْ تَداخُلٍ بينَ مكوِّناتِ اللغةِ وقواعِدِها، ما يجعلُ مستعمِلَ اللغةِ يَذهَلُ عَنْ بَعضِ أنماطِها؛ فينصرفُ إلى نمطٍ آخرَ غافلًا عنِ النمطِ الأساسِ، وهذا ما أخذهُ علماءُ اللغةِ في الحسبانِ في أثناءِ تعاملِهم معَ الفِكرِ اللغويِّ بِكلِّ شموليَّتِهِ التي تندرجُ في إطارِها كثيرٌ من الظواهرِ المشابهةِ كمصطلحاتِ العُدولِ، والتداخُلِ، والإتباعِ، والتضمينِ، والوهمِ.

وفي هذا الإطارِ الفكريِّ يلفتُ البحثُ إلى مجموعةِ منَ القَضايا التي بُنِيَتْ على توصيفِ الذهولِ في اتِّجاهَينِ: ذُهولِ العالِمِ عنْ بعضِ مسائِلِ اللغةِ؛ ما يَدفَعُهُ إلى الذهابِ في المسألةِ باتِّجاهٍ تقعيديٍّ مغايرٍ لِما كانَ يجبُ عليهِ سُلوكُهُ في التعاملِ معها. وذُهولِ مُستَعمِلِ اللغةِ، المرسِلِ أوِ المستقبِلِ عَنْ بَعضِ جزئيّاتِ اللغةِ وأنماطِها، ذُهولًا يؤدي إلى استعمالٍ جديدٍ مُغايرٍ للأصلِ اللغويِّ، ويدفَعُ بِمُقعِّدِ اللغةِ إلى التحرُّزِ في أثناءِ التعاملِ معَ قَضايا اللغةِ تقعيدًا واستعمالًا، فيُضحي الذهولُ -في بعضِ الأحيانِ- عِلَّةً تُبنى عليها قواعدُ النحوِ والصرفِ.

ولقد رصدَ الباحثُ طائِفةً منْ مواضعِ توصيفِ الذهولِ في الفكرِ النحويِّ والصرفيِّ في كتبِ اللغةِ والنحوِ، نسردُها بالبحثِ والتحليلِ والنقدِ:

الفصل الأول: عِلَّةُ الذهولِ في مسائلِ النحوِ والصرفِ.

المطلب الأول: دخولُ حروفِ الجرِّ الزائدةِ بعدَ حروفِ النفيِ والاستفهامِ التي تأتي على حرفينِ لا يوقَفُ عليهما؛ خشيةَ ذهولِ السامِعِ عنها:

تأتي حروفُ المعاني في العربيَّةِ عَلى ضربينِ: منها ما يَكونُ عامِلًا فيما بعدَهُ في الجملةِ، ومنها ما لا يَعمَلُ فيما بعدَهُ، مُكتفيًا بالمعنى الذي يُفيدُهُ في غيرِهِ في الجملةِ التي يقعُ فيها.

ويَرى العُلماءُ أنَّ الحروفَ تعملُ فيما بعدَها إذا انحصرَ معناها في مُفرَدٍ بعدَها، ولم يَكُن معناها شامِلًا كلَّ الجملةِ بِمختَلَفِ مكوناتِها، وكذلكَ إذا دخلَ الحرفُ العاملُ على جملةٍ لم تشتملْ على معنًى يَعملُ في الجملةِ قبل دخولِ الحرفِ عليها؛ كجملةِ الابتداءِ مثلًا؛ فحروفُ الجزمِ –مثلًا– تعملُ لأنَّها تختصُّ بالفعلِ المضارعِ والحدثِ فيهِ؛ فتنهى الفاعلَ بِـ (لا)، وتأمرُه بِاللامِ، وتنفي حدوثَ الفِعلِ وتقلبُ معناهُ إلى الماضي بِـ(لَمْ). أمَّا حروفُ النفيِ غيرِ العاملةِ فهيَ لا تركِّزُ في المعنى على مكوّنٍ دونَ سِواهُ في الجملةِ، بل يقعُ النفيُ على مُجملِ النسقِ التركيبيّ للجملةِ عامَّةً؛ ففي قولِكَ: "لا يُحِبُّ محمدٌ أكلَ التفاحِ"، فإنَّ النفيَ هنا لا يقعُ على نفيِ الحُبِّ، ولا على نفيِ محمدٍ، ولا على الأكلِ، ولا على التفاحِ؛ بل يقعُ معنى النفيِ على تآلُفِ مجموعِ عناصرِ التركيبِ في الجملةِ.

ويرى بعضُ العلماءِ أنَّ عَدَمَ عَمَلِ بعضِ الحروفِ التي تَكونُ على حرفٍ أو حَرفَينِ يُتيحُ لَها دُخولَ حروفِ الجرِّ الزائدةِ على جُملَتِها، ويرى هؤلاءِ أنَّ عِلَّةَ هذا الدخولِ للحرفِ الزائدِ مَرَدُّهُ مجيءُ حروفِ المعاني على حرفٍ أو حرفينِ لا على ثلاثةِ أحرفٍ، وهذا يجعلُ الوقوفَ عليها غيرَ الوقوفِ على

الحروفِ ذاتِ الأحرُفِ الثلاثةِ، وَبِما أنَّ هذه الحروفَ غيرُ عاملةٍ فيما بَعدَها، والوقوفُ عليها ضَعيفٌ في الكلامِ؛ فقد جِيءَ بالحرفِ الزائِدِ إشعارًا للسامِعِ بِوجودِ حرفِ النفيِ أوِ الاستفهامِ؛ خَشيَةَ ذُهولِ السامعِ عنهُ؛ لِعدمِ عَمَلِهِ في الجملةِ، ولِمجيئِهِ على حرفٍ أو حرفَينِ؛ فقولُكَ في النفيِ: ما عليٌّ بِحاضرٍ؟ يؤَكِّدُ للسامِعِ وُقوعَ معنى النفيِ في الجملةِ؛ لِدخولِ الباءِ الزائدةِ في الجملةِ، ويؤكدُ للسامعِ أنَّ (ما) النافيةِ غيرُ منفصلةٍ في الوظيفةِ عن تركيبِ الجملةِ.

وفي هذا التوجيهِ يَقولُ السهيلي (٥٨١هـ): " وربَّما أرادوا توكيدَ تعلُّقِ الحرفِ بالجملةِ إذا كانَ الحرفُ مؤلَّفًا مِنْ حرفينِ، نحو (هل)، فربَّما يوهَمُ الوقفُ عليهْ، أو خيفَ ذهولُ السامعِ عنْهُ؛ فأُدخِلَ في الجملةِ حرفٌ زائدٌ يُنَبَّهُ السامعُ عليهِ، وقامَ ذلكَ الحرفُ مقامَ العملِ، نحوَ قولِكَ: هلْ زيدٌ بقائمٍ؟ وما زيد بقائم. فإذا سَمعَ المخاطَبُ (الباء) وهيَ لا تدخلُ في الوجوبِ، تأكَّدَ عندَهُ ذِكْرُ النفيِ والاستفهامِ، وأنَّ الجملةَ غيرُ منفصلةٍ عنهُ"(١)

وَيرى الباحثُ أنَّ التَّعاطيَ الفكريَّ في هذهِ المباحثةِ مِنْ أرقى أنواعِ التوجيهِ النحويِّ؛ لأنَّهُ يَسبُرُ بالوظيفةِ اللغويَّةِ إلى أعمقِ مستوًى ممكنٍ منَ التوجيهِ الدَّلاليِّ الوظيفيِّ لِمركَّباتِ اللغةِ العربيَّةِ، ويُعَمِّقُ الوشائِجَ بينَ مكوِّناتِ التركيبِ اللغويِّ؛ لِتغدُوَ كُلُّها مُسهمَةً – بِشكلٍ أوْ بِآخرَ– في تَشكيلِ البِناءِ اللغويِّ السياقيِّ تَشكيلًا وَظيفيًّا دالًّا، يَجعَلُ منْ عَناصِرِ بِناءِ التركيبِ الجُملِيِّ ذاتَ قيمةٍ لا يُمكِنُ إغفالُها عِندَ إنعامِ النظرِ في تراكيبِ اللغةِ وعناصِرِها التي تتكوَّنُ مِنها.

(١) السهيلي: نتائج الفكر في النحو، ص٦٠

المطلب الثاني: عِلَّةُ الذهولِ وأثرُها في فتحِ ما قبلَ آخرِ المضارِعِ في صِيَغِ (تَفَعَّلَ، وَتَفاعَلَ، وتفَعْلَلَ):

يَثبُتُ في العربيَّةِ أنَّ المضارعَ مِنْ (فاعَلَ، وفَعَّلَ، وفَعْلَلَ): يُفَعِّلُ؛ كَـ(صَوَّرَ: يُصَوِّرُ، وَقاتَلَ: يُقاتِلُ، دَحْرَجَ: يُدَحْرِجُ) بِكَسرِ ما قَبْلَ الآخِرِ. وفي المقابِلِ فإنَّ المضارِعَ مِنْ (تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ، تفَعْلَلَ) المبدوءةِ بالتاء المزيدةِ: (يَتَفاعَلُ، ويَتَفَعَّلُ، ويَتَفَعْلَلُ)؛ كَـ(تَجاهَلَ، وتَعلَّمَ، وتَدَحْرَجَ) ومُضارِعُها: (يَتَجاهَلُ، ويَتَعَلَّمُ، وَيَتَدَحْرَجُ)؛ بِفَتْحِ ما قبلَ الآخِرِ لا بِكَسرِهِ كما في (فَعَّلَ/يُفَعِّلُ، وفاعَلَ/ يُفاعِلُ، وفَعْلَلَ/ يُفَعْلِلُ)؛ ورأى بَعْضُ العلماءِ أنَّ فَتحَ ما قبلَ الآخِرِ في صيغِ المضارِعِ المزيدةِ بالتاءِ في أولِها مثل (يَتَجاهَلُ) إنَّما حَصَلَ لِأَمنِ اللَّبْسِ المتَوَقَّعِ بينَ فِعْلِ الأَمْرِ للمُخاطَبِ مِنْ (تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ، تَفَعْلَلَ) في حالِ افتراضِ كَسْرِ ما قبلَ آخِرِهِ، معَ المضارِعِ المخاطَبِ مِنْ (فَعَّلَ)؛ فَلَوْ قُلتَ (تَجاهِلْ) أمرًا مِنْ (تَفاعَلَ) في مُقابِلِ (تُجاهِلُ) مُضارِعًا مِنْ (فاعَلَ) لالتَبَسَتِ الصِّيغَتانِ إلَّا مِنْ حَرَكَةِ التاءِ في أَوَّلِ الفِعْلَيْنِ، وهذهِ الحركةُ عَلى التّاءِ قَدْ يُذْهَلُ عَنْها؛ فتشتركُ الصّيغَتانِ ولا يُفَرَّقُ بَيْنَهُما في الشَّكْلِ المتَصَوَّرِ للمتكلِّمِ؛ فلُجِئَ إلى المغايرةِ بينَ الصيغَتَيْنِ عَبْرَ فتحِ ما قبلَ الآخِرِ في (تَجاهَلْ) وكَسْرِ ما قبلَ الآخرِ في (تُجاهِلُ).

هذا ما ذهبَ إليهِ الجاربردي (٧٤٦هـ) عندَ حديثِهِ عن مُضارع الأفعال التي يبدأ ماضيها بتاءٍ مزيدةٍ. يَقولُ في هذهِ المسألةِ: "التَّفَعُّلُ نَحوَ (تَعَلَّمَ)؛ فَإِنَّهُ يُقالُ في مُضارِعِهِ (يَتَعَلَّمُ) بِفَتْحِ اللّامِ [عَيْنِ الفِعْلِ]؛ إِذْ لَوْ كُسِرَ لالْتَبَسَ أَمْرُ مُخاطَبِهِ بِمُضارِعِ (عَلَّمَ/ يُعَلِّمُ)، إِذِ المغايرةُ بينهما حينئذٍ إنَّما هوَ باختلافِ حركةِ

التاءِ، وهيَ قد لا ترفعُ اللَّبسَ؛ لاحتمالِ الذهولِ عنها"[١]. ووافقهُ في هذا التعليلِ السُّيوطيُّ [٢].

وفي الحديث عارضَ محمد الزاملي هذا التعليلَ في المسألةِ السابقةِ، وقد بنى اعتراضَهُ على أنَّ التفريقَ بَينَ الصيغتينِ في الأمرِ والمضارعِ مُمكنةٌ حتّى وإنْ ذُهِلَ عنْ حركةِ التاءِ في أوَّلِ الفعلينِ، هذا التفريقُ يتأتّى من خلالِ حركةِ الإعرابِ في المضارعِ؛ ما يَدفَعُ اللَّبسَ عن المتكلِّمِ في استعمالِ الفِعلَينِ، ويُسهِمُ بالتفريقِ بينَهُما. يَقولُ الزاملي: "وفي هذا الكلامِ نَظَرٌ؛ لأنَّ فِعلَ الأمرِ مبنيٌّ عندَ البصريينَ، والفعلُ المضارعُ مُعرَبٌ، فَكَيْفَ يَحدُثُ اللَّبْسُ بَينَهُما؟ ألمْ يكنِ الإعرابُ والبِناءُ كافيينِ لأمنِ اللَّبسِ بينهما؟"[٣]. والذي يَراهُ الباحثُ أنَّ اعتِراضَ الزامليِّ يَسقُطُ بالحُجَّةِ التي ساقَها لردِّ رأيِ الجاربردي (٧٤٦هـ)؛ فإذا سَلَّمنا بِوقوعِ الذهولِ عنْ حركةِ التاء في أوَّلِ الفعلينِ؛ فالتفريقُ بين الصيغتينِ غيرُ ممكنٍ في كُلِّ حالاتِ الإعرابِ في الفِعْلِ المضارِعِ؛ فَصحيحٌ أنَّ التفريقَ ممكنٌ في رفعِ المضارعِ في افتراضِ: (الأمر: تَجاهِلْ/المضارع: تُجاهِلُ)، وفي نصبِ المضارِعِ في افتراضِ: (الأمر: تَجاهِلْ/المضارع: لَنْ تُجاهِلَ). إلَّا أنَّ هذا التفريقَ غيرُ مُمْكِنٍ في حالِ جزمِ المضارِعِ في افتراضِ: (الأمر: تَجاهِلْ/المضارع: لَمْ تُجاهِلْ)؛ فيَقَعُ اللَّبْسُ هنا بينَ الصيغَتينِ حينَ الذهولِ عَنْ حَرَكةِ التاءِ في

(١) الجاربردي: مجموعة الشافية في عِلمي التصريف والخط: شرح الجاربردي وآخرين على شافية ابن الحاجب، ٢٦٩/١

(٢) السيوطي: همع الهوامع، ٣٣/٦-٣٤

(٣) الزاملي، محمد: علّة أمن اللبس في اللغة العربية، ص٣٥-٣٦

أوَّلِ الفِعلَينِ؛ وعليهِ فيستوجبُ الأمرُ فتحَ ما قبلَ الآخِرِ في (يَتَفاعَلُ) و(يتفعلَلُ) و(يتفعَّلُ).

فَتعليلُ الجاربردي (٧٤٦هـ) فتحَ ما قبلَ الآخِرِ في صِيَغِ (يَتَفاعَلُ، ويَتَفَعَّلُ، ويَتَفَعْلَلُ) أمنًا من اللَّبسِ الممكِنِ في حالِ الذُّهولِ، إنَّما أقامَهُ الجاربردي (٧٤٦هـ) بِناءً عَلى تَصوُّرِ تَقابُلِ الصيغَتَينِ: صيغةِ الأمرِ المتصوَّرَةِ(تَجاهِلْ)، وصيغةِ المضارِعِ المستَعمَلَةِ (تُجاهِلُ)، واللبسُ في هذا التقابُلِ لا يَسْتَقيمُ بالنظرِ إلى استعمالِ الفعلَينِ في العربيَّةِ إلّا في حالٍ واحدةٍ تتمثَّلُ في مَجيءِ المضارِعِ (تُجاهِلُ) مَجزومًا؛ لِتَغدُوَ الصيغَتانِ -تَصَوُّرًا-: (تَجاهِلْ/لَمْ تُجاهِلْ)، وهنا يُقبَلُ احتِمالُ وُقوعِ الذُّهولِ عنْ حركةِ التاءِ في أوَّلِ الفِعلَيْنِ، وإلَّا فَإنَّ حركةَ آخِرِ المضارِعِ كَفيلَةٌ بِدَفْعِ اللَّبْسِ في الرفعِ بِقولِكَ-تَصَوُّرًا-: (تَجاهِلْ/ تُجاهِلُ) وفي والنَّصبِ قولِكَ-تَصَوُّرًا-: (تَجاهِلْ/ لَنْ تُجاهِلَ).

وقدْ ذهبُ ابن مالك إلى تعليلٍ مُغايِرٍ لِما ذهبَ إليهِ الجاربردي (٧٤٦هـ)، ومغايرٍ لتوجيهِ الزامليّ؛ فابن مالك رأى أنَّ سببَ فتحِ ما قبلَ آخرِ المضارِعِ لِما كانَ ماضيهِ مبدوءًا بِتاءٍ مزيدةٍ، أنَّهُ لَوْ كُسِرَ ما قبلَ آخِرِ المضارِعِ في هذهِ الصيغةِ لالتَبَسَ المضارِعُ بمصدرِهِ، إذا كانَ المضارِعُ معتلَّ الآخرِ مثل الماضي (تَزَكّى) ومضارِعِهِ (تَتَزَكّى)، وذلكَ في حالٍ استعماليَّةٍ واحدةٍ تتمثَّلُ في حَذفِ تاءِ المضارعةِ تخفيفًا في المضارِعِ (تتزَكَّى) فَتَقولَ: (تَزَكّى).

ولَوِ افترضنا أنَّنا كَسَرْنا ما قبلَ آخِرِ المضارِعِ الذي حُذِفَتْ تاءُ مضارعتِهِ تخفيفًا لقلنا افتِراضًا: أَنتَ تَزَكّي، وهنا -من وجهةِ نظرِ ابن مالك - يختلطُ

المضارعُ بالمصدرِ (تَزَكّي)؛ أَجْلَ ذلكَ فُتِحَ ما قبلَ آخِرِ المضارعِ للفرقِ بينهُ وبينَ المصدرِ؛ دفعًا للَّبسِ الممكنِ في المحدداتِ الاستعماليةِ السابقةِ؛ فقلنا: أنتَ تَزَكَّى تَزَكّيًا. يقول ابن مالك في هذهِ المسألةِ: " فإنْ كانَ أولُ الماضي تاءً مزيدةً، فُتِحَ ما قبلَ آخرِ مضارعِهِ. نحوَ: تَعَلَّمَ يَتَعَلَّمُ؛ لأنَّهُ لوْ كُسِرَ كما فُعِلَ بغيرِهِ لَزِمَ مِنْ ذلكَ التباسُ المصدرِ –حينئذٍ– بالمضارعِ ذي التاءِ؛ إذا حُذِفَ إحدى تاءَيْهِ تخفيفاً، وكانَ معتلَّ اللامِ، ألا ترى أنَّ (تتزَكَّى) لو كانَ ما قبلَ آخرِهِ مكسوراً، ثُمَّ خُفِّفَ بحذفِ إحدى التاءينِ كما خُفِّفَ (تَتَنَزَّلُ)؛ فقيل: تَنَزَّلُ، لقيلَ فيهِ: (تَزَكّي)؛ فيكونُ بلفظِ المصدرِ؟ فوجبَ تركُ ما أدَّى إلى ذلكَ."[1]

وهذا التعليلُ وإنْ كانَ أقربَ إلى واقعِ الاستعمال اللغويّ منهُ إلى التنظيرِ الفلسفيّ الافتراضيّ، إلّا أنهُ قاصرٌ عنْ تعليلِ شُمولِ الظاهرةِ كلَّ صيغِ المضارعِ الذي يُفتحُ ما قبلَ آخرِهِ في صيغِ (تَفَعَّلَ، وتفاعَلَ، وتفعلَلَ)؛ ذلكَ أنَّهُ يصلُحُ تعليلًا في صيغَتَيْنِ فقط، هما (تَفَعَّلَ، وتَفاعلَ) معتلَّتَي اللامِ؛ فلو قلتَ افتراضًا في المضارعِ المحذوفِ إحدى تاءَيهِ: تَراخِي، وتَرَدّي، لالتَبَسَ ذلكَ مَعَ المصدرِ منَ المضارعين (التراخي، والتدلّي). وهذا ما هو غيرُ ممكنِ الوقوعِ في صيغةِ (تَفَعْلَلَ) ومضارعِهِ؛ إذ يَكادُ ينعدمُ منهُ معتلُّ اللامِ، فلو قلتَ افتِراضًا تتدحرجُ بكسرِ ما قبلَ الآخرِ، ولو حذفتَ تخفيفًا وقلتَ: تَدَحْرِجُ، لَما التبسَ معَ المصدرِ (تَدَحْرُج)؛ إذِ اختلفَ ضبطُ الراءِ بينَ الصيغتين.

(١) ابن مالك: إيجاز التعريف في عِلمِ التصريف، ص٧٨.

هذا مِنْ وجهٍ، ومِنْ وجهٍ آخرَ فإنَّ الالتباسَ الذي أشارَ إليهِ ابن مالك (٦٧٢ هـ) معَ المصدرِ غيرُ ممكنٍ إلّا افتراضًا، بعيدًا عنِ الاستعمالِ اللغويّ؛ فلا تُستخدمُ صيغةُ المصدرِ -كالتَّذاكي والتزكّي ومثيلاتِها- ثابتةَ الياءِ إلا في حالِ التعريفِ بأل؛ وهذا كفيلٌ بالتفريقِ بينَ الاسمِ والفعلِ، أوْ بالإضافةِ؛ وهذا كذلكِ مما يُفَرَّقُ بِهِ بينَ الاسمِ والفعلِ؛ ومن هنا يجدُ الباحثُ أنَّ تعليلَ ابن مالك يسقطُ بإمكانيةِ التفريقِ استعمالًا بينَ الصيغتينِ، وعليهِ فتعليلُ الجاربردي (٧٤٦هـ) أكثرُ إقناعًا منطقيًّا؛ لأنهُ يقدّمُ تعليلًا شاملًا لجميعِ الصيغِ التي علَّلَ لَها، وإنْ كانَ تعليلُه يدخلُ في إطارِ التصوُّرِ المنطقيّ الفلسفيّ لِبناءِ التركيبِ اللغويّ العربيّ.

المطلب الثالث: علَّةُ الذهولِ في تَوجيهِ كراهةِ مجيءِ الفاعلِ والمفعولِ مُضمَرَيْنِ في أفعالِ غَيرِ القُلوبِ:

يَجوزُ في أفعالِ القُلوبِ أَنْ يأتيَ الفاعلُ والمفعولُ للشيءِ نَفسِهِ، أي أنْ يَكونَ الفاعلُ والمفعولُ واحدًا، سَواءٌ في أفعالِ اليَقينِ، أم في أفعالِ الشكِّ والظنِّ؛ وعِلَّةُ ذلكَ أنَّ عِلْمَ الإنسانِ وظنَّهُ بِنفسِهِ أَغلَبُ وأكثَرُ مِنْ عِلْمِ غيرِهِ وظنِّ غيرِهِ بِهِ، وعليهِ؛ فقد كَثُرَ في أَفعالِ القلوبِ مَجيءُ الفاعلِ والمفعولِ مُضمَرَينِ للشيءِ نَفسِهِ، فَجازَ أن تقولَ: ظَنَنتُني قادِرًا، وعَلِمتُني راضِيًا. يقولُ ابن الحاجب (٦٤٦هـ) في هذه المسألةِ: "وأمّا أفعالُ القلوبِ، فَكثيرًا ما يَقَعُ فاعلُها ومفعولُها لِشيءٍ واحدٍ، بل هوَ الأكثرُ؛ لأنَّ عِلْمَ الإنسانِ وظنَّهُ بأمورِ نفسِهِ أكثرُ وقوعًا مِن غيرِهِ"(١).

وَعلى النَّقيضِ مِن ذلكَ يأتي استعمالُ أفعالِ غيرِ القلوبِ، التي يَكثرُ ويَغلبُ أن يَكونَ فاعلُها شَيئًا، ومفعولُها شيئًا مُغايِرًا، وعليهِ؛ فقد كرِهَ العربُ أن يأتيَ الفاعلُ والمفعولُ ضَميرَينِ للشيءِ نفسِهِ مع أفعالِ غيرِ القلوبِ؛ لأنَّ أكثرَ استِعمالِ أفعالِ غيرِ القلوبِ أَنْ يُحدِثَ فاعِلٌ الحدثَ في مَفعولٍ غيرِهِ؛ فَكرِهوا أن تَقولَ: سَقَيْتُني، وفَضَّلوا — في مثلِ هذا السِّياقِ– أنْ يُوقِعوا الفعلَ على النَّفْسِ؛ فَتقولَ: سَقَيتُ نَفسي.

وعِلَّةُ كراهَةِ مجيءِ الفاعِلِ والمفعولِ ضَميرَينِ للشيءِ نَفسِهِ في أفعالِ غيرِ القلوبِ، أنَّ كَثرةَ مجيءِ فاعِلِها ومفعولِها مُغايرَينِ قَدْ يَدفَعُ اللَّبْسَ عندَ اتِّحادِهِما في قولِكَ: ضَرَبْتُني؛ وهنا قَدْ يَذْهَلُ السامعُ عَنْ حركةِ تاءِ الفاعلِ المضمومةِ

(١) ابن الحاجب: الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، ٢/ ٧١.

للمتكلِّمِ، فيظنُّها فَتحةً للمُخاطَبِ؛ تبعًا لكثرَةِ ورودِها في الاستعمالِ؛ لِذا فَضَّلوا الإتيانَ بالنَّفسِ مفعولًا بِهِ بِقَولِكَ: ضَرَبْتُ نَفسي؛ حتَّى يَعلَمَ السامعُ يَقينًا أنَّ الفاعلَ والمفعولَ بِهِ شيءٌ واحدٌ على خِلافِ الكثرةِ في وُرودِهِ في هذه الأفعالِ، وهذا ما علَّلَ بهِ ابنُ جماعةَ (٨١٩هـ) بِقولِهِ: "الغالبُ في غيرِ أفعالِ القلوبِ وقوعُ الفِعلِ على الغيرِ، فإذا جاز الجمعُ بينهما، وقيلَ: (ضربْتُني) مثلًا؛ رُبَّما يُذهَلُ عَنِ الضَّمِّ، ولا يُعلَمُ أنَّ التاءَ للمُخاطَبِ أوْ للمتكلِّمِ بِخِلافِ أفعالِ القلوبِ؛ لأنَّ الغالبَ فيها وقوعُ الفِعْلِ عَلى نفسِهِ... فلا يَقولونَ: أنا ضربْتُني، بل: ضربْتُ نَفسي، ولا: أنتَ ضربتَكَ، بل: ضربتَ نَفسَكَ. وإنَّما كَرِهوا ذلكَ...لِما ثبتَ مِنْ أنَّ غيرَ أفعالِ القلوبِ قلَّ أنْ يكونَ فاعِلُه ومفعولُهُ لِشيءٍ واحدٍ"(١).

والذي يَراهُ الباحثُ أنَّ أمْنَ اللبسِ منَ الذهولِ في هذه المسألةِ فيهِ مراعاةٌ بالغةٌ لِواقِعِ الاستعمالِ اللغويِّ، وما يترتَّبُ على رَتابةِ الاستعمالِ وانتظامِهِ بينَ الكثرةِ والقلَّةِ مِنْ عُلوقِ سَمتِ الاستِعمال في لا وعيِ المتكلِّمِ والسَّامِعِ؛ استِنادًا إلى الكثرةِ الشائِعةِ في هذا الاستِعمالِ؛ فَتَدفَعُ مُخالفةُ هذهِ الكثرةِ إلى اللبسِ عندَ السامعِ عن حقيقةِ التركيبِ، ووظيفةِ أجزائِهِ في الكلامِ تبعًا لِمقصودِ المتكلِّمِ، حتّى وإنْ كانتْ هذه المخالفةُ جائِزةً في التركيبِ اللغويِّ نظريًّا، ولعلَّ هذا مِنْ براعةِ العربيَّة التي تلتفتُ بعنايةٍ إلى مُقتضى حالِ السامعِ والمتكلِّمِ؛ ليأتيَ الكلامُ غايةً في الوضوحِ والإفهامِ.

(١) الجاربردي: مجموعة الشافية في عِلمي التصريف والخط، ٢٦٩/١

المطلب الرابع: علةُ الذهولِ في توجيهِ إبدالِ الهمزةِ هاءً، ثمّ إثباتِها في (أَهراقَ/ يُهريقُ):

يُوَجِّهُ النحاةُ صيغةَ (أَهْراقَ/يُهْريقُ) توجيهاتٍ مختلفةً؛ بُغيَةَ تعليلِ شُذوذِ هذهِ الصيغةِ عَنْ نَظائِرِها المبدوءةِ بهمزةٍ؛ شذوذٌ يتمثَّلُ بِبَقاءِ عينِ الفِعلِ في (أَهراقَ/ يُهريقُ)، وحذفِها من نَظائِرِها مثلِ: (أَكْرَمَ/ يُكْرِمُ)، ويَرى بعضُ العُلَماءِ أنَّ أَصلَ الهاءِ في الفِعلِ (أَهْراقَ) همزةٌ (أَأْراقَ)، والأَلِفُ أَصْلُها ياءٌ؛ فَيكونُ أَصْلُ الفِعْلِ (أَأَرْيَقَ/ يُؤَرْيِقُ) على وزنِ (أَأَفْعَلَ/ يُؤَفْعِلُ)، ثمَّ لما اجتَمَعَتِ الهمزتانِ أَبدلوا الهمزةَ -عَينَ الفِعلِ- هاءً تَسهيلًا لِلنطقِ؛ فَقالوا: (أَهَرْيَقَ/ يُهَرْيِقُ)، ثمَّ قَلَبوا الياءَ ألفًا في (أَهَراقَ يُهَريقُ)، ثمَّ سُكِّنَتِ الهاءُ؛ فأَضحى توجيهُ الصيغةِ (أَهْراقَ/ يُهْريقُ).

وَفي توجيهِ تَسكينِ الهاءَ في(أَهْراقَ/ يُهْريقُ) يَرى المبرِّدُ (٢٨٦هـ) أنَّ الأصلَ في هذا (أَراقَ)، ثمَّ أُبدلتِ الهمزةُ هاءً؛ فأَضحَتْ (هَراقَ)، ثُمَّ أدْخلَ المتكلِّمُ الهمزةَ على الفِعْلِ لِتَغدوَ (أَهَراقَ)، ثمَّ سَكَّنَ الهاءَ قِياسًا على تَسكينِها في نظائِرِها في صيغةِ (أَفْعَلَ)؛ لِتصبحَ (أَهْراقَ)؛ وتعليلُ تَسكينِ الهاءِ عندَ المبرِّدِ أنَّ المتكلِّمَ ذَهَلَ عَنْ كَونِ الهاءِ (في أَهَراقَ) بدلًا من الهمزةِ؛ فتوهَّم أنَّ الهاءَ فاءُ الفِعْلِ، والحقيقةُ أنَّ الهاءَ في الأصلِ همزةُ صيغةِ (أَفْعَلَ) وليستْ فاءَ الكلمةِ؛ فلمَّا توهَّمَ المتكلِّمُ أنَّ الهاءَ في (أَهَراقَ) فاءُ الفِعلِ، وأنَّ فاءَ الفِعْلِ تُسَكَّنُ في (أَفْعَلَ/ يُفْعِلُ)، سَكَّنَ المتكلِّمُ الهاءَ؛ فأصبَحَ الفِعْلُ الشائِعُ في الاستِعمالِ (أَهْراقَ/ يُهريقُ). يَنقُلُ الإستراباذيُّ (٦٨٦هـ) رأيَ المبرِّدِ بِقَوْلِهِ:" وللمبردِ أنْ يقولَ: بلْ هذهِ الهاءُ الساكنةُ هي التي كانتْ بدلًا منَ الهمزةِ؛ ولما تغيَّرَ صورةُ

الهمزةِ – واللغةُ مِنْ بابِ (أَفْعَلَ) وهذا البابِ يلزمُ أولَهُ الهمزةُ– استَنْكَرُوا خُلُوَّ أَوَّلِهِ منَ الهمزةِ؛ فأَدخَلوها ذهولًا عنْ كونِ الهاءِ بدلًا منَ الهمزةِ ثمَّ لما تقرَّرَ عندهُمْ أنَّ ما بعدَ همزةِ الإفْعالِ [أَفْعَلَ/ يُفْعِلُ] ساكِنٌ لا غير أسكنوا الهاءَ فصارَ (أَهْرَاق)"[1]

والذي يَراهُ الباحثُ أنَّ هذا التوجيهَ مَقبولٌ جدًّا؛ بالنظرِ إلى أمرَينِ اثنَيْنِ: الأوَّل: إثباتُ أنَّ (هَراقَ) أَصلُها أَراقَ، وأنَّ قلبَ همزةِ (أَفْعَلَ) هاءً لُغَةٌ مِنْ لُغاتِ العربِ، وهذا ما نُقِلَ عنِ اللحيانيّ مِنْ أنَّ (هَراقَ) بإبدالِ الهمزةِ هاءً لُغَةٌ يمانيَّةٌ فَشَتْ وشاعتْ في مِصْرَ[2]؛ ما جَعَلَها تَرِدُ في الاستعمالِ اللغويّ العربيّ. وإبدالُ الهمزةِ هاءً واقِعٌ في بعضِ لُغاتِ العربِ في الأسماءِ والأفعالِ والحروفِ؛ ودافِعُ هذا الإبدالِ كونُ الهمزةِ والهاءِ يَخرجانِ منْ مخرجٍ واحدٍ في أَقصى الحلقِ[3].

وَكونُ هذا الإبدالِ لُغَةً على غيرِ ما هوَ شائِعٌ في لُغةِ العربِ الذينَ يُثبِتونَ همزةَ التعديةِ في أَوَّلِ الفِعْلِ لا الهاء؛ فقدْ تعدَّدَتْ أوجُهُ صيَغِ الفِعْلِ (أراقَ) في الاستعمالِ اللغويّ العربيّ تطوُّرًا عن أَصلِ الفِعلِ على التوجيهاتِ الآتيةِ[4]:

(١) الإستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، ٣٨٥/٢. ويُنظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١٥٣/٤.

(٢) يُنظر: ابن منظور: لسان العرب، (ريق).

(٣) الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، ١٧٤/١.

(٤) يُنظر: الزبيدي: تاج العروس (هرق).

١ــ (أراقَ/ يُريقُ): وهوَ أصلُ استعمالِ الفعلِ في العربيَّةِ، تُحذفُ همزتُهُ في المضارعِ على ما هوَ مشهورٌ في صيغةِ (أفعلَ)، وهذهِ الصيغةُ الأكثرُ استعمالًا، ومصدرهُ (إراقةٌ)، وأمرُهُ (أَرِقْ).

٢ــ (هَراقَ/ يُهَريقُ) بِفتحِ الهاءِ وإثباتِها دونَ حَذفٍ أوْ إبدالٍ، وأُثبِتَتِ الهمزةُ هنا؛ لأنَّ حَذفَ الهمزةِ في (أَبْعَدَ) أتى مِنْ كونِ مُضارِعِهِ المسندِ إلى المتكلِّمِ تجتمع فيهِ همزتانِ في أولِهِ (أُؤَبعِدُ)؛ فتُحذف الهمزةُ تسهيلًا، ثمَّ اطَّردَ حَذفُها في باقي أحرفِ المضارعةِ. وهذهِ العلَّةُ تنتفي مع إبدالِ الهمزةِ هاءً في (أُهَريقُ)[1].

٣ــ (أَهْراقَ/ يُهْريقُ)، وهيَ موضِعُ التفصيلِ في هذهِ المباحثةِ.

٤ــ (أَهَراقَ/ يُهَريقُ) بِإبدالِ الهمزةِ هاءً، ثمَّ زِيادةِ همزةِ التعدِيَةِ قبل الهاءِ.

٥ــ (أَهْرَقَ/ يُهرِقُ) وهيَ لغةٌ شاذَّةٌ تَقومُ عَلى إبدالِ الهمزةِ هاءً ثمَّ حذفِ عَيْنِ الفعلِ، وإثباتِ الهاءِ فاءً للفعلِ، وفاءِ الفعلِ عينًا.

والأمرُ الثاني وهو الأهمُّ: أنَّ اللغة الشائعةَ عند العربِ في (أَراقَ) إثباتُ الهمزةِ لا إبدالُها هاءً؛ وهُنا فإنَّ زِيادةَ الهمزةِ في (أَهَراقَ)، ثمَّ الذهولَ عنْ كونِ الهاءِ في (أَهَراقَ) مُبدَلَةً من الهمزةِ، وتوهُّمَ أنَّها فاءُ الفعلِ لا زائدةٌ، كلُّ هذا واردٌ بالقِياسِ إلى ما هوَ مَشهورٌ في الاستعمالِ اللغويِّ العربيِّ مِنْ تَسكينِ فاءِ الفِعْلِ في (أَفْعَلَ)؛ وكأنَّ المتكلِّمَ الذي اشتُهِرَ في لا وعيِهِ صيغةُ (أَفْعَلَ/ يُفْعِلُ) بِتسكينِ فاءِ الفِعْلِ وحذفِ الهمزةِ في المضارعةِ، لما استعملَ الفِعْلَ (أَهَراقَ) ساقَهُ لا وَعْيُهُ إلى أنَّ الهمزةَ همزةُ (أَفعَلَ) للتعديةِ، وأنَّ الحرفَ بعدَها —في سَمتِهِ

(١) يُنظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، ٢٧٩/٤، ويُنظر: الجوهري: معجم الصحاح، (هرق).

الاستعماليَّ- ساكِنَةٌ كما في (أَكْرَمَ/ يُكْرِمُ)؛ ذاهِلًا عنْ كونِ الهاءِ مبدلَةً من همزةٍ؛ فَقامَ بِتسكينِ الهاءِ كما يُسَكَّنُ ما بعدَ همزةِ (أَفعَلَ) في الاستعمالِ الشائِعِ عندَهُ. ويرى الباحثُ أنَّ هذا الذهولَ إنَّما يلزمُ أنْ يَكونَ وقعَ في بيئةٍ أُخرى غيرِ البيئةِ اللهجيَّةِ التي تُبدِلُ الهمزةَ هاءً؛ لأنَّ الذهولَ إنَّما يَقعُ -هنا- بِتداخُلِ الاستعمالِ الجديدِ للصيغةِ معَ استعمالِها الشائعِ عندَ المتكلِّمِ؛ ما يوقِعُ المتكلِّمَ في انحرافٍ استعماليٍّ.

المطلب الخامس: تداخُلُ لُغتيْنِ؛ لِعلَّةِ الذهولِ في قِراءَةِ: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحِبُكِ} بكسرِ الحاءِ وضمِّ الباءِ في (الحِبُكِ):

تعدَّدَتِ القراءاتُ القرآنيَّةُ في قولِ اللهِ -تعالى-: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ}(١)، وجاءَ الاختِلافُ بينَ القراءاتِ في ضبطِ كلمةِ (الحُبُكِ) وهيَ جمعُ (حَبيكَةٍ) بمعنى: طريقِ الغيمِ، أوِ النجومِ، أوِ الطريقِ الحَسَنِ، وقد أشارَ غيرُ عالِمٍ إلى الاختلافِ بينَ القِراءاتِ في ضبطِ الكلمةِ، يقولُ الأنباريُّ (٥٧٧هـ): "وواحدُ الحُبُكِ: حَبِيكَةٌ، وحِباكٌ. وفي الحُبُك ثلاثةُ أوجُهٍ:

الحُبُكُ، بضَمِّ الحاءِ والباءِ، وهوَ مذهبُ العوامِ. وقرأ أبو مالكٍ الغفاريُّ (٩١هـ): (الحُبْك)، بضمِّ الحاءِ وتسكينِ الباءِ. وقرأَ الحسنُ (١١٠هـ): (ذاتِ الحِبْك)، بكسر الحاء وتسكين الباء"(٢)

في حينِ أورَدَ ابن جني (٣٩٢هـ) سبعَ قراءاتٍ للفظةِ (الحُبُكِ) على النحوِ الآتي:" قراءةُ الحَسَنِ: (الحُبْك)، مضمومةَ الحاءِ، ساكنةَ الباءِ. ورويَ عنهُ: (الحِبْك)، بكسرِ الحاءِ، ووقْفِ الباءِ، وكذلكَ قرأَ أبو مالكٍ الغفاريُّ، وروي عنه: (الحِبُك)، بكسرِ الحاءِ، وضمِّ الباءِ، ورويَ عنهُ: (الحَبَك). ورويَ عنهُ: (الحِبِك). الوجهُ السادسُ قراءةُ الناسِ[الحُبُك]. ورويَ عنْ عكرمةَ وجهٌ سابعٌ، وهوَ: (الحُبَك)".

والقراءةُ التي تخصُّ موضوعَ البحثِ هيَ قراءةُ أبي مالكٍ الغفّاريّ (الحِبُكِ): بِكسرِ الحاءِ، وضمِّ الباءِ، وهيَ قراءَةٌ تَجمَعُ بينَ الكسرِ والضمِّ، في حينِ أنَّ

---

(١) الذاريات: ٧.

(٢) الأنباري، أبو بكر: الزاهر في معاني كلمات الناس، ٣٤٢/١.

هُناكَ قراءتانِ إحداهُما بِضمَّتينِ، والأخرى بِكَسرَتَيْنِ، ورأى ابن جني أنَّ قراءةَ الكَسرِ والضمِّ نتجَتْ عَنْ تَداخُلٍ حدثَ عندَ القارِئِ بينَ قِراءَةِ (الحِبِكِ) وقِراءةِ (الحُبُكِ)، ورأى ابن جني أنَّ التداخُلَ اللغويَّ يَقَعُ في اللغةِ عمومًا سواءٌ بينَ كلمتينِ وهو الأكثر، أو في الكلمةِ الواحدةِ، ورأى أنَّ مردَّ التداخُلِ في هذا الموضِعِ (الحِبُكِ) إدراكُ القارِئِ لُغَتينِ أو أكثرَ، أَوْ سَهوُهُ عَنْ سُلوكِ طريقٍ واحِدٍ في تحقيقِ لُغَةٍ من هذهِ اللغاتِ؛ فتتداخَلُ لُغَتانِ أوْ أكثرُ في قِراءَتِهِ، يَقولُ -تعقيبًا على قراءةِ (الحِبُكِ)-: "وأما (الحِبُك) بكسرِ الحاءِ، وضمِّ الباءِ، فأحسَبُهُ سهوًا؛ وذلكَ أنه ليسَ في كلامِهِمْ (فِعُل) أصلًا، بكسرِ الفاءِ، وضمِّ العينِ. أو لعلَّ الذي قرأَ بهِ تداخلتْ عليهِ القراءتانِ: بالكسرِ، والضم. فكأنَّه كسرَ الحاءَ يريدُ (الحِبك)، وأدركَهُ ضمُّ الباءِ على صورةِ (الحُبُك)، وقد يعرضُ هذا التداخلُ في اللفظةِ الواحدةِ، قالَ بلالُ بنُ جريرٍ:

إذا جِئْتَهُمْ أَوْ سَآيَلْتَهُمْ وَجَدْتَ بِهِمْ عِلَّةً حاضِرَهْ

أرادَ: أوْ سَأَلتَهُمْ، أو ساءَلتَهُمْ، أوْ لغةَ مَنْ قالَ: سايَلْتَهُمْ، فأبدلت، فتداخلَتِ الثلاثُ عليهِ؛ فخلط، فقال: سآيلتهم"[1].

وفي هذا الاتجاهِ ذهبَ توجيهُ ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، الذي رأى أنَّ الذي قرأ (الحِبُك) قرأ أوَّلًا بالقراءةِ الأقلَّ شُهرَةً؛ فنطقَ الحاءَ مكسورَةً، ثمَّ بَعدَ أنْ نطقَ الحاءَ مكسورَةً وأرادَ نُطقَ الباءِ، ذَهِلَ عَنْ كَسرِهِ الحاءَ، وذَهَبَ إلى اللغةِ المشهورةِ بالضمِّ، غيرَ أنَّهُ لَمْ يُصَحِّحِ الهاءَ المكسورَةَ؛ فنطقَ: (الحِبُك)، يَقولُ في ذلكَ: "إنْ صحَّ النقلُ قلنا فيه -بناءً على ما قالَ ابن جني-: (وهوَ

(١) ابن جني: المحتسَب في تبيينِ وجوهِ شواذِّ القراءاتِ والإيضاح عنها، ٣٣٧/٢.

أنَّ الحِبِكَ بكسرتينِ وَالحُبُكَ بضمتينِ بمعنَى) : إنَّ الحِبُكَ مركبٌ مِنْ اللغتينِ، يعنِي أنَّ المتكلِّمَ بهِ أرادَ أنْ يقولَ الحِبِك بكسرتينِ، ثمَّ لما تلفَّظَ بالحاءِ المكسورةِ ذَهِلَ عنْها وذهبَ إلى اللغةِ المشهورةِ وهيَ الْحُبُك بضمتينِ، فلمْ يرجِع إلى ضمِّ الحاءِ، بلْ خلَّاها مكسورةً، وضمَّ الباءَ، فتداخلتِ اللغتانِ: الحِبِكُ والْحُبُكُ في حرفِي الكلمةِ الحاءِ والباءِ"(١)

ويرى الباحثُ أنَّ هُناكَ ملحوظتَينِ يجبُ أخذُهما بعينِ الاعتبارِ في التعاملِ معَ تعليلِ ابن الحاجب قِراءَةَ (الحِبُكِ) على الذهولِ المفضي إلى التداخُلِ بينَ اللغتينِ:

الأولى: أنَّ ابن الحاجب ومِن قبلِه ابن جني (٣٩٢هـ) قد تعاملا معَ لفظِ (الحِبُكِ) بِمَعزِلٍ عَنِ السياقِ اللفظيِّ الذي وردَ فيهِ في تركيبِ الآيةِ القرآنيَّةِ الكريمةِ، وأنَّهما تعاملا معَ اللفظةِ بِوصفِها كَيانًا لغويًّا قائِمًا بِذاتِهِ؛ فبحثا في سببِ مجيءِ هذا اللفظِ على ضبطٍ يُخالفُ أحدَ الأنساقِ الصرفيَّةِ المعتبرةِ في هذهِ اللفظةِ واشتقاقاتِها ونظائِرِها. وخيرٌ مِنْ هذهِ المعالجةِ المعزولةِ للَّفظة، أنْ يُنظَرَ إليها في إطارِ سياقِها اللفظي في التركيبِ كاملًا؛ وفيهِ أنَّ كلمةَ (الحِبُكِ) سُبِقَتْ بِكَلِمةِ (ذاتِ)، وعليهِ؛ فإنَّ الحاءَ المضمومةَ في الأصلِ قَدْ سُبِقَتْ بالتاءِ المكسورةِ، وبعدَ التاءِ جاءتِ اللامُ الساكنةُ التي تمثِّلُ حاجِزًا غيرَ حصينٍ بينَ المتحرِّكَيْنِ، وهنا حدَثَ إتباعٌ بينَ ضمةِ الحاءِ في (الحُبُكِ) وكسرةِ التاءِ قبلَها في (ذاتِ)؛ فكُسِرَتِ الحاءُ إتباعًا للكسرةِ قبلها إتباعَ لاحقٍ لِسابِقٍ، وهذا واقعٌ في اللغةِ عمومًا، ومثالُهُ في القرآنِ ضَمُّ اللامِ في (للهِ) إتباعًا لضمةِ

(١) الإستراباذي، الرضي: شرح شافية ابن الحاجب، ٣٩/١.

(الحَمْدُ) في قراءةِ: {الحَمْدُ لُلَّهِ ربِّ العالَمينَ} [1]، وهذا ما ذهبَ إليهِ أبو حيّانَ الأندلسيُّ (٧٤٥هـ) في توجيهِ قراءةِ (الحِبُكِ). يَقولُ في هذهِ المسألةِ: "وَالأَحْسَنُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مِمَّا اتَّبَعَ فِيهِ حَرَكَةُ الحَاءِ لِحَرَكَةِ (ذَاتِ) فِي الكَسْرَةِ، وَلَمْ يُعْتَدَّ بِاللَّامِ السَّاكِنَةِ؛ لِأَنَّ السَّاكِنَ حَاجِزٌ غَيْرُ حَصينٍ"[2]

وهذا التوجيهُ -كما هوَ واضحٌ- ينسجمُ مَعَ الاستعمالِ اللغويِّ العربيِّ، ويقدِّمُ تعليلًا في إِطارِ السياقِ الاستعماليِّ الواقعِ في اللغةِ، بعيدًا عَنِ الافتراضاتِ التكهُّنيَّةِ الفلسفيَّةِ الافتراضيَّةِ التي تجنحُ بالتعليلِ اللغويِّ إلى ما يُشبِهُ الرجمَ بالغيبِ الذي لا دليلَ عليهِ، ولا هوَ ناتجٌ عَنْ سؤالِ مَنْ تكلَّمَ بهذهِ القراءةِ؛ فيُجيبُ معلِّلًا قراءتَهُ بهذا الذي افترضهُ ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، فكيفَ ننصرفُ عنِ التعليلِ بِما هوَ واقعٌ في الاستعمالِ اللغويِّ، إلى ما هوَ افتراضٌ ناتجٌ عن ملَكاتٍ فلسفيَّةٍ منطقيَّةٍ لا دليلَ عليها؟

الثانية: أنَّ افتراضَ السهوِ والذهولِ مقبولٌ في الاستعمالِ البشريِّ العربيِّ، أمَّا أنْ توصَفَ قراءةٌ شاذَّةٌ بِأنَّها جاءتْ نتاجًا لِسهوِ القارئِ، أوْ ذُهولِهِ عَنِ استعمالٍ لغويٍّ إلى آخرَ، فهذا مما لا يليقُ في إِطارِ القراءاتِ القرآنيَّةِ، التي يرى العلماءُ أنَّ شُذوذَها إنَّما هو من قبيلِ مجيئِها على غيرِ الشائعِ من كلامِ العربِ، لا من قبيلِ مجيئِها على ما يخرجُ عن صحيحِ اللغةِ.

(١) يُنظر: ابن جني: المحتسب، ١/١١٠-١١٤.

(٢) الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ٩/٥٥٠.

سادسًا: الذهولُ عنْ قرينةِ الإشارةِ المعيَّنةِ في أسماءِ الإشارةِ، وأَثرُ ذلكَ في توجيهِ التابعِ بَعدَها:

تنبُعُ هذهِ المسألةُ منَ الخلطِ بينَ نوعَينِ منَ الأسماءِ: نَوعٍ يَكونُ فيهِ الإبهامُ متأصِّلًا باعتبارِ الوَضعِ، لا ينفكُّ عنهُ الإبهامُ؛ فيحتاجُ إلى تمييزٍ يُزيلُ إبهامَهُ، ويوضِّحُ ماهيَّتَهُ، كألفاظِ العقودِ مثلِ: (عشرين، وثلاثين). ونوعٍ آخرَ منَ الأسماءِ يَكونُ معرفةً أصلًا باعتبارِ الوضعِ؛ لِقرينةٍ فيهِ تُزيلُ إبهامَهُ؛ كالضَّمائرِ التي يتعيَّنُ أنْ تَكونَ دالَّةً على ما عُرِفَ فَأُضْمِرَ، وكأسماءِ الإشارَةِ التي تشتملُ على قرينةِ الإشارةِ المستقرَّةِ فيها؛ وما أَشرتَ إِلَيْهِ تعيَّنَ بالإشارةِ إليهِ؛ فَعُرِّفَ وتعيَّنَ.

فألفاظُ العُقودِ المبهَمَةُ –مثلًا– لا يُعرَفُ المتعيِّنُ بِها إِلَّا بتمييزِها الذي يَليها؛ لأنَّ معنى العددِ فيها ليسَ المتعيِّنَ المقصودَ في إيرادِها، وإنَّما المقصودُ هو التمييزُ الذي يليها، فإنْ قلتَ: حضرَ عِشرونَ...، ووقفتَ عندَ العددِ؛ لَمْ يتعيَّنِ المقصودُ بالعددِ (عِشرون) بسببِ الإبهامِ المستَقِرِّ في دَلالَةِ الكلمةِ، وهذا لا يَرْفَعُهُ سِوى التمييزِ الذي يُعَيِّنُ المقصودَ بالعددِ، فإذا قُلتَ: حضرَ عِشرونَ عالِمًا؛ زالَ الإبهامُ الدَّلاليُّ؛ لأنَّ المقصودَ المتعيِّنَ في الكلامِ (العلماءُ).

أمَّا الضَّمائرُ وأسماءُ الإشارةِ، فَهِيَ مَعارِفُ باعتبارِ الوضعِ الأَصليِّ لَها؛ فالضَّمائرُ تقتَضِي أَنْ يَكونَ هناكَ ظاهرٌ مَعرِفَةٌ حتَّى يُضمَرَ، وَما دامَ قَدْ عُرِفَ تَعَيَّنَ أَنْ يَكونَ معرفَةً بَعدَ إِضمارِهِ. غيرَ أنَّ بعضَ العلماءِ رأى أنَّهُ يمكنُ أنْ تقعَ الضمائرُ وأسماءُ الإشارةِ مبهماتٍ في سياقاتٍ استعماليَّةٍ معيَّنةٍ؛ إذا لَم تدلَّ في سياقٍ ما على ما تدلُّ عليهِ عادةً في أَصلِ وَضعِها اللغويِّ، مِنْ ذلكَ ما

وجَّه بهِ بعضُ النحاةِ المنصوبَ بعدَ الضَّميرِ في قولِهِ -تعالى-:{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا}[1]؛ فقد رأى الزمخشريُّ (٥٣٨هـ) وَجهًا إعرابيًّا يَكونُ فيهِ (عارضًا) تَمييزًا بِكَونِ الضَّميرِ الهاءِ في (رأوْهُ) مُبهَمًا، تعيَّنَ بالتمييزِ، يَقولُ في هذا:" (فَلَمَّا رَأَوْهُ) في الضميرِ وجهانِ: أنْ يرجعَ إلى (مَا تَعِدُنَا)، وأنْ يكونَ مُبْهمًا قدْ وضحَ أمرُه بقولِهِ: (عارِضًا)، إمّا تمييزًا وإما حالًا. وهذا الوجهُ أعربُ وأفصحُ"[2].

والأمرُ عَينُهُ يُمكِنُ توصيفُهُ في أسماءِ الإشارةِ والمنصوبِ بعدَها، حينَ يُعتَقَدُ أنَّ المقصودَ بالحُكمِ فيها التمييزُ بَعدَها، وأنَّها مُبهَمَةٌ لا يتعيَّنُ المقصودُ بِها إلَّا بالتمييزِ بَعدَها؛ وَعلى هذا الاعتقادِ وُجِّهَ نَصْبُ (مَثَلًا) على التمييزِ في قولِهِ -تعالى-:{مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا}[3]، والذينَ اختاروا النصبَ على التمييزِ رأَوْا في اسمِ الإشارةِ (هذا) مُبهَمًا على الرغمِ من اعتبارِ التعريفِ بالإشارَةِ فيهِ[4]، وحُجَّتُهُم في ذلكَ أنَّ معنى الضميرِ أَوِ اسمِ الإشارةِ في هذهِ الأَمثلةِ ونحوِها مُبهَمٌ في دَلالَةِ السياقِ، نَظيرَ الإبهامِ في الضَّميرِ في قولِكَ: رُبَّهُ رَجُلًا؛ بِدلالَةِ أنَّ رُبَّ لا تَجُرُّ إلّا النَّكِراتِ[5].

وقَدْ بُنيَ هذا الرأيُ مِنْ إقرارِ وُقوعِ المضمَرِ واسمِ الإشارةِ نَكِراتٍ في الدَّلالةِ السياقيَّةِ على حُجَّةِ انصِرافِ ذِهنِ المتكلِّمِ والمتلقّي عَنِ التعريفِ الموجودِ في

(١) الأحقاف: ٢٤.

(٢) الزمخشري: تفسير الكشاف، ١٠١٤/٢٦.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) يُنظر: الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، ٢٠١/١-٢٠٢.

(٥) يُنظر في توجيه كون الضمير نكرة في (رُبَّهُ رجلًا): ابن مالك: شرح التسهيل، ١٨٤/٣.

هذهِ الأَسماءِ في أَصْلِ وَضعِها في اللغةِ العربيَّةِ؛ فتأتي في بَعْضِ السياقاتِ الاستعماليَّةِ مُنقطِعَةَ الدلالةِ عنْ ماهيَّتِها الأَصليَّةِ؛ فتَنْصَرِفُ وَظيفَتُها عَنِ التعريفِ إلى الإبهامِ الذي لا يَرفَعُهُ ما في أَصلِها مِنْ قَرائِنِ التعريفِ؛ لأنَّها في بَعضِ السياقاتِ تَكونُ مُنبَتَّةَ الصِّلةِ عنْ ماهيَّتِها الأَصليَّةِ؛ فاسمُ الإشارةِ مَثَلًا يَكتَسِبُ التعريفَ مِنْ مَعنى الإشارةِ المستقرِّ فيهِ، وهذا المعنى الأصليُّ يَقترنُ – في أَصلِ الوضعِ اللغويِّ- بِحركةٍ إشاريَّةٍ منَ المتكلِّمِ للسامِعِ، تُعَيِّنُ للسامِعِ الاسمَ المرادَ بالحُكمِ، وهذا المعنى التعريفيُّ لأسماءِ الإشارةِ قَدْ يَذهَلُ عَنهُ السامِعُ في بَعضِ السياقاتِ الدلاليَّةِ، ما يُحيلُ مَفهومَ الإشارةِ إلى الإبهامِ غيرِ المتعيِّنِ؛ وهذا يَستدعي التمييزَ الذي يُزيلُ الإبهامَ العارضَ لاسمِ الإشارةِ.

وفي المقابِلِ رَدَّ بعضُ النحاةِ هذا التوجيهَ للنصبِ على التمييزِ بعدَ الضميرِ والإشارةِ، ورأَوْا أنَّ التمييزَ إنَّما يأتي لِرفعِ الإبهامِ عنْ ذاتٍ مُبهمةٍ في أَصلِ الوضعِ، وهوَ إبهامٌ لا ينفكُّ عنْ هذهِ الأسماءِ، وهذا ما لا يتوفَّرُ في الضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ التي هيَ معارفُ في أَصلِ وضعها بالقرائنِ المعرِّفةِ لها، ورأى هذا الفريقُ أنَّ توهُّمَ الإبهامِ في بعضِ استعمالِها في سياقاتٍ معيَّنةٍ إنَّما مَرَدُّهُ إلى الذُّهولِ عنْ قرينةِ التعريفِ فيها؛ كالذهولِ عَنْ قرينةِ الإشارةِ المستقرَّةِ في أَسماءِ الإشارةِ، وهذا الذهولُ عن قرينةِ التعريفِ لا يُخَوِّلُ نَصبَ التمييزِ بَعدَها؛ لأنَّ الإبهامَ المتوَهَّمَ فيها إبهامٌ عارِضٌ غيرُ مستقرٍّ، وهوَ يختلفُ عَنِ الإبهامِ المستقرِّ في ألفاظِ العقودِ التي تَمَّتِ الإشارةُ إليها سابِقًا. يَقولُ ابن الحاجب (٦٤٦هـ) – في معارضتِهِ توجيهَ التمييزِ بعدَ المضمرِ والإشارةِ:" تَوَهَّمَ بعضُ النحويينَ أنهُ يصحُّ التمييزُ عنْ كلِّ مبهَمٍ مثل قوله –تعالى-: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا}

...وكذلك توهَّم في قولِهِ –تعالى–: {مَاذا أَرادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا}، وشبهُهُ كثيرٌ. وَهذا غَلَطٌ؛ لأنَّ التَّمييزَ رفعُ الإبهامِ المستقرِّ عنْ ذاتٍ مذكورةٍ أوْ مقدرةٍ. ونعني بالمستقرِّ ما لا ينفكُّ عنْهُ الإبهامُ باعتبارِ الوضعِ، والمضمرُ ليسَ فيه ذلكَ؛ فإنهُ إنَّما يُضمرُ الشيءُ بعدَ أنْ يُعرَفَ، واسمُ الإشارةِ وإنْ سُمِّيَ مُبْهَمًا فلا ينفكُّ عنْ قرينةٍ مشروطةٍ فيهِ باعتبارِ الوضعِ يتبيَّنُ بها غالبًا، ومِنْ هذِهِ الجهةِ كانَ الوهمُ لما رأوها لا يُفهم مِنها ماهيَّةُ مسماها، توهَّموا أنَّها كعشرينَ وثلاثينَ وليسا بِسَواءٍ؛ إذْ عشرونَ وثلاثونَ لا ينفكُّ عنِ الإبهامِ باعتبارِ الوضعِ. وهذا وبابُه إنْ فُرِضَ إبهامٌ فَلِلذُّهولِ عنْ قرينةِ الإشارةِ المعيَّنَةِ"[1]

والذي يراه الباحثُ أنَّ نفيَ ابن الحاجب (٦٤٦هـ) مجيءَ الضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ مبهمةً إبهامًا عارِضًا، أمرٌ فيهِ نظرٌ؛ فابن الحاجب (٦٤٦هـ) إنَّما اتكأ في رأيهِ على أَصلِ وضعِ هذهِ الأسماءِ المعرَّفةِ في اللغةِ العربيَّةِ، ورأى أنَّ هذا الأصلَ يُحتِّمُ عدمَ الحيدِ عن كونِها معارِفَ لأنها اكتسبَت تعريفَها منْ مسوّغِ نشأتها في اللغةِ؛ ذلكَ أنَّ وجودَ الضمائرِ مبنيٌّ على وقوعها موقعَ اسمٍ معرفةٍ نابت عنهُ، واسمُ الإشارةِ يكتسب التعريفَ من قرينةِ الإشارةِ المتأصلةِ فيهِ. لكنْ يرى الباحثُ أنَّ الاستعمالَ اللغويَّ هو الفيصَلُ في المعنى الوظيفيِّ للأسماءِ تعريفًا وتنكيرًا، وأنَّ أصلَ وضعِ الكلماتِ في بابِ المعارفِ لا ينفي وقوعها نكرةً أحيانًا إذا لم تدلَّ في سياقِ الاستعمالِ على معرفةٍ معيَّنةٍ محدَّدةٍ، وعليهِ فلا ينتفي وقوعُ بعضِ المعارفِ مبهمةً في السياقِ، إبهامًا يُبنى عليهِ أحيانًا أحكامٌ نحويَّةٌ تختصُّ بها النكراتُ دونَ المعارفِ. وخيرُ دليلٍ على ذلكَ

(١) ابن الحاجب، عثمان: كتاب أمالي ابن الحاجب، ٦٦٤/٢.

(ال) التعريفِ التي هيَ لاحقةٌ لغويَّةٌ وظيفتُها التعريفُ في أصلِ الوضعِ، والمعرَّفُ بها لا يقعُ موصوفًا بجملةِ صفةٍ؛ لأنَّ جملةَ الصفةِ يتعيَّنُ أنْ يَكونَ موصوفُها نكرةً، غيرَ أنَّهُ قد تلحقُ (ال) ببعضِ الأسماءِ فلا تُكسبُها تعريفًا كما هوَ مفترَضٌ، بل تبقى دلالتُها مبهمةً غيرَ محدَّدةٍ على ذاتٍ بِعينِها، وعليهِ؛ فيجوزُ أنْ توصَفَ بجملةٍ، ومن ذلكَ الموصوفُ (اللئيمُ) الذي وُصفَ بالجملةِ الفعليَّةِ في قولِ الشاعرِ:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللَّئيمِ يَسبُّني فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنيني

حيثُ رأى جماعة من النحاةِ أنَّ (ال) هنا للجنسِ لا للعهدِ والتعيينِ[1]، و(اللئيم) هنا قريبة من النكرةِ في الدلالةِ والوظيفةِ؛ فجازَ أنْ توصفَ بجملةٍ، والذي أجازَ ذلكَ هوَ السياقُ الاستعماليُّ الذي لم يدلَّ على معرَّفٍ متعيّنٍ بذاتِهِ بل دلَّ على جنسٍ كاملٍ دونَ تعيينٍ، وعليهِ؛ يرى الباحثُ أنَّ توجيهَ الزمخشريّ مقبولٌ نحويًّا؛ لأنهُ يُراعي الدلالة اللغويَّةَ المترتّبةَ على النظرِ إلى الكلماتِ استنادًا إلى معناها في الاستعمالِ، لا إلى ما وُضِعَتْ عليهِ في الأَصلِ؛ بحيثُ لا يُضحي التعاملُ معَ المركباتِ اللغويَّةِ بِوصفِها قوالبَ جامدةً بمعزِلٍ عنْ سياقِها الاستعماليّ.

(١) يُنظر: المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ٩٤٨/٢.

المطلبُ السادسُ: علَّةُ إمكانيَّةِ الذهولِ عَنِ الصفةِ واستقلالِها عنِ الموصوفِ، في رَدِّ رأيِ مَنْ قالَ بِجوازِ إلحاقِ ألفِ النُدبةِ الصِّفةَ:

اختلفَ العُلَماءُ في مسألةِ جوازِ إلحاقِ ألفِ النُدبةِ الصِّفةَ في مثلِ قولِكَ: (وا خالدُ الكريماهُ) في اتجاهينِ:

الأوَّل: أجازَ هذا الاستعمالَ في الصِّفةِ بعضُ النحاةِ، منهم الكوفيون كالفراءِ (٢٠٧هـ)، ومنهم بعض البصريين كيونسَ بنِ حبيبٍ (١٨٢هـ)، ويرى من أجازَ هذا التركيبَ الاستعماليَّ أنَّ إلقاءَ ألفِ الندبةِ على الموصوفِ لا على الصفةِ ممكنٌ بِدليلَيْنِ:

١ــ أنّهم قاسوا إلقاءَ ألفِ الندبةِ على الموصوفِ لا الصِّفةِ، بِإلقاءِ ألفِ الندبةِ على المضافِ إليهِ لا المضافِ، ورأى هؤلاءِ النحاةُ أنَّ الصفةَ والموصوفَ -في هذه المسألةِ- بمنزلةِ المضافِ والمضافِ إليهِ، وعليهِ؛ فلا مانعَ من إلحاقِ ألفِ الندبةِ بالصفةِ. جاءَ في الإنصافِ: "أمَّا الكوفيونَ فاحتجُّوا بأنْ قالوا: أجمعْنا على أنَّه يجوزُ أنْ نلقيَ علامةَ الندبةِ على المضافِ إليهِ، نحوَ قولك: "وا عبدَ زَيْدَاه، وا غلام عَمْرَاه"؛ فكذلك ههنا؛ لأنَّ الصفةَ معَ الموصوفِ بمنزلةِ المضافِ معَ المضافِ إليهِ؛ فإذا جاز أن تُلْقَى علامةُ النُّدْبَةِ على المضافِ إليهِ؛ فكذلك يجوز أن تُلْقَى على الصفة"[(١)].

٢ــ أنَّهُمُ استدلُّوا على جوازِ ذلكَ بورودِ ذلكَ في الاستعمال الفصيح على إلحاقِ ألفِ الندبةِ بالصفةِ، من مِثْلِ قولِ عربيٍّ ضاع له جمجمتان

(١) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/٣٠٠.

(قَدَحانِ): وا جُمْجُمَتَيَّ الشاميَّتَيْناه[1]، فَكانَ للمجوِّزينَ دليلٌ قِياسيٌّ ودليلٌ استعماليٌّ على صحَّةِ رأيِهم.

الثاني: وفي مقابل ذلكَ منعَتْ طائفةٌ من النحاةِ إلحاقَ ألفِ الندبةِ الموصوفَ، ومنهم جمهورُ البصريينَ،كالخليلِ (١٧٠هـ)، وسيبويهِ (١٨٠هـ)، واستدلّوا على عدمِ جوازِ ذلكَ بدليلينِ، هما:

١ــ أنَّ قياسَ الموصوفِ والصفةِ على المضافِ والمضافِ إليهِ في هذه المسألةِ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ المضافَ والمضافَ إليهِ بمنزلةِ الاسمِ الواحدِ، غيرُ مستقلَّينِ عن بعضِهما، ولذلكَ؛ لا يجوزُ ذِكرُ المضافِ دونَ المضافِ إليهِ، وهذا ما ليسَ بِواقعٍ بينَ الصفةِ والموصوفِ؛ لأنَّ الصفةَ مستقلَّةٌ في المعنى عنِ الموصوفِ، وعليهِ؛ فجائزٌ ذِكرُ الموصوفِ دونَ الصِّفةِ[2].

ويرى الباحثُ أنَّ وجهَ هذا الرأيِ عندَ البصريّينَ يتمثَّلُ في أنَّ المقصودَ بِحُكمِ الندبة في الصفةِ وموصوفِها هو الموصوفُ وحدَهُ، والصِّفةُ غيرُ مقصودةٍ بِحُكمِ الندبةِ؛ ففي قولكَ يا زيداهُ الكريمُ، فإنَّ المتفجَّعَ عليهِ أساسًا هنا (زيدٌ) لا (الكريمُ)، فَلِمَ تلحقُ الندبةُ الصِّفةَ وهي غيرُ مقصودةٍ بحكمِ الندبةِ، لكنْ في المضافِ والمضافِ إليهِ فإنَّ المقصودَ في حُكمِ الندبةِ والتفجُّعِ كِلا المضافِ والمضافِ إليهِ، لا واحدٌ منهما فقط، وعليهِ؛

(١) يُنظر: ابن مالك: شرح التسهيل، ٤١٦/٣.

(٢) يُنظر: الأنباري: الإنصاف: ٣٦٥/١، الأنباري: أسرار العربية، ص ١٨٣-١٨٤، ابن يعيش: شرح المفصل: ٣٥٩/١.

فَلحاقُ الندبةِ بالمضافِ إليهِ – وهو منادًى مَعَ المضافِ وتتمَّةٌ لَهُ- لَحاقٌ صحيحٌ لَفظًا ومعنًى واستعمالًا.

٢_ أنَّ الموصوفَ المنادى يأتي مبنيًّا، وتكونُ صِفتُهُ معربةً في مثلِ: يا خالدُ الكريمُ؛ وهذا دليلٌ على أنَّهما ليسا بمنزلةِ الاسمِ الواحدِ كالمضافِ والمضافِ إليهِ، فإذا ألحقنا ألف الندبة بالموصوفِ ألزمناهُ البناءَ وهو في الأصلِ معربٌ، واختلافُ الصِّفةِ والموصوفِ بين البناءِ والإعرابِ دليلٌ على أنَّهما ليسا بمنزلةِ الاسمِ الواحدِ كالمضافِ والمضافِ إليهِ، وفي هذا يَقولُ أبو عليٍّ الفارسيُّ (٣٧٧هـ): " الدليلُ على انفصالِ الصفةِ منَ الموصوفِ في المعنى –وإن كانتْ تجري عليهِ في إعرابِهِ- قولُهُمْ في النداءِ : (يا زيدُ العاقلُ)، ألا ترى أنَّ الموصوفَ مبنيٌّ، والصفة معربةٌ؟ فاختلافُهما في الإعرابِ والبناءِ دلالةٌ على أنَّهما ليسا بجاريَيْنِ مجرى الشيءِ الواحدِ. فإذا كانَ كذلكَ لَمْ يَجُزْ قولُ يونسَ في إلحاقِ علامةِ الندبةِ الصفةَ؛ لأنَّ الصفةَ منفصلةٌ من الموصوفِ، وليستْ بداخلةٍ في النداءِ"[١]

ولعلَّ موقفَ البصريينَ قائمٌ على فكرةِ العلاقةِ بين المضافِ والمضافِ إليهِ من جهةٍ، والصفةِ والموصوفِ مِنْ جهةٍ أُخرى، هذهِ العلاقةُ الراجعةُ إلى أصلِ الوضعِ والدّلالةِ؛ فالمضافُ والمضافُ إليهِ أصبحا –في الاستعمالِ- كالكلمةِ الواحدةِ، يكونُ كلٌّ منهما كالحرفِ منَ الكلمةِ، فلا يُمكنُ أنْ يغفلَ مستعملُ اللغةِ عن حرفٍ من الكلمةِ؛ لأنَّ ذلكَ سيُشعرهُ بالخللِ الاستعماليِّ الذي سينبّهُهُ إلى كاملِ التركيبِ؛ لِيحصُلَ تَمامُ المعنى، ففي قولِكَ جاءَ أبو عليٍّ،

(١) الفارسي، أبو علي: المسائل البصريات، ص٥١٣.

فإنَّه لا يستقيمُ الاستعمالُ بِقولِكَ: جاءَ أبو؛ لأنَّ التركيبَ هنا مختلٌّ غيرُ تامٍّ، ويُحوِجُ إلى البحثِ عمّا يُكَمِّلُ (أبو)؛ لِيُصبِحَ المعنى والتركيبُ مقبولَيْنِ مُفهِمَيْنِ مُفيدَيْنِ.

هذا بِخِلافِ العلاقةِ الاستعماليَّةِ والدَّلاليَّةِ بينَ الصِّفةِ والموصوفِ؛ فالصِّفةُ لا تقعُ في الاستعمالِ إلّا بعدَ تمامِ الموصوفِ في التركيبِ قبلَ وقوعِها، هذا التَّمامُ الذي يجعلُ الصفةَ مستقلَّةً عنِ الموصوفِ؛ فإذا ذَهِلَ مُستعمِلُ اللغةِ عنِ الصِّفةِ، لَمْ يَختلَّ تَمامُ الموصوفِ، ولَمْ يُشعَرْ بِخللٍ – في الجملةِ –دافعٍ إلى إعادةِ النظرِ في التركيبِ كما هو عليه الحالُ في حذفِ المضافِ إليهِ، ففي قولكَ: جاءَ محمدٌ القويُّ يرفع سيفَهُ، فإنَّكَ لو ذَهِلتَ عنِ الصفةِ (القويُّ) ولَمْ تقرأْها، فلنْ يختلَّ تركيبُ الكلامِ بقولِكَ: جاءَ محمدٌ يرفعُ سيفَهُ. وعليهِ؛ فإنَّ إمكانيَّةَ الذهولِ عنِ الصفةِ دونَ اختلالِ التركيبِ، وعدمَ إمكانيَّةِ الذهولِ عنِ المضافِ إليهِ، يؤَكِّدُ موقفَ البصريينَ من عدمِ جوازِ إلحاقِ ألفِ الندبةِ.

وهذا التَّفصيلُ يتجلّى في نداءِ المضافِ والموصوفِ؛ ففي نداءِ المضافِ والمضافِ إليهِ فإنَّ كِلَا المضافِ والمضافِ إليهِ داخلٌ ضمنَ النداءِ بوصفهما واحدًا في التركيبِ، يجري عليهما عملُ النداءِ، لذا؛ جازَ إلحاقُ ألفِ الندبةِ المضافَ إليهِ. وهذا ما ليسَ واقعًا في نداءِ الصفةِ والموصوفِ؛ فالصفةُ مستقلَّةٌ عنِ الموصوفِ، وللمتكلِّمِ الخَيارُ في إثباتِ الصفةِ أو في حذفِها، ولو ذَهِلَ عنها لما اختلَّ المعنى، ومن هنا؛ فليستِ الصفةُ مُنادًى، ولا يجري عليها ما يَجري على المنادى، فكيفَ يَجوزُ أنْ يَلحَقَها ألفُ الندبةِ التي تختصُّ بالمنادى وحدَهُ؟ وفي هذا يَقولُ ابنُ الحاجبِ (٦٤٦هـ) ردًّا على موقفِ يونسَ بنِ

حبيبٍ (١٨٢هـ): "وأما يونسُ فإنَّهُ يقول: [الصفةُ والموصوفُ] اسمان تنزلا منزلةَ اسمٍ واحدٍ؛ فلحقتهُ علامةُ الندبةِ كالمضافِ والمضاف إليهِ في قولهم: وا عبدَ المطَّلِباه، وشِبْهِهِ. والجوابُ: الفرقُ؛ وذلك أن المضافَ والمضافَ إليهِ تركَّبا وصارَ مدلولُهُما واحدًا، فصار كلُّ واحدٍ منهما كالزَّاي مِنْ (زَيْد)، حتى أنك لو فَصَلْتَ أحدَهُما عن الآخرِ لَمْ تفهمِ المدلولَ أصلًا، وليسَ كذلكَ الصفةُ والموصوفُ؛ فإنَّ الموصوفَ مستقلٌّ بالدلالةِ معَ الذهولِ عنِ الصفةِ، إذْ لَمْ تأتِ إلَّا بعدَ تمامِ الأولِ وكمالِه لغرضٍ، فقد ظهرَ الفرقُ بينَ الصفةِ والموصوفِ، والمضافَ والمضافِ إليه"(١).

والذي يراه الباحثُ أنَّ حجَّةَ المانعين أقوى مِن حجَّةِ مَنْ جوَّزوا إلحاقَ ألفِ الندبةِ المضافَ؛ لأنَّ تعليلَ المانعينَ يَتماشى مَعَ واقِعِ الاستعمالِ اللغويّ المطَّرِدِ في اللغةِ، وهوَ تعليلٌ يَسبُرُ غورَ السَّمتِ اللغويّ الذي ينتظمُ الاستعمالَ اللغويَّ العربيَّ؛ فيدركُ طبيعةَ العلاقةِ بينَ مكوّناتِ التراكيبِ اللغويَّةِ، التي لا تأتي في كلِّ الاستعمالاتِ على نسقٍ تركيبيٍّ واحدٍ من حيثُ الارتباطُ الدلاليُّ والتركيبيُّ؛ فيأتي بعضُها وثيقَ الصِّلةِ بينَ مكوّناتِهِ كالمضافِ والمضافِ إليهِ؛ ما يترتَّبُ عليهِ أحوالٌ منَ العلاقةِ الإعرابيَّةِ تعكسُ تلكَ الصلةَ غيرَ المنبتَّةِ بينَ تلكَ المكوّناتِ. في حينِ يأتي بعضُ التراكيبِ في إطارِ العلاقةِ الثانويَّةِ المستقلَّةِ بينَ مكوّناتِها؛ ما يجعلُ الانفصالَ الاستعماليَّ بينَ مكوّناتِها ممكنًا قَصدًا كانَ هذا الانفصالُ أم ذهولًا مِنْ مستعملِ اللغةِ؛ ما يترتَّبُ عليهِ الفصلُ بينَ هذهِ المكوّناتِ فَصلًا يُغايِرُ بينها في تأثيرِ العواملِ النحويَّةِ في بعضِ الاستعمالاتِ.

(١) ابن الحاجب: أمالي ابن الحاجب، ٤٨٧/١.

هذا فضلًا عن أنَّ إلحاقَ ألفِ الندبةِ على الموصوفِ -عندَ المجوّزينَ- يكادُ ينحصرُ في استعمالٍ نثريٍّ واحدٍ سُمِعَ من عربيٍّ فصيحٍ قالَ في قَدَحَيْهِ: (وا جُمْجُمَتَيَّ الشَّامِيَّتَيْنَاهْ)، وهذا الاستعمالُ نادرٌ شاذٌّ لَمْ يطَّرِدْ في كلامِ العربِ، ومعلومٌ أنَّ القليلَ الشاذَّ يُحفَظُ ولا يُقاسُ عليهِ في التقعيدِ النحويِّ.

***

الخاتمة

أولًا: تعدَّدت أسباب الذهول في مسائلِ النحوِ والصرفِ وكانَ مِنْ أبرزِها:

١_ مخالفةُ شيوعِ الاستعمالِ.

٢_ ضعفُ تركيبِ الكلمةِ (الحروفِ الأحادية).

٣_ احتمالُ اللبسِ فيما تشابه منَ المكونات اللغوية للكلماتِ والتراكيبِ. المسائل.

٤_ التداخُلُ الذي قد يقع فيه المتكلم بينَ لُغاتٍ مختلفةٍ للفظ اللغوي.

ثانيًا: مثَّلَ الذهولُ علَّةً نحويَّةً، استدلَّ بها النحاةُ على توجيهِ بعضِ مسائلِ النحوِ والصرفِ، وقد شكّلَ الذهولُ ملمحًا انزياحيًّا في الاستعمالِ اللغويّ العربيّ؛ يُوافقُ كَوْنَ اللغةِ لغةً إنسانيَّةً تتشكَّلُ بمرونةٍ ومطاوعةٍ متناسبةٍ مع طبيعةِ الإنسانِ المتقلبةِ والمتغيّرةِ، ومع طبيعةِ الظروفِ الحاليَّةِ المحيطةِ بتكوينِ النصّ اللغويّ.

ثالثًا: وفي إطارِ المسائلِ النحويةِ والصرفيةِ جاءتْ علَّةُ الذهولِ في التقعيد اللغويّ وفي البناء اللغوي مراعاةً لمقتضى حالِ السامعِ والمتكلمِ في النظامِ اللغوي العربي؛ بغيةَ الوصولِ باللغةِ إلى غايتِها في الإفهامِ الوظيفيِ في أعلى درجاتِ الوضوحِ؛ دفعًا للَّبسِ في فهمِ المقصودِ في المنطوقِ اللغويّ منْ جهةِ المتكلّم، ومنْ جهةِ السامعِ، هذا إلى جانبِ مراعاةِ طبيعةِ الإنسانِ التي فطرهُ اللهُ عليها، هذهِ الطبيعةُ التي جَبَلَتِ الإنسانَ على كونِهِ مُعرَّضًا للخطأِ والنسيانِ والغفلةِ والذهولِ عن حقيقةِ الواقعِ اللغويّ، نُطقًا أوِ استِماعًا أوْ إدراكًا للسمتِ اللغويّ الشائعِ في بيئةِ التقعيدِ اللغويّ

العربيّ، ويُعَدُّ التعليلُ النحويُّ بالذهولِ مرحلَةً متقدِّمةً من مراحلِ تطوُّرِ الدرسِ النحويِّ العربيِّ؛ ذلكَ أنَّ هذا العليلَ يَقومُ -أساسًا- على مراعاةِ حالِ السامعِ والمتكلِّمِ، لا مِنْ منظورٍ معياريٍّ قاعديٍّ، بل مِنْ منطلقاتٍ ذهنيَّةٍ ونفسيَّةٍ، تَسبُرُ غَوْرَ الفكرِ اللغويِّ لِمستعمِلِ اللغةِ، وما يعتري هذا الفكرَ من ظروفٍ وأحوالٍ محيطةٍ، تدفعُ باتِّجاهِ استعمالٍ لغويٍّ ما، مُخالِفًا الأصلَ الاستعماليَّ الذي نشأَتْ عليهِ اللغةُ العربيةُ، أو مُخالفًا ما هوَ شائعٌ في الاستعمالِ اللغويِّ العربيِّ.

رابعًا: الذهولُ- بمعناهُ الاصطلاحيِّ النحويِّ- مصطلحٌ متأخِّرٌ في الدراساتِ النحويَّةِ والصرفيَّةِ العربيَّةِ، شأنُهُ شأنُ كثيرٍ منَ العللِ المنطقيَّةِ التي بدأتْ ملامحُها تتشكَّلُ بِمفهومِها الكُلِّيِّ الناضجِ في مرحلةٍ متأخِّرةٍ عَنْ نشأةِ الدراساتِ النحويَّةِ والصرفيَّةِ، ويتقاطعُ مصطلَحُ الذهولِ مَعَ مصطلحاتٍ أُخَرَ في الدرسِ النحويِّ، يجمعُ بينها الانزياحُ في الاستعمالِ النحويِّ العربيِّ، كمصطلحاتِ التوهُّمِ، والتقارُضِ، والتضمينِ، وأمْنِ اللَّبْسِ، وغيرِها من المصطلحاتِ التوصيفيَّةِ والتعليليَّةِ النحويَّةِ.

خامسًا: في مُقابلِ التوجيهاتِ المقبولةِ لِعلَّةِ الذهولِ فقدْ بُنِيَ التوجيهُ النحويُّ والصرفيُّ -استنادًا إلى هذهِ العلَّةِ- على افتراضاتٍ منطقيَّةٍ متخيَّلَةٍ متكلَّفَةٍ، لا تُمثِّلُ بالضرورةِ واقعَ الاستعمالِ اللغويِّ، بل تجنحُ بالتعليلِ النحويِّ إلى التكلُّفِ والإفراطِ في التقديراتِ؛ من أجلِ توجيهِ استعمالٍ معيَّنٍ بَعيدًا عن حقيقةِ اللغةِ وتراكيبِها اللغويَّةِ، وبعيدًا عن إمكانيَّةِ وقوعِ مستعمِلِ اللغةِ في الذهولِ في هذا الاستعمالِ بالذّاتِ.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م.
- الإستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد الحسن وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٧٥م.
- الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: حسن حمد، بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٧م.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: أسرار العربية، تحقيق: بركات هبود، بيروت، دار الأرقم، ط١، ١٩٩٩م.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي جميل، بيروت، دار الفكر، د.ط، ٢٠١٠م.
- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر:الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: موسى العليلي، بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط١، ١٩٨٢م.
- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان: كتاب أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر قدارة، عمان، دار عمار، بيروت، دار الجيل، د. ط، ١٩٨٩م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: المحتسَب في تبيينِ وجوهِ شواذِّ القراءاتِ والإيضاح عنها: ، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن: المساعد على تسهيل الفوائِد، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٩٨٤م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: إيجاز التعريف في عِلمِ التصريف، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٩م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله: شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد المختون، القاهرة، دار هجر، ط١، ١٩٩٠م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م.
- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.
- جاد الكريم، عبد الله: التوهم عند النحاة، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١، ٢٠٠١ م.
- الجاربردي، أحمد بن الحسين بن يوسف: مجموعة الشافية في عِلمي التصريف والخط: شرح الجاربردي وآخرين على شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٤م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧م.
- خورشيد، بكر عبد الله: أمن اللبس في النحو العربي: دراسة في القرائن، الموصل، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م.
- الزاملي، محمد: علّة أمن اللبس في اللغة العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٣م،
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت، دار الهداية، د.ط، ١٩٩٣م.
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: تفسير الكشاف، تحقيق: خليل شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ٢٠٠٩م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع في شرحِ جمعِ الجوامعِ: ، تحقيق: عبد العال مكرم، الكويت، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٩م.
- الفارسي، أبو علي: المسائل البصريات، تحقيق: محمد أحمد، القاهرة، مطبعة المدني، ط١، ١٩٨٥م.

***

الاعتراضات المعنوية على وجه الحال في إعراب القرآن الكريم

د. خالد بن سليمـان بن عبد العزيز المليفي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام مـحمد بن سعود الإسلامية

الاعتراضات المعنوية على وجه الحال في إعراب القرآن الكريم

د. خالد بن سليمـان بن عبد العزيز المليفي

قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام مـحمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٦/ ١/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ٨/ ٣/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

من أهم وجوه العناية بالقرآن الكريم إعرابه بتحليل نصوص آياته تحليلًا لغويًا للوصول إلى معانيه، وقد تجلَّى ذلك في استغراق كتب إعراب القرآن لجميع عناصره من كلمات وجمل.

وصاحبَ ذلك الجهدَ الإعرابي جهدٌ نقدي له من جهة الصنعة ومن جهة المعنى؛ لأنهما ركنا التحليل الإعرابي.

فجاء هذا البحث لرصد بعض ذلك الجهد من خلال جمع الاعتراضات المعنوية الموجَّهة على وجه واحد من وجوه الإعراب، وهو (الحال)، ودراستها دراسةً تحليليةً.

وتبرز أهميَّة البحث في أنه يركِّز على أحد ركنَيِ التحليل الإعرابي وهو المعنى من خلال دراسة الاعتراضات المعنوية، بالإضافة إلى أنَّ موضوعه يجري في الجهة الأولى التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وهي "أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى"، وهو وسيلة لتمحيص كتب الإعراب من وجوه الإعراب التي لا يحسُن أو لا يجوز إجراء القرآن عليها.

وقد أفضى البحث إلى نتائج، منها:

-أنَّ الاعتراضات المعنوية على الوجوه الإعرابية في القرآن وإن تعدَّدت مجالاتها من تفسير وسياق وغير ذلك إلَّا أنها لا تنفك صلةً بدلالة الوظيفة النحوية للوجه الإعرابي.

-تُعَدُّ الحال الجملة أكثر أنواع الحال إهدافًا بالاعتراض، وتليها الحال المفردة، ثُمَّ الحال شبه الجملة.

-من أهم صفات الحال المعنوية التي كانت مجالًا للاعتراضات: الانتقال والمقارنة الزمانية.

-من آثار الاعتراضات المعنوية على وجوه الحال المتناوَلة: تعقُّب الاعتراضات بالجواب عنها ودفع ما تضمَّنته من إشكال، حمل الكلام على غير ظاهره بالتأويل.

-من طرق دفع الاعتراضات المعنوية: حمل الآية أو موضع الحال على تفسير آخَر يندفع به الاعتراض، صرف الحال إلى اللزوم.

الكلمات المفتاحية: النحو، إعراب القرآن، التوجيه الإعرابي، الحال، الاعتراض المعنوي.

Semantic Objections to Accusative of State in Parsing the Holy Qur'an - A Grammatical Study

Dr. Khalid Sulaiman Al-Mulaify
Department Arabic Language - Faculty Arabic Syntax, Morphology and Philology
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic university

Abstract:

One of the most important ways of caring for the Holy Qur'an is to parse it by analyzing the texts of its verses linguistically to reach its meanings. This was evident in the Holy Qur'an's parsing books that include all its elements of words and sentences.

This parsing effort was accompanied by a critical effort, in terms of rules and meaning, as they are the two pillars of parsing analysis. Therefore, this research has been made to monitor some of that effort by collecting the semantic objections to one of the parsing forms. IT is (the accusative of State), and studying it analytically.

The importance of this research is that it focuses on one of the two pillars of the parsing analysis. It is the "meaning" by studying the semantic objections. In addition, its subject lies in the first aspect from which the objection to the parser comes. It is that "It takes into account what is required by the apparent rules and does not take into account the meaning," and it is a way to scrutinize parsing books to exclude parsing forms that are not good or not permissible to be used in parsing the Holy Qur'an.

-This Research has led to results, including:

-The semantic objections to parsing forms of the Holy Qur'an, even with their multiple fields of interpretation, context, etc., are inseparable from the grammatical function meaning of the parsing form.

-The circumstantial clause is the most targeted accusative of State type to be objected to.

-Among the most important characteristics of the semantic accusative of State that have been the subject of objections: are transistorizes and time simultaneousness.

-The effects of the semantic objections to the addressed the accusative of State include: following up objections by answering them and refuting the problems they contained, and clarifying words in a way that is different from their apparent meaning by interpretation.

-The ways of refuting the semantic objections include: interpreting the verse to another interpretation by which the objection is refuted and diverting the accusative of State to the permanence.

key words: Arabic Syntax, Parsing of Qur'an, Accusative of State, Adverb of Manner, Semantic Objections.

المقدِّمة:

الحمد لله أكثر الحمد وأطيبه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ، فإنه إذا كان النحو في جانبه المعياري تحليلًا للعلاقات المكوِّنة للنصِّ وسبيلًا لفهم معانيها(١)، فإنَّ ذلك يبرز أكثر في جانبه التطبيقي وهو التوجيه أو التحليل الإعرابي؛ «لأنَّ المعنى التركيبي فرع الإعراب»(٢) المتمثِّل في الوظائف النحوية للألفاظ والجمل.

وقد نال القرآنُ الكريم من التحليل الإعرابي لنصوص آياته حظًّا لم يَبلغ مُدَّه ولا نَصِيفَه نصوصُ كتاب آخَر، وحَسْبُك شاهدَ صِدْقٍ على ذلك كثرةُ ما أُلِّف من كتب مختلفة المناهج في توجيهه الإعرابي، وهي في مجموعها قد استوعبت ألفاظه وأحاطت بتراكيبه؛ فلم تغادر شيئًا منها إلَّا حملته على وجه إعرابي أو أكثر وَفق ما تأذن به قواعد الصناعة، وتحتمله معاني النصِّ.

وقد أُهْدِفَتْ كثير من تلك الوجوه الإعرابية بالنقد الذي كان له جليل الأثر في إقامة منآدها وسدِّ خللها، وتجلَّى ذلك في صور مختلفة، ومن أهمِّها: الاعتراضات عليها من جهة الصناعة والمعنى؛ لأنهما عمادا التحليل الإعرابي.

والاعتراضات المعنوية -وهي من مجالات هذا البحث- موصولة الأواصر بدلالة الوظائف النحوية، فإنَّ المستقري للأبواب النحوية المختلفة يقف على

---

(١) ينظر: ضوابط الفكر النحوي ٣٨٦.

(٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في العربية ٣٠٤-٣٠٥، وتعدد التوجيه الإعرابي في ضوء الاتجاه العقدي ٥٠.

أنَّ كُلَّ وظيفة نحوية غالبًا ما تختصُّ في تعريفها بمعنى تقسيمي يمايز بينها وبين غيرها من الوظائف النحوية الأخرى(١).

ومن تلك الوظائف النحوية: (الحال)، فإنها في معناها قيد لعاملها ووَصْفٌ لصاحبها(٢)، وقد عُرِّفت بأنها وَصْفٌ فضلة منصوب مسوق لبيان هيئة صاحبه(٣)، فاشتراط كون دلالة ذلك الوصف بيان الهيئة، أو ما عبَّر عنه ابن مالك في ألفيَّته بأنه «مُفهمُ في حالٍ» يُميِّزه عن النعت المنصوب المنكَّر؛ فإنهما وإن اشتركا في الوصفيَّة لكنَّ النعت مسوق لتقييد المنعوت به، وهو لم يُفهِم بيان الهيئة بطريق القصد، وإنما أفهمه بطريق اللزوم(٤)، «وذلك أنَّ (راكبًا) في قولك: رأيتُ رجلًا راكبًا وَصْفٌ فضلة منتصب، لكنَّه غير مفهم معنى (في حال كذا)، وإنما مفهومه: رأيتُ رجلًا صفته كذا لا في حال كذا، بخلاف: رأيتُ زيدًا راكبًا فإنه مفهم معنى في حال ركوب....»(٥).

وبناءً على ما سبق، فقد رأيتُ أن يتوفَّر هذا البحث على جمع ما بلغه جُهدي من الاعتراضات المعنوية(٦) التي أُوردتْ على وجه الحال في القرآن

---

(١) ينظر: النحو والدلالة ١٢٥، ونسخ الوظائف في الجملة العربية ٥.

(٢) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٢ / ٨١٣، والبحر المحيط ١ / ٣٣٥، وأضواء البيان ١ / ٣٢١.

(٣) ينظر: اللمع ٦٢، وشرح كتاب الحدود في النحو ٢٢٤، والمقاصد الشافية ٣ / ٤١٧.

(٤) ينظر: النحو والدلالة ١٢٧.

(٥) ينظر: المقاصد الشافية ٣ / ٤١٨.

(٦) والاعتراضات المتجهة إلى الصناعة أكثر مادة وأوسع مجالًا من الاعتراضات المتجهة إلى المعنى؛ ولذا تستحق أن يستقلَّ بها بحث. ومن الأمثلة عليها: الاختلاف بين الحال وصاحبها في التذكير والتأنيث، الخلو من العامل، مجيء الحال من المضاف إليه، مجيء صاحب الحال نكرة،

الكريم لدراستها، وهي شَتٌّ في الكتب التي تصدَّت لإعرابه وتفسيره والاحتجاج لقراءاته وبعض كتب علوم القرآن الأخرى التي وقفتُ عليها، وقد بلغ عِدُّها- وَفق إحصائي – (واحدًا وأربعين) اعتراضًا انتظم مجموعها في (تسع وثلاثين) مسألة هي مادَّة هذا البحث.

وسبب خصِّ الاعتراضات بوجه الحال دون غيره من وجوه الإعراب كثرة ما حُمل عليه من الألفاظ والتراكيب في القرآن مقارنةً ببعض وجوه النصب الأخرى(١)، بالإضافة إلى أنَّ الحال ذات أثر دلالي جليل في تقييد الجملة، وهذا ظاهر في الاختلاف التفسيري والفقهي والعقدي المبنيِّ عليها في النصوص القرآنية وغيرها(٢).

وتبدو أهميَّة هذا البحث فيما يأتي:

١- أنه يركِّز على أحد ركنَي التحليل الإعرابي وهو المعنى من خلال دراسة الاعتراضات المعنوية، ومن المعلوم أنَّ بين الإعراب والمعنى علاقة وثقى لا تنفك؛ فكلاهما مترتِّب على الآخَر.

٢- أنَّ موضوعه يجري في الجهة الأولى التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها، وهي -كما قال ابن هشام- «أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيرًا ما تزِلُّ الأقدام بسبب ذلك»(٣).

اقتران واو الحال بالفعل المضارع المثبت، وغيرها من الأمثلة التي ينتظرها الاستقراء.

(١) تنظر مواضع الحال في: فهارس الدر المصون ١١/ ٤٣٢.

(٢) وسيظهر بعض ذلك في ثني هذا البحث.

(٣) مغني اللبيب ٦٨٤.

٣- أنه وسيلة لتمحيص كتب الإعراب من وجوه الإعراب التي لا يحسُن أو لا يجوز إجراء ألفاظ القرآن وتراكيبه عليها، وهو من جهة أخرى مِرقاة لتأصيل إعراب القرآن باعتباره عِلْمًا مستقلًا عند بعض الباحثين(١).

٤- أنَّ فيه تتبُّع الاعتراضات المتفرِّقة في المظانِّ المختلفة، ونظمَها في سلك واحد؛ ليسهُل مشارفتُها وتناولها، وهذا من مقاصد التأليف.

وقد فُرق لي بعد التأمل في مادَّة هذه الاعتراضات ترتيبُ مسائلها طوعًا لمتجَهاتها؛ فأقمتُ خطة البحث على خمسة مطالب تمثِّل متجهات تلك الاعتراضات(٢)، وهي:

المطلب الأول: ما يتجه إلى عدم صحَّة المعنى أو ضعفه.

المطلب الثاني: ما يتجه إلى انتقال الحال ولزومها.

المطلب الثالث: ما يتجه إلى تقييد العامل.

المطلب الرابع: ما يتجه إلى صاحب الحال.

---

(١) ينظر: علم إعراب القرآن ٩٨.

(٢) وتجدر الإشارة هنا إلى ثلاثة أمور:

- أنه إذا ورد على وجه الحال أكثرُ من اعتراض معنوي، فإني أكتفي بإيراد الآية في متجه الاعتراض المتقدِّم ورودًا عند المعرِب؛ حفاظًا على وَحدة الآية المعرَبة من حيث التناول.
- هذه المتجهات ليست متباينة إلى حدِّ التمايز التام بينها، بل إن بينها تداخُلًا إلى حدٍّ ما؛ ولذا قد يتجاذب بعضَ الاعتراضات أكثرُ من متجه، وإني لأرجو ألا تكون مواضع الاعتراضات محلَّ تشاحٍّ؛ وذلك لتعدُّد زوايا النظر.
- لم أشأ عقد مبحث موطِّئ للتعريف بالحال وبيان أحكامها وغير ذلك ممَّا هو متعلِّق بها؛ لأنَّ هذا من مبذول الكلام الذي لا يُخيل على الشادي فضلًا عن المتخصص، بالإضافة إلى أن فيه تطويلًا يربي عن مقصد البحث.

المطلب الخامس: ما يتجه إلى المقارنة الزمنية.

وقد جريتُ في دراسة الاعتراضات بكلِّ مسألة على المنهج الإجرائي الآتي:

١- كتابة الآية أو القراءة محلِّ الإعراب.

٢- إيضاح وجه الحال في الآية معزوًا إلى مظانه.

٣- بيان الاعتراض المعنوي على وجه الحال، ودراسته دراسةً تحليلية لتقويمه ومحاولة الخلوص إلى الرأي الراجح فيه إلَّا ما خفي علي وجهه، «فالتوقف أولى بالنجاح»[(١)]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

وبعدُ، فهذا بحثي وقد وكَلْتُ به عيني وعقدتُ له طرفي غاية ما أذن به جُهدي المرنَّق الجناح، وأمدَّني به عِلْمي الخفيف البضاعة، عسى أن أكون فيه قد بُلِّغتُ بعض التوفيق، معتذرًا ممَّا قد «طغى به القلم، وزاغ عنه البصر، وقصر عنه الفهم، وغفل عنه الخاطر»[(٣)]؛ فإنه لا يسلم عمل من خطأ ولا يبرأ جُهد من نقص، ومَن نظر إلى الشيء بعين الاستدراك والانتقاد وجد بُغيته على طرف الثُّمام.

وأستغفر الله تعالى من كُلِّ زلة وأبرأ إليه من كُلِّ قوة، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) الموافقات ٥ / ٤٠٠.

(٢) يوسف (٧٦).

(٣) مقدِّمة القاموس المحيط ٣٢.

مسائل الاعتراض المعنوي على وجه الحال.

المطلب الأول: ما يتجه إلى عدم صحة المعنى أو ضعفه.

المسألة (١):

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[١].

ذهب أكثر المعربين إلى أنَّ الجارَّ ومجروه (في الأرض) متعلِّق بالفعل (لا تفسدوا)[٢]، وذكر العُكبَري[٣] إعرابًا آخَر، وهو تعليق الجارِّ والمجرور بمحذوف حال من الضمير في (تفسدوا)، ولكنْ اعترضه بأنَّ المعنى عليه: لا تُفسدوا حال كونكم في الأرض، وهذا المعنى لا يفيد شيئًا.

ويمكن الجواب عن اعتراض العُكبَري بأمرين، وهما:

الأمر الأول: أنه قد اختلف المفسِّرون في مَن نزلت فيه هذه الآية، وذلك على قولين[٤]:

القول الأول: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا في عهد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم. وهذا قول الجمهور.

القول الثاني: أنها في قوم لم يكونوا قد جاؤوا عند نزولها، وهذا القول مروي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.

---

(١) البقرة: (١١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٨/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١٧٥/١، والدر المصون ٢٣٦/١، والمجيد في إعراب القرآن المجيد ١١١.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٨/١. ولم أقف على أحد قال بهذا الوجه.

(٤) ينظر الاختلاف في: جامع البيان ٢٩٦/١-٢٩٨ وفيه رجَّح قول الجمهور، وتفسير ابن أبي حاتم ٤٥/١، وزاد المسير ٣٢/١.

ولعلَّ مَن قال بوجه الحال كان ينظر إلى القول الثاني، وقد رُفِد بأنَّ الضمير في ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1] يعود إلى المنافقين في آية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وهذا مطلق عام يتناول مَن كان في عهد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ومَن بعدهم[3].

الأمر الثاني: أنَّ ذِكْر الأرض مفيد للعموم، كأنه قيل: أيُّ مكان حلُّوا فيه من الأرض أفسدوا، فيشير لفظ (الأرض) إلى كثرة الإفساد؛ إذ يلزم من عموم الظرف عموم المظروف[4].

وتعليق (في الأرض) بـ(لا تفسدوا) أحظى بالصواب، وذلك للأسباب الآتية:

١- أنَّ تعليق الجارِّ والمجرور (في الأرض) بمحذوف حال لا يجري إلَّا على غير تفسير الجمهور، «والتأويل المجمَع عليه أَولى بتأويل القرآن»[5].

٢- أنه يطَّرد في نظائر الآية التي اقترن فيها الإفساد بالأرض[6]، والقرآن يُحمَل بعضه على بعض.

---

(١) البقرة: (٨).

(٢) البقرة: (١٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى ٨٣/٧. وقد حمل بعض المفسِّرين القول الثاني على غير ظاهره؛ لردَّه إلى قول الجمهور. ينظر: جامع البيان ٢٩٨/١، والمحرر الوجيز ٩٣/١، وتفسير البيضاوي ٤٦/١.

(٤) ينظر: الدر المصون ٣٥٢/٢.

(٥) جامع البيان ٢٩٩/١.

(٦) ومنها: البقرة (٣٠)، الأعراف (٥٦)، (٨٥)، هود (١١٦)، القصص (٧٧).

٣- أنَّ ظاهر سياق الآيات على أنَّ الخطاب متجه إلى المنافقين الذين نزلت عليهم الآيات، ولا ينبغي تَرْك الظاهر إلى غيره إلَّا بقرينة صارفة.

ونظير هذه الآية قول الله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[١]، فقد أجاز فيه العُكبَري[٢] تعليق الجارِّ والمجرور (بجناحيه) بالفعل (يطير)، وتعليقه بحال محذوفة.

ويَرِدُ على كلا الوجهين الإشكال المعنوي السابق؛ لأنَّ كُلَّ طائر يطير بجناحيه، فلا فائدة في الظاهر من ذِكْر الجناحين.

وقد أُجيبَ عنه بأنَّ في ذِكْر الجناحين توكيدًا، ورفعًا لاحتمال المجاز؛ لأنَّ غير الطائر قد يقال فيه: (طار) إذا أسرع[٣].

---

(١) الأنعام (٣٨).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٤٩٣/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٤٥/٢، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٥٧٩/٢، والبحر المحيط ١٢٥/٤.

المسألة (٢):

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

يحتمل (فوقَكم) وجهين إعرابيين، أحدهما: أنه ظرف للفعل (رفعنا)، والوجه الآخَر أنه متعلِّق بمحذوف حال من (الطور)، أي: مستقرًا الطور فوقكم[٢].

وقد ضعَّف العُكبَري[٣] الوجه الثاني باعتراضين معنويين:

الأول: أنَّ الحال فيه تُقرِّر معنى عاملها ولا تؤسِّس معنىً جديدًا؛ وذلك لأنَّ المعنى عليها يكون: رفعْنا الطور عاليًا، وهذا لا فائدة منه؛ لأنَّ العلو مستفاد من الرفع.

الثاني: أنَّ الجبل لم يكن فوقهم وقت الرفع.

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ العُكبَري[٤] أجاز وجه الحال في آية (النساء) ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾[٥] من دون تضعيفه بما أورده هنا.

وقد أجاب السمين عن الاعتراض الأول بأنَّ «المراد به علوٌّ خاص، وهو كونه عاليًا عليهم، لا مطلق العلوِّ حتى يصير رفعناه عاليًا كما قدَّره»[٦].

---

(١) البقرة (٦٣).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٧١/١، والدر المصون ٤٠٨/١ نقلًا عن العكبري.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٧١/١.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٤٠٣/١.

(٥) النساء (١٥٤).

(٦) الدر المصون ٤٠٨/١.

وبذلك سوَّغ العُكبَري إعراب (فوقهم) حالًا من (الجبل) في آية ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[1]، قال: «أو حال من الجبل غير مؤكِّدة؛ لأنَّ رفع الجبل فوقهم تخصيص له ببعض جهات العلو»[2].

وفي كلام بعض المفسِّرين ما يشير إلى أنَّ المراد بالعلو علو خاص من حيث الدنو إلى المخاطبَين والإحاطة بهم، فقد قال مقاتل بن سليمان: «يعني الجبل فوق رؤوسهم»[3]، وفي هذا إشعار بدنو الجبل منهم، وبذلك صرَّح الثعلبي، قال: «.... فأمَر الله جبريل -عليه السلام- فقلع جبلًا على قَدْر عسكرهم، وكان فرسخًا في فرسخ، فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل»[4].

والذي أميل إليه أنَّ (فوقكم) بإعرابها حالًا تجمع بين الحال المؤكِّدة لمضمون عاملها؛ وذلك لدفع وهم أنَّ رفع الجبل غير حقيقي، والحال المؤسِّسة؛ لأنها مُشعرة بوصف زائد على معنى عاملها كما سبق إيضاحه.

ودفع السمين أيضًا الاعتراض الثاني بأنه يمكن اعتبار الحال في الآية مقدَّرة لا مقارنة، ويُشعِر بذلك ظاهر عبارة مكي، قال: «فلمَّا صار فوقهم، قيل لهم: خذوا»[5].

وبناءً على ذلك، فإنَّ هذا الإعراب يبدو مقبولًا في المعنى، ولكنه غير ظاهر صناعةً لما فيه من تقديم وتأخير، والأصل في الحال التأخير.

---

(١) الأعراف (١٧١).

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٦٠٣/١.

(٣) تفسيره: ٤١٩/١.

(٤) الكشف والبيان: ٣٦٢/٣. وينظر: معالم التنزيل: ١٠٣/١، والبحر المحيط: ٤٠٦/١.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٩٥/١.

المسألة (٣):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾[١].

اختلف المعربون في نصب كلمة (طيِّبًا) على بعض الأوجه الإعرابية، ومنها أنها حال من واو الجماعة[٢].

قال ابن عطيَّة: «ويصِحُّ أن يكون (طيِّبًا) حالًا من الضمير في (كُلُوا)، تقديره: مستطيبين»[٣].

وقد أورد عليه أبو حيَّان اعتراضين أحدهما صناعي، والآخَر- وهو محلُّ البحث- معنوي، وهو أنَّ «(طيِّبًا) مغاير لمعنى مستطيبين؛ لأنَّ الطَّيِّب من صفات المأكول، والمستطيب من صفات الآكل. تقول: طاب لزيد الطعام، ولا تقول: طاب زيد الطعام، في معنى استطابه»[٤].

ولعلَّ ابن عطيَّة نظر في الوجه الذي قاله إلى أنَّ «الطَّيِّب في الأصل هو ما يُستلَذ به ويُستطاب»[٥]، وهو من شأنه أن تقصده النفوس للانتفاع به[٦]، وكأنه في ذلك يرى ما ذهب إليه بعض الفقهاء من أنَّ المراد بالطَّيِّب هو ما تستطيبه النفوس المستقيمة الناشئة عن المزاج الصحيح[٧].

---

(١) البقرة (١٦٨).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٣٢٠، والفريد في إعراب القرآن المجيد

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٧/١.

(٤) البحر المحيط ٦٥٣/١.

(٥) التفسير الكبير: ٣/٥.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٠١/٢.

(٧) ينظر: روح المعاني: ٣٨/٢.

ولكنَّ هذا المعنى لا يساعده المعنى المعجمي للكلمة، ولا تُعِينُ عليه قواعد الصناعة؛ لعدم مطابقة الحال لصاحبها في الجمع[١]، يضاف إلى ذلك اتفاق المفسِّرين على صرف صفة الطِّيِّب في الآية إلى المأكول، لا إلى الآكل[٢].

ولا يستقيم إعراب ابن عطيَّة صناعةً إلَّا على اعتبار كلمة (طيِّبًا) مصدرًا؛ فيكون من مجيء المصدر حالًا، ولكن يدفع ذلك أنها باتفاقٍ اسم فاعل[٣]، «يقال: طاب الشيء يطيب طَيْبًا، فهو طَيِّب»[٤]، وليست بمصدر.

(١) ينظر: البحر المحيط ٦٥٣/١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٦/٣-٣٧، والتفسير البسيط ٤٨٣/١، ومعالم التنزيل ١٨٠/١، والكشاف: ٢١٣/١.

(٣) ينظر: المقاصد الشافية: ٣٨٠/٤، والشرح الكبير للامية الأفعال: ١٧٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٧.

المسألة (٤):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[١].

أشكل على المعربين توجيه كاف (كما) وما يليها، ومن الأوجه المذكورة أن تكون حالًا من (الصيام)[٢]، و«تقديره: كُتب عليكم الصيام مشْبِهًا لما كُتب على الذين من قبلكم»[٣]، و(ما) تحتمل أن تكون مصدريَّة وموصولة[٤].

وقد دفع أبو علي الفارسي وجه الحال على القول بالمصدريَّة بأنَّ فيه تشبيه الصيام بالكتابة؛ وهذا غير مستقيم معنىً، قال أبو علي الفارسي: «.... فالصيام لا يُشْبِه الكتابة، وحقُّ التشبيه أن تُشَبِّه كتابة بكتابة، أو صيام بصيام، فأمَّا أن تُشَبِّه صيامًا بكتابة فليس بالوَفق، إلَّا أن يريد اشتباه الصيام بالكتابة من حيث كان كُلُّ واحد منهما مفروضًا، وإن لم يكن فلا جواز»[٥].

---

(١) البقرة (١٨٣).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٨٤/١، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٢٠، والتفسير البسيط ٥٥٨/٣، والمحرر الوجيز ٢٥٠/١، والتفسير الكبير ٦٠/٥، والتبيان في إعراب القرآن ١٤٨/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/٢، والدر المصون ٢٦٧/٢، وروح المعاني ٥٦/٢.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن: ١٤٢/١.

(٤) ينظر: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن ٧٧، والبحر المحيط ٣٦/٢.

(٥) الأغفال: ٦٧/٢-٦٨.

ولم أقف على اعتراض معنوي لوجه الحال باعتبار (ما) موصولة، ولكنْ يَرِدُ عليه ما اعترض به أبو حيَّان على وجه الصفة؛ لأنَّ الصفة والحال يتلاقيان في أصل الوصفية[١]، قال: «.... وأمَّا إن كانت موصولة، ففيه أيضًا بُعد؛ لأنَّ تشبيه الصوم بالصوم لا يصِحُّ إلَّا على تأويل بعيد»[٢].

ولعلَّ سبب عدم صحَّة هذا التشبيه عند أبي حيَّان يعود إلى حمل التشبيه الذي دلَّت عليه الكاف في الآية على «عموم التشبيه في الكتابة، والعَدد، والشرائط، وسائر تكاليف الصوم»[٣].

والذي عليه الجمهور أنَّ التشبيه متجه إلى إيجاب الصوم دون وقته وقَدْره وكيفيته وغير ذلك من صفات الصيام[٤]، والتشبيه يُكتفى فيه ببعض وجوه المشابهة وهو وجه الشبه المراد في القصد[٥]، ولا يُوجب موافقة المشبَّه به في جميع الأوجه[٦].

---

(١) ينظر: العلاقة النحوية بين الخبر والصفة والحال ٩٣.

(٢) البحر المحيط ٤١٨/٤ (دار الرسالة).

(٣) البحر المحيط ٥٥/٢.

(٤) ينظر: فتح الباري ١٧٨/٨. وينظر خلاف أهل التفسير في ذلك: جامع البيان ١٥٣/٣-١٦٥، والتفسير البسيط ٥٥٧/٣، والنكت والعيون ٢٣٦/١، والتفسير الكبير ٥٩/٥-٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/٢.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٤/٢.

(٦) ينظر: درج الدرر ٣٤٣/١.

وجاء في بعض نُسخ (البحر المحيط): «.... وأمَّا إن كانت موصولة، ففيه أيضًا بُعد؛ لأنَّ تشبيه الصوم بالمصوم [وليس بالصوم] لا يصِحُّ إلَّا على تأويل بعيد»[1]؛ فتكون (ما) حينئذٍ دالة على مصوم مُعيَّن، وهو رمضان.

وهذا موافق في المعنى لما ذهب إليه الشَّعبي وغيره في تفسير الآية من أنَّ النصارى فُرض عليهم شهر رمضان كما فُرض علينا[2].

وأظنُّ أنَّ وجه الحال- بناءً على ذلك- لا يستقيم إلَّا على تقدير مضاف محذوف يتلاءم به جزءا التشبيه، أي: مشْبِهًا صيام الذي كُتب على الذي من قبلكم وهو رمضان، ولا يخلو من بُعد.

(١) البحر المحيط ٢/٥٥ (ط الكتب العلمية)، و٣/٢ (ط دار الفكر).

(٢) ينظر: الدر المنثور ١/٤٢٨.

المسألة (٥):

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[١].

حكى العُكبَري جواز إعراب (عنده) متعلِّقًا بمحذوف حال من الضمير في (يشفع)، والتقدير: يشفع مستقرًا عنده، وقد استضعفه؛ «لأنَّ المعنى: يشفع إليه»[٢].

ولعلَّ مَن قال بهذا الإعراب نظر إلى تفسير مَن خصَّ الشفاعة في الآية بالملائكة فقط[٣]؛ لأنهم هم مَن عند الله عزَّ وجلَّ[٤] بدليل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾[٥]، و ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[٦].

وقد ذهب بعض أهل التفسير إلى أنَّ فضل الشفاعة هنا يشمل غير الملائكة كالنبي محمد صلى الله عليه وسلَّم وبعض المؤمنين وغيرهم[٧]، وهو ما

---

(١) البقرة (٢٥٥).

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٠٤/١. وينظر: البحر المحيط ٢٨٨/٢، والدر المصون ٥٤٢/٢ نقلًا عنه.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٨٧، والنكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٢ / ٣٠٧، والتفسير البسيط ٢٠ / ٢٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢٠٤/١. وينظر: البحر المحيط ٢٨٨/٢، والدر المصون ٥٤٢/٢ نقلًا عنه.

(٥) الأعراف (٢٠٦).

(٦) الأنبياء (١٩).

(٧) ينظر: التفسير البسيط ٣٤٩/١، والهداية إلى بلوغ النهاية ٨٧٤/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/٣.

جاءت به أدلَّة الكتاب والسُّنَّة[١]، وهذا التفسير يناسبه إعراب (عنده) متعلِّقًا بـ(يشفع)[٢].

ولا ينافي إعرابُ الحال هذا التفسير؛ لأنَّ قد يكون مراد الآية أنه «إذا لم يشفع مَن هو عنده وقريب منه فشفاعة غيره أبعد»[٣].

ولعلَّ الأرجح هو تعليق (عنده) بـ(يشفع)؛ لأنَّ وجه الحال يقوِّي تقييد الشفاعة بالملائكة، والأصلُ بقاء المطلَق على إطلاقه حتى يَرِد ما يقيِّده[٤]، وهو ما أتت به النصوص المختلفة.

(١) ينظر: كتاب الشفاعة في الحديث النبوي ٦١.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٠٤/١، والبحر المحيط ٢٨٨/٢، والدر المصون ٥٤٢/٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢٠٤/١.

(٤) ينظر: قواعد التفسير ٦٢١.

المسألة (٦):

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[١].

تعدَّد توجيه كلمة (تُقاة) بناءً على اختلاف دلالتها الصرفية، وفيها ثلاثة أوجُه[٢]، وهي:

الأول: أنها مصدر على (فُعَلة) من الوقاية، «ولم يقُل: اتقاء؛ لأنَّ معنى اللفظين إذا كان واحدًا يجوز إخراج مصدر أحدهما على لفظ الآخَر»[٣]؛ وبناءً على هذه الدلالة يكون إعرابها مفعولًا مطلقًا.

الثاني: أنها مصدر بمعنى المفعول، مثل: ضَرْب الأمير لمضروبه، والفعل قبلها (تتقوا) مضمَّن معنى (تخافوا)؛ وعلى ذلك تُعرَب مفعولًا به، والمعنى: «إلَّا أن تخافوا من جهتهم أمرًا يجب اتقاؤه»[٤].

الثالث: أنها جمع على زنة (فُعَلة)، مثل: رامٍ ورُماة، «والمعنى: إلَّا أن تَحْذروهم متقين»[٥]؛ فتكون حينئذٍ حالًا.

---

(١) آل عمران (٢٨).

(٢) ينظر: إعراب القرآن ٣٦٥/١، والحجة للفارسي ١٨٣/١، والتفسير البسيط ١٧١/٥-١٧٢، والكشاف ٣٥١/١، والمحرر الوجيز ٤٨٢/١، ومفاتيح الغيب ١٢/٨، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٣٥/٢، وتفسير البيضاوي ١٢/٢، والبحر المحيط ٤٤٢/٢، والدر المصون: ١٠٩/٣-١١١، وروح المعاني ١٢١/٣.

(٣) معالم التنزيل ٢٥/٢.

(٤) الكشاف ٣٥١/١.

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣٥/٢.

وفي متعلَّق الجارِّ والمجرور (منهم) احتمالان[1]:

الاحتمال الأول: الفعل (تتقوا).

الاحتمال الثاني: محذوف حال من (تُقاة)، وهو في الأصل صفة، والتقدير: تُقاةً كائنة منهم، فلمَّا قُدِّم نُصب حالًا.

وهذا الاحتمال لا يصِحُّ على الوجه الثالث من الأوجه المذكورة لـ(تُقاة) لاعتراضه بفساد معناه؛ لأنَّ المخاطَبِين ليسوا من الكافرين[2].

(١) ينظر: الدر المصون ١١٣/٣، وروح المعاني ١٢١/٣، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٧٣/٤.

(٢) ينظر: الدر المصون ١١٣/٣.

المسألة (٧):

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١].

ذكر العُكبَري[٢] في متعلَّق (من تراب) احتمالين:

الاحتمال الأول: أنه الفعل (خلقه).

الاحتمال الثاني: أنه محذوف حال من المفعول، خلقه كائنًا من تراب.

وقد ضعَّف العُكبَري احتمال الحال؛ لأنه ليس المعنى عليه، وتابعه السمين، قال: «وهذا لا يساعده المعنى»[٣].

وإيضاح ذلك- في ظني- أنَّ تمثيل عيسى بآدم عليهما السلام هو «كون كليهما من دون أب، ويزيد آدم بكونه من دون أم أيضًا؛ ولذلك احتيج إلى ذِكْر وجه الشبه بقوله: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ ، أي: خلَقه دون أب ولا أم، بل بكلمة (كن)، مع بيان كونه أقوى في المشبَّه به على ما هو الغالب»[٤]، وهذا المعنى يليق به التعليق بالفعل لا بالحال.

ويؤيِّد ذلك أنَّ الجارَّ والمجرور (من تراب) جاء في آيات نظيرة متعلِّقًا بلا خلاف بالفعل، ومن ذلك آية ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾[٥]، وآية ﴿ وَمِنْ

---

(١) آل عمران (٥٩).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٦٧/١.

(٣) ينظر: الدر المصون ٢٢٢/٣.

(٤) التحرير والتنوير ١١٢/٣.

(٥) الكهف (٣٧).

ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[1]، فكذلك ينبغي أن يكون متعلَّقه في الآية محلِّ المسألة؛ لأنَّ القرآن يوضِّح بعضه بعضًا.

ولعلَّ من قال بتعليق (من تراب) بمحذوف حال أراد به التخلُّص من إشكال، وهو أنَّ «ظاهر نظم الآية يقتضي أن يكون خَلْقُ آدم وتكوينه مقدَّمًا على قول الله تعالى له: (كن)»[2]؛ فيكون تعليقه بمحذوف حال على معنى: خلقه قالبًا من تراب، ثُمَّ قال له: كُن بشرًا؛ فيستقيم النظم[3].

(١) الروم (٢٠). وتنظر أيضًا الآيات في: الحج (٥)، فاطر (١١)، غافر (٦٧).

(٢) حاشية زادة على تفسير البيضاوي ٨١/٣.

(٣) ينظر: الدر المصون ٢٢٠/٣. وجاء في بعض المصادر: قدَّره قالبًا من تراب. ينظر: التفسير البسيط ٣١٦/٥.

المسألة (٨):

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[١].

تحتمل جملة (وشهدوا) ثلاثة أوجه إعرابية[٢]، ومحلُّ النظر منها هو وجه الحال، وفي تعيين صاحبها قولان[٣]:

القول الأول: أنه واو الجماعة في (كفروا).

القول الثاني: أنه (قومًا).

وهذا القول لم أقف على أحد اختاره، ولكنَّ العُكبَري[٤] جاء به على سبيل الاحتمال، ثُمَّ ردَّه؛ لأنَّ المعنى عليه: كيف يهدي الله تعالى قومًا حالة كونهم شهدوا أنَّ الرسول حق، وهذا معنى فاسد؛ لأنَّ الله تعالى يهدي مَن شهد أنَّ الرسول حق.

ولا أرى في هذا القول بأسًا؛ لأنَّ صاحب الحال قد وُصف بجملة (كفروا)، وليست جملة (وشهدوا أنَّ الرسول حق) حالًا من (قومًا) دون صفتها؛ لأنَّ الصفة من الموصوف كالشيء الواحد، ولذا لا يصِحُّ الوقوف

---

(١) آل عمران (٨٦).

(٢) ينظر: التفسير البسيط ٥/٤١٠-٤١١، والبحر المحيط ٢/٥٤٠، والدر المصون ٣/٣٠١-٣٠٣.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/٣٨٢، والتبيان في إعراب القرآن ١/٢٧٨، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/٨٩، والبحر المحيط ٢/٥٤٠، والدر المصون ٣/٣٠١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/٥٦.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٢٧٨.

على الموصوف دون صفته، فكأنَّ المعنى: كيف يهدي الله تعالى قومًا هذه صفتهم حالة كونهم شهدوا أنَّ الرسول حق، ولا إشكال في ذلك من حيث المعنى.

وهذا القول مع الأول موافقان لبعض ما جاء في تفسير الآية من أنها نزلت في قوم ارتدوا، ثُمَّ عزموا على إظهار التوبة على طريق التورية[1].

(١) ينظر: النكت والعيون ١/٤٠٧.

المسألة (٩):

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾[١].

ذهب أبو بكر الأنباري[٢] إلى أنَّ جملة (يحرِّفون) حال من الضمير في (لم يأتوك)، كأنه قال: لم يأتوك حال تحريفهم.

وقد تعقَّب أبو علي الفارسي هذا الوجه بأنه ليس بالسهل في المعنى؛ لأنَّ «المعنى: ومن الذين هادوا فريق يسمعون من النبي صلَّى الله عليه وسلَّم؛ ليَكْذِبوا فيما يسمعونه، ويحرِّفون بكذبهم فيه؛ فإذا كان كذلك لم يكن حالًا من الضمير الذي في (لم يأتوك)؛ لأنهم إذا لم يأتوا لم يَسمعوا، فيحرِّفوا»[٣].

وعدَّه المنتجَب الهمداني[٤] فاسد المعنى؛ لأنَّ الله تعالى أخبر عنهم بأنهم يحرِّفون، ثم استعاذ بالله تعالى من إعراب يؤدِّي إلى فساد المعنى.

ولستُ أرى هذا الوجه فاسد المعنى لاحتمال أن يكون النفي متجهًا إلى فعل الإتيان دون الحال؛ فيكون هذا أمعن في التشنيع عليهم؛ وذلك لتحريفهم ما يتلقفونه من الناس عن النبي صلى الله عليه وسلَّم ولم يسمعوه

---

(١) المائدة (٤١).

(٢) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/٦٢٠.

(٣) الحجة ٢/٣٦، ونقله بمعناه الباقولي في: جواهر القرآن ١/ ٤٤٩، والقرطبي في: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٨٢.

(٤) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/ ٤٤١.

كفاحًا منه لتجافيهم عن حضور مجالسه تكبرًا وإفراطًا في البغضاء[١]، وقد نقل الألوسي[٢] أنَّ الذي درَج عليه غالب المفسِّرين هو أنَّ المحرِّفين هم القوم الآخَرون الذين لم يأتوا.

والذي عليه ظاهر الآية أنَّ التحريف هو من شأن أولئك اليهود السمَّاعين، ويُؤنس بذلك آية نظيرة، وهي: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٣]، وهو ظاهر كلام المفسِّرين الذين وقفتُ عليهم، وقد نُصَّ على أنه «قول أهل التفسير»[٤].

ولذا لا أميل إلى حمل جملة (يحرِّفون) على الحاليَّة من الضمير في (لم يأتوك)، وإنما من الضمير في (سمَّاعون)، كأنه قال: «سمَّاعون محرِّفين للكلم، أي: مقدِّرين تحريفه»[٥].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٣/ ٥٠٠.

(٢) ينظر: روح المعاني ٦/ ١٣٧.

(٣) النساء (٤٦).

(٤) التفسير البسيط ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٥) الحجة للفارسي ٢/ ٣٦.

المسألة (١٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾[١].

أجاز العُكبَري[٢] أن يكون (من النَّعَم) متعلِّقًا بمحذوف حال من ضمير المفعول المقدَّر في (قتَل)، أي: قتَله، واحتجَّ لذلك بأنَّ المقتول يكون من النَّعَم، واقتصر على هذا الوجه من المعاصرين محمود صافي[٣].

وقد تعقَّبه المنتجَب الهمداني، فقال: «وليس قول مَن قال: هو حال من الضمير في (قتَل)؛ لأنَّ المقتول يكون من النَّعَم، بمستقيم؛ لفساده من جهة المعنى، ونعوذ بالله من إعراب يؤدِّي إلى فساد المعنى»[٤].

ووجه فساد المعنى- كما أوضح أبو حيَّان- «لأنَّ الذي هو من النَّعَم هو ما يكون جزاء، لا الذي يقتله المحرِم، ولأنَّ النَّعَم لا تَدخل في اسم الصَّيد»[٥].

قلت: ظاهر أقوال المفسِّرين التي وقفتُ عليها في الآية تدلُّ على أنَّ (من النَّعَم) متعلِّقة بصفة محذوفة لـ(جزاء)[٦]، فتكون (من) لبيان جنس مِثْل المقتول المفدى[٧]، والمعنى: «ومَن قتله منكم متعمِّدًا فعليه جزاء هو مِثْل ما

---

(١) المائدة (٩٥).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٦١.

(٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٧ / ٢٥.

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/ ٤٩٤.

(٥) البحر المحيط ٤ / ٢٢. وقد حذا حذوه السمين في الدر المصون ٤ / ٤٢١.

(٦) ينظر هذا الوجه الإعرابي في: مشكل إعراب القرآن ٢٣٦، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٦١، والدر المصون ٤ / ٤٢٠.

(٧) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢ / ١٧٩. وينظر: الدر المصون ٤ / ٤٢٠-٤٢١.

قتَل من النَّعَم. ثُمَّ اختلف أهل العلم في صفة الجزاء، وكيف يجزي قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بِمِثْله من النَّعَم»[١].

ولا أرى وجه الحال فاسدًا من حيث المعنى؛ لأنَّ تقييد المقتول بكونه من النَّعَم راجع إلى خلاف الفقهاء في الصيد الموجب للجزاء، وفيه قولان[٢]:

القول الأول: أنه هو الذي توحش سواءً أكان ممَّا يؤكَل أم لا؛ وبناءً على ذلك، فإنَّ المحرِم إذا قتل سبُعًا ضمنه.

القول الثاني: أنَّ الصيد مخصوص بما يُؤكَل لحمه فقط؛ فعلى هذا لا يجب الضمان البتة في قتل السبُع.

فوجه الحال يجري على القول الثاني، وذلك لأنَّ الحال قيد لعامله ووَصْف لصاحبه؛ فتكون (من) لبيان جنس ما قُتل[٣].

وما ذكره أبو حيَّان من أن النَّعَم لا تَدخل في الصيد داخل في الخلاف في المقصود بالأنعام: أهي مقصورة على الإنسي منها كالجمال والغنم، أم تشمل الوحشي أيضًا، وسوف يأتي بيانه[٤]، والراجح فيه أنَّ النَّعَم تشمل النوعين.

---

(١) جامع البيان ٨ / ٦١٨. وينظر أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٠٧، والهداية ٣ / ١٨٧٢، والنكت والعيون ٢ / ٦٧، والتفسير البسيط ٧ / ٥١٩.

(٢) ينظر الخلاف وبعض أدلته في: زاد المسير: ١ / ٥٨٥، والتفسير الكبير: ١٢/ ٧٢، وتفسير الخازن ٢ / ٧٨.

(٣) ينظر: درج الدرر ١ / ٥٨٤.

(٤) تنظر: م (٢٠) في المطلب الثالث.

المسألة (١١):

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] في قراءة (ولا نكذِّبُ ونكونُ) بالرفع[٢].

اختلف من وجَّه هذه القراءة في توجيه جملة (ولا نكذِّبُ) على ثلاثة توجيهات، ويعنينا في هذا المقام توجيه مَن جعَلها في محلِّ نصب حال من الضمير في (نُرَدُّ)، والمعنى: يا ليتنا نُرَدُّ غير مكذِّبين وكائنين من المؤمنين.

وهذا التوجيه أجازه الزمخشري[٣]، والعُكبَري[٤]، والمنتجَب الهمداني[٥]، والبيضاوي[٦]، وأبو شامة[٧].

ويُشكل عليه أنَّ الحال قيد للجملة التي قبلها، وتمنِّي الرد ليس مقصودًا بحدِّ ذاته[٨]، «وإنما تمنَّوه لما يقع معه من الإيمان وترك التكذيب»[٩].

قال علي الجرجاني: «كما لا يجوز أن يكون (لا نكذِّبُ) معطوفًا على (نُرَدُّ)؛ لأنه يدخل بذلك في الحتم، ويجرى مجرى أن يقال: يا ليتنا لا نكذِّب= كذلك لا يجوز أن تكون الواو للحال؛ لأنه يُوجب مِثْل ذلك من

---

(١) الأنعام (٢٧).

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبى بكر. ينظر: السبعة ٢٥٥.

(٣) ينظر: الكشاف ٢ / ١٥.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٨٩.

(٥) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢ / ٥٦٨.

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي ٢ / ١٥٨.

(٧) ينظر: إبراز المعاني ٤٣٩.

(٨) ينظر: روح المعاني ٧ / ١٢٩.

(٩) التحرير والتنوير ٦ / ٦١.

دخوله في التمني من حيث كانت الواو إذا كانت للحال ربطت الجملة بما قبلها. فإذا قلتَ: ليتك تأتيني وأنت راكب= كنتَ تمنيتَ كونه راكبًا، كما تمنيتَ الإتيان»[1].

ووجه عدم الجواز أنَّ التمني إنشاء، والإنشاء لا يدخله الصدق ولا الكذب، وإنما يدخلان في الإخبار، وسياق الآيات يدلُّ على أنه دخل الحالَ الكذبُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2].

قال ابن عطيَّة: «ويُعترَض هذا التأويل بأنَّ مَن تمنَّى شيئًا لا يقال: إنه كاذب، وإنما يُكذَّب مَن أخبر»[3].

وقد أُجيبَ عن هذا الاعتراض بأجوبة، وهي:

١- أنَّ هذا التمنِّي قد تضمَّن معنى العِدَة؛ فجاز تعلُّق التكذيب به[4].

٢- أنَّ المتمنِّي إذا كانت طريقته مخالفة لمَّا تمنَّى فإنه يصِحُّ تكذيبه على تجوُّز[5].

٣- أنَّ التكذيب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ليس عائدًا إلى ما تضمَّنته جملة التمنِّي من الوعد بالإيمان، وإنما هو محض إخبار من الله تعالى عمَّا

---

(١) جواهر القرآن ٣ / ١٤٠١.

(٢) الأنعام (٢٨). ينظر: الكشاف ٢ / ١٥، والبحر المحيط ٤ / ١٠٧، والدر المصون ٤ / ٥٨٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢ / ٢٨١. ويَحسُن الإشارة إلى أن هذا الاعتراض ليس مقصورًا على وجه الحال، بل يَرِدُ على وجه العطف أيضًا. ينظر: الدر المصون ٤ / ٥٨٥.

(٤) ينظر: الكشاف ٢ / ١٥، والبحر المحيط ٤ / ١٠٧.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز ٢ / ٢٨٣.

هم عليه من الكذب[١]؛ فيكون حكاية للحال التي كانوا عليها في الدنيا من إنكار الرُّسل والبعث[٢].

٤- أنَّ التمنِّي يصِحُّ احتماله الصدق والكذب، وهذا القول منسوب إلى علي بن عيسى الرَّبَعي[٣].

وللسلامة من هذا الاعتراض جعل بعض المعربين الجملة استئنافية لا تعلُّق لها بما قبلها؛ فلا يكون التكذيب داخلًا في التمني، وإنما هو محض إخبار من المتمنِّين[٤].

قال سيبويه: «.... والآخَر [في توجيه الآية] على قولك: دعني ولا أعود، أي فإني ممَّن لا يعود، فإنما يسأل الترك وقد أوجب على نفسه أن لا عودة له البتة ترك أو لم يترك، ولم يُرِدْ أن يسأل أن يجتمع له الترك وألا يعود»[٥].

ويُضعف الاستئنافَ في ظني مخالفةُ معنى القراءة عليه لمعنى قراءة ابن عامر وحمزة وعاصم في رواية حفص (ولا نكذِّبَ ونكونَ) بالنصب[٦]؛ لأنَّ الواو

---

(١) ينظر: النكت والعيون ٢ / ١٠٦، والمحرر الوجيز ٢ / ٢٨٣، وإبراز المعاني ٤٣٩، والبحر المحيط ٤ / ٤٧٩.

(٢) ينظر: الحجة للفارسي ٣ / ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٢ / ٢٨٣.

(٣) ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي ٤ / ٤٥، وروح المعاني ٧ / ١٣٠.وينظر: الدر المصون ٤ / ٥٨٦، وفيه أنه نسبه إلى عيسى بن عمر ويبدو أنه وهِم أو شُبِّه عليه.

(٤) ينظر: الكتاب ٣ / ٤٤، ومعاني القرآن للفراء ١ / ٢٧٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٣٩.

(٥) الكتاب ٣ / ٤٤.

(٦) تنظر القراءة في: السبعة ٢٥٥.

فيها بمعنى (مع)، فيكون ما بعدها داخلًا في التمنِّي، «أي: يا ليتنا يجتمع لنا هذا وهذا»[1]، والقراءات يُفسِّر بعضها بعضًا.

ويبدو لي أنَّ الجواب الأول أظهر الأجوبة، ونظيره: أن «يقول الرجل: ليت الله يرزقني مالًا فأحُسن إليك وأكافئك على صنيعك؛ فهذا متمنٍّ في معنى الواعد، فلو رُزق مالًا ولم يُحسِن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب، كأنه قال: إن رزقني الله مالًا كافأتك على الإحسان»[2]، ويليه الجواب الثاني.

ويَعْرِضُ على الجواب الثالث أنَّ فيه قطعًا للكلام عن سابقه، وهذا يكون «إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وجه، فأمَّا وللكلام وجه مفهوم على اتساقه على كلام واحد [وهو حاصل هنا]؛ فلا وجه لصرفه إلى كلامين»[3].

ويبقى الجواب الرابع، وحَسْبُه موهنًا له مخالفته لقول الجمهور في عدم احتمال التمنِّي للصدق والكذب.

---

(١) المقاصد الشافية ٦ / ٨٦.

(٢) الكشاف ٢ / ١٥.

(٣) جامع البيان ٢ / ١٩١.

المسألة (١٢):

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[١].

قدَّر المعربون مضافًا قبل الضمير المنصوب في (يجدونه)[٢]، «والمعنى: يجدون ذِكْره مكتوبًا، ألا ترى أنَّ الشخص لا يُكتَب»[٣]، إذ لا يمكن أن تكون ذاته وعينه البشرية في الكتابين؛ لاستحالة كون الاسم هو عين المسمَّى[٤].

وقد جاءت الروايات التفسيرية متضمِّنة تقدير هذا المضاف، ومنها قول قتادة في تفسير الآية: يجدون نَعْتَه، وأمْرَه ونُبوَّتَه مكتوبًا عندهم[٥].

إذا توطأ ذلك، فقد اختلف المعربون في إعراب جملة (يأمرهم بالمعروف) على بعض الأوجه، ومنها: أنها في محلِّ نصب حال، أي: يجدونه آمرًا بالمعروف، وناهيًا عن المنكر[٦].

---

(١) الأعراف (١٥٧)

(٢) ينظر: الحجة للفارسي ٦ / ٢٨٩، والتفسير البسيط ٩ / ٣٩٨، وغرائب التفسير ١ / ٤٢٤، والدر المصون ٥ / ٤٨٠.

(٣) الحجة ٦ / ٢٨٩.

(٤) ينظر: الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية ٢٩٢.

(٥) ينظر: جامع البيان ١٠ / ٤٩٢.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز ٢ / ٤٦٣، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ١٤٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٣٠٩، والبحر المحيط ٤ / ٤٠٢، والدر المصون ٥ / ٤٨٠.

وقد منع أبو علي الفارسي هذا الإعراب، قال: «فإذا قلتَ: فلِمَ لا تجعله حالًا من المفعول الأول؟ فلأنَّ ذلك ممتنع من حيث المعنى؛ ألا ترى أنه إذا كان المعنى: يجدون ذِكْره أو اسمه مكتوبًا، لم يَجُز أن يكون (يأمرهم) حالًا منه؛ لأن الاسم والذِّكْر لا يأمران ولا ينهيان، إنما يأمر المسمَّى والمذكور»[(١)].

وقد دفع ابن عطيَّة[(٢)]، وأبو إسحاق الثعالبي[(٣)] هذا الاعتراض بأنَّ مجيء الحال من الضمير الراجع إلى الاسم أو الذِّكر أو النعت محمول على التجوُّز.

وذكَر ابن عاشور[(٤)] أنه يتعين بناءً على هذا الإعراب أن يكون الضمير مجازًا، وبيان ذلك أنَّ ضمير المفعول في (يجدونه) راجع إلى الرسول المذكور، ولمرجعه عليه اعتباران:

الأول: أن يرجع عليه باعتبار الذات: أي يجدون ذاته، وهذا المعنى يَبْدَهُ الذهنَ أولًا، وهو لا شك غير مقصود.

الثاني: أن يرجع عليه باعتبار آخر غير الذات كالاسم أو الصفة مثلاً؛ لأنَّ (مكتوبًا) يخصِّص عود الضمير على الاعتبار الثاني من جهة أنَّ الذات لا توجد بين الكتب عن طريق الكتابة.

---

(١) الأغفال: ٢ / ٢٨٣. وينظر: المحرر الوجيز ٢ / ٤٦٣، والدر المصون ٥ / ٤٨٠، والتحرير والتنوير ٨ / ٣١٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢ / ٤٦٣.

(٣) ينظر: الجواهر الحسان ٣ / ٨٤.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٨ / ٣١٥.

وهذا يفضي إلى القول بالتجوُّز في التعبير، وأنها من المجاز المرسَل؛ لأنَّ الصفة والاسم جزء من الذات، فيكون هذا من قبيل إطلاق الكُلِّ وإرادة الجزء، والقرينة هي استحالة وجود الذات بين الكتب[1].

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٣٧٢.

المسألة (١٣):

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[١].

ذهب بعض المعربين[٢] إلى أنَّ شبه الجملة (من فوقهم) متعلِّق بمحذوف حال من (ربهم)، أي: كائنًا من فوقهم.

وقد اعترض محمود الكرماني هذا الإعراب من حيث المعنى منطلقًا في ذلك من مذهبه العقدي، فقال: «تعالى الله عن الجهة والمكان»[٣] زعمًا منه «أنَّ الفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة إليه تعالى»[٤]، وبيان ذلك أنَّ صفة الفوقية والعلو مستلزمة لصفة الاستواء؛ ولذا أنكرها أهل الكلام تبعًا لإنكارهم لصفة الاستواء، بخلاف أهل السنة والجماعة فقد أثبتوها تمسُّكًا بظاهر الأدلة[٥].

وقد تخلَّص بعض المعربين من الاعتراض المذكور ببعض الأوجه، وهي:

الأول: صَرْف الفوقية في الآية من العلو المكاني إلى علو القدرة، والمعنى: يخافون ربهم حالة كونه عاليًا عليهم بالقدرة والقهر والعظمة[٦].

---

(١) النحل (٥٠).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧٩٨، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤ / ١٢٢، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥ / ٣٣٨.

(٣) غرائب التفسير ١ / ٦٠٦.

(٤) روح المعاني ١٤ / ١٥٨.

(٥) ينظر: تعدد التوجيه الإعرابي في ضوء الاتجاه العقدي ١١٨٩.

(٦) ينظر: التفسير البسيط ١٣ / ٨٢، والكشاف ٢ / ٦١٠، والمحرر الوجيز ٣ / ٣٩٩.

الثاني: أن يكون (من فوقهم) متعلِّقًا بمحذوف حال من مضاف محذوف، والتقدير: يخافون عقاب أو عذاب أو ملائكة ربهم كائنًا من فوقهم؛ لأنَّ العذاب ينزل من السماء[١]، وقدَّر بعضهم ملائكة ربِّهم[٢].

الثالث: تعليق (من فوقهم) بمحذوف حال من واو الجماعة في (يخافون)، «والمعنى: أنَّ الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أَولى»[٣].

وجميع هذه الأوجه يبدو عليها شعار التكلُّف؛ لإخراجها الآية عن ظاهرها الدلالي والتركيبي، ومخالفتها لما جاء في تفسيرها، فقد رُوي عن ابن عباس رض الله تعالى عنهما أنه قال: «الذي فوقهم على العرش»[٤]، وقال مقاتل أيضًا: «الذي هو فوقهم؛ لأنَّ الله- تعالى- فوق كُلِّ شيء، خلق العرش، والعرش فوق كُلِّ شيء»[٥].

---

(١) ينظر: الحجة للفارسي ٤ / ٣١، والنكت والعيون ٣ / ١٩٢، والكشاف ٢ / ٦١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١١٣.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن ٧ / ٢٥٥.

(٣) التفسير البسيط ١٣ / ٨٢.

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٢٢٥.

(٥) تفسيره ٢ / ٤٧٢.

المسألة (١٤):

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[١].

أجاز المعربون[٢] أن يكون (رُشدًا) مفعولًا لأجله، وأن يكون مفعولًا ثانيًا للفعل (تعلِّمني)، ومنع العُكبَري أن يكون حالًا، قال: «لأنَّ المعنى على ذلك يبعُد»[٣].

ولم يوضِّح العُكبَري وجه بُعده في المعنى، ولعلَّ ذلك يعود إلى أنَّ الحال قيد لعامله؛ فيكون المعنى عليه: أنَّ موسى عليه السلام طلب من الخضِر أن يعلِّمه ممَّا عُلِّمه حال كونه ذا رُشد، ولازم ذلك أن يكون في بعض ما عُلِّمه الخضِر عِلْم غير ذي رُشد، وهذا لا يكون لأمرين:

الأول: انَّ الله تعالى هو مَن علَّم الخضِر كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾[٤].

الثاني: أنه جاء في سبب نشدان موسى عليه السلام للخضِر ليتعلَّم منه أنه سُئل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، أو حدَّثته نفسه بذلك؛ فأراد الله تعالى تعريفه أنَّ من عباده في الأرض مَن هو أعلم منه، وقيل: بل كان سبب ذلك أنه سأل الله تعالى أن يدُلَّه على عالم يزداد من عِلْمه إلى عِلْم نفسه؛ فلا يناسب وحاله كذلك أن يكون في بعض ما عُلِّمه غير رشيد[٥].

---

(١) الكهف (٦٦).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٤٤٥، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤ / ٣٠٥، والدر المصون ٧ / ٥٢٥.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٥٥.

(٤) الكهف (٦٥).

(٥) ينظر: جامع البيان ١٥ / ٣٢١.

المسألة (١٥):

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[١].

أجاز الباقولي[٢] في توجيه نصب كلمة (عيونًا) وجهين، أحدهما أن تكون بدل بعض من (الأرض)، أي: فجَّرنا الأرض عيونها، والوجه الأخَر أن تكون في الأصل مجرورة بحرف جرٍّ، والتقدير: بعيون، ثُمَّ حُذف الحرف فتعدّى الفعل إليها.

ثُمَّ دفع إعراب (عيونًا) حالًا[٣]، قال معلِّلًا ذلك: «.... لأنه ينبغي أن يكون ذا الحال، و(العيون) لا تكون كُلَّ الأرض»[٤].

قلت: إعراب الحال في ظني أوفى رجحانًا من الإعرابين اللذين اختار حمل الآية عليهما؛ لأنه مناسب لتركيب الآية بإسناد التفجير إلى الأرض، «وقد حصل بذلك من معنى الشمول .... وذلك أنه قد أفاد أنَّ الأرض قد كانت صارت عيونًا كلَّها، وأن الماء قد كان يفور من كُلِّ مكان منها. ولو أُجري اللفظ على ظاهره فقيل: (وفجرنا عيون الأرض، أو العيون في الأرض) لم يُفد ذلك ولم يَدُلَّ عليه، ولكان المفهوم منه أنَّ الماء قد كان فار من عيون

---

(١) القمر (١٢).

(٢) ينظر: جواهر القرآن ٢ / ٨٠٥.

(٣) ينظر وجه الحال في: غرائب التفسير ٢ / ٤٨٢ وظاهر صنيعه اختياره له، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ٤٨، والدر المصون ١٠ / ١٣٢، والمقاصد الشافية ٩ / ٢٢٠.

(٤) ينظر: جواهر القرآن ٢ / ٨٠٥.

متفرقة في الأرض، وتبجَّس من أماكن منها»[1]، وفي ذلك مبالغة تَفُوت بالإعرابين الأوَّلَين.

ولعلَّ باعث هذا الاعتراض هو ظنُّ الباقولي أنَّ الحال مقارنة، ولا شكَّ أنَّ الأرض لم تكن كلُّها عيونًا حال التفجير، وإنما آلت إلى ذلك بعد التفجير؛ فهي حال مقدَّرة[2].

وقد يظافر ذلك ما جاء في بعض تفاسير آية ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾[3] من أنه فار الماء من جميع الأرض حتى صار بسطح الأرض كفوهة التنور[4].

(١) دلائل الإعجاز ١٠٢.

(٢) ينظر: التذييل والتكميل ٩ / ٢٤٤، والمقاصد الشافية ٩ / ٢٢٠.

(٣) هود (٤٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ١١ / ٢٥٨.

المسألة (١٦):

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[١].

تعدَّدت أقول المعربين في توجيه تركيب الآية على أقوال، ومنها ما نسبه أبو علي الفارسي[٢] إلى بعض البغداديين من أنَّ اسم (يكن) ضمير الشأن، و(له أحدٌ) مبتدأ وخبر، والجملة خبر للضمير، و(كفوًا) حال من (أحدٌ).

ثُمَّ اعترضه من حيث المعنى؛ لأنه يؤدِّي إلى معنى فاحش ممتنع[٣]، غير سائغ[٤]؛ «لأنَّ الجملة التي تقع بعد المجهول توجب، فإذا كان كذلك صار (له كفوًا أحدٌ) بمنزلة (له أحدٌ كفوًا)، فهذا عظيم»[٥].

وعدَّ الباقولي هذا المعنى كفرًا[٦]، أو يُخشى على قائله الكفر[٧].

وقد سوَّغ أبو علي الفارسي وجه الحال بأن «يكون [الكلام] محمولًا على معنى النفي في (يكن)، وجاز ذلك؛ لأنَّ المعنى: لم يكن أحد كفوًا له، كما

---

(١) الناس (٤).

(٢) ينظر: الحجة ٦ / ٤٦٢، والمسائل الحلبيات ٢٥٤. ونُقلت هذه النسبة عن أبي علي الفارسي في: جواهر القرآن ١ / ٤٨٤، وكشف المشكل ٢ / ١٤٩٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ٤٨٧.

(٣) ينظر: المسائل الحلبيات ٢٥٤.

(٤) ينظر: الحجة ٦ / ٤٦٢.

(٥) المسائل الحلبيات ٢٥٤.

(٦) ينظر: جواهر القرآن ١ / ٤٨٤.

(٧) ينظر: كشف المشكل ٢ / ١٤٩٤.

جاء (ليس الطيبُ إلَّا المسكُ)، فدخل (إلَّا) بين المبتدأ والخبر حيث كان المعنى: ليس إلَّا الطيبُ المسكُ، ولولا النفي اللاحق لأول الكلام لم يجُز»[١].

وحَمْلُه الآية على قول العرب: (ليس الطيبُ إلا المسكُ) فيه نظر من وجهين:

١-أنه غير لازم؛ وذلك لاحتمال تأويل هذا القول على وجوه إعرابية أخرى[٢].

٢-أنَّ «التأويل إنما يسُوغ إذا كانت الجادَّة على شيء، ثُمَّ جاء شيء يخالف الجادَّة فيُتأول. أمَّا إذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلَّم إلَّا بها فلا تأويل، ومن ثَمَّ كان مردودًا تأويل أبي علي: (ليس الطيبُ إلَّا المسكُ) على أنَّ فيها ضمير شأن؛ لأنَّ أبا عمرو نقل أنَّ ذلك لغة تميم»[٣].

وهذا الاعتراض ينتفي على قول مَن جعل (أحدٌ) اسم (يكن)، (كفوًا) حالًا منه، و(له) الخبر[٤].

---

(١) المسائل الحلبيات ٢٥٤. وينظر: الحجة ٦ / ٤٦٢.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ١ / ٣٨٠، والتذييل والتكميل ٤ / ٣٠٠، والجنى الداني ٤٩٥. وينظر: النقد الإعرابي في كتب إعراب القرآن ومعانيه وكتب الاحتجاج للقراءات ١٣٦١.

(٣) الاقتراح في أصول النحو ٦٢. وينظر: ارتشاف الضرب ٣ / ١١٨١.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٣٠٩.

المطلب الثاني: ما يتجه إلى انتقال الحال ولزومها.

المسألة (١٧):

قراءة ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] بلفظ (وتكتمون) بإثبات النون[٢].

جاء في توجيه جملة (وتكتمون) في هذه القراءة توجيهان[٣]، أحدهما: أنَّ الواو عاطفة لجملة (تكتمون) على (ولا تلبسوا)؛ فيكون الكلام من عطف جملة الخبر على جملة الإنشاء، والوجه الآخَر هو أنَّ الجملة في محلِّ نصب حال، أي: كاتمين.

ويُؤخَذ على هذا الوجه أنَّ «الحال قيد في الجملة السابقة، وهم قد نُهوا عن لَبْس الحقِّ بالباطل على كُلِّ حال؛ فلا يناسب ذلك التقييدَ بالحال»[٤].

وقد أُجيبَ عن ذلك أنَّ الحال في الآية لازمة من وجهين:

الأول: أنه لا يقع لَبْس الحقِّ بالباطل إلَّا ويكون الحقُّ فيه مكتومًا[٥].

---

(١) البقرة (٤٢).

(٢) نُسبت هذه القراءة إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: معجم القراءات القرآنية ١ / ٩٢.

(٣) ينظر: الكشاف ١/١٣٣، وتفسير البيضاوي ١/٧٦-٧٧، والبحر المحيط: ١/٣٣٥، والدر المصون ١/٣٢٥.

(٤) البحر المحيط ١/٣٣٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط ١/٣٣٥.

الثاني: أنَّ التقييد جاء لإفادة التعليل، كما في: «لا تضرب زيدًا وهو أخوك»[١].

ويمكن أن يجاب عن ذلك أيضًا بأنه «قد تأتي الحال ليست قيدًا، ولا مفهوم لها»[٢]، كما في آية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٣]، فقد نُهو عن الحالة الشنعاء التي كانوا يوقعون الربا عليها، فليست الحال قيدًا في النهي؛ لأنَّ ما لا يقع أضعافًا مضاعفة يساوي في التحريم لما كان أضعافًا مضاعفة[٤].

ولعلَّ مَن حمَل هذه القراءة على وجه الحال أراد موافقتها لمعنى قراءة الجمهور ﴿ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾ في قول مَن جعَل الواو للمعيَّة والفعلَ بعدها منصوبًا بـ(أن) مضمَرة[٥]، «كأنه قيل: ولا تجمعوا بين لَبْسٍ وكتمان مع عِلْم»[٦].

---

(١) ينظر: روح المعاني ١/٢٤٦.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن ١٠ / ٤. وينظر: تعدد التوجيه الإعرابي في ضوء الاتجاه العقدي ٦٢٨.

(٣) آل عمران (١٣٠).

(٤) ينظر: البحر المحيط ٣ / ٥٧، ودراسات لأسلوب القرآن ١٠ / ٤.

(٥) ينظر هذا القول في معاني القرآن للفراء ١/١١٥، ومعاني القرآن وإعرابه ١/١٢٤، ومشكل إعراب القرآن ٩٢.

(٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد ١/٢٤٥.

والظاهر أنَّ الفعل (تكتموا) مجزوم عطفًا على الفعل قبله (ولا تَلبسوا)؛ فيكون الجزم حينئذٍ لكُلِّ فعل مستقلًا عن الآخَر[١].

ويؤيِّد ذلك أمران:

الأول: مجيء معناه عن بعض أهل التفسير المتقدِّمين[٢].

الثاني: أنَّ الفعل (تكتمون) قد جاء بالرفع في آية نظيرة، وهي ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٣]، ولو أُريد به معنى الجمع لجاء منصوبًا، على معنى: لِمَ تجمعون بين ذا وذا[٤]، والقرآن يُحمَل بعضه على بعض.

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٣٦/١، والدر المصون ٣٢١/١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦٠٧/١.

(٣) آل عمران (٧١).

(٤) ينظر: المقاصد الشافية ٦٥/٦.

المسألة (١٨):

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١].

جاء في إعراب الواو في (والراسخون) وما يتلوها قولان، ومرعى النظر منهما في هذه المسألة قول من جعَل الواو عاطفة، و(الراسخون) معطوفة على لفظ الجلالة[٢]؛ «وعليه فالمتشابه يَعْلَم تأويلَه الراسخون في العِلْم أيضًا»[٣].

ثُمَّ اختُلف- بناءً على هذا القول-في إعراب جملة (يقولون)، فقيل: إنها في محلِّ نصب حال[٤]، «كأنه قال: الراسخون في العِلْم قائلين»[٥].

واعترض الشوكاني هذا الإعراب من حيث المعنى بأنَّ «تقييد عِلْمهم بتأويله بحال كونهم قائلين: آمنا به ليس بصحيح؛ فإنَّ الراسخين في العِلْم على القول بصحة العطف على الاسم الشريف يَعلمونه في كُلِّ حال من

---

(١) آل عمران (٧).

(٢) ينظر توجيه المعربين للواو وما بعدها في: البحر المحيط ٢/٤٠٠، والدر المصون ٣/ ٢٩ وغيرهما من المظان المذكورة هنا.

(٣) أضواء البيان ١/ ١٩١.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١/٣٧٥، والتفسير البسيط ٥/ ٦١، والمحرر الوجيز ١/٤٠٣، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٣٩، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/١٢، والبحر المحيط ٢/٤٠٠، والدر المصون ٣/ ٢٩.

(٥) تأويل مشكل القرآن ١٠٠.

الأحوال لا في هذه الحالة الخاصة؛ فاقتضى هذا أنَّ جَعْل قوله: (يقولون آمنا به) حالًا غير صحيح»[1].

وقد أجاب عن ذلك بعض الباحثين بأنَّ الحال هنا خرجت مخرج الأغلب والمنبغي، أي: أنَّ الأغلب والمنبغي فيمن رسخ عِلْمُه أن يكون منقادًا لأمر الله تعالى ويؤمن به حقَّ الإيمان، وفيه التنبيه بالإشارة على أنَّ العِلْمَ قبل العمل، وأنَّ العِلْمَ يستوجب العمل، ولذا فُسِّر قولهم بالإيمان أنه كناية عن الاعتقاد؛ لأنَّ من شأن المعتقِد أن يقول معتقَده[2].

(١) فتح القدير ٣٦٣/١.

(٢) ينظر: ما أعربه الكسائي من القرآن ٣٥٩.

المسألة (١٩):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾[١].

جاء في توجيه نصب (شهداءَ لله) ثلاثة أوجه[٢]، أحدها-وهو موضوع البحث- أنها منصوبة على الحال من الضمير المستتر في (قوامين)، «أي: بالعدل في حال شهادتكم لله على كُلِّ ظالم حتى يُؤخَذ الحقُّ منه»[٣].

وهذا الوجه اختاره أبو جعفر النحَّاس[٤]، واقتصر عليه الواحدي[٥]، وقدَّمه فخر الدين الرازي[٦]، وأجازه بعض المعربين[٧].

وقد ضعَّفه أبو حيَّان[٨]؛ لأنه يَلزم منه تقييد قيامهم بالقسط في حال الشهادة، وهم مأمورون بذلك مطلقًا.

وتعقَّبه السمين، فقال: «وهذا الردُّ ليس بشيء؛ فإنَّ هذا المعنى نحا إليه ابن عبَّاس قال - رضي الله عنه -: كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على مَن كانت[١]، وهذا هو معنى الوجه الصائر إلى جعل (شهداءَ) حالًا»[٢].

---

(١) النساء (١٣٥).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٠٩، والبحر المحيط ٣٨٤/٣.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل ٤١٩/١.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ٤٩٤/١.

(٥) ينظر: التفسير البسيط ١٤٠/٧.

(٦) ينظر: التفسير الكبير ٥٨/١١.

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢٠٩، والتبيان في إعراب القرآن ٣٩٧/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٣٥٦/٢.

(٨) ينظر: البحر المحيط ٣٨٤/٣.

وهذا في ظني تعقُّبٌ غير قاصد؛ لأنَّ أبا حيَّان قد أشار إلى هذا التفسير، وأنه يشهد لوجه الحال، ولكنَّ ظاهر كلامه يوحي بعدم ثبوته عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣]؛ ولذا يستلزم الأمر دراسة ثبوت سنده إليه، وهو غير داخل في محض موضوع هذا البحث.

(١) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٨٢، وفيه: «كونوا قوالين بالعدل في الشهادة». وينظر: التفسير البسيط ١٤٠/٧، والكشف والبيان ٤١/١١.

(٢) الدر المصون ١١٤/٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٣٨٤/٣.

المسألة (٢٠):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[١].

تكاد تتفق كلمة من تناول الآية إعرابًا أو تفسيرًا أنَّ (غيرَ) في (غير محلّي الصيد) حال[٢]، ولكنْ اختلفوا في صاحب الحال على أقوال، والداخل في نطاق هذا البحث ثلاثة أقوال، وهي:

القول الأول: أنه فاعل (أوفوا بالعقود)، وهو واو الجماعة، وفي الكلام تقديم وتأخير، «كأنه قيل: أوفوا بالعقود غير محلّي الصيد»[٣].

وهذا قول جماعة[٤]، وعلى رأسهم الأخفش[٥]، ورجَّحه الطبري[٦] بأنَّ ظاهر التنزيل عليه.

وقد اعترضه ابن العربي بأنه يَلزم منه تقييد الوفاء بالعقود بحال عدم إحلالهم الصيد، وليس الأمر كذلك؛ لأنَّ الأمر بالوفاء مطَّرد على كُلِّ حال.

قال: «ونَكْثُ العهد ونَقْضُ العقد محرَّم، والأمر بالوفاء مستمر في هذه الحال وفي كُلِّ حال. ولو اختصَّ الوفاء بها في هذه الحال لكان ما عداها بخلاف على رأي القائلين بدليل الخطاب، وذلك باطل أو يكون مسكوتًا

---

(١) المائدة: (١).

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٤٣٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٤١.

(٤) ينظر: الدر المصون ٤/ ١٨٠.

(٥) ينظر: معاني ا لقرآن ١/ ٢٧١.

(٦) ينظر: جامع البيان ٨/ ١٩.

عنه، وإنما ذكَر الأقل من أحوال الوفاء وهو مأمور به في كُلِّ حال، وهذا تهجين للكلام وتحقير للوفاء بالعقود»[١].

ووافقه في هذا الاعتراض أبو حيَّان[٢]، والسمين[٣].

القول الثاني: أنه الكاف في (أُحلَّت لكم) «بتأويل: أُحِلَّت لكم أيها الذين آمنوا بهيمة الأنعام لا مستحلِّي اصطيادها في حال إحرامكم»[٤].

وهذا قول الجمهور[٥]، ومنهم الكسائي[٦]، والفرَّاء[٧]، وأبو بكر الأنباري[٨]، ومكي[٩]، وغيرهم[١٠].

---

(١) أحكام القرآن ٢/ ١٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٤٣٠.

(٣) ينظر: الدر المصون ٤/ ١٧٩.

(٤) جامع البيان ٨ / ١٨-١٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٤٣٠.

(٦) ينظر: الكشف والبيان ٤/ ٧.

(٧) ينظر: معاني القرآن ١/ ٢٩٨.

(٨) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٦١١.

(٩) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢١٧.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤، والكشاف ١/ ٦٣٦، والمحرر الوجيز ٢/ ١٤٥، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٤١٥، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/ ٣٩٥، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٢١٩.

وقد ردَّ أبو حيَّان[١] هذا القول بأنه يَلزم منه تقييد الحلِّ حال انتفاء غير محلِّي الصيد وهم حُرُم، وهم قد أُحلَّت لهم بهيمة الأنعام في هذه الحال وغيرها.

وهذا الاعتراض غير لازم؛ لأنه قائم على أنَّ تفسير بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم وأجناسها[٢]، وأمَّا على تفسيرها بالوحشي، كالظِّباء وبقر الوحش وحمر الوحش[٣]، وهو قول الكلبي[٤] واختاره الفرَّاء[٥]، فإنَّ الإشكال يرتفع.

والحريُّ بالترجيح في ظني أنَّ المراد ببهيمة الأنعام عموم الأنعام؛ فتشمل الإنسي والوحشي منها، وهو قول جماعة من أهل التفسير، ومنهم: مقاتل بن سليمان[٦]، وابن قتيبة[٧]، واختاره الزجَّاج[٨]، ووجه الرُّجحان أنَّ في كلا القولين تخصيصًا لبعض المحلَّلات بغير دليل يسايرها، «والأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يَرِد ما يقيِّده»[٩].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (ط الرسالة) ٨/ ١٦، وفي ط (الكتب العلمية وهي المعتمَدة في البحث) ٣ / ٤٣٠، وط (الفكر) ٤ / ١٦٠ أيضًا سَقْط ظاهر لا يخفى على ناظر. وقد جاء الاعتراض في: الدر المصون ٤ / ١٧٨، والجواهر الحسان ٢/ ٣٣٦، وحاشية زادة على البيضاوي ٣ / ٢١٠، وروح المعاني ٦ / ٥١.

(٢) ينظر: جامع البيان ٨/ ١٢-١٣، والتفسير البسيط ٧/ ٢٢٠، وزاد المسير ١/ ٥٠٦، والدر المنثور ٣/ ٦. وقد نصره ابن العربي في أحكام القرآن ٢ / ١٢-١٣.

(٣) ينظر: مصادر الحاشية السابقة.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٤ / ٧، التفسير البسيط ٧/ ٢٢١.

(٥) ينظر: معاني القرآن ١ / ٢٩٨.

(٦) ينظر: تفسيره ١ / ٤٤٨.

(٧) ينظر: غريب القرآن ١٣٨.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٤٠.

(٩) ينظر: قواعد التفسير ٢ / ٦٢١.

ويدلُّ على دخول الوحشي في الأنعام ذِكْرُ الصيد في (غير محلِّي الصيد)[١]، «والأنعام الإنسية لا تُصاد»[٢].

ولا يُضام ذلك بما قاله الطبري من أنه «لو كان قوله: (أُحلَّت لكم بهيمة الأنعام) مقصودًا به قَصْد الوحش، لم يكن أيضا لإعادة ذِكْر الصيد في قوله: (غير محلِّي الصيد) وجه وقد مضى ذِكْره قبل»[٣].

وذلك لأنه يمكن أن يقال: إنه لمَّا أدخل الله تعالى في الأنعام المباحة الإنسي والوحشي جميعًا، استثنى من كُلِّ نوع شيئًا: أمَّا الإنسي، فاستثنى ما يُتلى عليكم على ما تقدَّم، وأمَّا الوحشي، فاستثنى من حِلِّه صيده للمُحْرِم.

وبذلك يرتفع في ظني الاعتراض المعنوي على وجه الحال، ويُجمَع بين قولَي المفسِّرين في معنى (الأنعام)[٤].

القول الثالث: أنه الضمير المجرور في (عليكم).

وقد ضعَّف السمين[٥] هذا القول، وتابعه الألوسي[٦] بأنَّ المتلوَّ عليهم «من الميتة والدم ولحم الخنزير والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة»[٧] لا يُقَيَّد بهذه الحال دون غيرها، بل هو متلو عليهم في هذه الحال وفي غيرها.

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة ٣ / ٤٣٦.
(٢) التفسير والبيان لأحكام القرآن ٣ / ١٨٠٢.
(٣) جامع البيان ٨ / ١٨.
(٤) ينظر: التفسير والبيان لأحكام القرآن ٣ / ١٠٨٢.
(٥) ينظر: الدر المصون ٤ / ١٧٩.
(٦) ينظر: روح المعاني ٦ / ٥١.
(٧) تفسير مقاتل: ١ / ٤٤٨.

المسألة (٢١):

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١].

ذهب الطبري إلى أنَّ جملة (يقولون آمنا) في محلِّ نصب حال من ضمير الفاعل في (عرفوا)، قال: «وأمَّا قوله: (يقولون)، فإنه لو كان بلفظ اسم كان نصبًا على الحال؛ لأنَّ معنى الكلام: وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممَّا عرفوا من الحق قائلين: ربنا آمنا»[٢].

ووافقه بعض المعربين، ومنهم: العُكبَري[٣]، والمنتجَب الهمداني[٤]، والنسفي[٥].

وقد ساق عليه أبو حيَّان[٦] إشكالًا معنويًا، وهو أنَّ الحال قيد لعاملها (عرفوا)، وهم قد عرفوا الحقَّ في هذه الحال وفي غيرها؛ ولذا لم يُجز حمل الآية عليه.

وينجي – في ظني– من هذا الإشكال أمران:

الأول: أنَّ هذه الحال ذُكرت؛ لأنها أشرف أحوالهم، فخرجت مخرج المدح[٧].

الثاني: أنَّ هذه الحال لازمة من جهة أنَّ معرفتهم للحق تمثِّل الإيمان، وما قالوه يمثِّل العمل، «وإيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر»[٨].

---

(١) المائدة (٨٣).
(٢) جامع البيان ٨/ ٦٠٣.
(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٤٥٥.
(٤) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/٤٨٣.
(٥) ينظر: مدارك التنزيل ١/ ٤٦٩.
(٦) ينظر: البحر المحيط ٤/٨.
(٧) ينظر: الدر المصون ٤/ ٣٩٨.
(٨) مجموع الفتاوى ٧ / ٢٠٤.

المسألة (٢٢):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[١].

أجاز الزمخشري[٢]، وغيره[٣] أن تكون جملة (تُلقون إليهم بالمودة) حالًا من واو (لا تتخذوا)، أي: لا تتخذوهم أولياء ملقين إليهم بالمودة.

وقد ضعَّفه أبو حيَّان[٤] بأنَّ الحال يوهم جواز اتخاذ الأعداء أولياء عند عدم إلقاء المودة، وقد جاء الأمر بعدم اتخاذهم أولياء مطلقًا[٥]، كما في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[٦].

قال: «الحال والصفة قيدٌ، وهم قد نُهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقًا، والتقييد يدلُّ على أنه يجوز أن يتخذوا أولياء إذا لم يكونوا في حال إلقاء المودة»[٧].

وأجاب عن ذلك السمين[٨] بأنَّ هذا الاعتراض غير لازم؛ لأنَّ عدم جواز الولاء مطلقًا معلوم من القواعد الشرعية المقرَّرة.

---

(١) الممتحنة (١).

(٢) ينظر: الكشاف ٤ / ٥١٢.

(٣) ينظر: غرائب التفسير ٢ / ١٢٠٣، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٢١٧، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ١٣٣، وتفسير البيضاوي ٥ / ٢٠٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٨ / ٢٥١.

(٥) ينظر: حاشية زادة على تفسير البيضاوي ٨ / ١٨٢.

(٦) المائدة (٥١).

(٧) البحر المحيط ٨ / ٢٥١.

(٨) ينظر: الدر المصون ١٠ / ٢٩٨.

ويمكن أن يجاب أيضًا عن ذلك بأنَّ جملة الحال مؤَكِّدة؛ لأنها في معنى اتخاذهم أولياء، والحال المؤَكِّدة «ليست بقيد يتقيد به عاملها كالمنتقلة»[1]، والغرض بها التعجيب من إلقائهم إليهم بالمودة وهم أعداء[2].

(١) شرح الرضي على الكافية ق١-ج٢/ ٦٨٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٨ / ١١٩.

المسألة (٢٣):

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾[١] في قراءة نَصْب (خافضةً رافعةً)[٢].

ذهب أكثر مَن وجَّه هذه القراءة إلى أنَّ (خافضة رافعةً) منصوبتان على الحال، وأنَّ صاحبها هو (الواقعة)[٣]، أي: «إذا وقعت الواقعة في حال الخفض والرفع»[٤].

وقد استبعد مكي وجه النصب بناءً على إعراب الحال، قال: «ومَن قرأ بالنصب فعلى الحال من (الواقعة)، وفيه بُعد؛ لأنَّ الحال في أكثر أحوالها إنما تكون لما يمكن أن يكون ويمكن ألَّا يكون، والقيامة لا شكَّ في أنها ترفع

---

(١) الواقعة (١-٣).

(٢) وهي قراءة الحسن وعيسى بن عمر وزيد بن علي وأبي حيوة وابن أبي عبلة وغيرهم. ينظر: معجم القراءات القرآنية ٨ / ٢٨٩.

(٣) وذهب بعضهم إلى أن صاحب الحال هو الضمير المستتر في (كاذبة). ينظر وجه الحال في: معاني القرآن وإعرابه ٥ / ١٠٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤ / ٣٢٢، وإعراب القراءات السبع ٢ / ٣٤٢، والمحتسب ٢ / ٣٠٧، والكشاف ٤ / ٤٥٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٢٠٢، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ٧٩، والبحر المحيط ٨ / ٢٠٣.
وظاهر كلام الفرَّاء أنَّ تقدير الكلام: إذا وقعت الواقعة وقعت خافضةً رافعةً؛ فيكون صاحب الحال الضمير المستتر في العامل المحذوف. ينظر: معاني القرآن ٣ / ١٢١. وأجاز أبو بكر الأنباري النصب على المدح. ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ٢ / ٩١٨.

(٤) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ٧٩.

قومًا الى الجنة وتخفض آخَرين إلى النار لابُدَّ من ذلك؛ فلا فائدة في الحال»[١].

يريد أنَّ الأكثر في دلالة الحال الانتقال، أي: أنَّ معناها غير ملازم لصاحبها، وخفضُ القيامة ورفعُها- على الخلاف في تفسيرهما- ملازمان ليوم القيامة لا ينفك معناهما عنها[٢]؛ فلا فائدة عنده حينئذٍ من الحال، ونظير ذلك إذا قيل: (جاء الرجل شجاعًا)، فإنَّ الحال لا تفيد؛ لأنَّ الشجاعة صفة للرجل مطلقًا، أي: في حال مجيئه وفي غيره، وهذا بخلاف الصفة فإنها مستمرة ثابتة مع الموصوف[٣].

وهذا من أسباب تفضيل قراءة الرفع؛ فإنَّ (خافضةٌ) خبر لمبتدأ محذوف، والجملة الاسمية تفيد الثبات والدوام، وقد نصَّ أبو جعفر النحَّاس على أنَّ التفسير يجري على دلالة الرفع فقط، «فإن ابن عبَّاس قال: خفضت أناسًا ورفعت آخَرين، فعلى هذا لا يجوز إلَّا الرفع؛ لأنَّ المعنى خفضت قومًا كانوا أعزاء في الدنيا إلى النار ورفعت قومًا كانوا أذلَّاء في الدنيا إلى الجنة»[٤].

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٧١٠. وأصله لدى أبي جعفر النحاس في إعراب القرآن ٤ / ٣٢٢.

(٢) ينظر خلاف المفسِّرين في: النكت والعيون ٥ / ٤٤٦.

(٣) ينظر: شرح المقدمة المحسبة ٢ / ٣١١.

(٤) إعراب القرآن ٤ / ٣٢٢.

ويبدو أنَّ المجاشعي كان مستشعرًا للإشكال الذي أورده مكي؛ ولذا دفعه ابتداء بجعل الحال مؤَكِّدة، قال: «وهذه حال مؤَكِّدة؛ لأنَّ القيامة إذا وقعت فلابُدَّ أن تكون خافضة رافعة»(١).

وفي هذا نظر؛ لأنَّ معنى الحال المؤَكِّدة أن يكون معناها كمعنى الفعل، فالتوكيد هو المؤَكَّد في المعنى(٢)، وهذا لا يَصْدُقُ على القراءة، فإنَّ الخفض والرفع ليسا في معنى الواقعة.

ولذا أرى حمل الحال على اللزوم من غير جهة التأكيد، «والحال اللازمة موجودة في كلام العرب»(٣)، وانتقال الحال غالب لا شرط فيها(٤).

ونظير هذه القراءة توجيهًا واعتراضًا قراءة ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾(٥) بنصب (نزَّاعةً)(٦)، فقد نقل النحَّاس عن المبرِّد عدم إجازته لها بناءً على إعراب الحال، وقد قال في تعليل ذلك: «لأنه لا يجوز أن يكون إلَّا نزَّاعة للشَّوى، وليس كذا سبيل الحال»(٧).

---

(١) النكت في القرآن ٤٧٩.

(٢) ينظر: نتائج الفكر ٣٩٧.

(٣) البحر المحيط ١ / ٣٨٣.

(٤) ينظر: شرح التسهيل ٢ / ٣٢٢.

(٥) المعارج (١٦).

(٦) وهي قراءة عاصم في رواية حفص، وقرأ كبقية السبعة بالرفع في رواية أبي بكر. ينظر: السبعة ٦٥٠.

(٧) إعراب القرآن ٥ / ٣٠.

ومن العجيب أنَّ مكيًّا هنا لم يستجِدْ قول المبرِّد، وصحَّح الحال في القراءة بحملها على اللزوم من جهة أنها مؤَكِّدة لما قبلها، قال: «الحال في هذا جائزة؛ لأنها تؤَكِّد ما تقدَّمها كما قال: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾[1]، ولا يكون الحقُّ أبدًا إلَّا مصدِّقًا، وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾[2]، ولا يكون صراط الله جلَّ ذكره أبدًا إلَّا مستقيمًا؛ فليس يَلزم ألَّا يكون الحال إلَّا للشيء الذي يمكن أن يكون ويمكن ألَّا يكون، هذا أصل لا يصِحُّ في كُلِّ موضع؛ فقوله ليس بجيد»[3].

ولعلَّه لم يحمل وجه الحال في قراءة المسألة محلِّ البحث على التأكيد كما فعل هنا؛ وذلك لعدم وضوح معنى التأكيد كما أسلفتُ، ويبدو أنه يحصر ملازمة الحال في معنى التأكيد فقط، والصحيح أنها غير محصورة فيه[4].

---

(١) البقرة (٩١).

(٢) الأنعام (١٢٦).

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢ / ٧٥٨.

(٤) ينظر: ضياء السالك إلى أوضح المسالك ٢ / ٢٠٨. وتنظر بعض الشواهد في: البحر المحيط ١ / ١٦١، ٢٥٩، ٣٣٥، ٢ / ٤٧، ٤٢٠، ٤ / ٣٧٩.

المسألة (٢٤):

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[١].

اختلف المعربون في توجيه نصب (قادرين) على أقوال، ومن أشهرها ما ذهب إليه جمهور المعربين[٢]، وفي مقدِّمتهم يونس وسيبويه، وهو أنَّ (قادرين) حال من فاعل الفعل المقدَّر بعد (بلى)، والتقدير: نجمعها قادرين.

قال: «وأمَّا قوله جلَّ وعزَّ: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ ﴾، فهو على الفعل الذى أظهر، كأنه قال: بلى نجمعها قادرين. حدَّثنا بذلك يونس»[٣].

وقد استشكل فخر الدين الرازي الحال من جهة المعنى العقدي[٤]؛ لأنَّ صفات الله تعالى أزلية لا تنفك عنه[٥]، وقدرة الله تعالى على تسوية البنان ناتج عن قدرة مطلقة أزلية أبدية، ومقتضى الحال عنده صحة وقوع المعنى مع الاستغناء عنها، وهذا لا يكون في الآية[٦].

قال: وهي «وهذا الوجه عندي فيه إشكال، وهو أنَّ الحال إنما يَحْسُن ذِكْره إذا أمكن وقوع ذلك الأمر لا على تلك الحالة، تقول: (رأيت زيدًا

---

(١) الإنسان (٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١ / ١٧١، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٥١، وإعراب القرآن للنحاس ٥ / ٧٩، ومشكل إعراب القرآن ٧٧٧، وغرائب التفسير ٢ / ١٢٨٠ وفيه النسبة إلى الجمهور، والمفصل ٩٣، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٥٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٦ / ٢٧٤، والبحر المحيط ٨ / ٣٧٥.

(٣) الكتاب: ١ / ٣٤٦. وينظر: شرح الكتاب ٢ / ٢٣٣.

(٤) ينظر: تعدد التوجيه الإعرابي في ضوء الاتجاه العقدي ٦٢٦.

(٥) ينظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ٤٠٠.

(٦) ينظر: تعدد التوجيه الإعرابي في ضوء الاتجاه العقدي ٦٢٦-٦٢٧.

راكبًا)؛ لأنه يمكن أن نرى زيدًا غير راكب، وهاهنا كونه تعالى جامعًا للعظام يستحيل وقوعه إلَّا مع كونه قادرًا، فكان جَعْله حالًا جاريًا مجرى بيان الواضحات، وأنه غير جائز»[1].

وفي هذا الاعتراض محلُّ نظر؛ لأنَّ الحال- كما سلف- تأتي منتقلة ولازمة، وهي في الآية من قبيل اللازمة، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[2]، فإنَّ (قائمًا) تحتمل أن تكون حالًا من لفظ الجلالة في (شهد الله)، ولا يُتصوَّر ذلك إلا بجعلها لازمة؛ لأنَّ صفة القيام بالقسط وصف ثابت لله تعالى[3].

قال ابن سيده في جوابه عمَّن اعترض على هذا الوجه من جهة أنَّ الحال منتقلة وفضلة في الكلام، وصفة القيام بالقسط لم يزل الله تعالى موصوفًا بها ولا يزال: «فالجواب: أنه ليس كُلُّ حال منتقلةً، ولا فضلةً في الكلام كما زعم هذا الزاعم، بل من الأحوال ما لا يصِحُّ انتقاله، ولا يجوز أن يكون فضلة، ألا ترى أن النحويين قد أطلقوا الحال على أشياء من القرآن غيره لا يصِحُّ فيها الانتقال؟ ....»[4].

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠ / ١٩٢.

(٢) آل عمران (١٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط ٢ / ٤٢٠.

(٤) ينظر: رسائل في اللغة ٢٩٩.

المطلب الثالث: ما يتجه إلى تقييد العامل.

المسألة (٢٥):

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[١].

تحتمل جملة (بعضكم لبعض عدو) وجهين من الإعراب، وهما[٢]:

الأول: أنها استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب؛ فيكون الكلام إخبارًا بالعداوة.

الثاني: أنها في محلِّ نصب حال من الواو في (اهبطوا)، أي: اهبطوا متعادِين.

ويتأثر الوقف باختلاف حمل الجملة على أحد الإعرابين، فعلى الوجه الأول يكون الوقف على (اهبطوا)؛ لاستئناف كلام جديد، وعلى الوجه الثاني يكون الوقف على جملة (بعضكم لبعض عدو)؛ لاتصالها بما قبلها[٣].

ويشكل على هذا الوجه اقتضاؤه أن تكون العداوة مأمورًا بها؛ لأنَّ الحال داخلة في حيّز الأمر[٤]، قال أبو حيَّان موضِّحًا ذلك: «.... ألا ترى أنك إذا قلتَ: (قم ضاحكًا) كان المعنى الأمر بإيقاع القيام مصحوبًا بالحال، فيكون مأمورًا بها أو كالمأمور؛ لأنك لم تسوّغ له القيام إلَّا في حال

---

(١) البقرة (١١).

(٢) ينظر الوجهان في: إعراب القرآن للنحاس ٢١٤/١، ومشكل إعراب القرآن ٨٨، والتبيان في إعراب القرآن ٥٣/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٣١/١، والبحر المحيط ٣١١/١، والدر المصون ٢٩٠/١، والتحرير والتنوير ٤٢٢/١.

(٣) ينظر: منار الهدى ٦٩.

(٤) ينظر: تفسير ابن عرفة ١٠٤/١.

الضحك، وما يُتوصَّل إلى فعل المأمور إلَّا به مأمور، والله تعالى لا يأمر بالعداوة»[١].

وقد أُجيبَ عن ذلك بأجوبة تعود في الأصل إلى خلاف أهل التفسير في مرجع ضمير (اهبطوا)، وأشهر ما جاء فيه قولان[٢]:

القول الأول: أنَّ الضمير يعود إلى آدم وحواء، وقد جُمع الضمير لدخول ذريتهما في الخطاب؛ «لأنهما لمَّا كانا أصل الإنس جُعلا كأنهما الإنس كلُّهم»[٣].

ويندفع الإشكال المعنوي بناءً على هذا التفسير بأن يقال: إنَّ المراد بالعداوة في جملة (بعضكم لبعض عدو) «ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض»[٤]، فتكون الحال حينئذٍ مقدَّرة[٥]؛ لأنَّ حصول مضمونها في الآية متأخر عن حصول مضمون عاملها، وفي ذلك إعلام من الله تعالى لآدم وحواء بما سيؤول إليه أمر ذريتهما من عداوة بعضهم لبعض[٦]، وفي طيَّته إشعار بالتحذير من ذلك[٧].

---

(١) البحر المحيط ٣١٦/١.

(٢) ينظر طرف من خلافهم في: معاني القرآن للفراء ٣١/١، وجامع البيان ٥٧٢/١-٥٧٥، وزاد المسير ٥٦/١، والكشاف ١٢٨/١، والبحر المحيط ٣١٤/١-٣١٥.

(٣) التفسير الكبير ١٧/٣.

(٤) الكشاف ١٢٨/١.

(٥) ينظر: روح المعاني ١٢٨/١.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ٤٢٠/١.

(٧) ينظر: النكت العيون ١٠٨/١.

القول الثاني: أنَّ الضمير يعود إلى آدم وحواء وإبليس، وبناءً على ذلك يمكن دَرْء الإشكال بجوابين:

الجواب الأول: أنَّ هذه الحال قيد لازم؛ لأنَّ عداوة إبليس لآدم وحواء عريقة قِدَمًا، منذ خَلْق الله تعالى لآدم، فإنه تعالى أمَر الملائكة بالسجود، فسجدوا كلُّهم إلَّا إبليس استكبارًا واحتقارًا[١]، وقد عرَّفهما ذلك وهما في الجنة[٢] في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[٣]، و«الفعل المأمور به إذا كان لا يقع في الوجود إلَّا بذلك القيد ولا يمكن خلافه، لم يكن ذلك القيد مأمورًا به؛ لأنه ليس داخلًا في حيِّز التكليف، وهذه الحال من هذا النوع؛ فلا يلزم أن يكون الله أمر بها»[٤].

الجواب الثاني: أنَّ العداوة هنا مأمور بها[٥]، بدليل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٦].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٥/٩٣.

(٢) طه (١١٨).

(٣) ينظر: التفسير الكبير ٣/١٧.

(٤) ينظر: البحر المحيط ١/٣١٦.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٣/١٧، والتفسير القيم ١٣٧، وتفسير ابن عرفة ١/١٠٤.

(٦) فاطر (٦).

المسألة (٢٦):

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[(١)].

اختلف المعربون في جملة (يخادعون الله) على أقوال[(٢)]، ومنها ما أجازه العُكبَري[(٣)]، وتابعه المنتجَب الهمداني[(٤)]، وهو أنها حال من الضمير المستتر في اسم الفاعل (بمؤمنين)، وهو العامل في الحال.

وقد أورد أبو حيَّان[(٥)] على وجه الحال إشكالًا معنويًا، وهو أنَّ النسبة المنفية إذا قُيِّدت بحال فإنَّ النفي يتسلَّط على الحال، وليس معنى الآية على ذلك.

وبيان ذلك أنَّ نفي النسبة المقيَّدة بالحال له طريقان[(٦)]: «أحدهما: وهو الأكثر أن ينتفي ذلك القيد فقط، ويكون إذ ذاك قد ثبت العامل في ذلك القيد، فإذا قلتَ: ما زيد أقبل ضاحكًا فمفهومه نفي الضحك ويكون

---

(١) البقرة (٨-٩).

(٢) تنظر في: إيضاح الوقف والابتداء ٤٩٦/١، ومشكل إعراب القرآن ٧٧، والبيان في غريب إعراب القرآن ٥٤/١، والتبيان في إعراب القرآن ٢٥/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١٤٩/١، والبحر المحيط ١٨٤/١.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٥/١.

(٤) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٤٩/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط ١٨٤/١.

(٦) تنظر المسألة وبعض شواهدها في: دلائل الإعجاز ٢٧٩، والبحر المحيط ٥٧٢/١، ٣٤٢/٢، والدر المصون ٧٧/٢، ٦٢٤، والبحر المحيط في أصول الفقه ٢٥٥/٢، ودراسات لأسلوب القرآن ٩٠/١٠، ومعاني النحو ١٨٧/٤-١٩١.

قد أقبل غير ضاحك، وليس معنى الآية على هذا؛ إذ لا ينفي عنهم الخداع فقط، ويُثبت لهم الإيمان بغير خداع، بل المعنى: نفي الإيمان عنهم مطلقًا. والطريق الثاني: وهو الأقل، أن ينتفي القيد وينتفي العامل فيه، فكأنه قال في المثال السابق: لم يقبل زيد ولم يضحك: أي لم يكن منه إقبال ولا ضحك، وليس معنى الآية على هذا؛ إذ ليس المراد نفي الإيمان عنهم ونفي الخداع»[(١)]، وإنما المراد هو نفي الإيمان[(٢)] وإثبات الخداع[(٣)]، وهو ما جاء صريحًا في آية ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[(٤)].

وهذا الاعتراض يبدو أيضًا على قول مَن جعَل جملة (يخادعون) في محلِّ جرِّ صفة لـ(بمؤمنين)؛ لأنه يوجب انتفاء خداعهم، ومعنى الآية على إثباته[(٥)]، ولذا جعَل السجاوندي الوقف على (بمؤمنين) لازمًا؛ لأنه لو وُصِل بجملة (يخادعون) لصارت صفةً للمؤمنين؛ فينتفي حينئذٍ الخداع عنهم، ويتقرَّر الإيمان خالصًا من الخداع[(٦)].

---

(١) البحر المحيط ١/١٨٤. وينظر أيضًا: الدر المصون ١/١٢٤-١٢٥.

(٢) وقد اتفق المفسِّرون على أنَّ الله تعالى في الآية قد نفى عن المنافقين الإيمان بالكليَّة. ينظر: جامع البيان ١/٢٧٩، ومعاني القرآن للنحاس ١/٨٩، والتفسير البسيط ٢/١٢٩، والكشاف ١/٥٥.

(٣) ينظر: غرائب القرآن ١/٤٤.

(٤) النساء (١٤٢).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٢٥، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١/١٤٩، والبحر المحيط ١/١٨٤.

(٦) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٢/٧٧ نقلًا عن السجاوندي. وينظر أيضًا:

ومن العجيب أنَّ العُكبَري[١] استشعر هذا الإشكال المعنوي في الصفة، وكان يَلزمه أن يمنع وجه الحال كما منع وجه الصفة؛ لأنه لا فرق في ذلك بين الحال والصفة[٢].

وقد فرَّق الزَّرْكشي بين الحال والصفة في الآية، فقال: «.... الفرق واضح، فإذا قلتَ: ما زيد ضاحك راكبًا، فمعناه نفي الضحك في حال الركوب، وهو لا يستلزم نفي حال الركوب؛ إذ الحال كالظرف، فالمنفي الكون الواقع في الحال لا الحال، كما في قولك: ما زيد ضاحك في الدار، وهذا بخلاف الصفة؛ إذ هي كون من الأكوان، فيقتضي نفيها به»[٣].

ونظير هذه الآية إعرابًا واعتراضًا آية ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾[٤]، فقد منع العُكبَري[٥] أن يكون (معكم) حالًا من (شفعاءكم)، وعلَّل ذلك بأنَّ المعنى عليه يصير أنَّ شفعاءهم معهم ولا نراهم.

وقد دفعه السمين بـ «أنَّ النفي إذا دخل على ذاتٍ بقيد ففيه وجهان أحدهما: نفي تلك الذات بقيدها، والثاني نفي القيد فقط دون نفي الذات، فإذا قلت: (ما رأيتُ زيدًا ضاحكًا)، فيجوز أنك لم تَرَ زيدًا البتة، ويجوز أنك

إيضاح الوقف والابتداء ٤٩٦/١، والقطع والائتناف ٣٧، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء ٦١ ففيها تفصيل مُبِين عن الوقف على كلمة (بمؤمنين) باختلاف الأوجه الإعرابية.

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٥/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٨٤/١، والمجيد في إعراب القرآن المجيد ١٠٥، والدر المصون ١/ ١٢٥.

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه ٢٥٥/٣.

(٤) البقرة (٨-٩).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٥٢١.

رأيته من غير ضحك فكذا هنا، إذ التقدير: وما نرى شفعاءكم مصاحبيكم، يجوز أن لم يروا الشفعاء البتة، ويجوز أن يروهم دون مصاحبيهم لهم، فمن أين يلزم أنهم يكونون معهم؟!»[1].

وأميل إلى أن يكون النفي في هذه الآية متجهًا إلى نفي القيد وهو الحال، وفي ذلك إيهام بأنَّ شفعاءهم موجودون إلَّا أنهم لم يَحضروا، وفي هذا غاية التهكُّم عليهم[2]، وخاصَّة أنهم كانوا يرجون شفاعة أصنامهم لهم[3].

(١) الدر المصون ٥ / ٤٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٦ / ٢٢٧.

(٣) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١١٧.

المسألة (٢٧):

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[١].

أجاز العُكبَري[٢]، والمنتجَب الهمداني[٣] أن تكون جملة (ويُشهد الله) في محلِّ نصب حال من فاعل (يُعجبك)، أي: يُعجبك وهو يُشهد الله تعالى، أو من الضمير المتصل في (قوله)، أي: يُعجبك أن يقول وهو يُشهد الله تعالى.

وقد ساق أبو حيَّان[٤] والسمين[٥] على هذا الإعراب نظرين، أحدهما متجه إلى المعنى، وهو أنه يلزم منه تقييد الإعجاب والقول بالحال، والظاهر خلافه.

وهذا النظر قد يَرِدُ على قول مَن فسَّر الإشهاد في الآية بأن يقول المنافق: اللهم اشهد عليَّ فيه وضميره بخلافه، ومَن فسَّره أيضًا بأن يستشهد الله تعالى على صحة ما في قلبه[٦].

---

(١) البقرة (٢٠٤).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ١٦٦.

(٣) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٤٨٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢ / ١٢٣.

(٥) ينظر: الدر المصون ٢ / ٣٨٤.

(٦) ينظر: النكت والعيون ١ / ٢٦٥. وينظر أيضًا: التفسير البسيط ٤ / ٧٥، والكشاف ١ / ٢٥١، وزاد المسير ١ / ١٧١.

وأمَّا على قول مَن فسَّر الإشهاد بأنَّ «الله يَشهد على الذي في قلبه من النفاق، وأنه مضمِر في قلبه غير الذي يبديه بلسانه وعلى كذبه في قلبه»[١] – وهو معنى قراءة (ويَشهد الله على ما في قلبه)[٢] – فإنَّ هذا النظر غير وارد أصلًا؛ لأنَّ عِلْم الله تعالى لما في مضمَر قلبه ملازم للإعجاب والقول.

والذي أراه أنه لا إشكال في وجه الحال على المعنيين الأُوْلَيين؛ لأنه لا مانع «أنه يَقرن حُسن قوله وظاهر تودُّده بإشهاد الله تعالى على أنَّ ما في قلبه مطابق لما في لفظه»[٣].

والأقرب أنَّ جملة (ويُشهد الله على ما في قلبه) استئنافية، ويؤنس بهذا ظاهر ما جاء في أحد أسباب نزول الآية، وهو أنَّه «كان رجل يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: أي رسول الله، أشهد أنك جئتَ بالحق، والصِّدق من عند الله. قال: حتى يُعْجَب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، ثُمَّ يقول: أمَا والله يا رسول الله إن الله ليعلم ما في قلبي مِثْل ما نطق به لساني»[٤].

---

(١) جامع البيان ٣ / ٥٧٦.

(٢) بفتح الياء والهاء، وهي مروية عن ابن محيصن والحسن وأبي حيوة. ينظر: معجم القراءات القرآنية ١/ ٢٧٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢ / ٢٥١.

(٤) جامع البيان ٣ / ٥٧٦.

المسألة (٢٨):

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾[١].

ذكر بعض المعربين أنَّ كلمة (محرَّرًا) في الآية تحتمل أن تكون حالًا، ثُمَّ اختلفوا في صاحب الحال على قولين:

القول الأول: أنها حال من الاسم الموصول (ما)[٢]، «وهي بمعنى (الذي)، أي: مُعتَّقًا لخدمة بيت المقدس لا يدَ لي عليه، ولا أستخدمه»[٣].

القول الثاني: أنها حال من الضمير في الجارِّ والمجرور، والعامل فيه معنى الاستقرار الذي تضمَّنه، والمعنى: استقرَّ هو في بطني حالة كونه محرَّرًا[٤].

وهذا قول الطبري، قال: «وأمَّا قوله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾، فإنَّ معناه: إني جعلتُ لك يا ربِّ نذرًا أنَّ لك الذي في بطني محرَّرًا لعبادتك. يعني بذلك: حبستُه على خدمتك وخدمة قُدْسك في الكنيسة، عتيقةً من خدمة كُلِّ شيء سواك، مفرَّغة لك خاصَّة. ونصَب (محرَّرًا) على الحال ممَّا في الصفة[٥] من ذِكْر (الذي)»[٦].

---

(١) آل عمران (٣٥).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١٥٦، والتفسير البسيط ١٩٣/٥، والتفسير الكبير ٢٣/٨، والتبيان في إعراب القرآن ٢٥٣، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٤٠/٢، والدر المصون ١٣١/٣.

(٣) مدارك التنزيل ٢٥٠/١.

(٤) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٤٠/٢، والدر المصون: ١٣١/٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢٧/٢، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢١/٣.

(٥) الصفة في مستعمَل الكوفيين – والطبري منهم- بمعنى حرف الجرِّ والظرف. ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/١ ح (٤).

(٦) جامع البيان (تحقيق محمود شاكر) ٣٢٩/٦. وجاء في تحقيق (دار هجر) ٣٣١/٥- وهي المعتمَدة في البحث- «ونصَب (محررًا) على الحال من (ما) التي بمعنى (الذي)»؛ اقتداء بطبعة مصطفى البابي الحلبي، وقد نبَّه الأستاذ محمود شاكر إلى أنَّ هذا تغيير لما في المخطوطة، وإساءة أشد الإساءة. ينظر: جامع البيان ٣٢٩/٦ ح (٦).

وقد نقل المنتجَب الهمداني اعتراضًا معنويًا على القول الثاني، وهو أنَّ ما نذَرته «لم يستقر في البطن محرَّرًا، وإنما وقع التحرير حين نَذْرِها إيَّاه كذلك، لا حين استقراره في البطن»[١].

واعترضه أيضًا أبو السعود بأنَّ «المراد تقييد فِعْلها بالتحرير ليحصُل به التقرُّب إليه تعالى، لا تقييد مالا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها»[٢].

ولم أقف على روايات تفسيرية للآية تجري على هذا القول، وقد حمله بعض الباحثين[٣] على قول ابن قتيبة في تفسير الآية: «إني نذرتُ أن أجعل ما في بطني محرَّرًا من التعبيد للدنيا؛ ليعبدك ويَلزم بيتك»[٤]، وهو ظاهر صنيع فخر الدين الرازي[٥]، ولم يتبين لي وجهه.

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/٤٠.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/٢٧.

(٣) ينظر: ح (٦) من الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢/٤٠.

(٤) غريب القرآن ١٠٣.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٨/٢٣.

المسألة (٢٩):

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

أجاز العُكبَري[٢]، والمنتجَب الهمداني[٣] أن تكون جملة (يعظكم) في محلِّ نصب حال من فاعل (ينهى).

ويَرِدُ على هذا الإعراب أنه لا وجه لتخصيص الحال بالعامل (ينهى) دون العامل (يأمر)[٤].

قال السمين: «.... وفي تخصيصه الحال بهذا العامل فقط نظر؛ إذ يظهر جَعْلُه حالًا من فاعل (يأمر) أيضًا، بل أَولى؛ فإنَّ الوعظ يكون بالأوامر والنواهي؛ فلا خصوصية له بالنهي»[٥].

ولعلَّ العُكبَري في تقييده للحال بفعل النهي قد لاحظ أنَّ الوعظ في بعض معانيه هو التخويف، وقيل: زَجْر مقترن بتخويفٍ[٦]، وهذا مناسب لمعنى النهي فقيَّده به، وكأنَّ المعنى: يعظكم زاجرًا.

وفي ذلك نظر؛ لأنه «يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي»[٧]؛ فلا وجه لتقييد الوعظ بالنهي من دون الأمر.

---

(١) النحل (٩٠).
(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٠٥.
(٣) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٤ / ١٤٢.
(٤) ينظر: الدر المصون ٧ / ٢٨٠، وحاشية زادة على تفسير البيضاوي ٥ / ٣١٧.
(٥) الدر المصون ٧ / ٢٨٠.
(٦) عمدة الحفاظ ٤ / ٣٢٤.
(٧) أضواء البيان ٢ / ٤٣٧.

المطلب الرابع: ما يتجه إلى صاحب الحال.

المسألة (٣٠):

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

جاء في توجيه جملة (يستبشرون) الثانية وجوه من الإعراب، ومنها: أنها حال من فاعل (يحزنون)، أي: لا يحزنون حال كونهم مستبشرين بالنعمة[٢].

وقد استبعد أبو حيَّان[٣] هذا الوجه من الصواب لاعتراضين معنويين، وهما:

الاعتراض الأول: أنَّ السياق يفيد اختلاف من نُفي عنهم الحزن وهم الذين لم يَلحقوا ومَن استبشروا وهم الذين قُتلوا في سبيل الله تعالى.

وما ذكره هو ظاهر ما وقفت عليه من كلام أهل التفسير في الآية[٤]، وفائدة تكرير فعل الاستبشار مع اتحاد معاد الضمير تحقيق معنى البشارة[٥]،

---

(١) آل عمران: (١٦٩-١٧١).

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/ ١٢١، والدر المصون ٣/ ٤٨٧، والتحرير والتنوير ٣/ ٢٨٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٣/ ١٢١.

(٤) ينظر: جامع البيان ٦/ ٢٣٨، ومعاني القرآن للنحاس ١/ ٥٠٩، وتفسير الخازن ١/ ٣٢٠ وقد نصَّ على ذلك.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ٢٨٢.

ولأنَّ «الاستبشار الأول كان بأحوال الذين لم يَلحقوا بهم مِن خلفهم، والاستبشار الثاني كان بأحوال أنفسهم خاصة»[١].

الاعتراض الثاني: أنَّ الحال قيد للعامل والحزن ليس بمقيَّد.

وقد أوضح السمين هذا الاعتراض، فقال: «الثاني: أنَّ نفي الحزن ليس مقيَّدًا ليكون أبلغ في البشارة، والحال قيد فيه؛ فيفوتُ هذا المعنى»[٢].

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنَّ جملة (يستبشرون) حال مؤكِّدة؛ لأنَّ في انتفاء الحزن استبشارًا، والحال المؤكِّدة «تدلُّ على معنىً في صاحبها مطلقًا»[٣]، أي: من غير تقييد.

(١) مفاتيح الغيب ٩ / ٧٨.

(٢) الدر المصون ٣/ ٤٨٧.

(٣) أمالي ابن الحاجب ٢/ ٥٤٦.

المسألة (٣١):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾[١].

أجاز العُكبَري[٢]، والمنتجَب الهمداني[٣]، وابن عاشور[٤] أن تكون جملة (تناله أيديكم ورماحكم) حالًا من كلمة (الصيد).

وذهب أبو حيَّان[٥] إلى جواز أن يكون صاحب الحال كلمة (شيء)، واستبعد أن يكون (الصيد)، «ووجه الاستبعاد- (كما قال السمين) - أنه ليس المقصود بالحديث عنه»[٦].

ولست على يقين يؤوى إليه في مراد أبي حيَّان، والذي أفْهَمَه ظاهر عبارة السمين أنَّ الحال خبر في المعنى، وشبه جملة (من الصيد) في محلِّ جرٍّ صفة جيء بها لبيان الموصوف، سواءً أقيل: إنَّ (مِن) جنسية، أم تبعيضية[٧]، والموصوف- كما هو معلوم- «هو المقصود والصفة فضلة»[٨]؛ ولذا لم يكن (الصيد) هو المحدَّث عنه، وإنما هو كلمة (شيء).

---

(١) المائدة (٩٤).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤١٩.

(٣) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٢ / ٤١٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٥ / ٢٠٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط ٤ / ١٩.

(٦) الدر المصون ٤ / ٤١٦.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٠٦، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٤١٩، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢ / ٤١٩.

(٨) أمالي ابن الحاجب ٢ / ٥١٨.

وقد بدت لي بادية اعتراض معنوي آخَر، ولعلَّه وَجْهُ استبعاد أبي حيَّان للإعراب، وهو أنَّ الصيد في الآية بمعنى المصيد[١]، «وكُلُّ شيء يناله الإنسان بيده، أو برمحه، أو بشيء من سلاحه فقتَله فهو صيد»[٢]؛ فلا تكون جملة (تناله أيديكم ورماحكم) حالًا من (الصيد) إلا مؤَكِّدة في المعنى، والتأسيس أَولى من التوكيد.

وقد يُعترَض هذا بأنَّ التأكيد مفهوم أيضًا بجعل صاحب الحال كلمة (شيء)؛ لأنها موصوفة بـ (من الصيد)، ومن المقرَّر أنَّ «الصفة والموصوف شيء واحد في المعنى»[٣].

وفائدة التأكيد «أنَّ الصيد طعام لذيذ تشتد الحاجة إليه في الأسفار الطويلة كالسفر إلى الجهات النائية، إلى أنَّ سهولة تناوله تُغري به؛ إذ تَرْك ما لا يُنال إلا بمشقة لا يدلُّ على التقوى والخوف من الله كما يدلُّ عليه تَرْك ما يُنال بسهولة»[٤].

(١) ينظر: الحجة للفارسي ٢ / ٤٤٢،

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣٠٠.

(٣) المقاصد الشافية ٣ / ٥٥٦.

(٤) تفسير المراغي ٧ / ١٣١.

المسألة (٣٢):

﴿ وَاتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[١].

اتفق معربو الآية على أنَّ (خاصَّةً) حال، ولكن اختلفوا في صاحبها على ثلاثة أقوال، ويعنينا في هذه المسألة ما أجازه ابن عطيَّة[٢] من أنه فاعل (ظلموا).

وقد اعترضه أبو حيَّان[٣] بأنه لا يُتعقَّل هذا الوجه، والظاهر أنَّ اعتراضه منصرف إلى المعنى، ولكنَّه لم يبيِّن جهته.

يدلُّ على ذلك تعقُّب السمين له، حيث أجاز مجيء الحال من فاعل (ظلموا)، وقال: «المعنى: واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا ولم يظلم غيرُهم، بمعنى: أنهم اختصوا بالظلم ولم يشاركهم فيه غيرهم، فهذه الفتنة لا تختصُّ إصابتها هؤلاء بأنفسهم وتصيب مَن لم يظلم البتة، وهذا معنًى واضح»[٤].

وهذا المعنى وإن كان واضحًا كما قال السمين، لكنَّ ظاهر ما جاء في تفسير الآية يدلُّ على أنَّ (خاصَّةً) حال من الاسم الموصول (الذي)، أي: «لا تصيبنَّهم في حال تخصُّهم دون غيرهم»[٥]، والمعنى: لا تصيبنَّ الفتنة الظالمين خاصَّةً، ولكنَّها تعُمُّ فتصيب الظالم وغيره[٦].

---

(١) الأنفال (٢٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٢ / ٥١٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤ / ٤٧٩.

(٤) الدر المصون ٥ / ٥٩٤.

(٥) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٢٠١.

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٨، وجامع البيان ١١ / ١١٣، ومعاني القرآن للنحاس ٣ / ١٤٥.

المسألة (٣٣):

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١].

لا خلاف بين المعربين على أنَّ شبه الجملة (لجنبه) متعلِّقة بمحذوف حال تقديره: (مضطجعًا)، بدليل عطف الحالين الصريحتين عليه (قائمًا) و(قاعدًا)[٢]، والمقصود جميع حالات الإنسان؛ لأنه لا يخلو من هذه الحالات[٣].

وإنما موضع الخلاف في تعيين صاحب الحال، فذهب جمهور المعربين إلى أنه فاعل (دعانا)[٤]، وأجاز الزجَّاج أنَّ يكون صاحب الحال (الإنسان)، قال: «ويجور أن يكون: وإذا مسَّ الإنسانَ الضرُّ لجنبه، أو مسَّه قاعدًا، أو مسَّهُ قائمًا دعانا»[٥].

وقد اعترض أبو بكر الأنباري ما أجازه الزجَّاج باستبعاده له من حيث المعنى لما فيه من صرف الآية عن ظاهر معناها إلى معنىً غامض، قال: «وفي

---

(١) يونس (١٢).

(٢) ينظر: الكشاف ٢ / ٣٢٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٤ / ١٧٧.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٢٥، ومجاز القرآن ١ / ٢٧٥، وجامع البيان ١٢ / ١٣٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ /٩، والكشاف ٢ / ٣٣٢، وجواهر القرآن ١ / ٤٤٥، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٦٧، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٣٥٤، والبحر المحيط: ٥ / ١٣٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣ /٩.

هذا القول عندي بُعد؛ لأنَّ إزالة ألفاظ القرآن إلى معنى غامض يُتطلَّب لها مكروهة؛ إذ استعمال الظاهر إذا لم يَدْعُ إلى الغامض ضرورةٌ أَولى»[١].

وقد أوضح العُكبَري هذا الاعتراض بأنَّ معنى الآية على كثرة دعاء الإنسان في جميع أحواله، وليس على أنَّ الضرَّ يُصيبه في جميعها، وأيَّده بأنَّ هذا المعنى «عليه جاءت آيات كثيرة في القرآن»[٢]، ومنها[٣] قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾[٥].

واستدلَّ المنتجَب الهمداني[٦] أيضًا بما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير الآية، وهو أنه إذا أصاب الكافرَ ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة أخلص في الدعاء مضطجعًا كان، أو قاعدًا، أو قائمًا[٧].

ويقوّي ذلك من حيث الصناعة أنَّ ذِكْر الدعاء في الآية أقرب إلى الأحوال المذكورة من ذِكْر الضر[٨]، والأصل في الحال أن تعود إلى أقرب مذكور.

---

(١) التفسير البسيط ١١ / ١٣٨.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٦٧ ولم يشر إلى شيء من تلك الآيات.

(٣) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٣٥٤.

(٤) آل عمران (١٩١).

(٥) فصلت (٥١).

(٦) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٣٥٤.

(٧) ينظر: تنوير المقباس ١٧٠.

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب ١٧ / ٤٢.

وقد دُفع هذا الاعتراض بأنه يَلزم مَن مسَّه الضرُّ في هذه الأحوال دعاؤه في تلك الأحوال[1]، و«المعنى إذا مسَّه على إحدى هذه الأحوال دعانا على إحدى هذه الأحوال»[2]؛ فهو موافق من حيث المؤدَّى لمعنى وجه الحال من ضمير الفاعل في (دعانا).

ويبدو أنَّ أبا بكر الأنباري في اعتراضه لم يعزب عنه ذلك؛ ولذا لم يرمِ وجه الحال من (الناس) بالغلط، وإنما رماه بالغموض، أي: خلاف الظاهر، وما دُفع به الاعتراض قائم على علاقة اللزومية، ولعلَّ هذا وجه من وجوه الغموض؛ لعدم دلالة ظاهر الكلام عليه.

(١) ينظر: البحر المحيط: ٥ / ١٣٤، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥ / ١١.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٣١.

المسألة (٣٤):

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[١].

لا خلاف على أنَّ جملة (وهي تمرُّ مرَّ السحاب) حاليَّة، ولكن اختُلف في صاحب الحال، فذهب الأكثرون إلى أنه ضمير مفعول الجبال في (تحسبها)[٢]، وأجاز أبو السعود[٣] أن يكون صاحبها الضمير المستتر في (جامدة).

وقد ردَّ العُكبَري هذا القول؛ لأنه يستلزم أنَّ الجبال جامدة، أي: «ثابتة في أصولها لا تُحرَّك»[٤] ومارَّة في وقت واحد، وفي هذا تناقض لا يخفى.

قال: «ولا يكون حالًا من الضمير في (جامدة)؛ إذ لا يستقيم أن تكون جامدة مارَّة مرَّ السحاب»[٥].

ووافقه المنتَجب الهمداني، قال: «ولا يكون [صاحب الحال] المنويُّ في (جامدة) لفساد المعنى؛ لأنَّ الشيء لا يكون واقفًا مارًا»[٦].

ولعلَّ ممَّا يدفع هذا الاعتراضَ أن يقال: إنَّ جمود الجبال مقيَّد بعين الناظر، ولكنهَّا في الحقيقة تسير سيرًا حثيثًا، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة، قال: «أنها تُجمَع وتُسيَّر، فهي لكثرتها كأنها جامدة واقفة في رأي العين، وهي تسير سير السحاب»[٧].

---

(١) النمل (٨٨).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٠١٤، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٥ / ١١٥، وروح المعاني ٢٠ / ٣٤.

(٣) ينظر: تفسيره ٦ / ٣٠٤.

(٤) الدر المنثور ٦ / ٣٨٥.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠١٤.

(٦) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥ / ١١٥.

(٧) تأويل مشكل القرآن ٦.

المسألة (٣٥):

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[١].

جاء توجيه نصب كلمة (خبيرًا) حالًا على قولين في تعيين صاحبها[٢]:

القول الأول: أنه الضمير المستتر الفاعل لـ(فاسأل)، أي: فاسأل حالة كونك خبيرًا.

القول الثاني: أنه الضمير (به) العائد إلى الله تعالى، وهذا القول موافق في معناه لتفسير ابن جُريج للآية، قال: «يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتك شيئًا، فاعلم أنه كما أخبرتك؛ أنا الخبير»[٣].

وقد وهَّن أبو علي الفارسي هذا الإعراب بقوليه من حيث المعنى، أمَّا القول الأول فلأنَّ الخبير ليس في حاجة أن يَسأل وإنما يُسأل، وأمَّا القول الثاني فلأنَّ الله تعالى خبير دائمًا والغالب في الحال أن تكون منتقلة، و«الصفة العَلِيَّة لا تتغير»[٤].

قال: «لو جعلته حالًا من الفاعل السائل لم يسهل؛ لأنَّ الخبير لا يكاد يَسأل إنما يُسأل، ولا يسهل الحال من المفعول أيضاً؛ لأنَّ المسؤول عنه خبير أبدًا، فليس للحال كبير فائدة»[٥].

---

(١) الفرقان (٥٩).

(٢) ينظر وجه الحال في معظم المصادر المذكورة في دراسة هذه المسألة.

(٣) جامع البيان ١٧ / ٤٨١. وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥٢٤٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤ / ٢١٦.

(٥) الحجة ٢ / ٢١٥. وينظر اعتراضه بنصه في: التفسير البسيط ١٦ / ٥٥٧، وجاء بمعناه غير منسوب إليه في: مشكل إعراب القرآن ٥٢٣، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٩٨٩، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٥ / ٢٩.

وقد سوَّغ الفارسي القول الثاني بحمل الحال على التأكيد، ولكنَّه اختار إعراب (خبيرًا) مفعولًا به، «كأنه قال: فاسأل عنه خبيرًا، أي: مسؤولًا خبيرًا»[1]، وعلَّة ذلك في ظني أنَّ فيه حمل الآية على التأسيس، وهو أَولى من حملها على التوكيد.

وما اعترض به الفارسي القول الأول يمكن الجواب عنه بأنَّ مَن جعَل (خبيرًا) حالًا من الفاعل أراد به دفع ظنَّة طروق الشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال؛ لأنه هو المخاطَب في الظاهر، ولهذا الإشكال صرَف بعضهم الأمر بالسؤال إلى غيره صلى الله عليه وسلَّم[2].

ولعلَّ أحظى قولَي الحال بالصواب هو القول الثاني؛ لأنه يتفق وما جاء في القرآن من إجراء صفة (الخبير) على الله تعالى وحده، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[4].

(١) الحجة: ٢ / ٢١٥.

(٢) ينظر: الجواهر الحسان ٤ / ٢١٤.

(٣) الإسراء (٩٦).

(٤) آل عمران (١٨٠).

المطلب الخامس: ما يتجه إلى المقارنة الزمنية.

المسألة (٣٦):

﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾[١].

لا خلاف في إعراب (سُجَّدًا) حالًا من واو الجماعة في (ادخلوا)[٢]، ولكنَّ مجال الخلاف كان في معنى السجود؛ وبه تأدَّى الاعتراض على الإعراب، فقد قيل في معنى السجود: إنه السجود بمعناه الشرعي، وقيل: الركوع، وقيل: الخضوع والطاعة[٣].

ويَرِدُ على وجه الحال- بناءً على القول الأول-أنَّ مقارنة سجودهم الذي هو «إلصاق الوجه بالأرض»[٤] لدخولهم متعذِّر[٥].

ولذا رجَّح الرازي حمل السجود في الآية على القول الثالث. قال: «لأنه لمَّا تعذَّر حمله على حقيقة السجود وجب حمله على التواضع؛ لأنهم إذا أخذوا في التوبة فالتائب عن الذنب لا بُدَّ أن يكون خاضعًا مستكينًا»[٦].

وقد أُجيبَ عن هذا الإيراد بأجوبة، وهي:

---

(١) البقرة (٥٨).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٩٥، والتبيان في إعراب القرآن ٦٥/١، والفريد في إعراب القرآن المجيد ٢٦٥/١، والبحر المحيط ٣٨٣/١، والدر المصون: ٣٧٣/١.

(٣) تنظر الأقوال في: جامع البيان ١٠٤/٢-١٠٥، والنكت والعيون ١٢٥/١، وزاد المسير ٦٩/١.

(٤) باهر البرهان: ٨٤/١.

(٥) ينظر: التفسير الكبير ٨٣/٣، والبحر المحيط ٣٨٣/١.

(٦) التفسير الكبير ٨٣/٣.

الجواب الأول: أنهم قد أُمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرًا لله تعالى وتواضعًا[١].

وقد ضُعِّف هذا الجواب بأنه خلاف مدلول الآية[٢]، ولا يدلُّ عليه كتاب ولا سنَّة[٣].

الجواب الثاني: أنَّ الحال ليست مقارنة، بل مقدَّرة؛ وبذا يكون السجود متراخيًا عن الدخول[٤].

الجواب الثالث: أنه لا يَبعد أمرهم بالدخول وهم ساجدون بوَضْع جباههم على الأرض وهم داخلون[٥].

وهذان الجوابان قد رجَّحهما أبو حيَّان؛ لأنَّ فيه تمسُّكًا بظاهر دلالة السجود، قال: «وإذا أمكن حمل السجود على المتعارَف فيه كثيرًا، وهو وَضْعُ الجبهة بالأرض يكون الحال مقارنة أو مقدَّرة، كان أَولى»[٦].

ولكلا هذين الجوابين ما يعضده من التفسير، فيعضد الجوابَ الثاني ما رُوي عن وَهْب في معنى الآية، وهو إذا دخلتموه فاسجدوا شُكرًا لله تعالى[٧]،

---

(١) ينظر: الكشاف ١/١٤٢، والفريد في إعراب القرآن المجيد ١/٢٦٥، وغرائب القرآن ١/٢٩٣.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/٣٨٣.

(٣) ينظر: روح المعاني ١/٢٦٥.

(٤) ينظر: الفرق بين الحروف الخمسة ٥٧٧، والبحر المحيط ١/٣٨٣، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٢/١٣٢.

(٥) ينظر: البحر المحيط ١/٣٨٣.

(٦) البحر المحيط ١/٣٨٣.

(٧) ينظر: الكشف والبيان ٣/٣٢٥، وروح المعاني ١/٢٦٥.

ويعضد الجوابَ الثالث ما جاء عن الحسن البصري في تفسير الآية، وهو أنهم أُمروا أن يسجدوا على وجوههم حالَ دخولهم[1].

وهو الأقرب في ظني؛ لأنَّ «الأصل في الحال أن تكون مقارنة، ولا تكون مقدَّرة إلَّا حيث لا لَبْسَ»[2].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ١/٢٧٤.

(٢) الدر المصون ٣/١٨٧.

المسألة (٣٧):

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[١].

ذهب العُكبَري[٢] إلى أنَّ (عند) من صلة الفعل (خذوا)، ولم يُجز أن تكون متعلِّقة بمحذوف حال من (زينتكم)؛ لأنَّ أخذ الزِّينة يكون قبل ذلك؛ والحال تُبيِّن هيئة صاحبها وقت وجود عاملها.

ووافقه المنتجَب الهمداني، قال: «.... لأنَّ أَخْذَها يكون قبل ذلك، والحال لما أنت فيه؛ ولذلك سُمِّيت حالًا [ولا يجوز] إلَّا على تعسُّف»[٣].

ويَظهر لي جواز وجه الحال على أحد تأويلين، وهما:

الأول: على تقدير مضاف محذوف، أي: عند إرادة أو قصد كُلِّ مسجد.

الثاني: أن تُحمَل الزِّينة على قول مَن فسَّرها بأنها رفع الأيدي في الصلاة[٤]، ويضعفه أنَّ هذا القول خلاف تفسير الجمهور للزينة في الآية[٥].

---

(١) الأعراف (٣١).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٥٦٤.

(٣) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٣٦.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ١٢ / ٣٣٧، وغرائب التفسير ١ / ٤٠٢.

(٥) ينظر الخلاف في المقصود بالزينة المأمور بأخذها في: النكت والعيون ١ / ٢١٧-٢١٨، وزاد المسير ١ / ١١٢-١١٤.

المسألة (٣٨):

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾[١].

نسب العُكبَري[٢] إلى قوم لم يعيِّن أفرادهم أنَّ جملة (يُرضونكم) في محلِّ نصب حال من ضمير الفاعل في جملة (لا يرقبوا)، ثُمَّ أخذ عليه بأنه «ليس بشيء؛ لأنهم بعد ظهورهم لا يرضون المؤمنين»[٣]، أي: أنَّ وجه الحال «يقتضي المقارنة والإرضاء قبل الظهور الذي هو قبل عدم الرقوب الواقع جزاء؛ فأين المقارنة؟!»[٤].

ووافقه في ذلك المنتجب الهمداني، قال: «.... وليس في موضع الحال من الفاعل في (لا يرقبوا) كما زعم بعضهم؛ لضعف المعنى على ذلك، وذلك أنَّ المذكورين – أخزاهم الله – لا يُرضون المؤمنين بعد القهر والغلبة»[٥].

وأضاف البيضاوي إلى ما سبق مأخذًا معنويًا آخَر، وهو أنَّ المراد في الآية هو إثبات إرضاء المنافقين المؤمنين بوعد الإيمان والطاعة والوفاء بالعهد في

---

(١) التوبة (٨).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٣٧.

(٣) المصدر السابق. وينظر أيضًا: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٧ / ١٥٨، والدر المصون ٦ / ٢٢.

(٤) روح المعاني ١٠/ ٥٦.

(٥) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣ / ٢٤١.

الحال، واستبطان الكفر والمعاداة بحيث إن ظفروا لم يُبقوا عليهم، ومعنى الحاليَّة ينافيه[1].

وهذا المعنى يناسبه أن تكون جملة (يُرضونكم) استئنافية[2]، وفي ذلك «دافع لما يُتوهَّم من تعليق عدم رعاية العهد بالظفر أنهم يراعونه عند عدم ذلك حيث بيَّن فيه أنهم في حالة العجز أيضًا ليسوا من الوفاء في شيء»[3].

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٣ / ٧٢. وينظر أيضًا: حاشية زادة على تفسير البيضاوي ٣ / ٤٣٤.
(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٣٧، والكشاف ٢ / ٢٥٠، والدر المصون ٦ / ٢٢.
(٣) روح المعاني ١٠ / ٥٦.

المسألة (٣٩):

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[١].

أجاز الزمخشري[٢] في إعراب جملة (ونريد) أن تكون حالًا من فاعل (يستضعف) في آية ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٣]، أي: يريد فرعون أمرًا في حال إرادتنا لضده[٤].

ثم أورد عليه إشكالًا معنويًا، وهو «كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنَّة عليهم؟ وإذا أراد الله شيئًا كان ولم يتوقف إلى وقت آخَر»[٥]، فيلزم من ذلك الجمع بين متنافيين؛ لأنَّ إرادة الله تعالى أزلية مستمرة، فتكون مقارنة للاستضعاف[٦].

وقد أجاب الزمخشري عن ذلك بأنه «لمَّا كانت منَّة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع، جُعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم»[٧]،

---

(١) القصص (٥).

(٢) ينظر الكشاف ٣ / ٣٩٢. وقد اقتصر على هذا الإعراب الأخفش في: معانيه ٢ / ٤٩٦، وهو ظاهر تقدير ابن جرير في: جامع البيان ١٨ / ١٥٢.

(٣) القصص (٤).

(٤) ينظر: إيجاز البيان ٢ / ٦٣٨. وينظر أيضًا: الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥ / ١١٩.

(٥) الكشاف ٣ / ٣٩٢. وينظر هذا الجواب أيضًا في: مفاتيح الغيب: ٢٤ / ١٩٣، وأنوار ا لتنزيل ٤ / ١٧١، والدر المصون ٨ / ٦٥٠، وغرائب القرآن ٥ / ٣٢٨.

(٦) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٢ / ٩، وحاشية زادة على تفسير البيضاوي ٦ / ٤٢٨.

(٧) الكشاف ٣ / ٣٩٢.

ونظير ذلك آية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[1]، فقد جاءت بالفعل الماضي (فتح) للدلالة على قُرب الفتح والاستيقان منه[2].

ويمكن دفع هذا الإشكال أيضًا بجعل الحال مقدَّرة[3]، فيكون المعنى: «أراد الله تعالى حال استضعافهم إياهم أن يمُنَّ عليهم بالخلاص في وقت قدره الله وقضاه»[4]، وهو أسهل عندي؛ لما في الجواب الأول من التجوُّز بتنزيل تقارب الزمان منزلة المقارنة، بخلاف القول بالحال المقدَّرة.

(١) الفتح (١).

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٢ / ٩

(٣) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٧ / ٦٢، وروح المعاني ٢٠ / ٤٣.

(٤) فتوح الغيب ١٢ / ٩.

الخاتمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى أصحابه أجمعين.

هذا مبلغ ما هُديتُ إليه من النتائج التي خلص إليها البحث، فإن وُفِّقتُ إلى الصواب فهو الهدف المقصود، وإلَّا أحسبني قد أبليتُ عُذرًا، والله تعالى المستعان.

١- أكَّدت الاعتراضات المعنوية أنَّ التوجيه الإعرابي لنصوص القرآن الكريم ليس مجرَّد تحليل لبيان العلاقات اللفظية بين أجزاء الكلام فقط، ولكنَّه أيضًا مبيِّن للعلاقات المعنوية بين أجزائه، وحَسْبُ المعنى منزلةً أنه إذا «كان تقدير الإعراب مخالفًا لتفسير المعنى تقبَّلتَ تفسير المعنى على ما هو عليه، وصحَّحتَ طريق تقدير الإعراب»(١).

٢- كانت وجوه الإعراب (ومنها الحال) التي تؤدِّي إلى فساد المعنى محلَّ نكارة المعربين، وتعظُم شناعته إذا وقع في القرآن الكريم.

٣- الاعتراضات المعنوية على الوجوه الإعرابية في القرآن وإن تعدَّدت مجالاتها من تفسير وسياق وقرائن خارجية إلَّا أنها لا تنفك صلةً بدلالة الوظيفة النحوية للوجه الإعرابي.

ولذا كان منطلَق الاعتراضات المعنوية في الأصل على وجوه الحال المدروسة أنَّ الحال في دلالتها قيد لعاملها ووَصْفٌ لصاحبها ببيان هيئته.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الحال قد وردت في بعض الاستعمالات اللغوية

---

(١) الخصائص ١ / ٢٥٨.

ليست بقيدٍ[1]، ويبدو ذلك خاصَّةً في معنى التوكيد.

٤- تُعَدُّ الاعتراضات المعنوية المدروسة نماذج صالحة للاستشهاد بها على الجهة الأولى التي يدخل على المعرب الاعتراض من جهتها، وهي-كما ذكر ابن هشام-: مراعاة ما يقتضيه ظاهر الصناعة دون أن يساير ذلك مراعاة للمعنى[2].

٥- من أهمِّ صفات الحال المعنوية التي كانت من مجالات الاعتراضات: الانتقال والمقارنة الزمانية، وقد أُجيبَ عنها بحمل الحال على اللزوم، وحملها على الاستقبال.

٦- الحال الجملة أكثر أنواع الحال إهدافًا بالاعتراض المعنوي، وتليها الحال المفردة، ثُمَّ الحال شبه الجملة.

٧- قد يكون المأخذ على وجه الحال قائمًا في الأصل على تفسير معيَّن للآية عامَّة أو لموضع الحال خاصَّةً، ولكنَّه يرتفع بناءً على تفسير آخَر.

٨- من آثار الاعتراضات المعنوية على وجوه الحال المتناوَلة في البحث:

- تعقُّب الاعتراضات بالجواب عنها ودفع ما تضمنته من إشكال.
- حمل الكلام على غير ظاهره بالتأويل.
- المفاضلة بين المعاني التفسيرية للآية[3].
- المفاضلة بين القراءات كما في قراءة (خافضةً رافعةً) بالنصب.

---

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن ١٠ / ٤.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ٦٨٤.

(٣) ينظر: م (٣٦).

٩- من طرق دفع الاعتراضات المعنوية التي رصدها البحث على وجوه الحال:

- حمل الآية أو موضع الحال على تفسير آخَر يندفع به الاعتراض.
- صرف الحال إلى اللزوم؛ فتكون دالة على وصف ثابت لصاحبها.
- جعل الحال مستقبلة بأن يكون حصول مضمونها متأخرًا عن حصول مضمون عاملها.
- بيان موافقة وجه الحال للتفسير(١).
- حمل الكلام على التأويل والمجاز، كالحذف وغيره(٢).
- التجوُّز مثل تنزيل تقارب الزمان منزلة الحال المقارنة(٣).
- ردُّ المذهب العقدي الذي بنى عليه المعرب اعتراضه بمذهب عقدي آخَر.

١٠- من الأسباب الشخصية للاعتراضات على وجوه الإعراب: المذهبُ العقدي للمعربين، وقد ظهر ذلك من خلال ما وقف عليه البحث من بعض اعتراضاتهم القائمة على خلفياتهم العقدية.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: م (١٣).

(٢) ينظر: م (١٢)، م (١٣)، م (١٦).

(٣) ينظر: م (٣٩).

قائمة المصادر والمراجع

- الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة: أبو الحسن الباقولي، تحقيق: الدكتور محمد الدالي، دط، ١٤٣٠ هـ.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: أبو شامة المقدسي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، دط، دت.
- أحكام القرآن: ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.
- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية: أبو الربيع سليمان الطوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، ط٥، ١٤٤١ هـ.
- إعراب القرآن: أبو جعفر النحَّاس، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، دار البيروتي، دمشق، ط٢، ١٤٢٧ هـ.
- أمالي ابن الحاجب، تحقيق: الدكتور فخر صالح قدارة، دار عمَّار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن: أبو القاسم محمود النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله: أبو بكر الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، ١٣٩٠ هـ.

- البحر المحيط في التفسير: أبو حيَّان الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ. [وهي الطبعة المعتمَدة في البحث]
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيَّان الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٦ هـ.
- البحر المحيط في التفسير: أبو حيَّان الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، دار الفكر، بيروت، دط، ٢٠١٠ م.
- البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات الأنباري، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، ١٤٠٠هـ.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق: السَّيِّد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣ هـ.
- تأويلات أهل السنة: أبو منصور الماتريدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- التحرير والتنوير: ابن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- التذييل والتكميل في شرح التسهيل: أبو حيَّان، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، ط١، ج (٤): ١٤٢١ هـ – كنوز اشبيليا، ط١، ج (٩): ١٤٣١ هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل ابن جُزَي الغرناطي، دار ابن الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- تعدُّد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم في ضوء الاتجاه العقدي، إعداد: الدكتور محمد السيف، رسالة (دكتوراه) مُقدَّمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
- تفسير ابن عرفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م.
- التفسير البسيط: أبو الحسن الواحدي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل

- تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل.
- تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.
- التفسير القيِّم (تفسير القرآن الكريم): ابن قيِّم الجوزية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، ط١، ١٣٦٥ هـ.
- تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (مصورة)، ط١، ١٣٩٨ هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان: تحقيق: عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت ط١، ١٤٢٣ هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس، جمعه: الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤ هـ. [وهي الطبعة المعتمَدة في البحث]
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، دت.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨ هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- جواهر القرآن ونتائج الصنعة: أبو الحسن الباقولي، تحقيق: الدكتور محمد الدالي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٤٠ هـ.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، دط، دت.
- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الحُجَّة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد: أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير حويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٣، ١٤١٣ هـ.
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ.
- الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، دار الفكر، بيروت، دط، دت.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، دت، دط.
- درج الدرر في تفسير الآي والسُّوَر: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: وليد الحسين وإياد القبيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، دار ابن حزم، الرياض، بيروت، ط٥، ١٤٤١ هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣ هـ.
- رسائل في اللغة: ابن السِّيْد البطليوسي، تحقيق: وليد الشرابي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- زاد المسير: ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

- السبعة في القراءات: أبو بكر بن مجاهد، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- شرح التسهيل ابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيِّد، والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٠.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، حقَّق القسم الأول الدكتور حسن بن محمد الحفظي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- الشرح الكبير على لامية الأفعال: محمد الحضرمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٧ هـ.
- شرح الكتاب: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- شرح المقدِّمة المحسبة: أبو الحسن طاهر ابن بابشاذ، تحقيق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط١، ١٩٧٦م.
- شرح كتاب الحدود في النحو: عبد الله بن أحمد الفاكهي، تحقيق: المتولي رمضان الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
- الشفاعة في الحديث النبوي: عبد القادر المحمدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه: أبو أحمد محمد أمان، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- ضوابط الفكر النحوي: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، ط٢، ١٤٣٤ هـ.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك لا بن هشام: محمد النجار، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- ظاهرة الإعراب في العربية: الدكتور عبد الوكيل الرعيض، دار اقرأ، ليبيا، ط١، ١٣٩٩ هـ.

- العلاقة النحوية بين الخبر والصفة والحال، إعداد: علام جميل أحمد، دراسة قُدِّمت استكمالًا لمتطلَّبات مرحلة الماجستير بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩ م.
- علم إعراب القرآن (تأصيل وبيان): الدكتور يوسف العيسوي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود الكرماني، تحقيق: شمران العجلي، دار القبلة مؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين القُمِّي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، دط، ١٣٧٩ هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب القِنَّوجي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤١٢ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: شرف الدين الحسين الطِّيبي، تحقيق: مجموعة من المحقِّقين، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ.
- الفرق بين الحروف الخمسة: ابن السِّيد البطليوسي، تحقيق: عبد الله الناصر، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٤٠٤ هـ.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجَب الهمداني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتَيّخ، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- في أصول إعراب القرآن: الدكتور هاني الفرنواني، دار الوفاء، الإسكندرية، دط، دت.
- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦ هـ.
- القطع والائتناف: أبو جعفر النحَّاس، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن المطرودي ، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ.

- قواعد التفسير: الدكتور خالد السبت، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- كتاب اللمع في العربية: ابن جنّي، تحقيق: فائز فارس، دار الأمل، الأردن، ط٢، ١٤٢٤ هـ.
- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن: أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٦ هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: أبو الحسن الخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- ما أعربه الكسائي من القرآن الكريم، إعداد: الدكتور سليمان العيوني، رسالة (ماجستير) مُقدَّمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٦ هـ.
- المجيد في إعراب القرآن المجيد: أبو إسحاق إبراهيم الصفاقسي، تحقيق: الدكتور صالح الضامن، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٠ هـ.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جنّي، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.
- المسائل الحلبيات: أبو علي الفارسي، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دار المنار، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

- مشكل إعراب القرآن: مكّي بن أبي طالب، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد البغوي، مكتبة طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧ هـ.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحَّاس، تحقيق: محمد الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجَّاج، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن: الأخفش الأوسط، تحقيق: الدكتورة هدى قرَّاعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.
- معاني القرآن: الفرَّاء، حقَّق الجزء الأول: أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار، وحقَّق الجزء الثاني: محمد النجار، وحقَّق الجزء الثالث: عبد الفتاح شلبي، دار السرور، دط، ١٩٥٥م.
- معاني النحو: الدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- معجم القراءات القرآنية: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، دط، ١٤٠٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، دط، دت.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مجوعة من الباحثين، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ هـ.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا: أحمد بن عبد الكريم الأشموني، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، دط، دت.

- الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، دت.
- نتائج الفكر: أبو القاسم السُّهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، ط٢، دت.
- النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي): الدكتور محمد حماسة، دار الشروق، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية: الدكتورة خديجة الصافي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ هـ.
- النقد الإعرابي في كتب إعراب القرآن ومعانيه وكتب الاحتجاج للقراءات، إعداد: الدكتور خالد بن سليمان المليفي، رسالة (دكتوراه) مُقدَّمة إلى كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣١ هـ.
- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: أحمد القصَّاب، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن القيِّم، دار ابن عفان، الدمام، القاهرة، ط١، ١٤٢٤ هـ.
- النكت والعيون: أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، دت.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه: مكِّي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ.

***

تقاطب الفضاء في المجموعة القصصية تضاريس الرخام

د. عبدالملك بن عبدالعزيز آل الشيخ
قسم الأدب – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تقاطب الفضاء في المجموعة القصصية تضاريس الرخام

د. عبدالملك بن عبدالعزيز آل الشيخ

قسم الأدب – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٧/ ١٠/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١٨/ ١/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

تختصُّ هذه الدراسةُ المعنوَنةُ بـ(تَقَاطُبِ الفَضَاءِ في المجموعةِ القصَصِيَّة تضاريسِ الرُّخامِ لعلي زعلة) بالمقَارَبةِ النَّقديَّةِ للقِصَّةِ القَصيرةِ السُّعوديَّةِ، وتُحَاولُ استعراضَ سَردٍ مُوغِلٍ في الذاتيّةِ والمغامَرةِ المنْبَعِثةِ من رُوحٍ شابَّةٍ راصدةٍ للمجتمعِ، فتُنَاقشُ مجموعتَهُ «تضاريس الرخام» مبيّنةً التَّقَاطُبَ الفَضَائيَّ مَكانيّاً وزمنيّاً فيها، ومُظهِرَةً الدوافعَ التي بعثَتْ ذلكَ التَّقَاطُبَ، ومُبْرِزَةً تشكُّلاتِهِ في النُّصُوصِ السَّرديّةِ، وعارضَةً أَثَرَ ذلكَ على نَمَطِ السَّردِ وبناءِ الشَّخصيَّاتِ .

وهذه الدراسةُ تَجِيءُ في مُقَدّمةٍ؛ وتمهيدٍ يُعرِّفُ بالقَاصّ علي زعلةَ وبالمجموعةِ، وبمفاهيمِ الدراسةِ، ومبحثٍ أول يَعْرِضُ لأنواعِ التَّقَاطُبِ المكَانيّ، وثانٍ يستعرضُ أنواعَ التَّقَاطُبِ الزمنيّ، وثالثٍ يهتمُّ بتأثيرِ التَّقَاطُبِ على بِناء الشخصياتِ ونمَطِ السَّردِ، ثم خَاتمةٍ بأبرزِ نتائجِ الدراسةِ، وثبتٍ بالمصادرِ والمراجعِ.

الكلمات المفتاحية: التَّقَاطُبُ، الفضاءُ، زعلةُ، تضاريسُ الرُّخام.

The Polarity of Space in the Stories Collection Topography of Marble

Dr. Abdulmalik Abdulaziz Alashaykh
Department Arabic Language - Faculty literature
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic university

Abstract:

The polarity of Space in the Stories Collection Topography of Marble by Ali Zaalah is a study that focuses on the critical approach of the Saudi short

story. It shows a narrative that is deep-rooted in subjectivity and adventure emanating from a young spirit that observes society. This study discusses the Topography of Marble showing the polarity of space spatially and temporally, displaying motives that emit polarization, highlighting its configuration in narrative texts, and showing the impact on narration style and character development. This study comes with an introduction and preface about the narrator Ali Zaalah, the collection, and the concepts of the study. The first section of the study shows the types of spatial polarity, the second about the types of d temporal polarity, and the third discusses the impact of polarity on characters' development and narration style. Lastly, the study closes with a conclusion of the most prominent results of the study, then the sources and references.

key words: Polarity, Space, Zaalah, Topography of Marble.

المقدمة:

تَحْمِلُ المجموعةُ القَصَصيَّةُ «تضاريس الرُّخام» نُصُوصاً سرديَّةً مُغْرِقَةً في الذاتيَّةِ، لكنَّها لا تفتقرُ إلى روحِ المغامرَةِ النقديَّةِ للنَّسيجِ الاجتماعيِّ المحيطِ بمبدِعِها، وبالرُّجوعِ إلى زمَنِ كتابَتِها عامَ ١٤٢٥هـ، لعلَّ القارئَ اللمّاحَ يلتَقِطُ معي تَمَاهِيَ المجموعَةِ مع انبثاقِ رُوحِ النَّقْدِ الاجتماعيِّ الملْتَهِبِ في سياقاتِ السَّردِ المختلِفَةِ سواءً الروايةَ أو القصَّةَ القصيرةَ، وكانتْ «تضاريسُ الرُّخام» إحدى مُعْطَيَاتِ تلكَ الروحِ التي تَتَجَدَّدُ بمزيدٍ من المكْتَسَباتِ في الشَّأْنِ الثقافيّ والاجتماعيّ في المملكةِ العربية السعوديّة.

وعلي زعلةُ يَكْتبُ قِصَصَهُ القصيرةَ بتمكُّنٍ لُغويٍّ ظاهِرٍ، ويُحيطُ بموهِبَتِه وبسيَاقِهِ النقديِّ بأصولِ القَصِّ وحِرَفيَّةِ السَّردِ، وإنْ تكُنْ لغتُهُ ظاهرةً فمنظورُهُ السَّرديُّ عميقٌ إلى حدِّ الحاجةِ إلى الاستظْهَارِ النَّقديِّ اللازمِ لتفكيكِ مقاصِدِه، والفضاءُ فاعلٌ أوّلُ في تأطيرِ هذا المنظورِ، وظاهرةُ التَّقَاطُبِ لافتةٌ فيهِ بتشكُّلاتِها المتعدِّدَةِ، وهذا ما أوجَدَ لديَّ الرغبةَ في دراسَتِها، وتبْيينِ ظاهرةِ التَّقَاطُبِ الفَضَائيِّ فيها.

وتَجِيءُ هذه الدراسةُ في ضوء المنهج البنيوي منتظمةً في مقدّمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ مباحثَ، والتمهيدُ يُعرِّفُ بالقاصِّ علي زعلةَ وبمجموعتِهِ القَصَصيَّةِ، ويناقشُ مفاهيمَ الفَضَاءِ المكانيِّ والزمنيِّ، ويُحَدِّدُ المحاولاتِ في تكوينِ نظريةٍ حولَهَما، والمبحثُ الأوَّلُ يَسْتعرضُ أنواعَ التَّقَاطُبِ المكانيِّ في المجموعةِ في سبعةٍ، هي: المغلقُ والمفتوحُ، والداخلُ والخارجُ، والقريبُ والبعيدُ، والضيّقُ والمتَّسعُ، والمحدودُ وغيرُ والمحدودِ، والمأهولُ والمهجورُ، والجامدُ والمتحرِّكُ، ويُبْرِزُ

المبحثُ الثاني أنواعَ التَّقَاطُبِ الزمنيّ في أربعةٍ، هي: الحاضرُ والماضي، الليلُ والنهارُ، العامُّ والخاصُّ، العجائِبِيُّ والواقِعِيُّ، ويأتي المبحثُ الثالثُ ليُحدِّدَ أثرَ تَقَاطُبِ الفَضَاءِ في بناءِ الشَّخصيَّاتِ في النُّصُوصِ السَّرديةِ، وتُختَتمُ الدراسةُ بخاتمةٍ موجزةٍ للنتائجِ، وثبتٍ بالمصادرِ والمراجعِ.

***

التمهيد: التعريف بالقاص، ومفهوم تقاطب الفضاء:

١ – التعريف بعلي زعلة ومجموعته القصصية:

هو الدكتورُ عليُّ بنُ أحمدَ زعلة، ولِدَ عام ١٩٧٦م، أديبٌ وكاتبٌ وأكاديميٌّ سعوديٌّ، له في الجهودِ الأكاديميّةِ «الخطابُ السَّرديُّ في رواياتِ عبدالله الجفريّ»، و«الآخرُ في الروايةِ السعوديةِ»، ولهُ في الكتابةِ الإبداعيةِ مجموعةٌ قصَصيَّةٌ بعنوانِ «تضاريس الرخام» فائزةٌ بجائزةِ أبها الثقافيةِ عامَ ض٤٢٥هـ، ومقالاتٌ تأمُّليةٌ بعنوانِ «أحلام يناير وخيبات ديسمبر»، وتُرجِمتْ عددٌ من نصوصِه القصصيّةِ ودراساتِه النقديةِ إلى اللغةِ الإنجليزيةِ، حائزٌ على العديدِ من الجوائزِ في كتابةِ القصةِ القصيرةِ من بعضِ الأنديةِ الأدبيةِ في المملكةِ، ومن جريدةِ الرياضِ السعوديةِ، يعملُ في سلكِ التعليمِ، وعمِلَ عضواً في مجلسِ إدارةِ النادي الأدبي في جازان، ويشغلُ مديرَ فرعِ الجمعيّةِ العربيةِ السعوديّةِ للثقافةِ والفنونِ فيها، مثّلَ المملكةَ في عددٍ من المؤتمراتِ والمهرجاناتِ الثقافيةِ الدوليةِ، ومُسْهِمٌ في العملِ الإعلاميّ المرئيّ والإذاعيّ(١).

وتجيءُ المجموعَةُ القصصيَّةُ «تضاريسُ الرُّخام» في ما يزيدُ على مئةِ صفحةٍ من القطعِ الصغيرِ، أصدرَها القاصُّ عام ١٤٢٥هـ، وتنتظمُ في إحدى عشرةَ قصَّةً قصيرةً، هي:

(١) انظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ٦٥٣/٢، وانظر: سيرةً ذاتيةً مكتوبةٍ بقلمه، مرسَلةً عبر البريد الشبكي.

أ. **وحشة:** تَنْبلجُ منْ موقفٍ صغيرٍ أمامَ صندوقِ بريدٍ، تَستدعي ماضياً، وتَحمِلُ تَداعياتِ الخيبةِ بسببِ عدمِ الردِّ على رسائلِهِ، وانقطاعِ الصِّلةِ مع زُمرةٍ من الأصدقاءِ، والقصَّةُ ذاتُ نفسٍ اجتماعيٍّ ذاتي.(١)

ب. **وجوه:** قصةٌ ذاتُ طابعٍ فانتازيّ، تدورُ حيث الوجوهُ العالقةُ في جيبِ شخصٍ متخيَّلٍ شبيهٍ بالسَّاردِ، تفوحُ برائحةِ العفَنِ الداخليّ، وتمثِّلُ النفاقَ الاجتماعيَّ المتبدّيَ في ميدانِ العملِ، وتحمِلُ نقَدَاتٍ ذاتيةً موجَّهةً للنفسِ.(٢)

ت. **المقصلة:** قصّةٌ قصيرةٌ تدورُ حولَ مشاعرِ «الفوبيا» التي تَعْتملُ في ذهنِ طفلٍ صغيرٍ لايرغبُ في حلاقةِ شعرِ رأسِه، وتَتَعَالقُ في لغتِها «الذكوريةِ» مع مشاعرَ تبدو لشخصٍ بالغٍ كمالَ رجولتِهِ.(٣)

ث. **أقسى من الجرح:** قصةٌ تدورُ حولَ الصمتِ والألمِ، وتحكي قصّةَ المريضِ المتخوّفِ من تزايدِ المرضِ، ومن انهيارِ أُسرتِهِ الصغيرةِ، وتنتهي بولوجِ الطفلةِ إلى حُجرة الأبِ لتشهدَ نهايةً مأساويةً.(٤)

---

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، نادي أبها الأدبي، مطابع الجنوب، أبها، طبعة ١٤٢٥هـ، ٧-١٨

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٩-٢٦

(٣) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢٧-٣٦

(٤) انظر: المصدر السابق، ٣٧-٤٧

ج. **الجدب:** قصةٌ عاطفيةٌ تَتَماثلُ فيها الشخصيّتانِ من حيثُ ظروفُ الإعاقةِ الجسديةِ، ومن حيثُ اندثارُ الأملِ في علاقةٍ طبيعيَّةٍ بينهما.(١)

ح. **دمٌ فارغٌ:** قصَّةٌ تنطلقُ من حكايةِ الفتاةِ الفلسطينيةِ «آيات الأخرس» لتُقِيمَ نقداً مُتَنَامياً للحالةِ العربيةِ المتردّيةِ.(٢)

خ. **نشرة تضاريس الرخام:** قصةٌ تَستندُ إلى مَشهدٍ لنشرةِ أخبارٍ جويَّةٍ، تَستعرُ فيها مشاعرُ المشاهدِ بين مَشهديَن متناقِضَينِ، رخاميَّةِ المذيعةِ، وتضاريسِ العالمِ الموجوعةِ.(٣)

د. **اشتعال:** قصةٌ عن حبِّ الطفولةِ حيثُ اللعبُ بأعوادِ الكبريتِ ومكعَّباتِ الطينِ، وفيها حديثٌ عن تغيُّرُ اللقاءِ بعدَ سنواتٍ شهدتْ ابيضاضَ الشَّعْرِ، وانزواءَ المشاعِرِ.(٤)

ذ. **البارحة:** قصةٌ في شكلِ حوارٍ داخليٍّ يحملُ تفكيراً في نسبيَّةِ الزمنِ، وجمودِ اللحظةِ، والشعورِ بانعدامِ الأهميَّةِ، وتبلُّدِ الصورةِ.(٥)

ر. **طاقة:** قصةٌ تنبعثُ في شكلِ أسئلةٍ داخليَّةٍ نتيجةَ تعثُّرِ اتّصالٍ بفضاءِ الانترنت، تدورُ الأسئلةُ حولَ العبثيةِ، والحريةِ، والرقابةِ، والأَملِ.(٦)

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٤٩-٥٦

(٢) انظر: المصدر السابق، ٥٧-٦٤

(٣) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦٥-٧١

(٤) انظر: المصدر السابق، ٧٣-٧٩

(٥) انظر: المصدر السابق، ٨١-٨٦

(٦) انظر: المصدر السابق، ٨٧-٩٤

ز. **حالة قرف عامّ:** قصةٌ عن بدءِ العامِ الوظيفيّ، تحفُلُ باللغةِ الازدرائيَّةِ لمجملِ الحالةِ في أشخاصِها، ومكانِها، والأحاسيسِ المرافقةِ لها.(١)

٢ – **مفهوم تقاطب الفضاء:** المقصودُ بالفضاءِ في القِصَصِ هو الفَضَاءُ التخييليُّ، والمعْطَيَاتُ التي لها بالأعمالِ المتخيَّلةِ صلةٌ،(٢)ويَنْشعبُ القصدُ إلى فَهْمِ الدِّلالاتِ فيتخلَّقُ الفَضَاءُ الدالُّ، أو إلى تكوينِ الإطارِ العامّ من الأفعالِ والأحداثِ الشخصيّةِ للمتخيَّلِ السرديّ فينتجُ الفَضَاءُ السيرذاتي،(٣)وقد ينتقلُ السَّاردُ من فَضَائِهِ إلى فَضَاءٍ آخرَ متخيَّلٍ؛ فينتجُ عنه الفَضَاءُ المرجِعِيُّ،(٤) وقد ينتقلُ السَّاردُ إلى بيانِ الجدوى في رسمِ الفَضَاءِ، فينتجُ عنه الفَضَاءُ الوظيفِيُّ.(٥)

والفَضَاءُ في السَّردِ فَضَاءٌ لفْظيٌّ لايُوجَدُ إلا في شَكْلِ لُغةٍ، ويختلفُ عن الفَضَاءِ الذي يُصنَعُ في السِّينما أو المسرحِ حيث تُوجَدُ الأَبنيةُ والإضَاءةُ والمؤثِّراتُ المتغيّرةُ،(٦)والفَضَاءُ السَّرديُّ معتمِدٌ في تكوينِهِ على تركيبِ البنيةِ المكانيةِ في النصِّ السَّرديّ، لكنَّ المكانَ في السَّردِ لا ينفكُّ عن الزمانِ،

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٩٥–١٠٠

(٢) انظر: معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ٣٠٦

(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٠٨

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣٠٩

(٥) انظر المرجع السابق، ٣١٠

(٦) انظر: بنية الشكل الروائي، الفضاء– الزمن– الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ٢٧

"فالزمانُ بأنواعِهِ المختلفَةِ إطارُهُ هو المكانُ الذي يُنجَزُ فيه، ولذلكَ فإنَّه لا مَنَاصَ عنه"،[١]ويمثِّلُ الفَضَاءُ في النصِّ السَّرديِّ عنصرا مُحَايِثا تنتظمُ فيه الكائِنَاتُ والأَشياءُ والأفعالُ، ويُعدُّ معيارا لقياسِ الوعيِ والعلاقاتِ والترتيباتِ الوجوديَّةِ والثقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ، ولذلك كانتْ التقاطباتُ الفَضَائيَّةُ حالةً سرديةً اهتمَّتْ بها الدراساتُ الأنثروبولوجيَّةُ التي تقومُ بدراسةِ سلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ ووَعيِهم[٢].

وإذا كانتْ الدراساتُ النقديةُ القديمةُ توجَّهتْ إلى اعتبارِ أنَّ المكانَ هو المكوِّنُ الرئيسُ للفضاءِ السَّرديِّ، فإنَّ الاتجاهاتِ الحديثَةَ لا تَرى ذلكَ، فالمكانُ إلى جانبِ الزمانِ يشكِّلانِ الإحداثياتِ الأساسيّةَ التي تُظهِرُ الأشياءَ الفيزيائيةَ، فنحنُ نميّزُ بين الأشياءِ من خلالِ تَمَوْضِعِها في المكانِ في لحظةٍ زمنيةٍ معينةٍ،[٣]ومن هنا يُصبحُ الفَضَاءُ لفظياً لُغَوِيَّاً يُحكى مكتوباً، ويُصبحُ ثقافيَّاً يَتَضَمَّنُ التصوُّراتِ والقيمَ والمشاعرَ التي تستطيعُ اللغةُ التعبيرَ عنها، ويصبحُ مُتَخيَّلاً لأنَّه يَتَشَكَّلُ في عالمٍ حكائيٍّ يُنسَجُ في قصّةٍ مُتَخَيَّلةٍ، تَتَضَمَّن شُخُوصا وأحداثاً وزمَناً تجري خلالَهُ،[٤] ويرى بعضُهم أنَّ الفَضَاءَ أوسعُ من

(١) دينامية النص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، والمغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ٩٦

(٢) انظر: مكونات الخطاب السردي: مفاهيم نظرية، د.الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ٣٧

(٣) انظر: تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ٩٩

(٤) انظر: المرجع السابق، ١٠٠

المكانِ فهو يشملُ أمكنةَ السَّردِ، وعلاقاتِها بالأحداثِ والمنظوراتِ الشخصيَّةِ، ومن هنا فالفَضَاءُ المركزيُّ يَتَفرَّعُ إلى فَضَاءاتٍ فرعيةٍ تتداخلُ وتتعقّدُ فيما بينها[١]والفضاءُ في النصِّ السَّرديِّ يَتَشَكَّلُ من المكانِ الذي تَتَبدَّى فيه الأحداثُ، وتتحرَّكُ فيه الأشخاصُ وتَتَحَاورُ، وتَنْمُو فيه العلاقاتُ بينَها، وهو يَتَشكَّلُ -أيضا- من الزمنِ الفاعِلِ في صَوغِ الحكايةِ نفسِها،[٢]فالفضاءُ في السَّردِ ناتجٌ من وصْفِ المكانِ المحدَّدِ في الزمَانِ المحدَّدِ، والفَضَاءُ فَضَاءٌ مكانيٌّ وفضاءٌ زمانيٌّ،[٣]وعموماً فإنَّ الدِّراسَاتِ التي تناولتْ الفَضَاءَ في السَّردِ الحِكائيِّ حديثَةُ العهْدِ، وهي لم تستطعْ تكوينَ نظريَّةٍ كاملةٍ تتَّجهُ نحو رؤيةٍ واحدةٍ.[٤]

وبعيدا عن الدِّلالات الفيزيائيةِ الرياضيةِ لمصطلحِ التَّقَاطُبِ، يجيء التَّقَاطُبُ بمعنى التناقُضِ الكامِلِ، وهو التكشُّفُ عن مَبْدَأَينِ أو نَزْعَتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَيْنِ،[٥]وهو في الدّلالةِ الأدبيةِ ينْحَصرُ في معنى الثُّنَائيَّةِ، أو الزوجيَّةِ، أو

---

(١) انظر: بناء الرواية العربية السورية، سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، طبعة ١٩٩٥م، ٢٥٦

(٢) انظر: بنية الشكل الروائي، الفضاء- الزمن- الشخصية، حسن بحراوي، ٢٧-٢٩

(٣) انظر: دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائيةِ، رواية الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى لعبدالرحمن منيف أنموذجا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٦م، ٢٢

(٤) انظر: مكونات الخطاب السردي: مفاهيم نظرية، د.الشريف حبيلة، ٣٨

(٥) انظر: المورد الحديث، قاموس إنكليزي عربي، منير البعلبكي ود.رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة ٢٠٠٨م، ٨٨٨

ثُنَائيَّةِ الحدِّ، أو العلاقاتِ ذاتِ الحَدَّينِ[١]، وهو يَعني عند غريماس مفهومَ الانسجامِ عن طريقِ التَّشَاكُلِ أو التَّضَادِ أو التَّقَاطُعِ بين المقُولاتِ الدّلاليَّةِ المتكرّرةِ التي تجَعلُ قراءةَ القصَّةِ مشوّقةً،[٢]ويَسْنِدُ بحراوي فكرةَ التَّضَادِّ، إذْ يرى أنَّ التَّقَاطُباتِ تُشكِّل ثنائياتٍ ضديَّةً بين القُوى أو العناصرِ المتعارضَةِ، وتُحيلُ إلى علاقاتٍ وتوتُّراتٍ تَحدُثُ بفعلِ اتّصالِ السَّاردِ مع شخصيَّاتِهِ بأماكنِ الأحداثِ، وهي تَقَاطُباتٌ تُفسِّرُ الأخلاقَ السَّائدةَ والمنطقَ المحتَّمَ، والآراءَ المعتَنَقَةَ في النصِّ السَّرديّ،[٣]ويشيرُ بحراوي إلى أنَّ بعضَهم يحدّدُ أهميَّةَ التَّقَاطُباتِ المكانيةَ في إقامةِ البناءِ النظريّ الذي تَسْتندُ إليه في اشتغالِها داخلَ النصِّ، وذلك عن طريق إرجاعِها إلى أصولِها المفهوميَّةِ الأُولى.[٤]

ويمكنُ من خلالِ هذه الثنائياتِ تَقْطيبُ الفَضَاءِ المكانيّ وفقَ الجدولِ الآتي:[٥]

المسافة	الحجم	الاتساع	الشكل	الحركة	الاتصال	العدد	الإضاءة
بعيد قريب	صغير كبير	محدود لامحدود	دائري مستقيم	جامد متحرك	منفتح مغلق	مأهول مهجور	مضاء مظلم

(١) انظر: معجم المصطلحات اللغوية، عربي-فرنسي-إنجليزي، د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ٧١

(٢) انظر: معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمد القاضي، ٩١-٩٢

(٣) انظر: بنية الشكل الروائي، الفضاء- الزمن- الشخصية، حسن بحراوي، ٣٣-٣٤

(٤) انظر: المرجع السابق، ٣٥

(٥) انظر: تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، ١٠١

ويمكن تقطيبُ الفضاءِ الزمانيّ وفقَ الجدل الآتي:

الارتداد	الحركة	المحيط	الإدراك
حاضر	ليل	خاص	واقعي
ماضي	نهار	مشترك	تخيُّلي

المبحث الأول: أنواع التقاطب المكاني في تضاريس الرخام:

يُعدُّ الفَضَاءُ المكانيُّ الحيّزَ الجغرافيَّ الذي تَتَخلَّقُ فيه الحكايةُ، وينمو فيه السَّردُ شخصيةً بعدَ الأخرى، وهو مسرحُ القصّةِ إنْ صحَّ التعبيرُ، فيه تَنْعقِدُ العلاقاتُ، وتتحرَّكُ الشخوصُ، وتظهرُ المشاعرُ، ويتكوَّنُ السَّردُ فوّاحاً بالدّلالاتِ والإشاراتِ التي تَجْعَلُ القارئَ مُشاركاً في تخيُّلِ السَّردِ وفقَ المنظورِ الذي أنشأهُ السَّاردُ، ثمَّ وفقَ المنظورِ الخاصِّ به الذي انبثقَ من تأثُّرِه بالفَضَاءِ المكانيّ وما حمَلَهُ من أعباءٍ سرديّةٍ، والمجموعةُ القصصيَّةُ «تضاريس الرخام» تَنْفتحُ فَضَاءً مكانيّاً من عنوانِها الموحِي بتضاريسَ تتجاوزُ قِطَعَ الرخامِ إلى تشكُّلاتِ المكانِ السَّرديّ في مجملِ القصصِ، وتَقَاطُبِهِ التَّخيُّليّ ذي الدلالاتِ السَّرديةِ، ويمكنُ أنْ نتقصَّى ذلك وفقَ التقسيمِ الآتي:

١ – **المغلق والمفتوح**: المكانُ المغلقُ هو كلُّ مَكانٍ مَوصُوفٍ بالحدودِ والأبْعادِ التي تمنَعُ الانفتاحَ والاتّسَاعَ، أمّا المكانُ المفتوحُ فهو المكانُ الموصوفُ بالانفتاحِ والاتّسَاعِ، ولا يُوجَدُ له حُدودٌ تحدُّهُ أو أبعادٌ ضيّقةٌ خانقةٌ له(١)، وفي المجموعةِ القصصيةِ «تضاريس الرخام» يَتَقَاطَبُ المكانُ في عددٍ من

(١) للاستزادة: انظر: سلطة المكان المغلق، د.حسن النعمي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير– مارس ٢٠١٣م، العدد٣، المجلد٤١.

القِصصِ ففي قصَّةِ «وحشة» يَتَقَاطَبُ الفَضَاءُ المكانيُّ بين مكانينِ: المفتوحِ وهو الشارعُ الذي يَقعُ عليه مكتبُ البريدِ، والمغلقُ وهو غرفةُ صناديقِ المشتركينَ، والأشدُّ إغلاقاً وهو صندوقُ البريدِ الموحشِ الخاصِّ بالبطلِ، والقصّةُ تدورُ حولَ اليَأْسِ من العلاقاتِ البائِسةِ، المصْمَتةِ الخاليةِ من دفءِ المشاعرِ الحقيقيةِ، تلك العلاقاتُ التي جمعتَها مرحلةُ الدراسةِ ثم تفرَّقتْ، أو تلك العلاقاتُ التي تنشأُ من إعجابٍ بكاتبٍ مَرمُوقٍ لا يُعيرُ مُعجَبَه أيَّ مشاعرَ تقديريّةٍ؛ والمكانُ المفتوحُ في القصَّةِ جاءَ سريعا ملمَّحاً إليهِ دونَ تفاصيلٍ، مجرّدَ شارعٍ يقعُ عليه مكتبُ البريدِ، لكنَّ هذا المكانَ المفتوحَ لا يحمِلُ اتّسَاعاً في المشاعرِ، ولا ارتياحَاً نفسيَّاً، يقولُ: "عندما وقفَتْ سيارتُهُ أمامَ مركزِ البريدِ اجتاحتْهُ رعشةٌ طويلةٌ، تخيَّلَ مع هزّتِها أنَّ جلدَهُ قد تحوَّلَ إلى اللونِ الأزرقِ"(١) هذا الوصفُ بالرعشةِ الطويلةِ واللونِ الأزرقِ يمنَحَانِ القارئَ شعورَ الاستعدادِ بالقلقِ والتوتُّرِ لاستقبالِ المكانِ الآخرِ الذي يبدو ضيّقاً، كريهاً، مُوحِشاً، وبالفعلِ تَنْدلقُ الأحداثُ في بوتقةٍ صغيرةٍ وهي مكتبُ البريدِ، ومنها تندلقُ إلى بوتقةٍ أصغرَ هي غرفةُ صناديقِ المشتركين، ومنها -أيضا- تندلقُ إلى بُؤْرةٍ أعمقَ وهي صندوقُ البريدِ ذاتُهُ، وخلالَ هذه الاندلاقاتِ السَّرديةِ كانَ السَّاردُ يعودُ إلى ماضٍ مغبَّشٍ غيرِ واضحٍ يُعبّرُ عن أمكنةٍ مفتوحةٍ كأماكنِ الدراسةِ، وعلى نغمةِ الشعورِ الأوليّ عند وصفِ المكانِ المفتوحِ راح يصفُ المكانَ المغلقَ: "مرّتْ

(١) تضاريس الرخام، علي زعلة، ١١

تلكَ التفاصيلُ كلُّها بخيالِه، وهو واقفٌ أمامَ غرفةٍ كُتِبَ أعلاها (صناديقُ المشتركين)، اعتاد على مرأى هذه اللوحةِ، على منظرِ البابِ المدْهُونِ باللونِ الأصفرِ الباهتِ، ... حتى في أثناءِ مرضِهِ كان يُوصِي أحدَ أقاربِهِ ليتأكّدَ إنْ كانَ صندوقُه قد خرجَ عن سكونِه المميتُ، وفي كلِّ الأحوالِ لم يكنْ ليجدَ في أحشاءِ صندوقِه سوى الفراغِ وذرّاتِ الغبارِ"[1] ورغمَ أنَّ هذا المكانَ المغلقَ موحشٌ باهتٌ، ساكنٌ، ميّتٌ، إلا أنَّ السَّاردَ يَفْجؤُنا بانبعاثِ أملٍ، يقولُ: "في ركنٍ قصيٍّ من غرفةِ الصناديقِ تحلَّقَ عمّالٌ من شرقِ آسيا بملابسِهم المتربةِ، وسمرتِهم الداكنةِ، وعيونِهم المتلهّفةِ، إلى ما بينَ يديْ أحدِهم من رسائلَ أَخذَ يوزّعُها عليهم وهم يتسابَقُونَ في فضّها، وجريانُ عيونِهم على سطورِها، أملٌ مريضٌ انبعثَ في روحِهِ، تقدَّم باتجاهِ الصندوقِ.."[2] في هذا التَّقَاطُبِ المكانيّ بين المغلقِ والمفتوحِ منحَنا زعلَةُ تَقَاطُباً ثقافيّاً صارخاً، فالمكانُ المفتوحُ ذو الوصفِ المغبَّشِ غيرِ الواضحِ ينتمي إليهِ طبقةُ الدّارسين المثقَّفين، والكُتّابُ المرموقونَ، والسَّاردُ نفسُه، وعلى النقيضِ كان المكانُ المغلقُ الواضحُ الوصفِ، إلى درجةِ وصفِ ذراتِ الغبارِ في صندوقٍ بريديٍّ ينتمي إليهِ المهمّشونَ من العمّال البُسَطاءِ، ويخلقُ زعلةُ في المكانِ الأولِ المفتوحِ زيفَ المشاعرِ، وتبلُّدَ الأحاسيسِ، وجمودَ العلاقاتِ وتنافرَها، ويصنعُ في المكانِ الثاني المغلقِ صدقَ المشاعرِ، وانفجارَ الأحاسيسِ، وتحرُّكَ العلاقاتِ وحميميَّتَها، ويظلُّ

(١) المصدر السابق، ١٣-١٤

(٢) المصدر السابق، ١٥-١٦

السَّاردُ يتمنَّى أنْ ينزرعَ في الفئةِ الثانيةِ، وأنْ يشتركَ معهم في مشاعرِهم لكنَّ القصّةَ تُختم باللقطةِ اللاذعةِ طرافةً وبؤساً: " عاد مُسرعا إلى الصندوقِ، كان يتساءلُ من هو ذلك الصديقُ الذي لم تشغلْهُ الدنيا أو تبدّلْه الأيامُ؟! غرَسَ مفتاحَه وفتحَ الصندوقَ، أخرجَ الرسالةَ وبسهولةٍ فتحَ المظروفَ، فضَّ الرسالةَ وقرأ: عزيزي المشترك.. تودُّ إدارةُ البريدِ أن تشعركَ بانتهاءِ اشتراكِكَ، هل ترغبُ التجديدَ؟!"[1] والمكانُ –هنا– لايُعبّرُ عن مجرَّدِ إحداثيَّاتٍ مكانيةٍ هندسيةٍ لا علاقةَ لها بواقعِ الإنسانِ ومحيطِه الاجتماعيّ والسياسيّ والأخلاقيّ، بل تُمثّلُ مفاهيمَ تَصَوُريَّةً في وصفِ الواقعِ الاجتماعيّ،[2] وزعلةُ –هنا– يَفْتَعِلُ تَقَاطُبا مكانيًّا يُعَبّرُ عن تقاطُبٍ ثقافيّ، السَّاردُ فيه يقفُ موقفاً حائراً أمامَ تحديدِ الاشتراكِ/الانتماءِ للطبقةِ الاجتماعيةِ الثقافيَّةِ المنتميةِ للمكانِ ذي الملامحِ الباهتةِ، أم تَسْرقُهُ لحظةُ انكشافِ الحقيقةِ في صورةِ أملٍ لينحازَ إلى طبقةٍ حيويّةِ المشاعرِ لكنَّها مغموسةٌ في باطنِ التهميش؟!

وفي قصةِ «المقصلة» يَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى زاويتينِ تَتَحَاورانِ في خَاطرِ السَّاردِ، تبدو الزاويةُ الأُولى مكاناً صغيراً مُغلقاً واقعيًّاً في الحكايةِ السَّرديةِ وهو محَلُّ الحلاقةِ الصغيرِ، وتبدو الزاويةُ الأُخرى مكاناً كبيراً مَفتوحاً مُتخيَّلاً في ذهنِ السَّاردِ عبرَ الحكايةِ السَّرديةِ؛ يَشملُ البيتَ والشارعَ بما يحمِلانِهِ من شُخوصِ الأُسرةِ والأصحابِ، والقصَّةُ تدورُ حولَ طفلٍ صغيرٍ

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ١٧–١٨

(٢) انظر: تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، ١٠٢

يَهْجِسُ في نفسهِ بالمخاوفِ، وتبدو عليه «الفوبيا» من الحلاقةِ وهو يَنْحَشرُ بجسدِه النحيلِ في أحدِ مقاعدِ الانتظارِ، وتتجاوبُ الصورةُ السَّرديّةُ بين الزاويتينِ، ففي الثانيةِ يبدو المكانُ ضيّقاً يَموجُ بأنفاسِ القاعدين على المقاعدِ الخشبيةِ القليلةِ المؤْلمةِ، وبجانبِها كرسيٌّ أحمرُ مُعَدٌّ للحلاقةِ، يحولُ بينهم وبين الشارعِ بابٌ زجاجيٌّ معلَّقٌ بجانبِهِ جهازُ تسجيلٍ أسودُ ضخمٌ، وتحته خزّانُ شايٍ صغيرٍ في زاويةٍ ضيّقةٍ؛ والحلاَّقُ ينفثُ الماءَ من زجاجةٍ صفراءَ لامعةٍ على وجهِ رجلٍ يقبعُ على الكرسيّ الأحمرِ، والشمسُ تُؤذنُ بالغروبِ؛ وفي الزاويةِ الأولى يبدو المكانُ متشعّباً، يَموجُ بالصُّوَرِ المتداخلةِ، فالشارعُ من حولِ الحلاَّقِ يبدو مُبْهَماً، وجَدّتُه تتوسَّطُ البيتَ تقهرُهُ في كلّ مرةٍ يمرُّ أمامَها بسببِ شَعرِه الطويلِ، وتناديه بأسماءٍ فتياتٍ، وصوتُ أمّه ينبعِثُ بالتهديدِ بقطعِ شَعرِ رأسِه بسكّينِ المطبخِ، والحارةُ يَتَعَارَكُ فيها معَ أولادِ الجيرانِ فيخرجُ مَهزوماً بسببِ نقطةِ ضعفِهِ المتمثّلةِ في طولِ شَعرِه، ويحتدمُ التَّداخلُ بين الزاويتينِ المكانيَّتينِ في السَّردِ بشدّةٍ بالغةٍ، يقولُ زعلةُ: "قطعَ الحلاَّقُ شوطاً كبيراً في شاربِ الزبونِ الأخيرِ، والصبيُّ يُصَارِعُ نفسَه أمامَ صراخِ الجهازِ المتعالي، نبضاتُهُ تتلاحَقُ، نظراتُه تَتِيهُ، سرَّحَ نظراتِه من خلالِ زجاجِ البابِ إلى الشارعِ، تابعَ السياراتِ والمارّةَ، تطلَّعتْ عيناهُ إلى أعلى قليلا، راح يتهجَّى لوحاتِ المحلاَّتِ القريبةِ حرفاً حرفاً، عاودَهُ صوتُ جدَّتِه وأسماؤُها المؤنَّثةُ، سكينُ المطبخِ يلتمعُ في عينيهِ، خيوطُ الدمِ وصراخُ الأطفالِ، تنهّدَ.."[1]هذا

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٣٥

التَّقاطُبُ المكانيُّ أوجدَ حالةً نفسيَّةً ماقِتَةً بشكلٍ واضحٍ، فمنْ جهةٍ اتَّخذَ شخصيةَ طفلٍ لِتُحَمَّلَ كلَّ التعبيراتِ الامتعاضيّةِ أو القاسيةِ تجاهَ الآخرِ كالأبِ والأمِّ والجدّةِ والأصحابِ، والزبائنِ ذوي الشواربِ الغليظةِ، لكنَّ القارئَ ينتبهُ إلى أنَّ اللغةَ المكتوبةَ لا تَنْتَمي إلى عهدِ طفولةٍ مطلقاً، بل إنَّ السَّاردَ يقولُ في جملةٍ اعتراضيةٍ: "تسلّلَ الوقتُ سريعاً على غيرِ عادتِهِ في لحظاتِ الانتظارِ (الطفلُ يشعرُ بذلك لكنه لا يفهمُه) لم يبقَ عندَ الحلاّقِ.." وكأنَّ السَّاردَ يخاتِلُنا بهذه الحقيقةِ، وهيَ أنَّ الطفلَ ليسَ إلا كبيراً يهجسُ بذكرياتِ طفولتِه، ومن جهةٍ أخرى يَتَكوَّنُ مكانُ القصّةِ في زاويتينِ مُتَشاكِلتينِ: المكانُ المفتوحُ وهو عامٌّ مُبْهمٌ لا تبدو فيهِ إلا مشاهدُ الهضْمِ، وتصرّفاتُ الكبْتِ، والقوانينُ الجبريّةُ البغيضةُ، والمكانُ المغلقُ الموصوفُ بدقّةٍ ماقتةٍ ممتعِضَةٍ تنزاحُ عليه مشاعرُ الكراهيةِ وتعبيراتُ المقتِ، ويُصبحُ المكانُ المغلقُ أداةً تعويضيَّةً يُمَارسُ فيها السَّاردُ الصغيرُ/الكبيرُ مشاعرَهُ المحبوسةَ، ودوافعَهُ المكتَنَزَةَ، ويُزْهِقُ روحَها على المقصلةِ! وكما يَزعُمُ برناردي فوتو "فإنَّ قراءةَ القصّةِ عملٌ ذهنيٌّ كما أنَّها ظاهرةٌ سيكولوجيّةٌ"،(١) والتفكيرُ هنا يقودُنا إلى إدراكِ خطّةِ زعلةَ في تَقطيبِ مكانِ القصّةِ إلى زاويتين ينتمي إليهما البطلُ السَّاردُ، تلكَ الخطّةُ التي تُشْعِرُكَ أنَّك بصددِ انتقالاتٍ طفوليةٍ للسَّاردِ بين مكانينِ مُتَماثلين في المخاوفِ و«الفوبيا»، لكنَّ الرصدَ السيكولوجي للملفوظاتِ اللغويةِ يحيلُكَ إلى تكوُّماتٍ نفسيّةٍ امتلأَ بها صدرُ رجلٍ بالغٍ آثرَ

(١) عالم القصة، برنار دي فوتو، ترجمة: د.محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، طبعة ١٩٦٩م، ٨

أنْ يكونَ مكانُ سُخْطِهِ مكاناً يستحقُّ السُّخطَ كما يبدو في انغلاقِه وضيقِه وبؤسِه وكبتِهِ، بينما تَرَكَ المكانَ الأصليَّ مفتوحاً مُبْهماً لغايةٍ واحدةٍ فقط، لِتَنْسَرِحَ منه الذكرياتُ المؤلمةُ دونَ تفاصيلَ، فالمكانُ -وإنْ جارَ عليه- عزيزٌ أثيرٌ.

٢ – **الداخل والخارج:** الفضاءُ المكانيُّ هو المرتكَزُ الأساسُ في تقديم المنظورِ السَّرديّ، ومن تفاصيلِ موصوفاتِهِ تنشأُ الحكايةُ ويَنْسَرِحُ الخطابُ في تضاعيفِ النصِّ القصصيّ، لكنَّ "الأمكنةَ بالإضافةِ إلى اختلافِها من حيثُ طابعُها، ونوعيّةُ الأشياءِ التي تُوجَدُ فيها تخضعُ في تشكُّلاتِها أيضا إلى مقياسٍ آخرَ مرتبطٍ بالاتّساعِ والضِّيقِ، أو الانفتاحِ والانغلاقِ"،(١)ومن المقاييسِ التي تُشَكِّلُ الفَضَاءَ المكانيَّ انطلاقاً من المنظورِ السَّرديّ مقياسُ الداخلِ والخارجِ، ونعني بالداخلِ أمكنةَ الارتياحِ النفسيّ والجسديّ، والشعورِ بالانتماءِ والأمانِ، ونعني بالخارجِ ما هو نقيضُ ذلك تَبَعا للحالةِ التي تُشِيعُها الموصوفاتُ السَّرديّة؛ وحينَ يتَقَطَّبُ المكانُ في نصٍّ سرديٍّ إلى داخلٍ وخارجٍ فالقارئُ يقفُ أمام رؤيةٍ للواقعِ تنطلقُ من جهةٍ إلى جهةٍ مقابلةٍ، قد تكونُ متماثلةً، وقد تكونُ ضديّةً، وقد تكونُ صادرةً من جهةٍ واحدةٍ فقط.

وفي قصّة «الجدب» تنْغَرِسُ في الحجرةِ فتاةٌ عاجِزةٌ عن ممارسةِ الحياةِ كما يَنبغي لها أنْ تكونَ، باهرةُ الجمال، مصابةٌ في رجلِها اليُسرى بالإعاقةِ، تعتَمِلُ

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠١٥م، ٧٢

في صدرِها الأسئلةُ الحارقةُ عن عجزِها وعنوسَتِها وانصرافِ الخاطبينَ عنها، وتهربُ من لذعِ أسئلتِها إلى شقيقتِها التي تشاطرُها الغرفةَ، وإلى النافذةِ المطلَّةِ على الشارعِ ذي المقاعدِ الإسمنتيةِ والمساحاتِ الخضراءِ الجانبيّةِ، وفي مساءٍ ما وهي تَبُوحُ بآلامِها وأحلامِها يَلفتُ نظرَها شابٌّ يجلسُ على أحدِ المقاعدِ يسارقُها النظراتِ، فتنمُو الأفكارُ والأحلامُ بحبٍّ جديدٍ، وينبثقُ السؤالُ الكبيرُ هل يحبُّها لو علم بحالِها؟!، وفي صباحٍ جديدٍ ينتابُها القلقُ وهي تكتبُ في صفحاتِ دفترِها أحلاماً جديدةً وحبّاً جديداً يَلمَعُ في الحديقةِ، وتَتعبُ من الكتابةِ فتغفُو، وتستيقظُ لتجِدَ الشمسَ آذنتْ بغروبِها، أسرعتْ إلى النافذةِ، تعثَّرتْ وقامتْ، وَصَلَتْ إليها، ورأتْ فتاها يُولّي مبتعدِا عن دكّتِه، يمشي معتمِداً على قدمٍ ثالثةٍ؛[1]وفي القصّةِ يَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى داخلٍ ذي أبعادٍ مُبْهَمةٍ ليس فيه إلا نافذةٌ، فلا ظلالَ للمكانِ، ولا ألوانَ، ولا أشياءَ مرتّبةً ترتيباً هندسيًّاً، وإلى خارجٍ ليسَ واضحَ المعالمِ بدرجةٍ تفصيليّةٍ، لكنَّ معالمَه الكُبرى تؤدّي الغرضَ، فهو شارعٌ في جوانبِهِ مساحةٌ خضراءُ فيها مقاعدُ للتعلُّلِ والراحةِ والاستمتاعِ، وفي رسمِ الفَضَاءِ مُقَطَّبا إلى الداخلِ/الغرفةِ وإلى الخارج/ الحديقةِ نشهدُ حركةً سينمائيةً ختاميّةً؛ فالفتاةُ تكادُ تخرجُ من مكانِها الداخليِّ الذي يُشْبهُ السجنَ المحبِطَ، والشابُ يُغادرُ مكانَه الخارجيَّ ليدخلَ في غيابةِ المجهولِ، وتَنْفَتحُ القراءةُ بالاحتمالاتِ، هل يَأوي الشابُّ إلى مكانٍ شبيهٍ بغرفتِها؟! هل يمكنُ أنْ يعودَ ذاتَ جلسَةٍ؟ هل تشعرُ الفتاةُ

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٤٩-٥٦

بتماثلِ الحالةِ إيجابيًا أم أنه شعورٌ سلبيٌّ؟! والظنُّ أنَّ زعلةَ بَنى المكانَ بتَقَاطُبَيَّتِهِ الداخليةِ والخارجيّةِ لِيُوازنَ عبرَ سارِدِهِ الواعي بين موقفِ العجزِ الفرديّ الذي تمثّلُهُ الفتاةُ، وموقفِ العجزِ المجتمعيّ الذي يمثّلُهُ المكانُ الخارجيُّ بشخصيةِ شابٍّ مبهمٍ إلا من ثوبِه الرماديّ، وعصاهُ التي يعتمدُ عليها، والعجزُ هنا هو صورةٌ لعجز المجتمعِ الذي بَدى أفرادُهُ عاجزينَ عن تحقيقِ أحلامِ الفتاةِ ومداواةِ عجزِها، يقولُ: "في طريقِها تعثَّرتْ وسقَطَتْ، لقد اعتمدتْ على الرِّجْلِ الخطأِ"(١) والإشارةُ إلى جنسِ الرّجَال واضحةٌ في استخدامِ «رِجْل» لا «قدَم»، والظنُّ -أيضا- أنَّ انفتاحَ الحدثيَّةِ في النهايةِ يُشبِهُ الانغلاقَ في حقيقتِهِ، فالأملُ مَواتٌ لنْ ينهضَ، وزعلةُ -هنا- يستندُ إلى فَهمٍ فلسفيٍّ خاصٍّ يوجّهُ من خلالِهِ الواقعَ إلى مستوىً من التأزُّمِ، اعتماداً على مُدرَكَاتِهِ المعرفيَّةِ والنفسيّةِ تجاهَ تعامُلِ المجتمعِ مع ذَوي الاحتياجاتِ الخاصّةِ، إنه "منظورٌ خاصٌّ نستطيعُ من خلالِهِ أنْ نَسْتَكْنِهَ علاماتِ الواقعِ في النصّ الأدبيّ"(٢).

وفي قصة «طاقة» يُفتَتحُ الحكيُ السَّرديُّ باسمِ المستخدمِ وكلمةِ المرورِ في رحلةٍ جديدةٍ إلى فَضَاءِ الشبكةِ العالميةِ للانترنتِ، في جلسَةٍ فرديّةٍ في حُجرةِ السَّاردِ الذي يُحاولُ أن يَسْتمتِعَ بأناقةِ الحُجرةِ والغوصِ في أعماقِ الانترنت، لكنَّ رائحةَ عفَنٍ بدأتْ تتسرَّبُ إلى نفسِهِ، ويتساءلُ: هل هي من الجواربِ

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٥٥

(٢) إنشائية القصة القصيرة دراسةٌ في السردية التونسية، د.محمد القاضي، الوكالة المتوسطية للصحافة، وحنبعل للإنتاج الإعلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ١٦٨

التي يلبسُها منذ أيام؟! هل هي تتسرَّبُ من داخلِه؟ يحاولُ استجماعَ هواءٍ نقيٍّ إلى رئتيه، ويفجؤُهُ خبرٌ يتسرّبُ من الأراضي المحتلةِ عن عمليةٍ استشهاديةٍ ضدَّ قواتِ الاحتلالِ، وعودةٌ سريعةٌ إلى رائحةِ العفَنِ التي تُسيطرُ عليه، ويحاولُ البحثَ في الانترنت في موضوعٍ علميّ، ويُواجَهُ بالحَجْبِ، فيهزجُ بأغنيةٍ شاميَّةٍ عتيقةٍ، ثمَّ صارَ يَهْمِسُ ممتعِضاً من الوصايةِ والتحكُّم الرقابيّ على الانترنت، يُنهي البحثَ فيه، ويُلقي بنفسِه في جزءٍ من الحُجرةِ يتجوَّلُ ببصرِه فيها وفي مكوّناتِها العصريّةِ، ومع ازديادِ هواجسِ الحنَقِ والغضَبِ، يجولُ ببصرِهِ في جُدرانِ الغرفةِ ليراها صمَّاءَ خاليةً من أيّ نافذةٍ، ويتذكَّرَ لمَ كانَ الأهلُ في القُرى يسمُّون النافذةَ طاقةً؛[1] ويبدو في هذه القصّةِ أننا أمامَ صناعةٍ فلسفيّةٍ تَتَحكَّمُ بالفَضَاءِ المكانيّ سرداً، فهو هنا لا يُقيمُ الفَضَاءَ المكانيَّ من خلالِ مرجعيَّاتِهِ الماديةِ، إنما يُقيمُهُ من خلالِ الانعكاساتِ التي تَرِدُ في ذهنِ السَّاردِ، وهي نفسُ طريقةِ رسمِ الصورةِ الشعريةِ، يقول غاستون باشلار: "إنَّ قدرةَ الصورةِ الشعريَّةِ على التَّواصُلِ مع المتلقّي هي واقعةٌ ذاتُ دلالةٍ أنطولوجيةٍ كبيرةٍ... خلالَ البحثِ السيكولوجيّ نستطيعُ بالطَّبعِ أن نتذكَّرَ وسائلَ تحليلٍ نفسيةً تحدّدُ شخصيةَ الشاعرِ، فنجدُ مجموعةً من الضغوطِ- وقبلَ كلِّ شيءٍ- القمعَ، التي خضعَ لها الشاعرُ خلالَ حياتِهِ"[2] وزعلةُ يُقَطِّبُ هذا الفَضَاءَ المكانيَّ داخليّاً يقصِدُ به الحجرةَ التي تبدو أنيقةً، وفيها

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٨٧-٩٤

(٢) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ١٨

المحتوياتُ العصريةُ، لكنّها تختنقُ برائحةِ العَفَنِ رغمَ عمليَّاتِ التطهيرِ والتَّبخيرِ الدائمةِ، وهي غرفةٌ لا تملِكُ نافذةً تمنحُ ساكنَها طاقةَ التجدُّدِ، ونلحظُ اكتفاءَ السَّاردِ ببعضِ الإلماحاتِ للبناءِ الديكوريّ، والإسهابِ في الانعكاساتِ النفسيّةِ السلبيةِ كالحنَقِ والغيظِ والامتعاضِ، والإحساسِ بفسادِ الهواءِ، ورائحةِ العفَنِ، فيما جاءَ تقطيبُ زعلةَ للفَضَاءِ المكانيّ خارجيًّاً، بوصفينِ الأولِ هو الإشارةُ إلى حادثٍ في الأراضي المحتلَّةِ يقومُ به واحدٌ من المقْمُوعِين فيها تحتَ الاحتلالِ، والثاني هو الإشارةُ إلى فَضَاءِ الانترنتِ المبْهَمِ، وفي تردُّدِ السَّاردِ بين هذين الفضَائَينِ لا نقبِضُ على مزيدٍ من الحدودِ الهندسيةِ أو الجغرافيةِ، ولا حتّى الزمنيةِ عدا إشارةٍ مارقةٍ إلى مساءٍ مُبْهَمٍ،(١)فيما يَفيضُ المكانُ الداخليُّ بدلالاتِ الكبتِ، والقهرِ، والعفونةِ، والنتانةِ، والرطوبةِ، والاكتئابِ، والضيقِ، وكأنَّ الداخلَ زنزانةٌ في سجنٍ، يعترِكُ في صدرِ صاحبِها الغضبُ والانسحاقُ، والعفونةُ والخواءُ(٢)، وتصبحُ هذه التَقَاطُبِيَّةُ المكانيَّةُ في أَوجِها حين يَعجزُ عن الوصولِ إلى الفضاءِ الخارجيّ بسببِ حجْبِ الموقعِ ثم إطفاءِ الجهازِ، في وضْعٍ يشبهُ الانعزالَ التامَّ عن الحريةِ بفعلِ الرقابةِ، وعبثيةِ الأخبارِ القادمةِ من التلفازِ، واختفاءِ النافذةِ.

٣ – **القريب والبعيد:** في قصةِ «دمٌ فارغٌ» تبدأُ القصّةُ باستطلاعٍ وصفيٍّ لمكوّناتِ الغرفةِ الحديثةِ التي جُلبتْ من أصقاعِ العالمِ، وينْعقدُ نسيجُ الحكايةِ بآخِرِ نشرةٍ مسائيةٍ عن فظائعِ الاحتلالِ الصهيونيّ في القدسِ،

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٩١

(٢) انظر: المصدر السابق، ٩٤

ومشهدِ الدماءِ الذي يملأُ الشاشةَ، وفي لحظةِ «فانتازيا» يَشْعرُ السَّاردُ ببقعِ الدمِ تتناثرُ، وتَصِلُ إلى معصمِه وثوبِه، وأشيائِه الأليفةِ، وغرفتِه الأثيرةِ، وتتشكَّلُ من خلالها وجوهٌ دمويةٌ غاضبةٌ تقفُ بينَه وبين شاشةِ التلفازِ، وتنبجسُ في صدرِهِ فورةٌ من اللومِ النفسيّ لكنّه يتخشَّبُ على لسانِهِ، ويكتنفُهُ مزيدٌ من التأمُّلِ ليكتشِفَ فيه وجوهَ فتيةٍ وفتياتٍ من فلسطينَ، صاروا رموزا في مقاومةِ الاحتلالِ، ويحاولُ أن يَسْتبينَ من صرْخَاتِهم شيئاً فلا يكادُ يسمعُ سوى بعض الكلماتِ «آيات، أخرس» والفَضَاءُ المكانيُّ في القصَّةِ يَتَقَاطَبُ إلى فَضَاءٍ قريبٍ تمثّلُهُ الغرفةُ الأنيقةُ التي تمتلئُ بالأغراضِ المصنَّعةِ في بلدانٍ عالميّةٍ، وفيها شاشةٌ تتنقَّلُ بين القنواتِ، وفَضَاءٍ بعيدٍ تمثّلُهُ الأرضُ المحتلّةُ بما فيها من مشاهِدَ قتلٍ مروّعةٍ ضدَّ الفلسطينيّين، والسَّاردُ –هنا– يعتمدُ المزجَ بين القُطبينِ القريبِ والبعيدِ عن طريقِ استخدامِ الفانتازيا فيجعلُ المكانَينِ يتقاربانِ ويتماسَكانِ بفعلِ اندماجِ مشهدٍ واقعيّ في أحدِهما إلى أنْ يكون مشهداً واقعياً في الآخرِ، يقولُ زعلةُ: "أنهارُ الدمِ المدلوقةُ بهدوءٍ ملأتْ شاشةَ التلفازِ، فاستحالتْ فضّةً قانيةً، أُمعنُ النظرَ، أبحثُ خلالَ الدمِ، عن منْفَذٍ لأَرى بقيَّةَ المشاهِدِ فتصدَّني الملاءاتُ الحمرُ .. ربّاه ! بقعةٌ حمراءُ تقفِزُ إلى مِعصَمي، من أين جاءتْ؟! أتحسَّسُ مِعصَمي فإذا بقعةٌ أُخرى تقعُ على ظاهرِ كفّي، امتلأتْ الشاشةُ بالدماءِ حتى ضاقتْ بها، فطفحتْ البُقعُ

على كفّي وجبيني وصدري .."[1]ويواصلُ السَّاردُ نشرَ الدمِ في الغرفةِ حتى يَعْمرَ الأشياءَ فيها، وتَفْصِلَ بينه وبين الشاشةِ تشكلاتٌ دمويّةٌ في مظهرِ قاماتٍ بشريّةٍ لها وجوهٌ غاضبةٌ، ولها صياحٌ وصراخٌ.[2]

إنَّ هذا التَّقْطيبَ المبدئيَّ للفَضَاءِ المكانيّ بقريبٍ مُلاصقٍ وبعيدٍ غيرِ مُلاصقٍ؛ ثمَّ الالتفافَ عليهِ بمحاولةِ دمجِهمَا بشكلٍ فانتازيّ متماسِكِ الصورةِ، ثمَّ اتخاذَ مظهرِ الدمِ الطَّافحِ ليكونَ علاقةَ الاندماجِ بين قُطبي الفَضَاءِ المكانيّ يمنحُ السَّاردَ القدرةَ على تمثيلِ وجهةِ نظرِهِ – وهو ساكنٌ في فضائِه القريبِ– في سياقِ مُمَاثلٍ لوجهةِ نظرِ الشخوصِ الأخرى التي ترزحُ تحتَ القهرِ في فَضَائِها البعيدِ، وقد استطاعَ زعلةُ دمجَ وجهتَيْ النظرِ بافتعالِ هذا الدمجِ في السّرد "حيثُ لا يعني تمتُّعُ كلٍّ منهما بكَيَانٍ خاصٍّ أنَّ الحدَّ الفاصِلَ بينهما غيرُ قابلٍ للاختراقِ"[3]، وغنيٌّ عن القولِ إنَّ وجهةَ النظرِ تتمثَّلُ في تأكيدِ النّضالِ والكفاحِ ضدَّ الاحتلالِ، حتّى ولو غمرَ الدمُ بقعةَ المشهدِ.

وتأتي قصةُ «نشرة لتضاريس الرخام» لِتَعرِضَ مَشْهداً سَريعاً لنشرةِ أخبارٍ جويّةٍ تُقدِّمُها مذيعةٌ رخاميَّةٌ لدِنةٌ، والسَّاردُ يَشتَعِلُ بكلماتِهِ السَّريعةِ مُتجاوِبَاً مع تَغنُّجِ المذيعةِ وانبلاجِ مفاتِنِها وهي تحتلُّ واقفةً جزءاً من خارطةِ الكرةِ الأرضيّةِ، ويزدادُ اشتعالُهُ مع استعراضِ المناطِقِ الملتَهِبةِ في العالمِ مناخيَّاً، تلك

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦١-٦٢

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٢-٦٤

(٣) تحليل الخطاب السردي: وجهة النظر والبعد الحجاجي، محمد نجيب العمامي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنّوبة، ومسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ٦٦

التي تَسْتَدعي في الذهنيّةِ أحوالهَا السياسيَّةَ الحارقةَ، وتسيرُ القصةُ كومْضةٍ سريعةٍ من الاشتعالِ، فإذا عواصمُ الكرةِ .. تستعِرُ،[1]والمكانُ الفَضَائيُّ يَتَقاطَبُ قريبا في شاشةٍ مستديرةٍ عبارةٍ عن إناءٍ فضيٍّ، أو لازورديٍّ شاحبٍ أحيانا، وتحتلُّ جزءاً منه مذيعةٌ تتنقَّلُ من منطقةٍ لأُخرى على خارطةِ الكرةِ الأرضيةِ، ويَتَقَاطبُ بعيداً في مناطقَ متباعدةٍ من الكرةِ الأرضيةِ الملتَهبةِ بالأحداثِ السياسيةِ، والقُطبانِ –هنا– يتولَّدانِ من بعضِهما، وينْحَسِرانِ ويتمدَّدَانِ بحسبِ السَّاردِ واهتمامِهِ، فمرّةً يرسِمُ المذيعةَ في ركنِها البعيدِ، القريبِ جداً من أحداقِهِ المتورّمَةِ المهيّأةِ للتقيُّؤ،[2]ومرةً يشيرُ إلى تقاطُعاتِ النُّجومِ، وتَعَامدِ الشَّمسِ، والخِلجَانِ الدافئةِ، والمرتفعاتِ الجنوبيَّة، وجنوبِ أفريقيا، وحوضِ المتوسّطِ، والبحرِ الميّتِ،[3]والقاصُّ زعلةُ في هذا التَّقطيبِ الذي يبدو مُتَراكباً يَشِي بحالةٍ ساخرةٍ وُجُودِيَّاً من الواقعِ، متهيّأةٍ للنفورِ منه والتقيُّؤِ بسبَبِ صورتِهِ، ويستخدمُ المذيعةَ التي يُشيرُ إليها مِراراً بضميرِ الغائبِ محدودا بهلالين (هي) القريبةَ في فَضَائِها، التي تَضَعُ أصابعَها على الأماكنِ البعيدةِ لتمثّلَ رؤيةً من الخارجِ لهذا البعيدِ، "إنّه يَصِفُ ما يَراهُ ويَسْمَعُه، لا أكثرَ، بمعنى أنّه يَروي ما يحدُثُ في الخارجِ ، ولا يَعرفُ مطلقاً ما يَدورُ في ذهنِ الشخصياتِ، ولا ما تفكّرُ فيه، أو تحُسُّ به من مشاعرَ، إنه يعرفُ ما هو ظاهرٌ ومرئيٌّ من أصواتٍ وحركاتٍ وألوانٍ، ولا ينْفَذُ إلى أعماقِ ودواخلِ

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦٥-٧١

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٧

(٣) انظر: المصدر السابق، ٦٨-٧٠

ونفسياتِ الشخصياتِ"[1] فالموضوعُ يبدو أنَّهُ خارجُ اهتماماتِه الخاصَّةِ، رغمَ بعضِ الإشاراتِ إلى موضوعاتٍ تَمَسُّ الانتماءَ الجغرافيَّ كالحديثِ عن المرتفعاتِ الجنوبيةِ[2].

٤ – **الضيّق والمتّسع**: يُحَدِّدُ يوري لوتمان في مقالتِهِ «مشكلة المكان الفنّي» أنَّ بنيةَ المكانِ في النصِّ تختلفُ عن بنيةِ المكانِ في العَالمِ الحقيقيِّ، وبناءً عليه فإنَّ مفهومَ الضيقِ والاتّساعِ منوطٌ بالحَالةِ اللغَويةِ التي تُزيحُ عن مشاعرِ الشخصيّةِ وبنائِها، وترسِمُ تصوُّراتِها المصاحبةَ لوجودِها في مكانٍ ما، فالحريَّةُ والفراغُ والفقرُ والانتماءُ كلُّها قِيَمٌ ترسِمُ المكانَ في العمَلِ الفنّي على وضعٍ يغايرُ شكلَهُ في العالم،[3]وفي قصّة «وجوه» فنتازيا سرديَّةٌ عن انغراسِ السَّاردِ في سريرِ غرفتِهِ المظلمةِ، ثمَّ يَتَراءى له شَبَحُ شخصٍ يُشبهُهُ، يتعلّقُ في جيبِهِ مجموعةٌ من الأشخاصِ، يكادُ يعرفُهُم لكنَّه لا يتذكَّرُ أسماءَهم، ثم يتبيّنُ له أنَّهم مجموعةٌ من الموظَّفين الذين يَعمَلون في قِسْمِه الذي يُديرُه، وهذه الشُّخوصُ بين بيضاءَ ضعيفةٍ تسقطُ في الأرضِ، وأخرى متملّقةٍ تضَعُ قِطعتين برَّاقتين في الجيبِ فتستقرُّ آمنةً مطمئنةً، فيما يعودُ الشبحُ ليستقرَّ في جزءٍ من الغرفةِ على المكتبِ، وقد صار له وجهانِ، ويَهمُّ السّاردُ بمساءلتِهِ لكنَّ السَّاعةَ تُؤذنُ بانتهاءِ الحكايةِ؛

---

(١) تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، ٨٨

(٢) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦٩

(٣) انظر: جماليات المكان، جماعة من الباحثين، الناشر: عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، ترجمة: سيزا قاسم، ٥٩-٨٦

والفَضَاءُ المكانيُّ في القصّةِ يتقطَّبُ إلى ضيّقٍ وهو الغرفةُ الخاصّةُ التي تَتَبعثرُ فيها الأشياءُ، وتثيرُ التوتّرَ ببعضِ أشيائِها، يقولُ: "عندما أنهضُ سأنقلُ هذه اللعينةَ إلى الصَّالةِ، هكذا أَنوي منذُ اشتريتُها قبل عامين"(١)ويَتَقَطَّبُ إلى واسعٍ وهو الغرفةُ أيضا التي باتتْ مسرحاً فانتازيّا يحتَمِلُ شبحا ذا وجهينِ يدورُ في الأرجاءِ، ويحملُ معهُ شُخوصاً متعدِّدين تدورُ بينهم علاقاتُ تَنَافُرٍ وتقاربٍ أشبهَ ما تكونُ بمفاوضاتٍ عمليةٍ، بل قِتاليةٍ محضةٍ، يقولُ: "البقيَّةُ ما زالوا يُقاتلون ويُقاتلون من أجلِ ولوجِ ذلك الجيْبِ"(٢)، ورغمَ أنَّ المكانَ هو الغرفةُ ذاتُها إلا أنَّ اتساعَها الفانتازيَّ سمَحَ للسَّاردِ أن يُجريَ عمليةَ بحْثٍ عن الشَّبحِ، يقولُ: "ذلك المشهدُ الأخيرُ الذي قامَ به الشَّبحُ قبل أنْ يَتَوارى من الغرفةِ، أين ذهبَ؟! وكيف اختفى بكلِّ هذه السرعةِ، أبحثُ عنه في كل زوايا غرفتي المعتِمَةِ، أفتّشُ عنهُ في طِلاءِ الغرفةِ الباهتِ، بين أغلفةِ الرواياتِ الممزَّقةِ، ... بعد لحظاتٍ من البحثِ العائمِ وجدتُهُ، ههو يتربّعُ على سطحِ مكتبي.."(٣) إنَّ زعلةَ بهذا التقاطُبِ المكانيّ عبرَ مكانٍ حقيقيٍّ واحدٍ/ الغرفةِ يمنحُنا القدرةَ على التخيُّلِ لمقدارِ الضّيقِ الذي يَشْعرُ بهِ السَّاردُ تجاهَ مكانِ عملِه/ القسمِ، الذي كنّا نظنُّه متَّسِعا بالمشاعِرِ الوديّةِ الصادقةِ، وإذا الغرفةُ الضيّقةُ تحتَملُ

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢٢

(٢) المصدر السابق، ٢٤

(٣) المصدر السابق، ٢٥

هذا المكانَ الواسِعَ على ضيقِها لتقدِّمَ لنا رؤيتَهُ السُّرياليَّةَ الشَّبَحيَّةَ لعالمِهِ الحقيقيّ.

وتُقدِّمُ قصّةُ «نشرة لتضاريس الرخام» تَقَاطُباً فَضَائياً مكانياً، يتمثَّلُ في الضيّقِ وهو الغرفةُ التي يُشاهدُ السَّاردُ من خلالها النشرةَ الجويّةَ التي تنبثقُ من شاشةٍ فضيّةٍ، وتذيعُها رخاميةٌ لدِنةٌ متغنّجَةٌ،(١)ويتمثَّلُ في الواسِعِ وهو فَضَاءُ الكرةِ الأرضيةِ التي تَمُوجُ بالتضاريسِ المتباينَةِ، وفي هذا التَّقَاطُبِ يستثمرُ القاصُّ زعلةُ المفارقَةَ الواقعيَّةَ بين الفَضَائَيْنِ ليُظْهِرَ على لسانِ السَّاردِ امتعاضاً داخليَّاً يحرّضُهُ على التقيّؤِ، والواقعيةُ هنا عكسُ الفانتازيا في قصة «وجوه» فهي تسْمَحُ بالمقابلةِ والمشاكلةِ بين الفَضَائَيْنِ، أما الأُخرى فتَستدعي فَضَاءاً واسِعاً على سبيل التحضير التخييليّ لتخنقَهَ في فَضَاءٍ ضيّقٍ.

٥ – **المحدود وغير المحدود:** في قصّةِ «أقسى من الجرح» يحكي السَّاردُ مخاوفَهُ من انتشارِ المرضِ في جسدِهِ عن طريقِ الأورامِ المتزايدَةِ التي تظهرُ عليه، ويُخْرِجُ ما فيه قلبِهِ من مخاوفَ من انتقالِ العَدوى لزوجتِهِ الصابرةِ على غيابِهِ الطويلِ المتكرّرِ ولطفلتِهِ البريئةِ هيا المتفوّقةِ دراسيَّاً، وتنتهي القصّةُ بموتِهِ على أريكتِهِ ذاتَ صباحٍ والفتاةُ الصغيرةُ تدخلُ عليه مكتبَه لِتُرِيَه شهادةَ تفوّقِها، وفي القصّةِ يحتلُّ القُطْبُ المكانيُّ المحدودُ / المنزلُ الصغيرُ جزءاً كبيراً من السَّردِ تُسْرَدُ في مدخلِه وغرفتِه وكتبِهِ مخاوفُ إنسانيّةٌ من عاقبةِ الخطيئةِ المحرَّمةِ، وتجري عبرَ شُخُوصِه مشاعرُ الألمِ من النهايةِ المحتومةِ

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦٥–٧١

لرحلاتِ النزقِ الآثمِ، وفيه تنْخَرطُ الصورُ الجزئيَّةُ معبّرةً عن مأساةٍ قادمَةٍ جرَّها المسؤولُ الأولُ عن الأسرةِ إلى محيطِهم الآمنِ المطمئِنّ، وفي القصةِ يحتلُّ القُطبُ المكانيُّ غيرُ المحدودُ/ أماكنُ السفرِ والفنادقِ وعياداتُ الأطباءِ والصيدلياتُ منطقةً يَسيرةً من الحكي، وعلى الرغمِ أنَّ مناطقَ السَّفَر هي السببُ الرئيسُ الذي انبنتْ عليه الحكايةُ الموجِعَةُ إلا إنَّ السَّاردَ يكتفي إشارةً إليها بجملةٍ وحيدةٍ، يقولُ: "عبرَتْ مخيّلتَه أحداثٌ بعيدةٌ وقريبةٌ، عن بلاد الشَّرقِ والغرب، عن الفنادقِ، عن ليالٍ غرائبيَّةٍ احتساها حتى بَصَقَ نجيعاً متخثِّراً"،(١) لقدْ حفَلَ النصُّ السَّرديُّ باهتمامٍ بالغٍ بتصويرِ المآلِ والمصيرِ، وانتحى بعيدا عن تصويرِ الأسبابِ والدَّواعي، وكأنَّ أسبابَ المصيرِ مشتركٌ عامٌّ يقعُ فيه أيُّ أحدٍ، وخطيئةٌ قد يمارسُها أيُّ أحدٍ، وعمدَ السَّردُ إلى تضخيمِ المصيرِ والمآلِ، وإحلالِ فَضَائه المكانيّ جزءاً وافراً من السَّردِ ليَشْعُرَ القارئُ بخصوصيةِ المأساةِ وليتشاركَ معَ بطلِها الإحساسَ بالحسرةِ والندمِ لانهدامِ حياةٍ أسريّةٍ، أضحتْ فيه الزوجةُ الصابرةُ أرملةً وهَيَا البريئةُ يتيمةً، في قصَّةٍ قصيرةٍ بَنَتْ حدودَ فَضَائِها وفقَ نظريّةِ الحكيِ التي لا تهتمُّ كثيراً بالتلفُّظِ السَّرديّ، لكونها تركّزُ أكثرَ على الملفوظِ ومضمونِهِ.(٢)

(١) انظر: المصدر السابق، ٤٦

(٢) انظر: تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م، ٣٩-٤٠

٦ – **المأهول والمهجور**: في قصّةِ «حالة قرفٍ عام» تَنْحَشِرُ القصَّةُ الطائِشَةُ بالأوصافِ المقْذِعَةِ في مكتبٍ وظيفيٍّ في بدايةِ عامٍ جديدٍ، ويَسْتدعي السَّاردُ مكاناً مَهْجورا وهو المقبرةُ، ليعقِدَ تشاكُلاً مشاعريّاً في أبديّةِ الإحساسِ بملازمةِ أجناسٍ آخرينَ، ويتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى مَأْهولٍ وهو المكتَبُ العاجُّ بالموظّفين، ومَهجورٍ وهو القبرُ الذي يضمُّ صاحبَهُ، ويَخْلُقُ السَّاردُ في حكْيِهِ مشاعرَ متشابهةً في المكانينِ، يقولُ: "مشاهدُ قاتلةٌ ههي تُولَدُ من جديدٍ... عامٌ من القَرَفِ اليوميّ يُولَدُ، نعلِكُهُ كلَّ صباحٍ"[١]، وفي النصِّ حتميّةُ الملازمَةِ هي جَوهرُ المشكلةِ، يقولُ: "الميّتُ في قبرِه يُؤتى إليه بِرَجُلٍ يَطفَحُ وجهُهُ إما بالخيرِ أو الشرِّ –حسبَ عملِهِ في الدنيا– فيُحْشَرُ معه رفيقاً ملازماً في حفرتِهِ، حتى يُنفَخَ في الصُّورِ، أما نحنُ في هذه المقابرِ الأسمنتيَّةِ، فنُحْشرُ مع أوجُهٍ ليس لنا يَدٌ في اختيارِها أو تكوينِها، ولم نقترفْ خطيئةً ما حتى نَنْعَجنَ كلَّ صباحٍ مع هذه الوجوهِ"[٢]والسَّاردُ –هنا– مُلمٌّ بشخصياتِ المكانِ المأهولِ، ويَعرفُ ماضيها معهُ، ولذا صارَتْ كلُّ الأوصافِ المقذِعةِ في حقِّها مشروعةً في السِّياقِ رغمَ حدّتِها، فالقرفُ اليوميُّ، والأوجهُ التي لا تَشِي بجميلٍ، والحِكَمُ المعتادةُ منذُ أزمنةِ زُهيرٍ، والأفواهُ التي لاتَكُفُّ عنْ فغَرِها وانطباقِها كفروجِ البغايا، والألسنةُ الثعبانيَّةُ التي تتمرَّغُ في جَوفِ الفَمِ الملبَّدِ[٣]كلُّها

(١) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٩٧

(٢) المصدر السابق، ٩٨

(٣) انظر: المصدر السابق،٩٨–٩٩

أوصافٌ تتعلّقُ بالصورةِ الذهنيَّةِ في عقلِ السَّاردِ عن الشخصياتِ في المكانِ المأهولِ، وشعورُ السَّاردِ بها جعلَهُ يَسْتدعي الإحساسَ بالقبرِ، يقول ميلان كونديرا: "على الكاتبِ أنْ يجعل القارئ يتعرف على ماضى شخصياتِه؛ لأنَّ فى ذلك تقعُ كلُّ دوافعِه فى تصرفاتِه الحاضرةِ "[١]وهذا يجعلُ القارئَ قادراً على فهمِ هذا الإقذاعِ في التوصيفِ لحركةٍ أشبَهَ بالمواتِ في المقابرِ المهجورةِ، ومن هنا خَدَمَ تَقَاطُبُ المكانِ الفَضَائيِّ في توصيلِ الإحساسِ بجوهرِ المشكلةِ وهو ملازمةُ الأحياءِ أشباهِ الموتى في المأهولِ شبهِ المهجورِ.

٧ – **الجامد والمتحرك**: للمنظورِ السَّرديِّ حضورُهُ المكثَّفُ داخلَ نظريةِ علمِ السَّردِ، لأنَّ وظيفتَهُ الأساسيَّةَ هي تشخيصُ الحدثِ الروائيّ، وتقديمُ القصَّةِ لا يتمُّ إلا عبرَ منظورٍ سرديٍّ يعالجُ علاقاتِ السَّاردِ مع الآخرينَ ومعَ العالمِ، ثم يفرضُ على السَّاردِ وجهةَ نظرٍ ما؛[٢]وفي قصّةِ «اشتعال» يُقدِّمُ السّاردُ منظورَهُ السَّرديَّ في أولِ جملةٍ سرديّةٍ قائلا: "هراءٌ أنَّ كلَّ هذه السنينَ برغمِ طولِها قدْ فرَّقَتْ بينهما"[٣]، هذا المنظورُ السَّرديُّ الجازمُ في مثلِ هذه الجملةِ الحاسمةِ ينطلقُ ساردا قصةَ حبٍّ طفوليٍّ له ملامحُهُ

(١) فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة: أحمد عمر شاهين، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٣٧

(٢) انظر: شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ٩٢-٩٣

(٣) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٧٥

الغضَّةُ، لكنَّ "الزمانَ قد استدارَ... والأجسادَ تباعدتْ.. والبراءةَ انطفأتْ وغابتْ"[1] وتغاضِياً عن هذه النهايةِ المعتادةِ لحبٍّ طفوليٍّ؛ التي تتناقضُ مع المنظورِ السَّرديِّ المعْلَنِ في بَدْءِ السّرديةِ القصيرةِ، فإننا نجدُ فَضَاءَها المكانيَّ يَتَقَطَّبُ إلى قُطبينِ؛ الأولُ هو الفضاءُ المتحرّكُ الذي يتَمرَّغُ في تربتهِ جسَدَانِ، وتتعرّجُ فيه الحارةُ الصغيرةُ الضيّقةُ، وتسيرُ فيه الجداولُ الصغيرةُ التي تخلّفُها ليلةٌ ممطرةٌ راعدةٌ، والأجسادُ الطفوليةُ تلتَصِقُ بإزارِ والدٍ مبلَّلٍ، أو ثوبِ والدةٍ عابقٍ برائحةِ البخورِ والعنبرِ، والمكانُ هاطلٌ بالمطرِ، دافقٌ بالركضِ في الأزقةِ، والضحكاتُ الصاخبةُ تمزّقُ فيه الأثيرَ، واللعبُ بمكعَّباتِ الطينِ وأعوادِ الكبريتِ طقوسٌ مكرَّرةٌ، واللعبُ الجريءُ يحدثُ أحياناً تقليداً للكبارِ، والثاني هو الفَضَاءُ الجامِدُ الذي يَحدُثُ خلالَ لقْطةٍ سرديَّةٍ واحدةٍ يقولُ فيها: "اليومَ وبعدَ كلِّ هذهِ السنينِ التقيَا..شعراتٌ بيضاءُ، غُضُونٌ بدَتْ كأخَاديدَ صغيرةٍ في جبينِهِ وحَوْلَ عينيهِ، تشيرُ إلى أنَّ ولداً صغيراً قد اختفى، قامتُها الفارعَةُ، تكوّراتُ جسدِها تُعْلنُ عن أنثىً تمَّ نضوجُها، وأينعتْ ثمارُها، هذه الملامحُ جلَّلتْ اللقاءَ برداءٍ غيرِ خافٍ من الوقارِ، وبقيتْ العيونُ تَبُوحُ بجَذلٍ طفوليّ قديمٍ، يُعَانقُ مكعَّباتِ الطّينِ، وعُلَبَ الكبريتِ المسْروقةِ"[2] والقُطبُ الأولُ فائضٌ بالصُّوَرِ السَّرديَّةِ، مزْدحِمٌ بالتفاصيلِ المتحرّكةِ تُغذّيهِ أحلامُ الحبِّ الطفوليّ، وتنميّهِ مشاعرُ البراءةِ والغَفْلةِ الطبعيَّةِ حينَها، لذا

(١) المصدر السابق، ٧٩

(٢) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٧٦-٧٧

كانتْ الصُّوَرُ السَّرديَّةُ تَتَلاحَقُ بفطريَّةٍ وعذوبةٍ، وفيها الفَضَاءُ المكانيُّ يتَجاذبُ الطبيعةَ والشخوصَ والزمنَ المتغيّرَ لحظةً بعدَ أخرى، كالصباحِ والمغيبِ، والحارةِ والمطرِ، والأشياءِ والشخوصِ؛ فيبدو فَضَاءً دافِقًا بالحركةِ لأنَّ الحياةَ تجري والأملَ ينبضُ في قلبينِ، فيما يتحكَّمُ الواقعُ والحقيقةُ المرّةُ في القُطبِ الثاني فيأتي جامِداً بائِساً إلا من إشاراتٍ تدلُّ على ماضٍ كانَ فيه الفَضَاءُ الأولُ سيّدَ السَّردِ، "وسردُ الواقِعِ -كما هُوَ- لا ينبّهُنا إلى شيءٍ؛ لأنَّنا جزءٌ من تفاصيلِهِ، فهو يمرُّ أمامَنَا من خلالِ العَينِ السّحريَّةِ التي تُطلُّ على العالمِ عبرَ الشاشةِ العاديّةِ".(١)

***

(١) سيرورة الدلالةِ وإنتاج المعنى، قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر، د.شادية شقروش، دار جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ٩٨

المبحث الثاني: أنواع التقاطب الزمني في تضاريس الرخام:

عندَ مُحاولةِ تحديدِ مفهومِ الزمنِ يصعبُ ذلكَ رغمَ سهولةِ الإحساسِ به، ويعودُ ذلكَ إلى غموضِهِ، وإلى تَدَاخُل المفرداتِ اللغويةِ المعبّرةِ عنه؛ كالوقتِ والمدَّةِ والفَتْرةِ، والعصرِ والديمومةِ[١]، ويقرّرُ بحراوي أنهُ "لاسَردَ بدونِ زمَنٍ، فمنَ المتعذّرِ أنْ نَعْثرَ على سَردٍ خالٍ من الزمنِ، وإذا جازَ لنا افتراضَاً أنْ نفكّرَ في زمَنٍ خالٍ من السَّردِ، فلا يُمكنُ أنْ نلغيَ الزمنَ من السَّردِ، فالزمنُ هو الذي يُوجَدُ في السَّردِ، وليسَ السَّردُ هو الذي يوجَدُ في الزمنِ، وهذا يجعلُ من الزمنِ سابقاً منطقيَّاً على السَّردِ،"[٢]والنصُّ السَّرديُّ له زمنَانِ، زمنُ سَردٍ، وهو يشمَلُ الزمنَ الذي يدورُ فيه الحكيُ والخطابُ ، وزمنُ المحكيّ أيْ القصّة،[٣]ولكنَّ فورسترَ يلفتُ انتباهَنا إلى ارتباطِ الزمنِ بالقيمةِ، يقولُ: "الحياةُ مملوءةٌ بأحاسيسِ الزمنِ، فقد نَعتقدُ أنَّ حادثةً تقعُ بعدَ حادثةٍ أخرى أو قبلَها، وأنَّ الفكرةَ غالباً ما تكونُ في عقولِنا، وأنَّ كثيراً من كلامِنا وعملِنا ينبعُ منْ افتراضِنا، على أنَّه يبدو أنَّ هناكَ شيئاً آخرَ في الحياةِ غيرَ الزمنِ، وهذا ما يمكنُ أنْ نُطلقَ عليه كلمةً مناسبةً هي القيمةُ، فالقيمةُ شيءٌ لا يُقاسُ بالدقَائقِ والسَّاعاتِ، وإنما يُقَاسُ بالشدَّةِ"[٤]وفي المجموعةِ القصصية «تضاريس

---

(١) البناء الفني ودلالاته في الرواية العربية الحديثة، نزيهة الخليفي، الدار التونسية للكتاب، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ٨٨

(٢) بنية الشكل الروائي، الفضاء– الزمن– الشخصية، حسن بحراوي، ١١٧

(٣) تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، ٨٧

(٤) أركانُ الروايةِ، إ.م.فورستر، ترجمة: موسى عاصي، المراجعة اللغوية: د.سمر روحي الفيصل، جروس برس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ٢٥

الرخام» ينتظمُ الزمنُ بوصفهِ مكوّناً سرديّاً مهمَّاً، ويَتَقَاطَبُ وَفقَ دَواعٍ سرديَّةٍ، ويمكنُ لحظُ هذا التَّقَاطُبِ في الفَضَاءِ الزمني حسبَ التَّقَاطُبَاتِ الآتيةِ:

١ – الحاضر والماضي: ويَشيعُ حضورُ الزمنِ حاضراً وماضياً في مجملِ القصَّةِ بشكْلٍ لافتٍ، ففي «وحشة» ينْقطبُ الفَضَاءُ الزمنيُّ إلى حاضِرٍ أمامَ مكتبِ البريدِ، وماضٍ يَسْتدعي فيه السَّاردُ شخوصَ ماضٍ كانَ فيه يَدرسُ، ويلتقي بأناسٍ لقاءاتٍ عارضةً، ثمَّ يعودُ إلى حاضرٍ يشهدُ إعجابَه بكاتبِه المفضَّلِ، والسّردُ يَنْسَرحُ في زمنينِ متناسِقَينِ، مبرّرا تلك النهايةَ الحائرةَ التي جعلتْ السّاردَ يقفُ مُحتاراً في تحديدِ الاشتراكِ/ الانتماءِ من عدمِهِ(١).

وفي قصّة «المقصلة» يَنْحَبِسُ الزمنُ في محلِّ حلاقةٍ فيه تُسْتَدعى كلُّ مشاعرِ الضغينةِ والكراهيةِ تجاهَ ماضٍ لا يَشِي إلا بمزيدٍ من السُّخريةِ بشَعْرِه، والتهديدِ بقصِّهِ، ويبدو الحاضرُ طاغياً تنْقَذِفُ من خلالهِ المشاعرُ السلبيّةُ والعباراتُ الحانقةُ تجاهَ شُخُوصِ الحاضرِ في محلِّ الحلاقةِ، ويكونُ الزمنُ الحاضرُ بمثابةِ الزمنِ التعويضيِّ عن زمنِ الماضي الذي شَهِدَ فيه الطِّفلُ لحظاتٍ تبدو مكسوَّةً بالقسوةِ(٢).

وفي قصّة «أقسى من الجرح» يَضْمَحِلُّ الزمنُ الماضي، ويَطْغى الزمنُ الحاضرُ بمخاوفِهِ المؤلمةِ من انتشارِ المرضِ، وانهيارِ الأسرةِ الصغيرةِ، ويَتَقَاطَبُ

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ١١-١٨

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢٧-٣٦

الفَضَاءُ الزمنيُّ إلى حدِّ الإشارةِ اليسيرةِ عن الماضي إمعاناً في أنَّ المهمَّ هو مآلُهُ في الحاضرِ.(١)

وفي قصة «اشتعال» يتجمَّدُ الحاضرُ في لحظةٍ فريدةٍ معبّرةٍ عن لحظةِ الواقعِ وهو فراقُ الطفلين بعد أن كَبُرا وفرّقَتْ بينهما استدارةُ الزمانِ، فيما ينْبَسطُ الزمنُ الماضي على الأجزاءِ المتبقّيةِ من السَّردِ لتعليلِ الاستغراقِ في أحلامِ الطفولةِ المشبَعَةِ بالحبِّ البريءِ.(٢)

وفي قصّة «حالة قرف عامّ» تكونُ اللحظةُ الزمنيةُ الحاضرةُ مجرّدَ وعاءٍ لأحداثِ الماضي، منها يستشفُّ السارِدُ اعتياديّتَها وقرفيّتَها في مشاعرِهِ، فالزمنُ الماضي ينْبَسطُ بكلِّ ما فيهِ من لقطاتٍ سرديَّةٍ ودلالاتٍ وصفيَّةٍ على مسرحِ الحاضرِ ويوجّهُهُ إلى التشاكُلِ معَهُ.(٣)

والبُنى السرديّةُ الخمسُ السابقةُ لا تشهدُ توتُّرا سرديًّا متوقَّعاً نتيجةَ الانتقالاتِ من زمنٍ لآخرَ، فالقاصُّ زعلةُ يحيلُ إلى تأمّلاتٍ سَلِسَةٍ قادرةٍ على الربطِ بين الزمنينِ، ولا نجدُ إفراطاً في الشخصياتِ يُؤدِّي إلى ارتباكِ التصوُّرِ الذهنيِّ القِرائيِّ، ولا تعليقاتٍ مطوّلةً يُنْسي ورودُها زمنَ المحكيِّ، إنَّ الانتقالَ الزمنيَّ عند زعلةَ يُصْنعُ في استبطانٍ داخليٍّ سريعٍ لا دخلَ للشُّخُوصِ وحواريّتِها فيه، عكسَ ما نجدُهُ في القِصَصِ التي تَلجأُ إلى طريقةِ المشهدِ

(١) انظر: المصدر السابق، ٣٧-٤٧

(٢) انظر: المصدر السابق، ٧٣-٧٩

(٣) انظر: المصدر السابق، ٩٥-٩٩

الحواريّ لتحويرِ السياقِ الزمنيّ، والخروجِ به إلى فسحةٍ من الفَضَاءِ من خلالِ الحِواراتِ القائمةِ حولَ الأماكن.(١)

٢- الليل والنهار: يواجهُ كُتّابُ السَّردِ معضلةً أزليّةً تتمثّلُ في الانقطاعِ الزمنيّ الذي تفرضُهُ صعوبةُ التزامِ الكاتبِ بترتيبِ الأحداثِ وفقَ تسَلْسُلٍ زمنيّ معيّنٍ، فيضطرُّ إلى القفزِ والانتقالِ من زمنٍ إلى آخرَ مستعملاً عباراتٍ مثلَ: وفي الغد، وبعد قليل، ولما رأيتُه ثانيةً(٢)، وهذه المعضِلةُ نراها في مثلِ قصةِ «وحشة» فالقاصُّ ينتقلُ من زمنٍ لآخرَ بانتقالاتٍ لفظيةٍ سريعةٍ،مثل: "قبل عامٍ أو عامين،"(٣) "بعد أسبوعٍ واحدٍ"،(٤)" "مرّت الأيامُ والشهورُ"(٥)، لكنَّ الانتقالَ من الليلِ إلى النهارَ في نصوصِهِ السَّرديّةِ تحملُ في ترتيبِها تَقَاطُباً فَضَائيّاً مقصُوداً، ويأتي -غالبا- متَّصِلاً بالمنظور السَّرديّ القائمِ على شُخُوصٍ تحملُهُ، وفَضَاءاتٍ مكانيّةٍ وزمانيةٍ تحتويه، ففي قصةِ «وجوه» يَنْفَرِجُ النصُّ عن فَضَاءٍ زمنيّ محدَّدٍ في الليلِ، إذْ يُشيرُ الساردُ إلى الرغبةِ في النومِ بعد عناءِ يومٍ مَشْحُونٍ بالعمَلِ منْ بزوغِ الشَّمسِ وحتى غيابِها"،(٦)وينْغلقُ الفضاءُ بدلالاتِ الليلِ، كالمساءِ،

---

(١) المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية حتى ٢٠٠٥م، راوية عبدالهادي الجحدلي، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ١٣٩

(٢) انظر: مكونات الخطاب السردي: مفاهيم نظريّة. د.الشريف حبيلة، ٣٠

(٣) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ١١

(٤) المصدر السابق، ١٢

(٥) المصدر السابق، ١٢

(٦) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢١

والظلامِ، والنومِ، والمنامِ، والاسترخاءِ، والغفوةِ اللذيذةِ، والإغفاءةِ العميقةِ، والغطيطِ المنبعثِ مع الأنفاسِ،[1] فيصبحُ لدينا في النصِّ السَّرديِّ إشارةٌ سريعةٌ تجاهَ النهارِ الذي انقضى في عملٍ مُضْنٍ، وفيضانٌ ليليٌّ ينهمرُ على تفاصيلِ القصّةِ، في تَقَاطُبٍ شديدٍ يميلُ إلى زمنِ الليلِ، ويُفَسّرُ ذلكَ أنَّ النصَّ مبنيٌّ على القَفْزِ إلى الذاتِ الواعيةِ في لحظاتِ صفاءٍ مسائيٍّ، تسترجعُ أحداثَ النَّهارِ في شكلِ شَبَحٍ ليليٍّ يتعاملُ مع وجوهٍ متملّقةٍ نفعيّةٍ تتراءَى في ما يشبهُ أحلامَ اليقظةِ التي قد تَصِلُ إلى كوابيسَ ليليةٍ، وفي قصّةِ «أقسى من الجرحِ» لايبدوُ الزمنُ الذي يستغرقُ مدّةً زمنيّةً حاضراً في التَّكثيفِ اللغويّ السَّرديّ، فليسَ من المهمّ عند السّاردِ استعراضُ بدايةِ المرضِ في السَّفَراتِ البعيدةِ، ولكنَّ المهمَّ هو الحديثُ عن مآلِ الأمرِ إلى وجودِ مَرضٍ ينتشرُ، ومَخاوفَ من انهدامِ أسرتِهِ الصغيرةِ بسببِ ذلكَ، ومع ذلكَ نجدُ في النصِّ تَقَاطُباً سَريعاً بين طرَفَي الزمنِ الحاضرِ فيه، وهما الليلُ والنهارُ ، فعَنِ الليلِ يقولُ: "هذا المساء عادَ إلى منزلِهِ مثقلَ الخطوِ، خائرَ القُوى .."[2] وعن النّهارِ يقولُ: "وفي الصباحِ انطلقتْ هَيَا ، بكلِّ بهجةِ الأطفالِ، بحقيبتِها المعلّقةِ على كتِفِها، بظفائرِها المجْدُولةِ، بنظراتِ الصَّباحِ الجديدِ، انطلقتْ إلى حجرةِ أبيها لتزرعَ قبلةَ الصَّباحِ على جبينِ والدِها وعينيهِ، واليومَ بالذاتِ لِتُرِيَه شهادةَ تفوّقِها، طرقتْ البابَ مرةً، مرّتينِ، لم يجبْ، فتحتْ البابَ، تدافعتْ خطواتُها

(١) المصدر السابق، ٢١-٢٦

(٢) المصدر السابق، ٤٢

باتجاهِ الأَريكةِ، نظرتْ، فوجدتْ بُقَعاً واسعةً تغطّي الأريكةَ، ووَرَمَاً بحجمِ الكفّ"،[١]وهذا التَّقَاطُبُ يناسبُ حالةَ الفَضَاءِ بشخوصِهِ المتعبَةِ من الألمِ النفسيّ، فالمساءُ هو محلُّ الترقُّبِ والتوجُّسِ، والنهارُ هو انبزاغُ الحقيقةِ، ولو كانتْ مُرَّةً على النفوسِ، والتقنيَّةُ ذاتُها يستخدمُها زعلةُ في قصّةِ «الجدب» فالمساءُ تَنْبَني فيه الأحلامُ الرومانسيّةُ، يقولُ: "في المساءِ جذبَ اهتمامَها شابٌّ يجلسُ على دكّةٍ إسمنتيَّةٍ ..."[٢] والنهارُ ينهارُ فيه الحُلُمُ، وتَتَبدَّى فيه الحقيقةُ كقُرصِ الشمسِ، يقولُ: " كانتْ خيوطُ الشَّمسِ ذائبةً بهدوءٍ، نظرتْ إلى الدكّةِ، لم يكنْ هناك، لمحتْهُ مبتعداً في آخرِ الشارعِ، عرفتْهُ بقميصِهِ الرماديّ، كان يمشي معتمدا على قدمٍ ثالثةٍ"،[٣]وفي نمطٍ مختلفٌ يتقطَّبُ الفَضَاءُ الزمنيُّ إلى ليلةٍ وحيدةٍ فقط، وينحَسِرُ النهارُ عن النصِّ السَّرديّ فلا نجدُ له وجوداً، ويصبحُ النصُّ قطعةً فلسفيّةً عن معنى الليلِ، والبارحةِ، وعن الإحساسِ بالأشياءِ في لحظةٍ زمنيةٍ محدَّدةٍ، يقولُ: " أُحسُّ أنني غيرُ بعيدٍ عن هذا الإحساسِ المميتِ، أشعرُ أنني مع تهادي الأزمنةِ وانصرامِ الليالي، جامدٌ متسمّرٌ في مكاني، أنعي ليلتي لبارحتي، متعلّقاً حدَّ التشبُّثِ بالـ(بارحةِ)، أعيشُ المكانَ ذاتَهُ، لكنني أستعيرُ له زمناً آخرَ"،[٤]وليسَ خافياً أنَّ غيابَ النَّهارِ

(١) المصدر السابق، ٤٧

(٢) المصدر السابق، ٥٣

(٣) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٥٦

(٤) المصدر السابق، ٨٣

مقصودٌ، فهو –ربما– لا يتناسبُ مع الحالةِ الجدليَّةِ التي تتلبَّسُ الشخصيةَ، والليلُ –هنا– زمنٌ جدليٌّ يضفي الديناميكيّةَ على الشخصيّةِ وحالتِها النفسيةِ الوجدانيّةِ، ويخلّصُها من حالةِ الثباتِ والوحدةِ لتصبحَ منفتحَةً ومتعدِّدَةً في آنٍ.(١)

٣ – **العام والخاص:** رغمَ غموضِ الحاضرِ بوصفِه لحظةً آنيَّةً غيرَ مَقبوضٍ عليها، تتوسَّطُ الماضي والمستقبلَ، إلا أنها منبعُ الزمنِ، وأهمَّتُها في مُفصَّلةِ التلفُّظِ زمنياً مؤكدَةٌ، لكنَّ المسافةَ بين الملفوظِ والتلفُّظِ تبدو منعدمةً زمنيًّاً، فالأقوالُ تَصْدرُ مرتبطةً بالأفعالِ مباشرةً،(٢)ومن هنا يتخلّقُ الزمنُ في بعضِ القصصِ لا باعتبارِهِ فَضَاءً زمنياً تنسَرحُ فيه السرديَّةُ المحكيّةُ، بل باعتبارِهِ زمناً خاصًّا بالسَّاردِ، وزمنا عامّا لغيرِه، ولا نلمَحُ في النصِّ طبيعةَ هذا الزمَنَ، ولا حدودَه، ولا فترتَهُ، ففي قصةِ «نشرة لتضاريس الرخام» تنْفَرشُ القصّةُ على مِسَاحةٍ زمنيّةٍ هي نشرةُ الأخبارِ الجويّةِ، التي تقدّمُها مذيعةٌ رخاميّةٌ متغنّجةٌ، ويستجمعُ الزمنُ طبيعتَهُ في الإحساسِ الخاصِّ به من قبلِ السَّاردِ الذي يفوحُ بالاشمئزازِ والرغبةِ في التقيّؤِ، وهي لحظاتٌ زمنيةٌ لها طابَعُها النفسيُّ الخاصُّ، لكنَّها ليستْ معلومةَ الطبيعةِ أو الحدودِ أو الفترةِ، بينما يَنْشَعبُ الزمنُ زمناً عامّا في فضائهِ الكبيرِ بدايةً من الزمنِ المتبدّى على الشاشةِ الفضيّةِ اللازورديةِ، وحتى الزمنِ الذي يُفْهمُ منْ

(١) انظر: البناء الفني ودلالاته في الرواية العربية الحديثة، نزيهة الخليفي، ٨٩

(٢) انظر: الكتابة والتناص في الرواية العربية، دراسة نصية لآليات الإنتاج والتلقي في خطط الغيطاني، الحبيب الدائم ربي، منشورات اتحاد كتّاب المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ١٥٤

استعراضِ تفاصيلِ خارطةِ الكرةِ الأرضيةِ،[١]وفي قصَّةِ «البارحة» يُصبحُ الليلُ فَضَاءً زمنياً خاصَّاً للسَّاردِ يَطْرحُ فيه جدليَّتَهُ الفلسفيَّةَ تجاهَ الإحساسِ باللحَظاتِ الزمنيَّةِ خصوصاً ليلةَ البارحةَ، ويَتَقَاطَبُ مع هذا الزمنِ الخاصِّ زمنٌ عامٌّ يحاولُ أيضا تفسيرَه فلسفيَّاً، يقولُ: "ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ هكذا رَوَى أجدادُنا عن أجدادِهم"،[٢]ويقولُ: "في قريتِنا يُسَمُّون ليلةَ أمسِ بارحةً، وليلةَ قبلِ أمسِ بارحةَ أمسِ، كلتاهما بارحةٌ، لكنَّهم يُسَمُّون الليلةَ القادمةَ داريةً، لمَ سمَّوْها داريةً؟ ما الذي تدري الليلةُ القادمةُ ؟ وكيف تدريه؟ لستُ أدري!"[٣]ونحنُ في هذه القصّةِ إزاءَ ملفوظاتٍ قوليّةٍ تتعلقُ بالحالةِ النفسيّةِ للسَّاردِ أكثرَ من تعلُّقِها بزمنِ البارحةِ، ولذا راحتْ تصنعُ لنا زمنينِ متفَارقينِ في الخصوصيَّةِ والعموميَّةِ، وفي قصّةِ «حالة قرف عامّ» تبدو الإشارةُ إلى الحياةِ البرزخيّةِ والنفخِ في الصُّورِ يومَ القيامةِ زمناً عامًّا يَتَقَاطَبُ معَ الفَضَاءِ الزمنيّ الخاصِّ المْنحَشِرِ في لحظةِ قرَفِ تَسْتبدُّ بالسَّاردِ وهو محشورٌ مع زملاءِ العملِ في بدايةِ عامٍ وظيفيٍّ جديدٍ.[٤]

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٦٥-٧١

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٣

(٣) انظر: المصدر السابق، ٨٥

(٤) انظر : المصدر السابق، ٩٨

٤ – **الزمن العجائبي والزمن الواقعي**: في بعضِ السَّرديّاتِ يَتقَاطعُ الزمنُ مع العَجَائبيةِ، فينعدمُ المنطقُ، وينفتحُ البابُ أمامَ المستحيلِ لِيَقَعَ في لحظةٍ زمنيةٍ عجائبيةٍ،(١)وفي مجموعة «تضاريس الرخام» تحضرُ قصّةُ «وجوه» بتَقَاطُبِها الفَضَائيّ الزمنيّ، فالزمنُ الواقعيُّ يُمَثَّلُ في لحظاتٍ مسائيةٍ تَعْقُبُ نهاراً فائضاً بالعَناءِ يُشيعُ فيهِ السَّاردُ كلَّ معاني النومِ في الليلِ، والزمنُ العجائبيُّ يأتي شبيهاً بأحلامِ اليقظةِ، أو الكوابيسِ غيرِ المكتملةِ، ويدورُ الزمنُ العجائبيُّ في جدرانِ غرفةٍ مظلمةٍ، ويتنقَّلُ فيه شبحٌ شبيهٌ بالسّاردِ، وتدورُ معركةُ النفعيَّةِ والتملُّقِ مع وجوهٍ متقافِزةٍ، والزمَنُ هنا عجائبيٌّ غيرُ منضبطٍ، ولا تمسكُ لهُ حدَّاً، ولا طبيعةً، لكنّه ينتهي بقَطْعٍ من الواقعِ، يقولُ: "استجمعتُ قوايَ وهممتُ بطرحِ أسئلتي عليه، لم أتمكَّنْ من ذلكَ.. الساعةُ اللعينةُ، الساعةُ ذاتُها، عادتْ لتعلنَ بدقّاتها العاشرة.."(٢) وكأنَّ هذا الزمنَ العجائبيَّ غيرَ المحدَّدِ استغرقَ ساعةً واقعيةً؛ فبدايةُ الإغفاءةِ كانتْ في التاسعةِ، ولعلَّ هذا التَّقَاطُبَ بين زمنٍ واقعيّ وزمنٍ عجائبيّ مردُّهُ الرغبةُ في الغوصِ إلى أعماقِ النفسِ الواعيةِ يستبطنُ منها السّاردُ أحكاماً وانطباعاتٍ يعجزُ عن المواجهةِ بها على أرضِ الواقعِ.

(١) انظر: البناء الفني ودلالاته في الرواية العربية الحديثة، نزيهة الخليفي، ٩٢

(٢) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢٦

المبحث الثالث: أثر تقاطب الفضاء على الشخصيات:

يعتقدُ هارفي أنَّ الفضاءَ المكوَّنَ من المكانِ والزمنِ يَحْمِلُ خَصَائِصَ ماديّةً متنوّعَةً تَتَماسُّ مع الطَّبيعةِ الاجتماعيَّةِ في أوضاعِها المتغيّرةِ،(١)فالفَضَاءُ يَتَقَاطَعُ معَ هذهِ الطبيعةِ الاجتماعيَّةِ التي تبدو الشَّخصيَّةُ أبرزَ مكوّناتِها، وفي العَمَلِ السَّرديّ تكونُ الشخصيّةُ رهينةً في السَّردِ للفَواعلِ السَّرديّةِ التي تُؤَدَّى بالبناءِ السَّرديّ، والأدوارِ التمثيليَّةِ في السَّردِ، والدورِ الغَرَضيّ الذي يُحدِّدُ الدورَ الاجتماعيَّ والثقافيَّ والنفسيَّ للشخصية،(٢)وتُبْنى الشخصيَّةُ في السَّردِ بالوصفِ الذاتيّ عن نفسِها، أو الغيريّ الذي يقدِّمُه السَّاردُ عنها، وتُبنى- أيضا- بالحكْي وهو سَردُ ما تفعَلُهُ، وبالحوارِ وهو سردُ ما تقولُهُ، وبالاستظهارِ الداخليّ وهو ما تفكِّرُ به من خطابٍ ذاتيّ،(٣)والشخصيّةُ في السَّردِ تَتَأثرُ بالفَضَاءِ بوصفِهِ منظُوراً سرديًّا، فهو الطريقةُ التي يستطيعُ بها السَّاردُ الهيمنةَ على عالمِه الحكائيّ بما فيه من أبطالٍ يتحرّكون على واجهةٍ تشبهُ واجهَةَ الخشبةِ في المسرحِ.(٤)

وفي مجموعة «تضاريس الرُّخام» تتشكّلُ الشخصياتُ السَّرديّةُ في النُّصُوصِ القصصيّةِ متأثرةً إلى حدٍّ كبيرٍ بظاهرةِ التَّقَاطُبِ المكانيّ والزمنيّ فيها،

(١) انظر: حالة ما بعد الحداثة، بحثٌ في أصول التغيير الثقافي، ديفيد هارفي، ترجة: محمد شيّا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ٢٤٣

(٢) انظر: معجم السرديات، مجموعة من المؤلفين، ٢٧٠-٢٧١

(٣) انظر: تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محد بوعزّة، ٤٠-٤١

(٤) انظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني،٦٢

ففي قصّةِ «وحشة» تنسردُ الشخصيّاتُ وفقَ تشكيلِ الفضاءِ المكانيّ انفتاحاً وانغلاقاً، فتأتي الشَّخصيَّاتُ المنتميةُ إلى الفَضَاءِ المفتوحِ مُبْهَمةَ الوصفِ لا حدودَ لها، ولا نجدُ تأطيراً لها إلا ما يحكيهِ السَّاردُ من غيابِها عن التواصلِ معه عبرَ البريدِ، فهم يَنتَمُونَ إلى عالمٍ لا رُوحَ فيه، ولا أحاسيسَ، ولا رغبةَ في التواصلِ، بينما تَجِيءُ الشَّخصيَّاتُ المنتميَةُ إلى الفَضَاءِ المغلقِ بسردٍ يؤطِّرُ بعضَ أوصَافِها، فهُمْ عمّالٌ آسيَويُّونَ، ملابسُهم مترَبَةٌ، سمرتُهم داكنةٌ، عيونُهم متلهّفةٌ، ودموعُهم تجري على سُطورِ الرسائلِ التي يقرؤونها، والسَّاردُ يقولُ تقديماً لهذا الوصفِ للشَّكلِ: "دخلَ الغرفَةَ فرأى منظرا تمنَّى لو كانَ جزءا من مفرداتِه، في ركنٍ قصيٍّ من غرفةِ الصناديقِ، تحلَّقَ عمّالٌ ..."[1]والقاصُّ زعلةُ- هنا- يُمَارسُ الإخفاءَ القسريَّ لشخصوصِهِ التي زرعَها منتميَةً إلى فَضَاءٍ مفتوحٍ تعبيراً عن إحساسِهِ بغيابِها في فَضَاءِ المجهولِ، بينما يَرْسِمُ نقيضَها في فَضَاءٍ مُغْلقٍ وبحميميَّةٍ كبيرةٍ وبأمنيةٍ أنْ يكون جزءاً من مفرداتِها.

وهذ التكنيكُ في رسمِ الشَّخصيَّاتِ حدَثَ في قصّةِ «المقصلة» فالفَضَاءُ المفتوحُ المَمَثَّلُ ببيتِ الطفلِ حيث يَسْكنُ أبوه وأمُّهُ وجدّتُهُ، والممثَّلُ بالحارةِ حيثُ يتعارفُ مع الصبيانِ، تبدو الشَّخصيَّاتُ فيه فاقدَةً للشَّكلِ الجسمانيّ مطلقاً، لكنَّ السَّاردَ يحكي عن أفعالهم كالأمّ التي تهدّدُ بجزّ شعرِ رأسِه بالسّكينِ، وعن أقوالِهم كالجدّةِ التي تسمّيهِ بأسماءِ الأُنثى، ويبرّرُ ذلكَ التصرّفَ السرديَّ رغبةُ السَّاردِ في تجاوزِ التفاصيلِ في الفَضَاءِ المفتوحِ للذكرى المؤلمةِ، إلى

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ١٥-١٦

تفاصيلَ تعويضيّةٍ في فَضَاءٍ مغلقٍ راحَ يَصُبُّ عليهِ جامَ غضبِهِ من التعبيراتِ اللاذعةِ، ولذا جاءتْ الشَّخصيَّاتُ في الفَضَاءِ المغْلق/محلِّ الحلاقةِ مفعَمَةً بالتفاصيلِ الوصفيَّةِ، فعيونُ الجالسينَ تقرصُهُ، وهم كبارٌ في العمُرِ، واثنانِ منهما يَرشفانِ الشايَ بلذّةٍ، وآخرُ على كرسيّ الحلاقةِ يلتذُّ برذاذِ الماءِ على وجهِهِ، وآخرُ ينتظرُ يتَحَسَّسُ شاربَه المتراكِمَ، والحلاقُ يقطعُ شوطاً في شاربِ آخرَ،(١)هذه التفاصيلُ سمحتْ له أنْ يعبّرَ عن امتعاضِهِ مما حدَثَ له في فَضَائِهِ المفتوحِ عبرَ فَضَاءٍ آخرَ مناسِبٍ.

وربّما فَلَتَتْ الشَّخصيَّةُ من تأثيرِ التَّقَاطُبِ المكانيّ في بعضِ القِصصِ، ففي قصّةِ «اشتعال» يَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى متحرّكٍ تدورُ فيه حكايةُ الحبِّ الطفوليّ، وجامدٍ يَشهدُ التقاءَ الطفلينِ بعد أن كبُرا، والشَّخصيَّتانِ في المكانِ المتحرّكِ تَفِيضَانِ بالحركةِ وإشاراتِ الحياةِ الآملةِ بالعلاقةِ الأبديةِ، لكنَّهما دونَ ملامَحَ شكليّةٍ، بينما في الفَضَاءِ المكانيّ الجامدِ نجدُ الوصفَ الجسديَّ ينطلقُ راسِما الشَّخصيَّتينِ وفقَ تأثيرٍ زمنيٍّ محدودٍ، فالشعراتُ البيضاءُ، والأخاديدُ الصغيرةُ في وجهِهِ، وقامتُها الفارعةُ، وتكوّراتُ جسدِها، التي تعلنُ عن أنثى ناضجةٍ كانت علاماتٍ جسديّةً حاضرةً في المكانِ الجامدِ، وربّما كانَ هذا الانفلاتُ مقصُوداً لرغبةِ السَّاردِ في التعبيرِ عن البراءةِ في فَضَاء الطُّفولةِ، والتعبيرِ عن الحسرةِ المشوبةِ برغبةٍ في فَضَاء الكِبَرِ واستدارةِ الزمان!

(١) انظر: المصدر السابق، ٣١-٣٥

والتَّقَاطُبُ الفَضَائيُّ الزمنيُّ هو أيضا يُعْمِلُ أداتَه في رسمِ شخصيَّاتِ النصوصِ، فعند تَقَطُّبِ الزمنِ إلى ماضٍ وحاضرٍ يَكثرُ في سَردِ زعلةَ ما يُسمّى باشتغالِ الذاكرةِ، وهو ما يُعْرَفُ بالاسترجاعِ؛ وهو أنْ يَرويَ السَّاردُ للقارئِ فيما بعدُ ما وقعَ من قبلُ،[١]ففي قصة «وحشة» لايكفُّ السَّاردُ عن تذكّراتِه لماضيهِ مشفوعةً بأملِ عودَتِهِ، يقولُ: "حدَّثَ نفسَهُ ساعتَها، .... سيستعيدُ ذكرياتٍ قديمةً مع أصدقاءَ قدامى، زملاءِ الدراسةِ، أولئك الذين التقى بهم في مناسباتٍ عارضةٍ، أحسَّ بنكهةٍ جديدةٍ تلِجُ بينَ ضلوعِه"[٢]وفي «المقصلة» نجدُ شخوصَ الماضي على ندرتِها وندرةِ أوصافِها لا تُؤدَّى إلا عن طريقِ الاسترجاعاتِ المفاجئةِ وهو يسردُ واقعَهُ الحاضرَ في محلِّ الحلاّقِ، وفي «أقسى من الجرح» يَتَقَطَّبُ زمنُ السَّردِ إلى ماضٍ وحاضرٍ، ولا يتبدَّى الماضي إلا في استرجاعاتٍ قصيرةٍ موجزةٍ، وكأنَّ السَّاردَ يتمنَّى أنَّ حوادثَهُ لم تكنْ، وفي «اشتعال» يكونُ الماضي محرّضا كبيراً على الاسترجاعاتِ الكثيرةِ، يبدؤُها بقوله: "هُراءٌ أنَّ كلَّ هذه السنين برغم طولِها قد فرّقَتْ بينهما"[٣]ثمَّ تنثالُ الاسترجاعاتُ تُصَوّرُ طفلينِ ينمو بينهما حبٌّ طفوليٌّ تتحرَكُ من خلالها الشخصيَّتانِ في حيويةٍ وسرورٍ، وكأنَّ السَّاردَ يمتاحُ من ذكرياتِهما مقوّماتِ حكمِهِ الذي افتتحَ به سردَهُ، وفي «حالة قرف عام» يكونُ تَقَطُّبُ الفَضَاءِ الزمنيّ إلى ماضٍ وحاضرٍ عاملاً كبيراً في حَشْدِ السَّردِ بالصُّوَرِ الوصفيّةِ

(١) تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محد بوعزّة، ٨٨

(٢) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ١١-١٢

(٣) المصدر السابق، ٧٥

للشَّخصيَّاتِ استناداً على ماضيها، رغمَ أنَّ الحدثَ يقعُ في الحاضرِ حيثُ اليومُ الأوَّلُ في بدايةِ العامِ الوظيفيِّ الجديدِ، فتحيّةُ الصباحِ، وسلامُ الأوجهِ، ورائحةُ العطورِ، والقيامُ والقعودُ، والأحاديثُ المعادةُ، والأفواهُ الملبّدَةُ ببقايا الليلِ وعفَنِه، وفغرُها وانطباقُها، كلُّها أوصافٌ مستَلبةٌ من الصُّوَرِ الماضيةِ استدعاها السَّاردُ لتأبينِ الحالةِ الحاضرةِ في مشهدٍ قُبوريٍّ بائسٍ.(١)

وعندما يَتَقَاطَبُ الفَضَاءُ الزمنيُّ إلى ليلٍ ونهارٍ نشهدُ السَّاردُ يحملُ شخوصَه ليلا –غالباً– على الخمولِ والإعياءِ، والرغبةِ في السكونِ، والتأمُّلِ والجَدلِ الفلسفيِّ، ففي قصّةِ «وجوه» نجدُ الليلَ ملاذَ السَّاردِ من عناءِ النَّهارِ، يقولُ: "حين دخلتُ المنزلَ ما كنتُ ألوي على شيءٍ سوى الفراشِ، أدفنُ فيه هذا العراكَ المتعاظمَ في كلِّ ذرةٍ من جسدي الممزّقِ"(٢)وفي قصة «أقسى من الجرح» يحضرُ المساءُ فيتحدّثُ السَّاردُ عن نفسِهِ بأنه يعودُ إلى منزلِهِ مثقلَ الخطو، خائرَ القُوى،(٣)وفي قصة «البارحة» يبدو السَّاردُ في جدَلٍ نفسيٍّ حولَ معنى البارحةِ ودلالةِ الزمنِ وتغيّراتِه، ويعبّرُ عن شَغَفِه وتَوقِهِ إلى ليلةٍ مختلفةٍ،(٤)بينما يكونُ النَّهارُ حامِلاً شخوصَهُ على الحيويَّةِ والتدفُّقِ، ففي قصة «أقسى من الجرح» تنطلقُ هَيَا في الصَّباحِ بكلِّ بهجةِ الأطفالِ،(٥)وفي قصة

(١) انظر المصدر السابق، ٩٨-٩٩

(٢) تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢١

(٣) انظر: المصدر السابق، ٤٢

(٤) انظر: المصدر السابق، ٨٥

(٥) انظر: المصدر السابق، ٤٧

«الجدب» تبكّرُ الفتاةُ في اليقظةِ صباحاً، وتعدُّ لنفسِها كوباً من الحليبِ،[١]ويبدو أنَّ تَقَاطُبَ الفَضَاءِ الزمنيّ إلى ليلٍ ونهارٍ لا يَحْمِلُ نمطاً سرديَّاً مُغايراً لما اعتادَهُ الناسُ في طبيعةِ الأوقاتِ، بلْ إنَّ النظرةَ الفطريَّةَ في النصوصِ المشارِ إليها تحفُلُ بنظرةٍ قرويّةٍ محضةٍ تجاهَ الليلِ خاصّةً، عكسَ الليلِ الذي يَمُوجُ بالصَّخبِ كما تصوّرهُ سرديّاتُ المدينةِ، ولعلَّ قصّةَ «البارحة» كاشفةٌ لمدى الارتباطِ الوثيقِ بين القاصّ زعلةَ ومدلولاتِ القرويينِ حولَ الليلِ.[٢]

ويتحكّمُ المنظورُ السرديُّ المبنيُّ على فَضَاءاتِ النصوصِ في بناء الشَّخصيَّاتِ، بل إنّه يتحكَّمُ في بناء القصّةِ كلّها، "فالمعنى بالنسبةِ لكاتبِ القصّةِ ركنٌ من أركانِ الحدثِ، وجزءٌ لا ينفَصِلُ عنه، ولذلكَ فإنَّ الفعلَ والفاعلَ أو الحوادثَ والشخصيَّاتِ يجبُ أنْ تقومَ على خدمةِ المعنى"[٣]وهذا واضحٌ في قصّة «الجدب»، فالقاصُّ ينبِئُنا عن العجزِ المجتمعيّ الكليّ للوفاءِ بتحقيقِ رغبةٍ كريمةٍ لفتاةٍ من ذوي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ التي لا تَفْقِدُ من مقوّماتِ الحياةِ الكريمةِ شيئا سوى أنها مُصَابةٌ في رجلِها اليُسرى، ويَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى داخلٍ تعيشُ فيه الفتاةُ في غرفتِها، وخارجٍ تُطلُّ من خلالهِ على شابٍ مُبْهمٍ إلا من نظراتِ عينيهِ وقميصِهِ الرماديّ وإعاقتِهِ، ويَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ الزمنيُّ بالتَّساوي بين ليلٍ ونهارٍ فيُصبحُ الفَضَاءُ عاملاً رئيساً في رسمِ الشَّخصيَّتينِ، فتأتي شخصيّةُ الفتاةِ مطحونةً بشعورِ العجزِ، جمالُها باهرٌ،

(١) انظر: المصدر السابق، ٥٢

(٢) انظر: المصدر السابق، ٨٣-٨٦

(٣) فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ٥٦

وطفولَتُها بيضاءُ، تعجزُ عن المشي السويّ، وهي رومانسيَّةٌ صامتةٌ، تحبُّ الوقوفَ عند النافذةِ، تبكّرُ في الاستيقاظِ، ترشفُ من كوبِ الحليبِ، وتقرأُ في دفاترِها الورديّةِ، وتحبُّ الكتابةَ عن الحبِّ والأملِ والحياةِ،(١)والسَّاردُ هنا يُقدِّم منظورَه السَّرديَّ الذي يَنُصُّ على سؤالٍ كبيرٍ: ما الذي ينقصُ هذه الفتاةَ كي تعيشَ حياةً زوجيةً كريمةً؟! وتأتي على النقيضِ شخصيّةُ الشابِّ/المجتمعِ غامضةً مُبْهَمةً عاجزةً، وكأنَّ السَّاردَ ينقلُ معنى العجزِ إلى مكانِهِ الصَّحيحِ، ناحيةَ المجتمعِ الذي لا يُحْسِنُ التعاملَ مع مشكلةٍ لأحدِ أفرادِهِ.

وقد يتحكّمُ المنظورُ السَّردىُّ في تأطيرِ الشَّخصيَّاتِ إلى حدِّ رسمِها وفقَ الأحاسيسِ المرتبطةِ بالسّاردِ لا من حيث كينونَتُها الحقيقيةُ، ففي قصةِ «دم فارع» يَتَقَطَّبُ الفَضَاءُ المكانيُّ إلى قريبٍ وهو الغرفةُ التي يُطالعُ فيها الشاشةَ الإخباريّةَ التي تغُصُّ بمشاهدِ المجازرِ التي تدورُ في الأراضي المحتلّةِ، و إلى بعيدٍ تمَثِّلُهُ تلك الأماكنُ البعيدةُ، ويُسهمُ المنظورُ السَّرديُّ الذي ينصُّ على وجوبِ مواصلةِ الكفاحِ ضدَّ المحتلِّ الصهيونيّ، فيستعيرُ السّاردُ مشهدَ الدمِ، ليجعلُهُ يطغى على رسم الشَّخصيَّاتِ، فهي وجوهٌ من دمٍ فارعٍ طافحٍ، وملاءاتٌ حمرٌ، وصدورٌ عاريةٌ حمراءُ، تصيحُ بالدمِ، وتبصقُ بهِ، لاشيءَ غيرُ الدمِ في ازدحامِ الشَّخصيَّاتِ التي رُسِمَتْ وفقَ فانتازيا تخيُّليةٍ تتوافقُ مع المنظورِ السَّرديّ، فيما بدا الفَضَاءُ بمكانِه وزمنِه لا تأثيرَ له على تأطيرِ الشَّخصيَّاتِ في شكلِها الدمويّ.(٢)

---

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٥١-٥٥

(٢) انظر: المصدر السابق، ٦٢-٦٣

والتكنيكُ ذاتُهُ يتَّخذُهُ القاصُّ زعلةُ في قصةِ «وجوه» فالمنظورُ السَّرديُّ يُقدِّمُ نقداً لاذعاً للمُمَارساتِ النفعيّةِ في مجالِ العملِ، ونقداً لمفهومِ النفاقِ الاجتماعيّ المستترِ بدعوى المجاملاتِ اللطيفةِ، وفَضَاءُ القصَّةِ يَتَقَطّبُ إلى مغلقٍ وهو الغرفةُ التي انسدحَ في سريرِها راغباً في التخلُّص من عناءِ يومٍ عمليٍّ شديدٍ، وإلى مفتوحٍ وهو مسرحٌ تخيّليٌّ على جدرانِ الغرفةِ يتنقّلُ فيه شبحٌ مشابهٌ للسَّاردِ، وشخوصٌ تتعلّقُ به، وفي حين كانَ السَّاردُ يتحدَّثُ عن نفسِهِ بتفاصيلَ وحميميّةٍ في فضائِهِ المغلقِ، كان يكتفي بالحديثِ عن وجوهٍ أشبَهَ بالأقنعةِ تتقافزُ في جيبِ الشَّبحِ، ويبرّرُ هذا التصرُّفَ السرديَّ رغبةُ السّاردِ في تصويرِ الشخصيةِ الأساسيّةِ على أنها طبعيَّةٌ متصالحةٌ مع ذاتِها ومع الآخرين، وتصويرِ الآخرين باستعارةِ أقبحِ ما فيهم وهي الوجوهُ المتملّقةُ النفعيَّةُ.(١)

وفي المجملِ فإنَّ تأثيرَ التقاطبِ المكانيّ والزمني في بناءِ الشَّخصيَّاتِ في النصوصِ السرديّةِ –هنا– يبدو نسبيَّاً من سرديّةٍ لأخرى، تحكُمُهُ الذاتيّةُ المفرطَةُ لدى السَّاردِ إذْ تتمحوَرُ –غالبا– البنيةُ السَّرديّةُ حولَه، مما جعلَ وصفَ الشَّخصيَّاتِ مستنداً إلى إحساسِه بها بنسبةٍ كبيرةٍ، فذاتيَّةُ السَّاردِ هي بمثابةِ النواةِ السرديّةِ في نصوصِ «تضاريس الرّخام»، ومن المعلومِ أنَّ النواةَ السَّرديّةَ في أيِّ نصٍّ تحدّدُ الملفوظاتِ التي تشكّلُ الصبغَةَ السرديّةَ له، ونمطيّةَ النصّ فيه، وانتماءَه القوليَّ.(٢)

---

(١) انظر: تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، ٢٣–٢٦

(٢) انظر: في النظرية السردية، رواية الحي اللاتيني مقاربة جديدة، د.عبدالرحيم جيران، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، طبعة ٢٠٠٦م، ٦٨

الخاتمة:

قامتْ هذه الدّراسَةُ على تَفْصِيلِ التَّقَاطُبِ الفَضَائيّ مَكانيَّاً وزمنيَّاً في مجموعةِ «تضاريس الرخام»، فَعَلَّلَتْ لأنواعِ التَّقَاطُبِ المكَانيّ السَّبعةِ التي تَظْهرُ في البِنْيَةِ السَّرديَّةِ للنُّصُوصِ، وفسَّرتْ تشكُّلاتِ الفَضَاءِ الزمنيّ في تقاطُبَاتِهِ الأربعَةِ التي نُسِجَتْ البُنى السَّرديَّةُ فيها، ثمَّ عَرَجَتْ إلى تبيانِ تأثيرِ ذلكَ التَّقَاطُبِ على بناءِ الشَّخصيَّاتِ.

وتوصّلتْ الدراسةُ إلى إبرازِ الظاهرةِ السَّرديّةِ مُرْجِعَةً إيّاها إلى نُصُوصِها، مظهرَةً المنظورَ السرديَّ الذي يَلْتَئِمُ من خلالِها، وتأثيرَها على تقنيةِ البناءِ لأهمِّ عَنَاصِرِ السَّرْدِ، ومُتَيَقِّنَةً بعد فَحْصِ الظاهرةِ في مظانِّها منْ بَرَاعةِ القاصِّ في تَكْوينِ فضائِهِ السَّرديّ المتَقَاطِبِ في لغةٍ قصَصِيَّةٍ رفيعةٍ، ونظامٍ نقديٍّ مجتمعيٍّ ناجِعٍ، وذاتيّةٍ تَتَمترَسُ بشاعريّةِ المشَاعرِ قبلَ شاعريّةِ الملفوظاتِ، ومنظورٍ يتفرَّدُ أحيانا ويشتركُ مع غيره أحايينَ أخرى.

وتُوصِي الدِّراسَةُ بِتَفْعيلِ الدَّرسِ البَحْثيّ في هذا المِضْمَارِ خُصُوصَاً عندَ جِيلِ الكُتَّابِ الشَّبابِ في مَجالِ القِصَّة القصيرةِ، والقصَّةِ القصيرةِ جداً.

***

المصادر والمراجع:

١. تضاريس الرخام، علي أحمد زعلة، نادي أبها الأدبي، مطابع الجنوب، أبها، طبعة ١٤٢٥هـ.

٢. أركانُ الروايةِ، إ.م.فورستر، ترجمة: موسى عاصي، المراجعة اللغوية: د.سمر روحي الفيصل، جروس برس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣. إنشائية القصة القصيرة دراسةٌ في السردية التونسية، د.محمد القاضي، الوكالة المتوسطية للصحافة، وحنبعل للإنتاج الإعلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٤. بناء الرواية العربية السورية، سمر روحي الفيصل، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، طبعة ١٩٩٥م.

٥. البناء الفني ودلالاته في الرواية العربية الحديثة، نزيهة الخليفي، الدار التونسية للكتاب، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٦. بنية الشكل الروائي، الفضاء- الزمن- الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

٧. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، ٢٠١٥م.

٨. تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

٩. تحليل الخطاب السردي: وجهة النظر والبعد الحجاجي، محمد نجيب العمامي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنّوبة، ومسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٠. تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزّة، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١١. جماليات المكان، جماعة من الباحثين، الناشر: عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٢. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
١٣. حالة ما بعد الحداثة، بحثٌ في أصول التغيير الثقافي، ديفيد هارفي، ترجمة: محمد شيّا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
١٤. دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائيةِ، رواية الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى لعبدالرحمن منيف أنموذجا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٦م.
١٥. دينامية النص، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، والمغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٦. سيرورة الدلالة وإنتاج المعنى، قراءة سيميائية في الأدب السعودي المعاصر، د.شادية شقروش، دار جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
١٧. شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
١٨. عالم القصة، برنار دي فوتو، ترجمة: د.محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، طبعة ١٩٦٩م.
١٩. فن الرواية، ميلان كونديرا، ترجمة: أحمد عمر شاهين، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٢٠. فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.
٢١. في النظرية السردية، رواية الحي اللاتيني مقاربة جديدة، د.عبدالرحيم جيران، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، طبعة ٢٠٠٦م.
٢٢. الكتابة والتناص في الرواية العربية، دراسة نصية لآليات الإنتاج والتلقي في خطط الغيطاني، الحبيب الدائم ربي، منشورات اتحاد كتّاب المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٣. معجم السردياتِ، مجموعة من المؤلفين، إشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٢٤. معجم المصطلحات اللغوية، عربي-فرنسي-إنجليزي، د.خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٢٥. المكان في القصة القصيرة السعودية بعد حرب الخليج الثانية حتى ٢٠٠٥م، راوية عبدالهادي الجحدلي، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢٦. مكونات الخطاب السردي: مفاهيم نظرية، د.الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٧. المورد الحديث، قاموس إنكليزي عربي، منير البعلبكي ود.رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة ٢٠٠٨م.

***

القَصْدِيَّةُ في خِطابِ خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ
المَلِكِ سَلْمَانَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ
(الخِطَابُ السَّنَوِيُّ لمجلِسِ الشُّورَى حتى السّنة السّابعة أُنمُوذَجًا)

د. حمدة بنت خلف العنزي

قسم الأدب – كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

القَصْدِيَّةُ في خِطابِ خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملِكِ سَلْمَانَ بنِ عَبدِ العَزِيزِ (الخِطَابُ السَّنَوِيُّ لمجلِسِ الشُّورَى حتى السّنة السّابعة أُنمُوذَجًا)

د. حمدة بنت خلف العنزي

قسم الأدب – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٣٠/ ٢/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ٦/ ٤/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

يَتميَّزُ الملِكُ سَلْمَانُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ – حَفِظَهُ اللهُ– بالتَّنوُّعِ الثَّقَافِيّ، والفِطنةِ والذَّكاءِ، وذلِكَ يرجعُ إلى نَشأتِهِ الأُولى، ونُبُوغِهِ المبكِّرِ، انعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى لُغَتِهِ، وخِطَاباتِهِ المائزَةِ، وتَمَاسُكِ أُسْلُوبِهِ.

ويَحرِصُ الخِطَابُ السِّيَاسِيُّ عَلَى اللُّغَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ؛ التي تَسْتَهْدِفُ مخاطَبًا مخصُوصًا؛ لديهِ القُدرةُ عَلَى فكِّ شِيفرَتِها، ويَتَناولُ الخِطَابُ السِّيَاسِيُّ قضَايا الوَاقعِ المحلِّيّ والخَارجِيّ، وغَرضهُ تَوجيه الرَّأْيِ العامِّ نَحوَ غرضِهِ. وقدْ أَوْلتِ التَّدَاوُلِيَّةُ اهتِمَامًا كَبِيرًا لِلْقَصْدِيَّةِ، ونَرَى العِنَايةَ نَفسَهَا بالقَصْدِيَّةِ؛ لَدَى عِلْمِ اللُّغَةِ النَّصِّيّ، وهِيَ أَحَدُ معاييرِ النَّصِّيَّةِ السَّبْعَةِ.

وقَد قَسَّمتُ بحثَ القَصْدِيَّةِ في خِطَاباتِ الملِكِ سَلْمَانَ– حَفِظَهُ اللهُ– ثلاثة مباحثَ، المبحَثُ الأوَّلُ مِنهَا: سياقات القصديّة؛ وهيَ سياقات سياسيّة، واجتِمَاعِيَّةٌ، ونَفْسِيَّةٌ، وثقافيَّة، والمبحثُ الثَّاني: الأَفْعَالُ الكَلَاميَّةُ، وقد دَرَستُها وَفقًا لتَصْنيفِ كُلٍّ مِن أُوستِين (Austin)، وتَصنيفِ جون سِيرلَ (John Searle)، وختَمْتُ البَحْثَ بالمبحَثِ الثالث: المبدأُ التَّعَاوُنِيُّ، ودَرستُهُ وَفقًا لتحليلِ غرايس؛ مِن خلالِ محورَي: الصِّدْق، والمعرفةِ المشْتركةِ.

الكلمات المفتاحية: الخِطَابُ، المقْصِدِيَّةُ، المقَاصِدُ الظَّاهِرَةُ، المقَاصِدُ غَيرُ الظَّاهِرةِ، الأَفْعَالُ الكَلَاميَّةُ

Intentionality in the speech of the Custodian of the Two Holy Mosques, King Salman bin Abed Al -Aziz (the annual speech of the Shura Council as a model)

Dr. Hamdah Khalaf Mogbl Alanazi
Department Arabic Language - Faculty literature
Imam Mohamed Ibn Saud Islamic university

Abstract:

King Salman ibn Abdul Al- Aziz -may God protect him- is characterized by cultural diversity, acumen, intelligence, due to his inception, the first, early genius, reflected in his language, his speeches distinctive, and the coherence of his style.

Political discourse is keen on communicative language, which is specifically aimed at a special discourse. It can decipher it, and political discourse addresses issues of domestic and external reality. And its purpose is to direct public opinion toward its purpose.

Deliberative has paid great attention to intentionality. And we see the same care being given to intentionality. In textual linguistics, it is one of the seven standards of textually.

I have divided the study of intentionality in the speeches of King Salman - may God preserve him - into three sections, the first of which is

,Intent contexts the first of which was: the contexts of intent: political, social, psychological, cultural

The second topic: is speech acts; I studied them according to the classification of each of Austin, the classification of Searle. I concluded the research with the third topic: the cooperative principle and I studied it according to Grace's analysis; through two axes: honesty, and shared knowledge.

key words: speech - intentional - apparent intentions - non-apparent intentions - speech act.

مُقَدِّمةٌ:

وُلدَ خَادِمُ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَانُ بنُ عبدِ العَزِيز آلِ سُعُود في الرِّيَاضِ ٥/ ١٠/ ١٣٥٤ هـ الموافِق ٣١/ ١٢/ ١٩٣٥، وقَد عُرِفَ النُّبوُغُ عنهُ – حَفِظَهُ اللهُ – مُنذُ الصِّغَر؛ فالتَحَق في سنِّ مبكّرةٍ بمدرسَةِ الأُمَراءِ التي شُيّدت في عهدِ الملكِ عبدِ العَزِيز، وأَدارَها الشَّيخِ عبدِ اللهِ بن خيَّاط إمامِ الحرمِ المكّيّ الشَّريفِ وخَطيبِهِ، وختم حفظَهُ اللَّهُ القُرْآنَ الكريمَ في سِنّ العَاشِرة؛ فَعُرِفَ عنه – حَفِظَهُ الله– فِطنَةٌ، وذَكَاء نادِرَان مَورُوثان؛ ممّا مكَّنَهُ مُبكّرًا مِنْ مُشَاركتهِ في إدارةِ البِلادِ؛ إذْ تَولَّى إمَارة الرّيَاض نِيابةً عَامَ ١٩٥٤م / ١٣٧٣ هـ في التَّاسِعَةَ عَشَرةَ مِنْ عُمْرِه، وفي العَامِ التالي تولَّى إمارتَها برُتبة وَزير، ثمَّ في عَامِ ١٩٦٠م /١٣٧٩ هـ تقدَّمَ باستقالتِه، وسُرعَانَ ما عَادَ إليهَا في عامِ ١٩٦٣م/١٣٨٢ هـ؛ إذ شَهِدَت ازدِهارًا لم يُشهَدْ مَثيلٌ لَه؛ فغدَتْ منارةَ اِلثَّقَافَةِ والنَّهْضَةِ عُمْرَانِيًّا وحَضَارِيًّا، فتَمَّ تَعيينُهُ –حَفِظَهُ الله– وزيرًا للدِّفاعِ في عامِ ٢٠١١م/١٤٣٢ هـ، وفي عام ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ صدرَ لهُ أمرٌ ملَكِيٌّ وَليًّا للعَهدِ، وفي ٢٣ يناير ٢٠١٥م، ٣ ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ الميمونِ غدا مَلِكًا للمَملكةِ؛ فَقَامَ بجُهُودٍ فَريدَةٍ في خِدمةِ قَضايَا المسْلِمِينَ عامَّةً، والسُّعُودِيِّينَ خَاصَّةً؛ فأَسهمَ في الجمعيَّاتِ الخيريَّةِ إسهامًا دؤُوبًا، وبخاصَّةٍ الأعمَالُ الإنْسَانِيَّةُ، كما لم يألُ جُهدًا في دَعمِ القَضايا الإسْلَاميَّة والعربيّ، ونُصرَتِها في كلِّ مكانٍ، وبذلَ غايَةَ الجُهُودِ في الارتقاءِ بالمْلَكَةِ إلى أعلَى مُستوَى يخدمُ مصالحَها، ومَصَالِحَ أُمّتيهِ: العَرَبِيَّةِ والإسْلَاميَّةِ.

وهذِهِ الحياةُ المِعطَاءَةُ عَلَى الأَصْعِدَةِ كافَّةً، وبيئتُهُ العزيزة التي أكسبتهُ صفاتِها؛ جعلتهُ شَخْصِيَّةً ثرَّةً بخبراتٍ ثَقَافِيَّةٍ متنوّعةٍ منذُ البِداياتِ الأُولى، وشَخْصِيَّةً مُؤثّرةً في المستوَى العالميّ بِشَكلٍ بَارزٍ، كَمَا كَانَ لِهذهِ السِّمَاتِ تَأثِيرُها في تَكوُّن الخِطَاب؛ فاتَّسَمَ بسِماتٍ لُغويَّةٍ مائِزَةٍ عنِ الخِطَاباتِ كافَّةً[1]،يتنوَّعُ ما بين جَمَالِيّ أَدَبِيّ فَنِّيّ، وعِلْمِيّ قَضَائِيّ تِقَنِيّ، أو اقتصادِيّ، أو تَعْليمِيّ، أو سِيَاسِيّ، أَو رياضِيّ[2].

وخِطابُ الملكِ سَلْمَانَ – حَفِظَهُ اللهُ- السِّيَاسِيُّ في مجلس الشُّورى يُعدُّ شَكلًا من التَّفاعلِ الاجتماعي؛ يحملُ أُطرًا فِكرِيَّةً؛ فَهُوَ تَعبيرٌ عنِ النِّظَامِ السِّيَاسِي لِإيصالِ أفكارِهِ إلى الجُمْهُورِ في عَمَلِيَّةٍ تَفَاعُلِيَّةٍ؛ يحصلُ بها النِّظَامُ عَلَى ما يُعرفُ بالمدْخَلَاتِ، التي يَقُومُ بتَحليلِ لها، ومُعالجَاتِهَا، والردِّ عَلَيها؛ في صُورِ قَرارَاتٍ، أَو سِيَاسَاتٍ، أوْ مُخرجَاتِ النِّظَامِ[3].

ويَتَناولُ الخِطَابُ السِّيَاسِيُّ، عَادَةً، قضايا الوَاقعَينِ: المحلّيّ الدَّاخليّ والدَّولِيّ الخَارجِيّ؛ وغَايتُهُ توجيهُ الرَّأْيين: العامّ المحلّيّ وَالعالَمِيّ الخَارجِيّ؛

---

(١) يُرَاجَعُ: حصَّة بنت سُعُود الهزاني، السِّمات الأُسلُوبيَّة في خطابِ خادم الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز " الخطابُ السَّنَوِيّ لمجلِسِ الشُّورَى نموذجًا"، حوليَّة كليَّة اللُّغة العربيَّة، إيتاي البارود، جامعة الأزهر، ع٣٢، ١٤٤٠- ٢٠١٩م، ص ٥٠٨- ٥١٠.

(٢) يُرَاجَعُ: صابر محمود الحباشة، الأُسلُوبيَّة والتَّدَاوُليَّة "مدخل لتحليل الخطاب"، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م، ص ٤٩.

(٣) يُرَاجَعُ: مازن أحمد صدقي، وسوزان جمعة يعقوب، الخطاب السِّيَاسِيّ للملك عبد الله الثاني بن الحسين وأثره في التنمية البشريَّة في الأردن ١٩٩٩- ٢٠١٥م، مجلة دراسات العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، الجامعة الأردنيَّة، مج٤٦، ع٣، ٢٠١٩م، ص ١٥٠.

فيسوّغ الإجراءاتِ سِيَاسِيّةً، أو عسكريَّةً، لِإضفَاءِ مشْرُوعِيَّةٍ عَلَيهَا، أو تقريرِ سِياسَتِهِ، ونقدِ سِيَاسَةِ خَصْمِهِ، أو نَقْضِها.

وقَصدُهُ، أَيضًا، مَزيدٌ مِنَ فَرضِ هَيمنَتِهِ والإذْعانِ لها، وتحقيقُ مَصالحِهِ، وإصَابةُ أهدافِهِ، واستقطابُه، والتَّوجيهُ نحوَ أهدافِهِ؛ وتقويضِ خِطَابِ المعَارِضِين؛ فيوظّفُ له وَسَائِلَ لُغَوِيَّةً تَأْثِيرِيَّة وإقْنَاعِيَّةً خَاصَّةً[1].

ويختَلفُ الخِطَابُ السِّيَاسِيُّ عَن غَيرِهِ منَ الخِطَاباتِ مِن حَيثُ بناؤُهُ اللُّغويّ أوِ بناؤهُ الأُسْلُوبيّ خَاصَّةً؛ وطَبيعةِ لُغَتِهِ التَّوَاصُلِيَّةِ المسْتَهْدِفَةِ مُتلقّينَ مَخصُوصين؛ لِتُفكّ شِيفرتُها؛ ممّا يَعنِي أنَّهُ مَعَ أنَّ اللُّغَةَ السِّيَاسِيّةَ تواصليَّةٌ؛ تَسْتَهْدِفُ وُضُوحًا ومُباشَرةً؛ بهدَفِ الإفْهَامِ والتَّأثيرِ والإقناعِ لِلمُتَلَقِّينَ، وتَأَمُّلِ مَا تَتَّسِمُ بِهِ مِن دَلَالَاتٍ، ولُجُوْئِها إلَى استِعاراتٍ خَاصَّةً؛ تَجعلها في حاجةٍ إلى تأمُّلٍ وفَهْمٍ وتَأْوِيلٍ؛ لِخُصُوصِيَّتِها البرَاغمَاتِيَّةِ؛ تَتسِمُ بها؛ فتكُون أكثرَ تأثيرًا في المتَلَقِّين[2].

إذًا فالقَصْدِيَّةُ (Intentionnalité) كامنةٌ في كلِّ خِطَابٍ سِيَاسِيّ؛ وتؤدِّي دورًا مميَّزًا فيه، ومن ثمَّ وقعَ اختياري عَلَى دِرَاستِهَا في خطابِ الملك سَلْمَان – حَفِظَهُ الله– وقبلَ الخوضِ في تحليلِ هذهِ الظَّاهِرةِ؛ يمكنُنا التَّعرُّفُ إليها في إطارها النَّظريّ قبل التَّطبيقِيّ.

(١) يُرَاجَعُ: محمود عكاشة، تحليل الأفعال الإنجازية في الخطاب السِّيَاسِيّ دلالة الفعل في خطاب السلطة في ضوء نظرية الموافقة المقامية، ط١، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٦، ص ١٢.

(٢) يُرَاجَعُ: نورية لعرباوي، آليات الحجاج في الخطاب السِّيَاسِيّ " الرسائل السِّيَاسِيّة للأمير عبد القادر نموذجًا، رسالة دكتوراه، جامعة وهران– أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٨، ص ٣٣.

القصديّة من القصدِ، والقَصدُ لُغَةً: إتيانُ الشَّيءِ، وقَصَدُوا قَصْدَهُ نحَوا نَحوَهُ، والقَصدُ هو استقامةُ الطَّريقِ، والطَّريقُ القاصِدُ السَّهلُ المستَقِيمُ، والقَصدُ خِلافُ الإفرَاطِ[١]. "وأقصَدهُ السَّهمَ إذَا أصَابهُ؛ فقتلَ مكانَهُ"[٢].

لقد أَوْلَتِ التَّدَاوُلِيَّةُ (Pragmatics) اهتمامًا وَاضِحًا لِلْقَصْدِيَّةِ؛ لكَونها أحدَ معاييرِ النَّصيّةِ السَّبْعَةِ؛ التي تتمثَّلُ في: القَصْدِيَّةِ، والمقْبُولِيَّةِ، والمقَامِيَّةِ، والسَّبْكِ، والحَبْكِ، والإعْلَامِيَّةِ، والتَّناصِّ[٣]. وقد ظهَر مفْهُومُ القَصْدِيَّةِ بِدايةً لدى فيلسُوفِ الظَّاهِراتِيَّة إدموند هُوسِرل الَّذي عَدَّهَا صِفةً أَساسًا لكُلّ شُعورٍ، وكذا في نظريَّتي: الأَفعَالِ الكَلَامِيّةِ لدى أوستين وسيرل، والاستلزامِ الحِوَارِيّ لدى غرايس"[٤].

ويُعرِّفُ سيرل القَصْدِيَّةَ بأنَّها سِمةٌ لِلعقْلِ لتَوجيهِ حالَاتِه العَقليَّةِ، أو ما يتعلَّقُ بها، أو يُشيرُ إليها، أو يَهدفُ في العالمِ نحوَها، ومما يميّزُها أن الشَّيءَ لا

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، مادة :(ق ص د)، ويراجع، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، مادة: مادة :(ق ص د).

(٢) أحمد بن فارس معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، مادة: مادة :(ق ص د).

(٣) يُرَاجَعُ: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠٢- ١٠٥.

(٤) يُرَاجَعُ: شريفة أحمد حسن، وعائشة صالح بابصيل، البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، مجلة العلوم الإنسانية مج٣، ع١، المركز القومي للبحوث بغزة، يناير ٢٠١٩.ص ١٠٥.

يُوجدُ فعليًّا حَتَّى تتَمثَّلهُ أحوَالُنا الشُّعُورِيَّةُ[١]. وأَثَارتْ ثنائيَّةُ المقَاصِدِ والقَصْدِ جَدلًا؛ فَرَأَى بَعضُهم أنَّ القصدَ هو القَصْدِيَّةُ، والمقَاصِدَ شَيءٌ آخرُ؛ في حينِ رأَى سيرل أنَّ "المقَاصِدَ والقصدَ صورةٌ من صورِ القَصْدِيَّةِ"[٢]؛ فالقصدُ "توجُّهُ النَّفْسِ إلى الشَّيءِ، أو انبعاثُها نحوَ ما تراهُ مُوافقًا، وهُو مُرادِفٌ للنيَّةِ، وأكثرُ استعمالهِ في التَّعْبِيرِ عنِ التَّوَجُّهِ الإرَادِيِّ أو العَمَلِيِّ"[٣].

وبناء على تصور سيرل ينقسمُ المقَصِدُ شِقّينَ: " أوَّلُ هوَ: نيَّةُ الإقدامِ عَلَى أَمرٍ ما، وثَانٍ: غَايةٌ مُرادٌ تَبليغِها؛ فالدَّلَالَةُ الأُولى للقَصدِيَّة هيَ النِّيَّةُ، والدَّلَالَةُ الثَّانِيَةُ هي غَايةٌ، أو هدفٌ يرمي المرءُ إلى بُلوغِها؛ أي عِلَّةٌ"[٤]. ومع أن سيرل لم يفرق بين القصد والمقصد يُعرِّفُ لالاند (Laland) القَصْدَ بالنِّيَّةِ، والمقصِدَ بالإرادةِ[٥].

وعلى كل حال فقد أوردنا ما حدث من التباس حول هذا المصطلح ونظائره بين الترادف والاختلاف، والقَصْدِيَّة، في النهاية، مصطلحٌ نَقْدِيّ مُعاصرٌ يُشيرُ إلى المضمرِ الكَامِنِ خَلفَ النَّصّ، ومن ثمَّ، تكونُ هدفًا غيرَ

(١) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم والواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٠٢.

(٢) جون سيرل، القَصْدِيَّة بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٣.

(٣) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ٢/ ١٩٣.

(٤) محمد بكاي، التصورات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، مجلة العربية للترجمة، مج٦، ع ٢١، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٥م، ص ١٩٢.

(٥) يُرَاجَعُ: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٦٩١.

مُعلَنٍ لِمبدعِ النَّصّ في سَعيهِ نَحوَ خلقِ عالمٍ خاصٍّ بهِ في سياقٍ لُغويّ ومَعرفيّ تحكمهُ رؤيةٌ شموليَّةٌ؛ مُتَعَلِّقَةٍ بدَاخِلِ النَّصّ وثَوابتِهِ، ومجرياتِه اللَّاواعيَّةِ التي تأتي من خارج النَّصّ، لتُسْهِمَ في تَحديدِ الدَّلَالَةِ وتَوجيهِها، ويُخفِي منتجُ الخِطَابِ مقاصدَهُ، ليقومَ المتَلَقِّي بتأويلِهِ؛ وَفقَ إستراتيجيَّةٍ خَاصَّةٍ تَصِلُ إلى القَصدِية، أو تتَجَاوَزُها[1]. ويجبُ أن تتسعَ القَصْدِيَّةُ؛ فمِنَ الخَطأ حَصْرُها تَحتَ لُغةٍ مُعيَّنةٍ، بل تَمتدُّ؛ فتَطُولُ الواقِعَ والرُّؤيَةَ، أَيضًا[2].

ومِنَ المعلومِ أنَّ التَّدَاوُلِيَّةَ مَنهجٌ في تحليلِ الخِطَابِ؛ يَبحثُ عَنْ كُلّ مَا مِن شَأنِهِ التَّقريبُ بينَ الفَهمِ والتَّواصُلِ بينَ المتَكَلِّمِ والسَّامعِ؛ ومِن ثمَّ تُعدُّ القَصْدِيَّةُ (Intentionnalité) محورًا أساسًا لِلمنهج التَّداوليّ يُقصد به أنماطٌ من التَّأثيرات في المتلقي؛ لذا غدتْ قصديّة المخاطِبِ مؤشِّرًا حاسمًا في عمليّات تأويل الخطابِ، وإهمالُها إهمالٌ لجزءٍ وافرٍ من مرادِ الخطاب، بل إعدام لهُ وفق ما يُعرفُ بتَحليلَاتِ الخِطَاباتِ في ضَوءِ نَظريَّةٍ شُموليَّةٍ للحَدَثِ التَّواصُليّ؛ بأبعادهِ التَّخاطبيَّةِ لِلوصُولِ إلى المقَاصِدِ وراءَ إنشَاءِ الكَلَامِ[3].

مفهومُ القَصْدِيَّةِ في فَهمِ النَّصّ، وتحليلِ عِباراتِهِ اللُّغَوِيَّةِ مبدأٌ أُخِذَ بهِ من قبلِ فلاسفةِ نظرية الاستِعمالِ؛ كفتنجشْتين، وأُوستين، وستراوسُون، وسيرل؛ فَأولَوا مقاصِدَ المتَكَلِّمينَ المكانةَ المحوريَّة في تَفسيرِ المعنَى، بخِلَافِ النَّظريَّاتِ

(١) يُرَاجَعُ: وسام مرزوقي، وفوتال فضيلة، القَصْدِيَّة وأثرها في توجيه الخطاب الشعري، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، مج٨، ع١، ٢٠١٩م، ص ١٧٢.

(٢) يُرَاجَعُ: محمد إسماعيل حسونة، تجليات المقصدية الدروشية دراسة أسلوبية، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، ع ٢٤، ٢٠١٤م، ص ٣٤٤

(٣) يُرَاجَعُ: محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٨٧م، ص ٤٦.

الصُّوريَّةِ في مُعالجةِ شَأْنِ اللُّغةِ[١]؛ لذَا أَولَتِ التَّدَاوُلِيَّةُ اهتمامًا كبيرًا بالنَّوايا، وطَرَائِق إيصالِ مَفاهيمِ الخِطَابِ لِفَهمِ المقَاصِدِ، وإفهَامِها أيضًا، ودَورِ الفاعلِ التَّواصُليّ في اختيارِ أساليبِ الكَلامِ بهدَفِ إيصالِ مَقَاصِدِ الخِطَابِ[٢]،كما رَأَتْ أنَّهُ للِوصُولِ إلى قَصدِ المنشِيءِ يَنبغِي أن نَنظُرَ إلى مَجموعةِ مَعَاييرَ؛ كِالصِّدْقِ، ومَقصدِيَّةِ مُطابقَةِ الكَلَامِ لِلْواقِعِ والتَّرابُطِ، والوضُوحِ، والإفادَةِ، والملاءمَةِ[٣].

ولَعَلَّ التَّرابطَ يتقاطعُ معَ مِعيَارَي: السَّبْكِ، والحَبْكِ، في النَّظريةِ النَّصّيّةِ، ويُعبّر عنهُما في أَحيانًا بالاتّساقِ والانسِجَامِ، كَمَا لا تُغفلُ النَّصّيّةُ المتَكَلِّمَ والمتَلَقِّيَ في تَناولِ القَصْدِيَّةِ، وهو ما سَعتْ إليهِ التَّدَاوُلِيَّةُ؛ فَتعلَّق مِعيارُ القَصْدِيَّةِ بالمتَكَلِّمِ أو المرسلِ، وما ينطوي كلامهُ عَلَى مَعانٍ يَسعَى إلَى إيصَالِها؛ وبذلكَ فالقَصْدِيَّةُ موقفٌ لمنشئ النَّصّ مِن صُورةٍ مَا من صُور اللُّغَةِ؛ قصد بها نصًّا يَحملُ معنًى بعينِهِ، وهَذَا النَّصُّ وَسِيلة للوصُول إلى غَايةٍ ما، يُشترطُ فيه تُحَقِّقُ الاتِّسَاق والانسِجام لتُحَقِّقَ القَصْدِيَّةَ[٤].

---

(١) يُرَاجَعُ: دلال وشن، القَصْدِيَّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٠م، ص ٢.

(٢) يُرَاجَعُ: محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، ط٢، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص ٩٧.

(٣) يُرَاجَعُ: محروس بريك، التأويل التداولي في كتاب سيبويه، كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف، سيبويه إمام العربية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٨- ٩ مارس ٢٠١٠م، ٢/ ١٠٥٤.

(٤) يُرَاجَعُ: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

ومِنْ أَهمِّ خَصَائِصِ التَّدَاوُلِيَّةِ اللِّسانيَّةِ البَحثُ في كيفيّة وصُولِ المخَاطَبِ إلى المعاني الضِّمنيَّةِ التي قصَدَهَا منشئُ النَّصّ، بتَجَاوُزِ المعَاني السَّطحيَّةِ؛ فتتَعَاملُ التَّدَاوُلِيَّةُ بذَلكَ معَ الوظَائفِ التَّدَاوُلِيَّةِ للُّغةِ بينَ المتَكَلِّمِ ومخاطَبِهِ، لا مَعَ وَظِيفَتِهَا التَّعْبِيريةِ والانفعاليَّة[١]؛ وهَكَذا تُعنى التَّدَاوُلِيَّةِ بالمخاطِب والمخاطَبِ؛ "فالكاتبُ ينضوِي تحتَ التَّلفُّظِ المشتركِ، وهوَ مدينٌ بمقصدٍ توَاصُليٍّ"[٢]، والمقصود بالتلفظ هنا هو المنتج الكلامي لحظة إنتاج الخطاب[٣].

تُعنَى النَّصّيّةُ بالمتَكَلِّمِ والمتَلَقِّي مِن خِلَالِ مِعيَاري: القَصْدِيَّة والمقْبُولِيَّة، فالقَصْدِيَّةُ تشيرُ إلى جميعِ الطرائِق التي اتَّخَذها المنشِئُ لاستغلَالِ نَصِّهِ لتحقيقِ مَقَاصدِهِ[٤]، والمقْبُولِيَّةُ رغبةٌ للمُشاركةِ في الخِطَابِ، والمبدعُ عُنْصرٌ فاعِلٌ في مدَى المقْبُولِيَّة، فهو لا يكتفِي بوضعِ إستراتيجيَّاتٍ لنصِّهِ فحسبُ، بل يتدَخلُ في إستراتيجيَّاتِ التَّلقِّي[٥]؛فالنَّصُّ شركةٌ بينَ المرسلِ والمتَلَقِّي "فالمستمعُ يتعاونُ مع المتَكَلِّمِ في إعطاءِ معنًى للنَّصِّ، والمعنَى لا يكتملُ فقطْ بواسطةِ المعنَى الحرفِيّ

(١) يُرَاجَعُ: مليكة بلقاسمي، وصالح مسعُود، إشكالية القصد وتأويل المضمر في التواصل مقاربة تداولية، مجلة جرش البحوث والدراسات، مج١، ع٢، الأردن، ٢٠٢٠م، ص ٤٠١.

(٢) فليب بلانشيه، التَّدَاوُلِيَّة من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٧م، ص ١٩٤.

(٣) باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م، ص ٢١٥.

(٤) يُرَاجَعُ: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣١.

(٥) يُرَاجَعُ: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٥٥.

الذي تنقلُهُ الكلماتُ، بل يقومُ المستمعُ بعمليَّاتِ المعنَى الضِّمنيّ"[1]؛ لذا فَدَارسُ القَصْدِيَّةِ يُفيد من المنجَز التَّداوليّ، وَمِن معطياتِ المنجَز النَّصّي في الآنِ نفسهِ.

ومن ثمَّ؛ يمكنُنَا تناولُ القَصْدِيَّةَ من خلال ثلاثة مباحثَ؛ هي: **سياقات القصديَّة**، وأفعالُ الكَلَام؛ وفقًا لتصنيفِ أوستين وسيرل، والمبدأُ التَّعَاوُنيّ عندَ غرايس ((Ghrays.

***

(١) السابق، ص ٥٦.

المبحث الأول: سياقات القصديَّة:

تَضُمُّ المقَاصِدَ الاجتِمَاعِيَّةَ والنَّفْسيّةَ؛ فَكُلُّ خِطابٍ مُتأثِّر بالظّرُوفِ الاجتِمَاعِيَّةِ والنَّفْسيّة[1]؛ فالنَّصُّ مَحوطٌ بمجمُوعةِ سِيَاقاتٍ؛ كَالسِّيَاقِاتِ: الاجتماعيَّةِ، والنَّفْسيَّةِ، والثَّقَافِيَّةِ؛ فالأَفْعَالُ اللُّغَوِيَّةُ، حَسبَ ڤان دايك- تُنجزُ دَاخلَ تَفاعلٍ تَواصليٍّ بينَ الأفرادِ ضِمنَ منظومةٍ اجتِمَاعِيَّة؛ تَضبطُها وتُؤطّرُها[2].

وتُؤدِّي القَوَاعدُ، ومُواضَعاتُ المجتمَعِ، وكُلِّ سِياقاتِ المنطُوقِ، كَمَا يَرى سيرل (Searle)؛ دَورًا أساسًا في تَحديدِ فِعلِ الكَلَامِ؛ فالمعنى لَيسَ حَصِيلَةَ مَقصديَّة الفَرد فقَطْ، بَلْ حَصِيلَةَ الممارسَات الاجتِمَاعِيَّة أَيضًا؛ فَتتُحَقَّق القُدرة عَلَى فعل الكَلَام في عَقلِ المرءِ، وإنَّما إنجازُهُ "فهوَ تعبيرٌ عن المقْصِدِيَّةِ، وكلٌّ منَ القُدرةِ والإنجاز مُمارسةٌ اجتِمَاعِيَّةٌ[3].

وخطاباتُ الملكِ سَلْمَانَ – حَفِظَهُ اللهُ- موجَّهةٌ إلى أعضاءِ مَجلسِ الشُّورَى، وهوَ مُتَلَقٍ يمثِّلُ الصَّفوةَ النَّائِبَة عن الشَّعْب؛ ولأنَّ المتَلَقِّي هُنا ثنائي الدّور بحيث يؤدي دورًا مزدوجًا؛ فكل عضو هو مواطن معنيّ بالخطاب في المقام الأول؛ ثم بوصفه عضوا فهو مخاطِب أفراد الشّعب بهذا الخطاب؛ وهو ما نعنيه بازدواجية الدّور؛ وبالتالي فالخِطاباتُ أيضًا مُزدوجةُ التَّوجهِ.

---

(١) يُرَاجَعُ: محمد عبد الرحمن عطا الله، النصية في خطبة الحجاج ولاية العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة السويس، ع٢، ديسمبر ٢٠١٥، ص ١٥١.

(٢) يُرَاجَعُ: نور الدين قارة مصطفى، النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٥٧.

(٣) سلطان الزغول، المقصدية نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب، صحيفة الرأي، ٢/٤/ ٢٠١٢.

والنَّماذجُ التي يمكنُنا التَّمَثُّلُ بها كَثيرةٌ، ومَا مِن بدّ إلَّا أنْ نسلكَ سُبُلَ الاختيارِ؛ حتَّى لا يضيقَ المجالُ بنا؛ فالملكُ يتحدَّثُ عَن رُؤيَةِ المَمْلَكَةِ: "**كَمَا تَسْتَهْدِفُ هذهِ الرُّؤيةُ رفعَ نِسبَةِ الصَّادراتِ غَيرِ النّفطيَّةِ، ورَفْعَ نِسبةِ الاستِثمَاراتِ الأجنبيَّةِ المباشرةِ، والانتقالَ إلى مراكزَ متقدِّمةٍ في مؤشّر التَّنافسيَّة العالَميّ، وتخفيضَ معدَّلِ البطالةِ، وزيادةَ الطَّاقةِ الاستيعابيَّةِ لاستقبالِ ضُيوفِ الرَّحمَنِ، وزيادةَ الإيراداتِ غيرِ النَّفطيَّةِ، ورفعَ نسبةِ تملُّكِ السُّعُودِيّينَ للمسَاكِنِ، ورفعَ نسبةِ مُشاركَةِ المرأةِ في سُوقِ العَمَلِ**"[1].

نلحظُ في هذا المقتبسِ امتزَاجَ الاقتصادِيّ بالاجتماعِيّ، وإن كانت القصدية تتوجه مباشرة إلى الاقتصاد فإنها تتوجه تباعية للاجتماعي بطبيعة الحال لارتباطهما الوثيق في كثير من القضايا؛ إذ إن رفع نسبة الصادرات البترولية، مثلًا، وزيادة الإيرادات غير النفطية من العوامل الاقتصادية، وارتباطهما بانخفاض نسبة البطالة وهي عامل اجتماعي؛ هو ما نقصده بهذا الامتزاج؛ وهوَ أمرٌ لهُ أهميَّتُهُ؛ فالنُّمُوُّ الاقتِصادِيُّ؛ يؤثّر تَأْثِيرًا مُباشِرًا في الحياةِ الاجتِمَاعِيَّةِ بلا شَكٍّ؛ فخفضُ مُعدَّلاتِ البطَالةِ، مثلًا، مرتبطٌ تلقائيًّا بالنُّموِّ الاقتصادِيّ؛ فَالبطالةُ مِن أكثرِ المشكلاتِ التي تُؤرّق الحُكومات والمجْتَمَعات في كلّ بلدانِ العالَمِ تقريبًا، وحَلُّها يحقّقُ للخطابِ مقاصدَهُ الاجتِمَاعِيَّةَ، ويحقّقُ

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى.
https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches

في الآن نفسِهِ وظيفتَهُ اللُّغَوِيَّةَ مِن التَّواصُلِ الفاعلِ بينَ السُّلطةِ والشَّعْبِ، وهكَذا يَستمِرُّ الخِطَاب في تحقيقِ مقاصدِهِ الاجتِمَاعِيَّةِ، ووظيفتِهِ التَّوَاصُلِيَّةِ من خِلَالِ رفعِ تمثُّلِكِ السُّعُودِيِّينَ للمَساكنِ، وهي مشكلةٌ اجتِمَاعِيَّةٌ، يحدثُ حَلُّها تقاربًا بين الحكُومة والشَّعْبِ. ويأتي رفْعُ نسبةِ مُشاركةِ النِّسَاءِ في سُوقِ العَملِ مَقصِدًا اجتِماعيًّا مُهمًّا مِن مقاصد الخِطَابِ، الذي ينسجِمُ معَ رؤيةِ المَمْلَكَةِ في الارتِقاءِ بِوَضعِ المرأةِ عَلَى مُختلفِ الأَصْعِدَةِ: الاجتِمَاعِيَّةِ، والاقتصادِيّةِ، والثَّقَافِيّةِ.

ونلحظُ رَبطَ المَلِكِ سَلْمَانَ دَائمًا بَينَ البُعدَينِ: الاقتصادِيّ والاجتماعيّ:" **ومن أجلِ دعمِ وتنظيمِ النَّشاطِ العقاريّ غيرِ الحكُوميّ وتطويرِهِ لرفعِ كفاءتِهِ وتشجيعِ الاستثمارِ فيهِ بما يتَّفقُ مع أهدافِ التَّنميةِ الاقتصادِيّةِ والاجتِمَاعِيَّةِ تمَّ إنشاءُ الهيئةِ العامَّةِ للعقارِ لتسهمَ في تقديمِ مجموعةٍ منَ الخدماتِ للمُواطنينَ والمطوّرينَ والجِهَاتِ ذاتِ العلاقةِ؛ إذْ إنَّ هذهِ الخطوةَ تعدُّ ضمنَ الأهدافِ الإستراتيجيَّةِ لرؤيةِ المَمْلَكَةِ ٢٠٣٠ وبرنامجِ التَّحوُّلِ الوَطنيّ ٢٠٢٠ في إطارِ تحسينِ أداءِ القطاعِ العقاريّ ورَفعِ مُساهمتِهِ في النَّاتجِ المحلّيّ وتسهيلِ الإجراءاتِ"**[(١)].

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى.
https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

فقدْ مزجَ الخِطَابُ بينَ أهدافِ التَّنميةِ الاقتصادِيّة والاجتِمَاعِيَّة؛ فهمَا صِنوانِ والعلَاقةُ بينهما طرديّةٌ؛ فكانَ من أهمّ مقاصد الخِطَاب الشَّفافِيَّةُ والمصدَاقيَّةُ؛ فتمَّ فعلٌ إنجازي من قِبلِ مُنشئ النَّصّ؛ تعودُ فائدتهُ عَلَى المتَلَقِّي؛ فَيَحدثُ التَّماهِي بَينَ السُّلطويّ والشَّعْبي، وهو مقصد مهم مِن مقاصدِ النَّص؛ تُحَقِّقهُ المقَاصِدُ الاقتصادِيّة والاجتِمَاعِيَّة؛ فالفعلُ الإنجازي إنشاءُ الهيئةِ العامّةِ للعَقارِ التي تقدّمُ خدماتٍ اقتصادِيّةً واجتِمَاعِيَّةً للمُواطنينَ، فتحسينُ القطاعِ العقاريّ؛ يوفّرُ فرصَ عَمَلٍ؛ فَيُسهِمُ في حلِّ مشكلةِ البطالةِ؛ بوصفِهَا مشكلةً اجتِمَاعِيَّةً؛ كَمَا يوفِّرُ مساكنَ للمواطنينَ وهذهِ مشكلةٌ اجتِمَاعِيَّةٌ أُخرَى؛ تُسهِمُ الهيئةُ في حَلِّها.

ويخلصُ الخِطَابُ للشَّأنِ الاجتماعيّ دونَ غيرِهِ؛ مُفارقًا الشَّأنَ الاقتصادِيَّ: "**إنَّ الشَّأنَ الاجتماعيَّ عَلَى رأسِ أولَوياتِنا، وستستمرُّ الحكومةُ في دَعمِ منظومةِ الخدماتِ الاجتِمَاعِيَّةِ وتقديمِ دَعمٍ يستهدفُ الفئاتِ المحتاجةَ، بما يمكّنهُم منَ الإنتاجِ والفاعليَّةِ الاقتصادِيّةِ والحصُولِ عَلَى سُبلِ العَيشِ الكَريمِ، وسَنَدْعَمُ مُؤسَّسَاتِ المجْتَمَعِ المدَنِيّ للقيَامِ بدَورِها الهامّ والفاعِلِ في هذا الجانبِ**"(١).

ينُص الخِطَابُ صَرَاحَةً عَلَى الشَّأنِ الاجتماعِيّ، والفئاتِ المحتاجةِ المستهدفةِ منَ الخِطَابِ، والفئاتِ المدعومةِ مِنَ السُّلطةِ؛ ومُؤسّسَات المجْتَمَع

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود ـ حفظه الله ـ الموزعة في افتتاح أعمال السَّنَة الثالثة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى، (مصدر سابق).

المدنيّ، من أجلِ تقديمِ الخدَماتِ للفئاتِ المحتاجةِ؛ فالمقصدُ الاجتِماعيُّ من الخِطَابِ واضحٌ لا لبسَ فيهِ؛ ومن ثَمَّ تتّسِعُ دائرةُ الخِطَابِ في مقاصدهِ الاجتِمَاعِيَّةِ؛ لتَشمَلَ شريحةً مُهمَّةً في المجْتَمَعِ. والاهتمامُ بهذهِ الفئةِ دليلٌ عَلَى قوَّةِ السُّلطةِ، والنُمُوّ الاقتصادِيّ للمَمْلَكَةِ.

وما يخص السياق النَّفْسِيّ؛ فقَدْ رَآهُ "ڤان دايك" مُتعلِّقًا بتأثير النُّصِّ ووقعِهِ عَلَى مستعملِ اللُّغَةِ(١). وتنصبُّ اهتماماتُ الكفايةِ النَّفْسيّةِ عَلَى ربْطِ الخِطَابِ بشُروطِ إنتاجِهِ، والشُّرُوطِ النَّفْسيّةِ للمُخَاطَبِ، التي تُعينُهُ عَلَى الفَهمِ والتَّأْوِيلِ(٢)؛ فالقصديَّةُ أمرٌ نفسيٌّ غيرُ منطوقٍ؛ فَهوَ في ذلكَ مثَلُهُ مثَلُ الدَّلَالَةِ، يُحوّلُهُ المتَكَلِّمُ إلى مَلفُوظاتٍ؛ فالمقَاصِدُ مثلُ سائرِ الحالاتِ الشُّعُورِيَّةِ الأُخرى؛ كالمعتقداتِ والآمالِ والرَّغَبَاتِ، والحُبِّ والكُرهِ، والمخَاوفِ والعَجْزِ(٣).

ونَرى القَضِيَّةَ الفَلَسْطِينِيّةَ تَستَأثِرُ بنَصيبٍ كَبِيرٍ في خِطَاباتِ الملكِ – حَفِظَهُ اللهُ– فلَا يكاد يخلُو خِطابٌ مِن خِطاباتهِ الشّوريّة مِنَ الحدِيثِ عَنْ هذِهِ القَضِيَّةِ، وهي إن كانت سياسيّة في المقام الأول فإنّ المقصديّة النّسيّة موجودة بوضوح فيها من خلال إبراز الممارسات العدوانية وذمها وبيان الموقف الإنساني والنفسي منها، وربما عاد ذلك إلى مشاركات الملك نفسه حفظه الله

(١) يُرَاجَعُ: نور الدين قارة مصطفى، النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، ص ٥٧.

(٢) يُرَاجَعُ: عبد الوهاب صديقي، نحو الخطاب الوظيفي من تنميط اللغات إلى تنميط الحكايات مقاربة أحمد المتوكل نموذجًا، مجلة الدراسات اللُّغَويّة والأدبية، ع٢، اتحاد الجامعات العربية، السَّنَة الخامسة، ديسمبر ٢٠١٤، ص ٤٤.

(٣) يُرَاجَعُ: محمد بكاي، التصورات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، ص ١٩١.

في بعض الحروب ضد هذا الكيان المغتصب: **"أيُّها الإخوةُ والأخواتُ: إنَّ من أولويَّات سِيَاسَةِ المَمْلَكَة ومَبادِئِها السَّعيُ لإيجادِ حَلٍّ عادلٍ ودائمٍ للقَضِيَّةِ الفَلَسْطِينِيّة وفْقَ مُبادرة السَّلَام العَرَبِيَّة، وقَرَاراتِ الشَّرْعِيَّةِ الدَّوليّة، ومُطالبتِها الدَّائِمَةِ للمُجْتَمَعِ الدَّوليّ بالتَّدَخُّلِ العاجِلِ لوَقفِ الاعتداءَاتِ والممارساتِ الإسْرَائِيليَّةِ العُدْوَانِيَّةِ والمُتَكَرِّرَةِ ضِدَّ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ، وستواصِلُ المَمْلَكَةُ جُهُودَها دَعْمًا لهذهِ القَضِيَّةِ من أجلِ إقامةِ الدَّوْلَةِ الفَلَسْطِينِيّةِ وعَاصِمتِها القُدْس الشَّريف، وإعادةِ الحُقُوق للشَّعبِ الفَلَسْطِينِيّ الشَّقِيقِ"**(١).

والقَضِيَّةُ الفَلَسْطِينِيّةُ قَضِيَّةُ المسْلِمِين جَمِيعًا، ولا تُعدُّ قَضِيَّةُ الفَلَسْطِينِيّينَ وحدَهم. ومَوقِفُ الملكِ – حَفِظَهُ الله – واضحٌ منذُ زمنٍ بعيدٍ، ومَازالَ ثابتًا لم يتغيَّر، ولم يتبدَّلْ؛ ومَشَاعِره تُجاهَ القَضِيَّةِ مَشَاعِر إيجَابِيَّةٌ، وهيَ ما تَتَوَافَقُ معَ مَشَاعِرِ الملايين منَ المسْلِمِينَ، ومِن ثمَّ تَنْسَجِم المقَاصِد السّياسيّة والنَّفْسيّةُ للمتَكَلِّمِ والمتَلَقِّي تُجاهَ القَضِيَّةِ؛ فَسعَى الخِطَابُ إلى تَوضِيحِ دَورِ المَمْلَكَةِ في دَعمِ القَضِيَّةِ الفَلَسْطِينيّةِ، والتَّنديدِ بسِيَاسَةِ الكِيَانِ الصُّهْيُونِيّ، واعتدائِهِ عَلَى حُقُوقِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ، وتَأْتِي مقاصدُ الخِطَابِ ظاهرةً دُون لَبسٍ، أَو مُواربَةٍ في قَضِيَّةِ القُدْسِ مَوطِنِ النِّزَاعِ والخِلَافِ؛ فيُعْلِنُ الخِطَابُ صراحَةً رَغبةَ مُنشئِ النَّصّ؛ التي تَتَوَافَقُ معَ رغبةِ المتَلَقِّينَ في عَودَةِ الحُقُوقِ إلى أَهلِها، وإقامةِ

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَويّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

الدَّوْلَةِ الفَلَسْطِينِيّةِ، وعَاصِمتهَا القُدْس، وتبدو المقصدية النفسية ظاهرة وواضحة في لغة الخطاب، كما نستشعره في قوله حفظه الله (**لوَقفِ الاعتداءَاتِ والممارساتِ الإِسْرَائِيليَّةِ العُدْوَانِيَّةِ والمُتَكَرّرَةِ ضِدَّ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ**)؛ فالجملة تحمل موقفا نفسيًّا واضحا من الانتماء لطرف واضح في القضية؛ هو الشّعب المغتصَب وتبشيع موقف الطرف الثاني المغتصِب.

ومن ثمَّ تظلُّ القَضِيَّةُ الفَلَسْطِينِيّةُ" **هيَ قضيَّتُنا الأُولَى، وستظَلُّ كذلكَ حتَّى حُصُولِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ الشَّقِيقِ عَلَى جميعِ حُقُوقِهِ المشرُوعَةِ وعَلَى رَأْسِها إقامةُ دولتِهِ المستقلَّةِ وعَاصِمَتهَا القُدْس الشَّرْقِيَّة**"(١).

ويتَّسِعُ الخِطَابُ؛ فَيَشمَلُ المقَاصِدَ النَّفْسيَّةَ في مُراوحةٍ بينَ المشَاعِرِ الإيجَابِيَّةِ تُجَاهَ القَضِيَّةِ الفَلَسْطِينِيّةِ، والمشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ تُجَاهَ عُدوانِ الكِيَانِ المحتلِّ عَلَى الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ "**وتُناشِدُ المَمْلَكَةُ المجْتَمَعَ الدَّولِيَّ الاضطلاعَ بمسؤوليَّاتهِ واتّخاذَ التَّدَابِيرِ الضَّروريَّةِ لحمايةِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ مِنَ الممارساتِ العُدْوَانِيَّةِ الإِسْرَائِيليَّةِ، التي تعدُّ اِسْتِفْزَازًا لمَشَاعِرِ العربِ والمسْلِمِينَ كافَّةً**"(٢).

ومازال الخطاب الملكي يمارس مقصدا نفسيًّا بحيث تحول الخطاب من مناقشة السياسي في ضرورة حل النزاع بين الطرفين إلى تثوير مشاعر

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود ـ حفظه الله ـ الموزعة في افتتاح أعمال السَّنَة الثالثة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، خطاب خادم الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ لافتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّادِسَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

المخاطبين نفسيًّا تجاه القضية بإبراز سلوك الإسرائيليين على أنه استفزاز للشعور العام للمسلمين، وهو اتكاء نفسي في المقصدية المتوجهة بالأساس سياسيًّا.

ولم يقتصرْ دَورُ المَمْلَكَةِ عَلَى مُسَانَدَةِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ وحدَهُ، بل يمتدُّ الأمرُ إلى شُعُوبٍ متعدِّدَةٍ، فيكُونُ لليَمَنِ والعِراقِ ولِيبيَا حُضُورٌ بَارِزٌ في خِطَاباتِ الملكِ سَلْمَانَ **"وبالنّسبةِ لليمَنِ الشَّقِيقِ فنحنُ في المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ نرَى أنَّ أمنَ اليَمَنِ الجارِ العَزِيزِ مِن أَمْنِ المَمْلَكَةِ، ولن نقبلَ بأيّ تدخُّلٍ في شُؤُونهِ الدَّاخِلِيَّةِ، أو ما يُؤثّرُ عَلَى الشَّرْعِيَّةِ فيهِ، أو يجعلهُ مَقَرًّا أو مَمَرًّا لأيّ دولٍ أو جِهَاتٍ تَسْتَهْدِفُ أمنَ المَمْلَكَةِ والمنطقةِ والنَّيلِ مِن استقرارِها، وموقفُ المَمْلَكَةِ منَ الأزمةِ اليَمَنيّةِ هُو المطالبةُ بحلٍّ سِيَاسِيٍّ وَفقَ المَرْجِعِيَّاتِ الثَّلَاثِ وهيَ (المبادرةُ الخليجيَّةُ وآلياتها التَّنْفِيذِيَّة، ومُخرجاتُ مُؤتمرِ الحوارِ اليَمَنيّ الشَّامِلِ، وقَرارِ مجلسِ الأمنِ رقم ٢٢١٦)، ولا نزالُ نأملُ بأن تُحَقِّقَ الجُهُودُ الدَّولِيّةُ من خلالِ المبعوثِ الأمميّ نتائجَ إيجَابِيَّةً تُنهِي معاناةَ الشَّعْبِ اليَمَنيّ، وتُحَقِّقُ الأمنَ والاستقرارَ في اليَمَن الشَّقِيقِ، وفي هذا السِّيَاقِ نُعبِّرُ عَن تنديدِنا واستنكارِنا لمحاولةِ الانقلابيّينَ الحُوثِيّينَ استهدافَ الأماكنِ المُقَدَّسَةِ، والذي لاقَى شَجْبًا واسْتِنْكَارًا**

عالميّين، لما في هذه الخطُواتِ الْإِجْرَامِيَّة مِن اِسْتِفْزَازًا لَمَشَاعِرِ المسْلِمِينَ في أنحاءِ العالمِ كافَّةً[1].

المقَاصِدُ النَّفْسيّةُ واضحة وإن كان الخِطَابِ تُجَاهَ اليَمَنِ؛ فلا لبسَ في القصدية النفسيّة التي يحدثها خطاب الملك حفظه الله حين يبرز تأثير العدوان الحوثي على الأماكن المقدسة تحديدا؛ لما يحمله هذا الخطاب من تأثير نفسي على مشاعر المسلمين كافة، وبالتالي أخذ موقف مشابه ومتفق مع موقف المملكة، كما أن إبراز ممارساتهم بدلالات وصفه إياها بالخطوات الإجرامية فيه قصد لتبشيع اعتداءاتهم، وإثارة مشاعر المحايدين في هذه القضية، ورشّح لاختياره النعت للخطوات بالإجرامية، ما استتبعه من بيان مقصدية هذا الوصف؛ وهو استفزاز مشاعر المسلمين.

ومع إلحاحه على هذه القصديَّة النَّفسيَّة لم يخلُ خطابه من مواجهة كل مَا يتَهَدَّدُ اليَمَنُ ومساواته بما يتَهَدَّدُ المَمْلَكَةَ؛ مما يحدث تضفيرا بين السّياسيّ والنّفسيّ وضمان الحفاظ على قناعات كل الأطراف لصالح أمن بلاده.

ويتوجه الخِطَابُ نحوَ المشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ في أعَلَى دَرَجاتِها؛ نحوَ جماعَةِ الحُوثيّ؛ تلكَ الفئةُ المنقلبةُ عَلَى الشَّرْعِيَّةِ، والانقِلَابُ عَلَى الحكُوماتِ الشَّرْعِيَّةِ جريمةٌ يَستنكرُها القانونُ الدَّولِيُّ، وتَستنْكِرُها الشُعُوبُ الواعيةُ المتحضّرةُ، ومن

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

ثمَّ تماهَتْ مقاصدُ المتَكلِّم مَعَ مقاصِدِ جمهُورٍ عَرِيضٍ من المتَلَقِّينَ؛ ليسَ في المَمْلَكَةِ وَحْدَها، بل في مناطقَ متعدِّدةٍ في كثيرٍ من البُلدانِ العَرَبِيَّةِ.

وتظلُّ المشَاعِرُ السَّلْبِيَّةُ تُجَاهَ المشروعِ الإيرانِيّ، وأذرُعِهِ في المنطقةِ في خطاباتٍ أُخرى **"وإنَّ المَمْلَكَةَ لتؤكّدَ عَلَى خطورةِ مشروعِ النِّظَامِ الإيرانِيّ الإقليميّ، وتدخُّلهِ في الدِّولِ ودَعمهِ للإرهابِ والتَّطرُّفِ وتأجيجِ نيرانِ الطَّائفيَّةِ، مِن خِلالِ أَذرعهِ المختلفةِ، وتنادِي بضَرورةِ اتِّخاذِ موقفٍ حازمٍ من قبلِ المجْتَمَعِ الدَّولِيّ تُجَاهَهُ، يَضْمنُ مُعالجةً جَذْرِيَّةً لسَعي النِّظَامِ الإيرانِيّ للحُصُولِ عَلَى أَسلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ وتطويرِ برنامجِهِ للصَّواريخِ الباليستيَّةِ وتدخُّلاتهِ في الشُّؤونِ الدَّاخِلِيَّةِ للدّولِ الأُخرَى ورِعَايتِهِ للإرْهابِ وتَهديدِهِ للسّلْمِ والأَمْنِ الدَّولِيّينِ، وتَدِينُ المَمْلَكَةُ مليشيا الحُوثِيّ الإرْهابيَّةَ المدْعُومَةَ مِنَ النِّظَامِ الإيرانِيّ"**[1].

وَتَبْدُو المقَاصِدُ النَّفْسيّةُ منَ الخِطَابِ واضِحةً وإن جاءت متلبسة بالخطاب السياسيّ،؛ حيث إنها تشيرُ إلى خَطَرِ المشرُوعِ الإيرانِيّ، أو مَا يُسَمَّى بالهِلَالِ الشِّيعيّ، وهوَ مَشرُوعٌ يَقُومُ عَلَى الأَطماَعِ في المنطقَةِ، ويَسعَى إلَى السَّيطرةِ والتَّمدُّدِ، وهو ما يمثِّلُ خَطرًا عَلَى المَمْلَكَةِ، ودولِ المنطقةِ، ويسعَى الخِطَابُ كذلكَ إلى إبرازِ الأذرعِ الإيرانيّةِ التي تعبثُ في المنطقَةِ، ومن أشهرِها جماعةُ الحوثيّ، ومن ثمَّ يكونُ هذا الخطرُ؛ مُبرّرًا للحربِ ضِدَّ الحُوثِيّينَ في

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

اليَمَنِ، والتّركيز على مفردات تثير مشاعر المجتمع الدولي مثل الإرهاب، والصواريخ، والدمار الشامل تضمن لخطابه تأثيرًا نفسيًّا ينأى بالخطاب السياسي عن اللغة المحايدة أو التأثير الأحاديّ؛ ويجعل من عدو المملكة عدوا للإنسانيّة مما يغير القناعات ويوجه النفوس ضد هذا العدو المتحول بقصدية الخطاب النفسي السياسي من عدو لشعب إلى عدو للعالم.

ويسعَى الخِطَابُ أيضًا إلى لفتِ نظَرِ المجْتَمَعِ الدَّولِيّ؛ لاتّخاذِ الإجراءاتِ اللَّازمةِ تُجَاهَ إيران، وعرقلةِ مشروعِها النَّوويّ الذي يمثّلُ خَطرًا عَلَى دولِ الجِوارِ؛ خاصَّةً أنَّ أذرعَها تمتدُّ في كثيرٍ مِنَ الدّولِ المجاورةِ للمَمْلَكَةِ.

وتَظهَرُ المقَاصِدُ النَّفْسيّةُ جليَّةً، عندَما تتبوَّأُ المملَكَةُ مكانةً متقدّمَةً بينَ دولِ العالمِ، وهذا ما عبَّر عنهُ الملكُ – حَفِظَهُ الله: **"إنَّ المكانةَ المرموقةَ التي تحظَى بها بلادُكم بين دولِ العالمِ مَصْدر فخرٍ لنا جَمِيعًا قِيادةً وشَعبًا، فقد حصلتِ المملَكَةُ عَلَى مراتبَ متقدمةٍ في المؤشّراتِ والتّقاريرِ الدَّولِيّةِ التي تعنى بالتّنافسيَّةِ، حيثُ صُنّفتِ المملَكَةُ بالدَّوْلَةِ الأكثرِ تقدُّمًا وإصلَاحًا مِن بينِ (١٩٠) دَولةً في تَقريرِ "ممارسةِ الأعمالِ ٢٠٢٠" الصَّادر عن مجموعةِ البنكِ الدَّولِيّ، إذ حقَّقتِ المملَكَةُ المرتبةَ (٦٢) متقدّمة بمقدَارِ (٣٠) مرتبةً عنِ العامِ الماضي، كما حصَلتِ المملَكَة عَلَى المرتبةِ الأُولى خليجيًّا والثَّانِيَةِ عرَبيًّا من بينِ (١٩٠) دولةً في تقريرِ "المرأَة، أنشطَة الأعمالِ والقانونِ ٢٠٢٠" الصَّادر عن مجموعةِ البنكِ الدَّولِيّ، كما حقَّقتْ قفزةً نوعيَّةً في ترتيبها بمقدارِ (١٥) مَرْتبةً خِلَالَ السّنتينِ الماضيتينِ، في تَقْريرِ "الكِتابِ السَّنَوِيّ للقُدرةِ التَّنافُسيَّةِ العالمِيَّة ٢٠٢٠"**

الصَّادر عن مركزِ التَّنافُسيَّةِ التَّابعِ لمعهدِ التَّطويرِ الإدَاريّ، مُتقدِّمة إلَى المرتبَةِ (٢٤)"[١].

ظَهَرتِ المقَاصِدُ النَّفْسِيّةُ في المكَانةِ المرمُوقةِ التي حَقَّقتْها المملَكَةُ بينَ دولِ العالمِ في مجَالاتِ الإصلاحِ، وتقريرِ المرأةِ، والتَّنافسيَّة العالميَّةِ، ومِن ثمَّ جاءَ لفظُ الفَخرِ في الخِطَابِ مُعبرًا عَن تلكَ المقَاصِدِ النَّفْسيّةِ؛ باعتبارِ أنَّ الفخرَ شعورٌ نفسيٌّ، يُعبّرُ عنِ النَّجاحِ والتَّفوّقِ، وإنجازِ أفعالٍ تُحَقّقُ للفردِ والمجْتَمَعِ مكانةً مُتميّزَةً.

من أهمّ مقاصدِ الخِطَابِ النَّفْسيّةِ التَّوحُّدُ بينَ القيادةِ والشَّعْبِ، فجاءتِ الأرقامُ معبّرةً عن الصِّدْقِ والشَّفافيَّةِ، وهذا ما يتَّفِقُ معَ الواقعِ، والتَّقاريرِ العالميَّةِ التي تتَّفِقُ معَ هذا الواقعِ، فكانَ للملفوظِ الملَكِيّ دلالتُهُ، ومُعبرًا عن هذهِ الحالةِ " مَصْدَر فَخرٍ لنَا جَمِيعًا حُكومَةً وشَعبًا"، كما أنّ إلحاح الخطاب على تكرار الجذر المعجمي (قدم) في صور متعددة، ومسافات بينية متباينة بين الجمل؛ كما في قوله: (مراتب متقدمة، الأكثرِ تقدُّمًا، مُتقدِّمة إلَى) أدى إلى التأثير النفسيّ لمشاعر المتلقين بما يجعل الشعور بالفخر مستحقا ومعللا مع تكرار كلمة التنافسيّة أيضًا ثلاث مرات على مسافات متفاوتة في الخطاب بما يضمن سيطرة التأثير النفسي واستقرار القناعات الدالة على استحقاق الفخر.

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

وتعدُّ القَصدِيَّة الثَّقَافِيّةُ لَدَى المخاطِب من بين سياقات الخطاب؛ إذ تَظهرُ براعتَهُ الأَدَبِيّةَ والثّقافيةَ أمامَ جُمهُورِ المستَمِعينَ[1]. وهي من دواعي التّأثير فيهم لما لها من نجاعة تكتسبها من سياقات سابقة مشتركة تحملها بوصفها ثقافة عامة تجمع بين المخاطِب والمخاطبين.

والتَّناصُّ مِن الأسَاليبِ التي تُظهرُ ثقافةَ المتَكَلِّم؛ فالتَّناصُّ قَدَرُ النَّصِّ، ولا تكادُ تخلُو النُّصُوصُ مِنْهُ، والهدَفُ منهُ "ينحصِرُ في تحديدِ كيفيَّةِ إنتاجِ نَصٍّ مِن نصُوصٍ سابقَةٍ، وفي توليدِ دلالاتٍ جديدةٍ من خلالِ التَّفاعُلِ والتَّشابُكِ؛ لكشفهِ وإنتاجهِ في صيرورةٍ نَصِّيَّةٍ مفتوحَةٍ عَلَى كُلِّ الآفاقِ الثَّقَافِيّةِ، ومنهُ يُمكنُنا أنْ نَسْتنتِجَ بأنَّ بناءَ النُّصُوصِ هوَ مجالٌ حيويٌّ لإنتاجِ المعنى"[2].

للتّناص مزيّة في الخطاب التّداولي بوصفه خطابا تشاركيًّا بين المخاطب والمخاطبين "معَ تأكيدِنا على أنَّ التَّنَاصَّ لا يأتِي اعتِباطيًّا، بلْ فيهِ القَصديَّةُ الّتي تُوجِّهُ المتلَقِّي نَحو مَظَانٍّ يقْصدُها المرسِلُ"[3]، ويتَّكئُ التَّناصُّ في خِطاباتِ الملِكِ –حَفِظَهُ اللهُ– عَلَى نصُوصٍ منَ القُرْآنِ الكريمِ والحديثِ النَّبويّ الشَّرِيفِ؛ فنجدُ التَّناصَّ القُرْآنيَّ في افتتاحيَّةِ بعضِ الخِطَاباتِ، أو في مَتنِها؛ فَيفتتِحُ خطابينَ بقوله: **"بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ،**

(١) يُرَاجَعُ: محمد عبد الرحمن عطا الله، النَّصية في خطبة الحجَّاج ولاية العراق، ص ١٥٢.

(٢) نور الدين قارة مصطفى، النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، ص ٦٠.

(٣) محمد سيد علي عبدالعال، بلاغة الحجاج في الشعر العربي القديم، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٤م، ص٣٢.

القَائِلِ في كتابهِ العَزِيزِ "وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ"(١)، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى أشرفِ الأنبياءِ والمرسلينَ، نبيّنا محمدٍ، وَعَلَى آلهِ وصَحبهِ أجمعينَ"(٢).

" الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ، القَائِلِ في محكَمِ التَّنزيلِ "وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ"(٣)، والقَائلِ" وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ "(٤)، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ الأتمّانِ الأكملانِ عَلَى النَّبيّ الأمينِ، وَآلهِ وصَحبهِ أجمعينَ "(٥).

الخِطَابُ مُوجَّهٌ لمجلسِ الشُّورَى، وموجَّهٌ للشَّعبِ أيضًا؛ فيكونُ للتَّناصّ القُرْآني أهميتُهُ، ولهُ أيضًا مقاصدُهُ في التسويغ لاتّخاذِ المجلسِ بهذا الاسمِ، ويبيّنُ أنَّهُ ينطلقُ من منظورٍ إسلاميٍّ؛ إذْ إنَّ المَمْلَكَةَ تقومُ سِياستُها عَلَى تطبيقِ الشَّريعةِ الإِسْلَاميَّةِ، ومِن ثمَّ ينطلقُ المجلسُ في سِياستِهِ منْ منظورٍ إسلاميٍّ، ويكونُ مِن أهمِّ مقاصدِ الخِطَابِ نفيُ أيّ منظورٍ غربيٍّ، وغيرِ إسلاميٍّ عَنِ المجلسِ وسياستِهِ؛ فيكونُ هناك تقاربٌ بينَ السُّلطةِ التَّنْفِيذِيَّةِ والشَّعْبِ.

---

(١) سُورَةُ آل عمران ١٥٩.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

(٣) سُورَةُ آل عمران ١٥٩.

(٤) سُورَةُ الشُّورَى ٣٨.

(٥)- الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمالِ السَّنَة الثَّانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

ويتجلى التَّناصّ القُرْآنيُّ أيضًا، في متنِ الخِطَابِ: **"منذُ أنْ وحَّدَ الملكُ عبدُالعَزِيزِ – يرَحِمَهُ اللهُ – المَمْلَكَةَ العَرَبِيَّةَ السُّعُودِيَّةَ، وهيَ بفضلِهِ، ﷻ، تأخذُ بمبدأ الشُّورَى تطبيقًا للآيةِ الكريمةِ "وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ"**[1]**، ممَّا أسهمَ في تعزيزِ مسيرتِنا التنمويَّةِ الشَّامِلَةِ لتحقيقِ ما نصبُوا إليهِ مِن أَمنٍ ورَخاءٍ وازدِهارٍ"**[2].

يشيرُ الخِطَابُ إلى أنَّ مبدأَ الشُّورَى راسِخٌ منذُ زمنٍ بعيدٍ، وليسَ مستحدثًا في المَمْلَكَةِ، فالبدايةُ مع المؤسِّسِ والموحِّدِ للملكةِ الملكِ عبدِ العَزِيز – رَحِمَهُ اللَّهُ. ومن ثم؛ استمرَّ الأمرُ معَ أبنائهِ جَمِيعًا، فكانَ هذا المبدأُ الإِسْلَاميُّ؛ سَببًا في تعزيزِ مسيرةِ التَّنميةِ، وتحقيقِ الأمنِ والرَّخاءِ، والتَّقدُّمِ والازدهارِ في سائرِ أنحاءِ البلادِ.

ونرَى التَّناصَّ في بعضِ الخِطَاباتِ يجمعُ بينَ القُرْآنِ والحَديثِ النَّبَويِّ الشَّريفِ، اعتِمادًا عَلَى المعنَى؛ دونَ النَّصّ عَلَى الآيةِ، أوِ الحَديثِ النَّبَويِّ الشَّريفِ، ومِصْداقُ ذلكَ **"أَنَّنا مُجْتَمَعٌ مُسلمٌ يَجمعُنا الاعتصامُ بحبلِ الله، والتَّمسُّكُ بكتابِهِ وسُنَّة نبيهِ ﷺ عقيدةً وشريعةً ومَنهجًا، فالشَّريعَةُ الإِسْلَاميَّةُ تقومُ عَلَى الحقِّ والعدلِ والتَّسَامُحِ ونَبذِ أَسبابِ الفُرقةِ، ولذَلكَ فإنَّ الجَمِيعَ يُدركُ أهميَّةَ الوحدةِ الوطنيَّةِ ونَبذ كُلّ أَسبابِ الانقسامِ وشقّ الصَّفِّ،**

---

(١) سُورَةُ الشُّورَى ٣٨.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَويّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلسِ الشُّورَى. (مصدر سابق).

والمسَاس باللُّحمةِ الوطنيَّةِ، فالمواطنونَ سَواءٌ أمامَ الحُقُوقِ والالتزاماتِ والواجباتِ، وعلينا جَميعًا أن نحافظَ عَلَى هذهِ الوحدةِ، وأن نتصدَّى لكُلِّ دعواتِ الشَّرِّ والفتنةِ أيًّا كانَ مصدرُ هذهِ الدَّعواتِ ووسائلِ نشرِها، وعَلَى وسائلِ الإعلامِ مسؤوليَّةٌ كَبيرةٌ في هذا الجانبِ[١].

ونلحظ هنا، التَّناصَّ (Intertextuality) معَ قولهِ تعَالَى" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"[٢]، وكذلكَ التَّناصَّ معَ الحديثِ النَّبويّ الشَّريفِ" تركتُ فيكُم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بِهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ"[٣].

وإن كانَ التَّناصُّ يُنبئُ عنْ مرجعيَّة ثقافيَّة للمخاطِب لدَى منشئِ النَّصّ، فإنَّهُ مُناسِبٌ للمَقامِ بسِياقِهِ الخَارِجِيّ السِّيَاسِيّ والاجتماعيّ. وَيتَماهَى المقصِدُ الثَّقَافِيُّ معَ المقصِدِ النَّفْسِيّ والقُرْآنِ الكَريمِ، والحديثِ النَّبويّ الشَّريفِ مِن أَكثَرِ الأَساليبِ إقنَاعًا للمُتَلَقِّي؛ فالنَّصُّ دَعوةٌ إلى الوَحدةِ، والتَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ؛ شَريعةً ومِنهَاجًا، ولَيسَ شعائرَ وطقُوسًا؛ لمواجهةِ تيَّاراتٍ ومذاهبَ قدْ تُؤدِّي إلى زعزعةِ أمنِ المَمْلَكَةِ، ونَشرِ دَعَواتِ الفِتنَةِ والفُرقةِ.

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّادِسَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

(٢) سورة آل عمران ١٠٣

(٣) مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظميّ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات، ط١، ١٤٢٥ ç – ٢٠٠٤م، ١٣٢٣/٥.

ويُشِيرُ الخِطَابُ في بَعضِ الأَحيانِ إلَى مَعنَى الآيَةِ، أوِ الحَديثِ النَّبويّ الشَّريفِ، أَو ينُصُّ عَلَيهِ؛ ومِثالُ ذلكَ قولُهُ، حَفِظَهُ الله: " **إنَّ دَولتكم دولةُ الإِسْلَامِ، الدّين القويم الذي نزَل عَلَى رسُولِ البَشريَّةِ محمد ﷺ، دِين الوَسطيَّةِ والتَّسامُحِ نعملُ بهِ، ونَسْعَى لتَطبِيقِهِ عَلَى ما كانَ عليهِ رسولُ الله ﷺ والخُلفاءُ الرَّاشِدُونَ مِن بَعدهِ ﷺ، فهُو قُدوتُنا ومَثلُنا الأعَلَى، وسَوفَ نُواجهُ كلَّ مَن يدعُو إلى التَّطرُّفِ والغلُوّ امتثالاً لقولِ المصطفَى ﷺ " إيَّاكم والغُلوَّ في الدّين، فإنَّما أَهلَكَ مَن كانَ قبلَكمُ الغلُوُّ في الدِّينِ"**[1]**، وبنفسِ القدرِ سوفَ نواجهُ كلَّ مَن يدعُو إلى التَّفريطِ بالدِّينِ، وإنَّ المَمْلَكَةَ ماضيةٌ في مواجهةِ ظاهرةِ الإِرْهَابِ بكلِّ قوَّةٍ وحَزمٍ "**[2]**.

يَستدْعِي النَّصُّ قَولَهُ تَعَالَى:"وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" [3]، وقَولَهُ تَعَالَى:" لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ"[4]،ويَسْتدعِي كَذلكَ قولَ الرَّسول ﷺ: "أُوصِيكُمْ بِتَقوَى اللهِ، والسَّمعِ والطَّاعةِ وإنْ تأَمَّرَ عليكم عَبدٌ حَبَشِيٌّ، وإنَّه مَنْ يَعِشْ منكم فَسَيرَى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ

---

(١) أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند الإمام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ ç – ٢٠٠١م،٥/٢٩٨.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى (مصدر سابق)

(٣) سورة البقرة ١٤٣.

(٤) سورة الأحزاب ٢١.

الراشدينَ المهْدِيينَ، عَضُّوا عَليهَا بالنَّوَاجِذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأُمورِ، فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ". (١)

جاءَ النص السّابق المقبوس مُزدحمًا بالتَّناصِّ القُرْآنيّ، والتَّناصِّ النَّبوي؛ ليحقِّقَ مَقصِدًا نَفسِيًّا، ومَقصِدًا ثَقافيًّا في آنٍ واحدٍ؛ فموجةُ الإرْهَابِ موجةٌ عاتيةٌ، تَكادُ تضرِبُ كثيرًا منَ الدّوِلِ، ومِن هُنا ركَّزَ الخِطَابُ عَلَى وسطيَّةِ الدّينِ التي دَعَا إليهَا القُرْآنُ الكَريمُ، وكَذَلكَ أشَارَ النَّصُّ إلى قُدوةِ الرَّسُولِ عليه السلام، والخلفاءِ الرَّاشِدينَ، وهذا مبرِّرٌ كافٍ لمحاربةِ الإرهابِ، ومَواجهتِه بكُلِّ حَزمٍ؛ فَقدْ شَدَّدَ الحديثُ النَّبويُّ تَشْدِيدًا عَلَى نَبذِ الغُلوِّ في الدّينِ؛ ذلِكَ الغُلوُّ الَّذي يَتبنَّاهُ الإرهابيُّونَ، ويتَّخِذُونهُ شِرعةً ومِنهاجًا، ويحرصُ الخِطَابُ عَلَى محاربةِ المفرّطينَ في الدّينِ؛ فالمفرِّطُونَ لا يختلفُونَ عنِ الغُلَاةِ، فالوسطيَّةُ منهجُ الدّينِ القويمِ، ومنهجُ المَمْلَكَةِ منذُ نشأتِها حتَّى الآنِ.

٣- الأَفْعَالُ الكَلَامِيَّةُ: (Speech Acts)

المعنَى شكلٌ مِن أشكالِ القَصْدِيَّةِ، يتحصَّل من كَلِماتٍ وجُملٍ ورُمُوزٍ؛ إذَا ما أُحسنَ النُّطقَ بهذهِ الكلماتِ والجُملِ، بحيثُ تكونُ ذاتَ مَعنًى؛ فإنَّها تَحتوِي عَلَى قصديَّةٍ، مُشتقَّةٍ مِن أفكارِ المتَكَلِّمِ؛ فهيَ لا تَنطوِي عَلَى مَعنَى لُغَويٍّ تقليدِيٍّ فَحَسبُ؛ بلْ تَنطوِي عَلَى مَعنًى يقصدُهُ المتَكَلِّم أيضًا؛ فالمتَكَلِّمُ حينَ يؤدِّي فِعلًا كَلَاميًّا؛ فإنَّهُ يفرضُ قصديَّتَهُ عَلَى هذهِ العلاماتِ والرُّمُوزِ(٢).

(١) أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند الإمام ،٣٧٣/٢٨.

(٢) يُرَاجَعُ: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم والواقعي، ص ٣٥.

ويهتمُّ القَصدُ الاتّصاليّ عندَ أُوستين (Austin)؛ بالفِعلِ الدَّلاليّ؛ حيثُ تُترجمُ المقَاصِدُ إلى أعمالٍ لغويَّةٍ؛ أي إلى جُملٍ؛ تخضعُ للتَّواصُلِ، ويرَى أنَّ غاياتِ المقَاصِدِ ذاتيَّةٌ، وهي تستدعِي فهمَ المخاطَبِ، وإبلاغه شيئًا ما، ولهُ غرضٌ خَاصٌّ وراءَ هذا الاتّصالِ(١).

"وطوَّرَ سيرلُ نظريةَ أستاذهِ أُوستينَ؛ خاصَّةً عَلَى صَعيدِ المقَاصِدِ والمواضعاتِ(٢)؛ فنظريَّةُ الأعمالِ اللُّغَوِيَّةِ؛ تقرُّ بوجودِ المآلاتِ الذِّهنيَّةِ؛ لأنَّها تدرسُ بشكلٍ خاصٍّ المقَاصِدَ"(٣).

ومن ثمَّ كانَ لتدَاوليَّةِ أَفعالِ الكَلَامِ دَورٌ بَارزٌ في ممارسةِ العَمَلِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ؛ حيثُ جعلتِ الفعلَ اللُّغويَّ حدثًا إنجازيًّا مُؤثرًا لهُ عَلاقةٌ بمقاصِدِ الكَلَامِ(٤). والفِعلُ الكَلَاميُّ سلوكٌ لغويٌّ مقصُودٌ؛ فَحِينَما تَتلفَّظُ؛ أي إنَّكَ تفعلُ جَوهرَ الفِعلِ الكَلَاميّ، والفِعلُ اللُّغويُّ هوَ فِعلٌ ناتجٌ عن تُحَقِّق الحَدثِ، وإنجازِهِ، كما أنَّهُ فِعلٌ قَصديٌّ، وخَاضِعٌ للاصطلاحِ، وللتَّعاقُدِ الاجتماعيّ، وناجِمٌ أيضًا عَن طَبيعةٍ مقاميَّةٍ وسِياقيَّةٍ. يمثّلُ هذَا الفِعلُ الممارسَةَ اللُّغَوِيَّةَ، كما يُمَثِّلُ التَّفاعُلَ التَّواصُليَّ، وهوَ كَلامٌ من إنتاجِ المتَكَلِّمِ الذي ينظمُ الجَاهِزَ داخلَ

(١) يُرَاجَعُ: محمد بكاي، التصورات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، ص ١٩٣.

(٢) يُرَاجَعُ: جاك موشلر – آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين المجدوب، دار سيانترا — تونس،١٩٩٤م ،ص ٧٥ .

(٣) طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت، ١٩٨٤م، ص ١٩.

(٤) يُرَاجَعُ: شريفة أحمد حسن، وعائشة صالح بابصيل، البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، ص١٠٥.

قُدراتهِ التَّوَاصُلِيَّةِ انسِجامًا معَ نظُم العَلاقاتِ الاجتِمَاعِيَّةِ، فصارَ المعنَى مُعبِّرًا عنْ أحاسيسِ المخاطبينَ، وأفكَارِهِم؛ أي عَن مقاصِدَهِم(١).

وقد قدَّمَ أُوستين تصنيفًا للأفْعالِ الكَلَاميَّةِ، وقسَّمَها حسبَ قوَّتها الإنجازِيَّةِ إلى خَمسَةِ أفعالٍ هيَ: أفعالُ الأحكَامِ، وأفعالُ القراراتِ، وأفعالُ التَّعَهُّدِ، وأفعالُ السُلُوكِ، وأفعالُ الإيضاحِ(٢).

واقترحَ سيرلُ (John Searle) خَمسةَ أَصنافٍ؛ هِيَ: الإخباريأَّتُ أو التَّقاريرُ- الأَوامرُ أو التَّوجيهَاتُ- الوعودُ أو الالتزاميَّاتُ- التَّصْريحاتُ أوِ التَّعْبِيراتُ- الإنجازيَّاتُ أو الإعلانيَّاتُ(٣).

وربَّما تَتدَاخَلُ أفعالُ الإخباريَّاتِ عندَ سيرلَ؛ معَ أفعالِ الإيضاحِ عِندَ أُوستين، ومنَ الممكِنِ تناولُهُما في إطَارٍ وَاحِدٍ لكون جهود سيرل تطويرًا وإنضاجًا لما عند أوستين، لأنهما يصدران من منبع واحد، ولنبدأ أولا بدور أوستين في الأفعال الكلاميّة.

---

(١)- محمد بكاي، التصورات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٢) يُرَاجَعُ: ليندة قياس، لسانيات النص، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) يُرَاجَعُ: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغَويّ المعاصر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٥٠، ويُرَاجَعُ: مختار درقاوي، الآليات التَّدَاوُلِيَّة لتحليل الخطاب من وجهتيْ نظر الأصوليين والتداولين المحدثين، الندوة الدولية الثانية، قراءة التراث الأدبي واللُّغَويّ في الدراسات الحديثة، جامعة الملك سُعُود، ٥٢-٢٧/ ٤/ ١٤٣٥- ٢٥- ٢٧/ ٢/ ٢٠١٤، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

٣/١- الأَفْعَالُ الكَلَاميَّةُ عندَ أوستين:

٣/١/١- أفعالُ الأَحكَامِ: (Verdictives)

ويتَمثَّلُ في حُكْمٍ يُصدرُهُ قاضِي المحكَمةِ، أو هيئَةٌ مُعيَّنةٌ[١].

يمثِّلُ الملكُ سَلْمَانُ – حَفِظَهُ اللهُ- أعَلَى سُلطَةٍ في البلَادِ، ومِن ثمَّ قرارهُ يدخلُ في أفعالِ الأحكامِ؛ كَقَولِهِ: **"فَلَقَدْ سَعَى الإرهابيُّونَ إلَى زَعْزعَةِ الأمنِ والاستقرارِ في معقلٍ مِن أهَمّ معاقلِ الإسْلَامِ وفي أطهَرِ البقَاعِ وجوَارِ مَسْجدِ الرَّسُولِ ﷺ، وفي هذَا الصَّددِ فإنَّ تطبيقَ شرعِ الله، والتَّعَاوُنَ بينَ الشَّعْبِ والحكومةِ، ويقظةَ الأجهزةِ الأمنيَّةِ وشَجاعَةَ مَنسُوبيها، كُلُّ ذلكَ بعدَ توفيقِ اللهِ تَعَالَى سَوفَ يَحُولُ دُونَ تَحقيقِ هَؤُلاءِ المجرِمينَ مَقاصِدَهم وأَهدَافَهم، ونحنُ عَازمُونَ وبكلِّ حَزمٍ عَلَى التَّصدِّي للإرهابِ وأخطارِهِ، ولنْ نتَسَاهِلَ في تطبيقِ الأنظمَةِ عَلَى كُلِّ مَن تُسوِّلُ لهُ نفسُهُ العبَثَ بأمنِ ومقدراتِ بلادِنا الغاليَةِ"**[٢].

والفعل الكلامي هنا في قوله" ونحنُ عَازمُونَ وبكلِّ حَزمٍ عَلَى التَّصدِّي للإرهابِ وأخطارِهِ" فقد مارسَ الإرهابيُّونَ أبْشعَ الجرائِمِ؛ حيثُ أرادُوا في المسجِدِ الحرامِ إلحَادًا بِظُلْمٍ، فقَدْ جَاءَ الحُكْمُ منَ الملكِ، وهو تطبيقُ شَرْعِ الله،

(١) يُرَاجَعُ: ليندة قياس، لسانيات النص، ص ١٩٢.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَويّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

وقد أفسَدُوا في الأرضِ؛ فيكونُ حدُّ الحَرابةِ جَزاءَهُم، وتطبيقُ الحدودِ عَلَيهِم؛ سَوفَ يَحولُ دُونَ تنفيذِ هذهِ الفئاتِ المنحرِفةِ والضَّالةِ أهدَافُهم وأغْراضُهم.

ويأتي الحُكمُ الثَّاني؛ وهُوَ تطبيقُ الأنظمَةِ، ويكونُ المقصِدُ مِن هَذَا الحُكْمِ؛ تَهديدَ كُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفسُهُ أَنْ يَعبثَ بأَمنِ الوَطنِ، أو الانضمَام إلى الفِئاتِ الإرْهابيَّةِ التي تمثِّلُ خطرًا عَلَى البلادِ والمَوَاطِنِينَ.

ويأتي توجيهُ الملكُ – حَفِظَهُ اللهُ- بمثابةِ فِعلٍ مِن أفعالِ الأَحكامِ؛ حَيثُ يقُولُ: **" لا يخفَى عليكُم الجُهُودُ التي تبذُلُها الدَّوْلَةُ لإيجادِ المزيدِ مِن فُرصِ العَملِ والتَّدريبِ والتَّأهيلِ لشبَابِ وشاباتِ الوطَنِ، وقدْ وجَّهْنا سُمُوَّ وَليّ العَهدِ رئيسَ مجلسِ الشُّؤونِ الاقتصادِيّةِ والتَّنميةِ بالتركيزِ عَلَى تطويرِ القدراتِ البَشَريَّةِ وإعدَادِ الجيلِ الجديدِ لوظائفِ المستقبلِ، وقدْ شَهدتْ بلادُنا انطلاقَ قِطَاعاتٍ ضَخْمةٍ وواعِدةٍ؛ مثلَ السِّياحَةِ والطَّاقةِ المتجدّدةِ والتَعَدِّينِ، وكلُّ هذَا سيُسهِمُ في بناءِ سوقِ عملٍ متَّزنٍ يراعِي احتياجاتِ المستقبلِ، ويُعيدُ هيكلةَ نفْسِهِ بكَفاءَةٍ عَاليةٍ تَستَجِيبُ للمُتغيِّراتِ**[1].

نرى الحكمَ هنا في الفِعلِ الماضِي ومتعلِّقاتِهِ: "وقدْ وجَّهنا سُمُوَّ ولي العَهدِ" وتمثَّلَ التَّوجيهُ في تطويرِ القُدراتِ البَشَريَّةِ، وقد جاءَ المقْصِدُ وَاضِحًا في الآثارِ المترتّبةِ عَلَى فعلِ الحُكمِ، في انطلاقِ قطاعِ السِّياحةِ، وقطاعِ الطَّاقةِ المتجدّدةِ، وقطاعِ التَعَدِّينِ، ويكمنُ خلفَ هذهِ الانطلاقَةِ مجموعةٌ منَ المقَاصِد؛ أهمُّها:

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثالثة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى (مصدر سابق)

بناءُ سُوقِ عَمَلٍ مُتوازنٍ، يحقِّقُ للمُواطنينَ الاحتيَاجَاتِ المستَقبليَّةَ؛ بحيثُ يتحوَّلُ إلى سُوقٍ واعدَةٍ.

ولعلنا نلحظ مقصدية الخطاب في أفعال الأحكام التي تنبئ عن قصد الملك من خطابه؛ كما في قوله: (وقدْ وجَّهْنا، سيُسهِمُ في بناءِ، ويُعيدُ هيكلةَ نفْسِهِ، تَستَجِيبُ للمُتغيّراتِ) فالتوجيه من الملك نفسه حفظه الله بصيغة الجمع يعطي قدرا كبيرا من الطمأنينة لتنفيذ هذه الوعود، بل بتمامها على أفضل ما تكون، والتسويف بالسين يعطي انطباعا بسرعة الإنجاز والقدرات المحققة والخطط المعدة لتنفيذ البرامج التنموية، وإعادة الهيكلة فيها مقصدية الأمل بميلاد جديد لأن الهيكلة تغيير وتطوير، والاستجابة للمتغيرات فيها طواعية للقرارات الملكية بما يوحي بالتحام الشعب مع السلطة وثقته الكاملة فيها.

***

٣/١/٢– أَفعالُ القَرَاراتِ: (Exercitives) وتتَمثَّلُ في اتِّخاذِ قَرارٍ مُعيّنٍ، أو مُمارسَةِ سُلطَةٍ تَشريعيَّةٍ، أو قانُونيَّةٍ؛ كالإذْنِ والطَّرْدِ والحِرمانِ والتَّعيينِ(١).

وتتَعدَّدُ أفعالُ القرَاراتِ في الخِطَاباتِ، ويمكنُ اختيارُ بعضِ النَّماذجِ عَلَى سبيلِ التَّمثيلِ؛ لا الحصْرِ؛ مثلَ: **"وانطِلَاقًا مِنْ أَحكَامِ اتفاقيَّةِ مُنظمَّةِ التَّعَاوُنِ الإِسْلَاميّ لمكافحَةِ الإِرْهَابِ بجَميعِ أَشكالهِ ومَظَاهرِهِ، والقضاءِ عَلَى أهدافهِ ومُسبّباتِهِ، وأَداءً لوَاجِبِ حِمايةِ الأُمَّةِ مِن شُرورِ الجمَاعَاتِ والتَّنظيماتِ الإِرْهابيَّةِ المسَلَّحَةِ، أيًّا كانَ مَذهَبُها وتَسمِيتُها، التي تَعِيثُ في الأرضِ قَتْلاً وفَسَادًا، وتهدفُ إلى ترويعِ الآمنينَ، فَقدْ تمَّ تشكيلُ تحالفٍ عسكريٍّ إسلاميٍّ لمحارَبةِ الإِرْهَابِ بمبَادرةٍ منَ المَمْلَكَةِ، وذلك لتوحيدِ وتنسيقِ ودَعْمِ الجُهُودِ الإِسْلَاميَّةِ في مكافَحةِ الإرهَابِ"**(٢).

تَبدُو أَفعالُ القَرَاراتِ واضِحَةً في النَّصّ؛ كتنفيذ أَحكَامِ اتفاقيَّةِ مُنظمَّةِ التَّعَاوُنِ الإِسْلَاميّ لمكافحَةِ الإِرْهَابِ، وتشكيل تحالفٍ عسكريٍّ إسلاميٍّ، وتوحيدِ وتنسيقِ ودَعْمِ الجُهُودِ الإِسْلَاميَّةِ، وكلها من أفعال الإذن والتعيين: (تنفيذ، تشكيل، توحيدِ، تنسيقِ) واتفقت في البنية الصرفية الدالة على الإرادة بتضعيف عين الجذر؛ ولكن تبدو قصدية الحرمان والطرد فيها في الوقت ذاته؛ وذلك تُجاهَ الجمَاعَاتِ الإرهابيَّةِ، التي تجوسُ خِلَالَ دِيَارِ المسْلِمِينَ، وتَسْعَى في

(١) يُرَاجَعُ: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٦٢، ويراجع أيضًا: ليندة قياس، لسانيات النص، ص ١٩٢.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

الأَرضِ فَسَادًا، خَاصَّةً الجَماعاتِ المسلَّحةَ؛ التي تَقتلُ الآمنينَ، وتروّعَ المَوَاطِنِينَ، ولا ترقبُ في مؤمنٍ إلًّا، ولا ذِمَّةً، ومِن هُنا جَاءَ فِعْلُ قَراراتِ الحرمان والطّردِ لمواجهَةِ الخَطَرِ الدَّاهِمِ بتشكيلِ تحالفٍ عسكريٍّ إسلاميٍّ لمحاربَةِ الإِرْهَابِ بمبادرةٍ من المَمْلَكَةِ العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، وفعلُ القرارِ هنا يُشيرُ إلى خطرِ الإرهابِ، فلا يمكنُ أن تواجهَهُ دولةٌ بعينِها، فلا بدَّ مِن تضَافُرِ الجُهُودِ، وتوحيدِ القُوى، لمكافحَةِ هذا المرضِ الخطيرِ الذي يُهدِّدُ جَسَدَ الأُمَّةِ.

وَلَا بُدَّ منَ اتّخاذِ بَعضِ القرَاراتِ في جَائحَةِ كُورُونَا" **حِينَما أَصَابتِ العَالَمَ جَائِحَةُ كُورُونَا المستجدّ حَرصْنَا عَلَى إقامَةِ الرُّكْنِ الخامِسِ مِن أركانِ الإِسْلَامِ في ظِلّ هذا الظَّرفِ الاستثنائيّ، ودَفعْنا إلى عَملِ المزيدِ من احتياطاتِ السَّلَامةِ الوقائيَّةِ، لمنعِ تفشّي الوباءِ وحِمايةِ الحُجَّاجِ والمُوَاطِنِينَ من انتشارِهِ، والمسَاهمةِ في الجُهُودِ العالميَّة لمحاصرةِ هذا الدَّاءِ، فاقتصرَ الحجُّ العامّ الماضي عَلَى عددٍ محدُودٍ جِدًّا مِن مواطنينَ ومُقيمينَ، بعدَ الاطمئنانِ عَلَى تطبيقِ أعلَى إجراءاتِ الأمانِ وتدابيرِ السَّلَامةِ لضَمانِ سلَامةِ ضُيوفِ الرَّحمَنِ مِن آثارِ هذهِ الجائحةِ وتبعاتِها**"[1] تبدُو أفعالُ القرَاراتِ في إقامَةِ الحجّ؛ كَأَخْذِ الاحتياطاتِ الوِقَائيَّةِ، والإسهامِ في الجُهُودِ العالميَّةِ في مُكافحةِ داءِ كُورُونَا، وتطبيقِ أعلَى درَجاتِ السَّلَامةِ.

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

داءُ كُورُونَا مرضٌ له آثارُهُ السَّلْبِيَّةُ في دُولِ العالمِ خَطِيرةً ومُدمّرةً، ومِن ثَمَّ كثُرَتْ أفعالُ القرَاراتِ في الملفُوظِ الملكيّ، ولأهَمِيَّةِ الرُّكْنِ الخامسِ للإسلَامِ، كانَ القرارُ الملَكِيّ في إقامةِ هذا الرُّكنِ بأعدادٍ محدُودةٍ مِنَ المواطِنِينَ والمقيمينَ، واتّخاذُ الإجراءاتِ الوقائيَّةِ أمرٌ مُهِمٌّ؛ فإقامَةُ الحجِّ، ووقايةُ ضيُوفِ الرَّحمَن؛ يمثّلانِ نجاحًا للمَمْلَكَةِ، وهذا مَقصدٌ نَفسِيٌّ يُضافُ إلى المقَاصِد الكامِنةِ في أفعالِ القَراراتِ.

***

٣/١/٣– أفعال التَّعَهُّد: (Commissives) الغَايةُ منها هُو أنْ يلزمَ المتَكَلِّمُ نَفسَهُ بإنجازِ فعلٍ مُعَيَّنٍ، والأَفْعَال المعَبرّة عنها: يعدّ– يَضمَنُ– يُؤيّدُ– يَكفلُ(١).

ويتَجلَّى فِعلُ التَّعهُّد في قَولِ الملكِ حَفِظَهُ الله" **عمَلتِ المْلَكَةُ ولا تزالُ تعملُ لضمانِ استقرارِ إمداداتِ البترُولِ للعَالِم، بما يخدُمُ المنتجينَ والمستهْلِكِينَ عَلَى حدٍّ سَواءٍ، عَلَى الرَّغمِ منَ الظُّرُوفِ الاقتصادِيّةِ التي يَعِيشُها العَالمُ اليَومَ بِسَببِ جَائِحَةِ كُورُونَا، وانعكاسَاتها عَلَى أسواقِ البِتْرولِ العَالمِيَّة"**(٢).

يُعدُّ النّفطُ مِن أهمّ مصادرِ الدَّخلِ في المْلَكَةِ العَرَبيَّة السُّعُودِيَّة، وتمثّلُ المْلَكَةُ أهمَّ الدّولِ المصدّرةِ للنّفطِ في العالِم، وفي ظِلّ الظُّروفِ الاقتِصادِيَّةِ التي هَزَّتِ العالمَ؛ بسَببِ جَائِحَةِ كُورُونَا، وأثرَّتْ في اقتصادِ دولِ العالِم؛ فَجاءَ فِعلُ التَّعَهُّدِ، مُبينًا مَقصِدَ صَاحِبِ التَّعهُّد في إمدادَاتِ البترولِ لدولِ العالِم؛ خِدمةً للمُنتجينَ والمستهلِكِينَ.

وَيتَحوَّلُ فِعلُ التَّعهُّد إلَى المجْتَمَعِ الدَّولِيّ تُجاهَ المشرُوعِ الإيرانِيّ **"وإنَّ المْلَكَةَ لتؤَكّدُ عَلَى خطُورةِ مشروعِ النّظَام الإيرانِيّ الإقليميّ، وتدخُّلِهِ في الدّولِ ودَعمِهِ للإرهابِ والتَّطرُّفِ وتأجيجِ نيرانِ الطَّائفيَّةِ، مِن خِلالِ أذرعِهِ**

(١) يُرَاجَعُ: ليندة قياس، لسانيات النص، ص ١٩٢.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

المختلفةِ، وتُنادِي بضَرورةِ اتّخاذِ موقفٍ حازمٍ من قبلِ المجْتَمَع الدَّولِيّ تجاهَهُ، يضمنُ معالجةً جَذْرِيَّةً لسَعي النِّظَامِ الإيرانِيّ للحصُولِ عَلَى أسلحةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ وتَطويرِ بَرنامجِهِ للصَّواريخِ الباليستيَّةِ وتدخُّلاتهِ في الشُّؤونِ الدَّاخِلِيَّةِ للدّولِ الأُخرَى وَرِعَايتِهِ للإرهابِ وتهديدِهِ للسّلمِ والأمنِ الدَّولِيّينِ"[1].

مَازَالتِ مقَاصِدُ أفعال التعهد كما نلحظُ في (تؤكّد، تنادي، يضمَنُ) تؤدّي قصديَّة المتكلّم بإبراز دزر المملكة تجُاهَ المشروعِ الإيرانِيّ الذي يَسْعى إلى التَّمدُّدِ في المنطقةِ، ومِن ثمَّ يتَّخذُ هذا المشرُوعُ مَجمُوعةً منَ الوَسائلِ؛ مِن أهمِّها: دعْمُ الإرهابِ؛ وخَلقُ الفِتنِ، وزرَعُ الفُرقةِ والشِّقَاقِ، خاصَّةً بينَ السُّنَةِ والشِّيعَةِ؛ كلّ هذا دفعَ المَمْلَكَةَ أن تتوجَّهَ إلى المجْتَمَعِ الدَّولِيّ؛ لاتّخاذِ الإجراءاتِ اللَّازمةِ نحوَ المشروعِ الإيرانِيّ، بعدما أبرزت موقفها القصديّ بوضوح من خلال أفعال التَّعهُّدِ.

ويأتي فِعْلُ التَّعَهُّد "يَضمنُ مُعالجةً جَذْرِيَّة" معبرًّا عن قصدية المتكلم في إبراز موقف دولته؛ حيثُ إنَّ أسلحَةَ الدَّمَار الشَّامِلِ؛ أو البرنامج النَّوَويّ الإيرانِيّ، وبرنامج الصَّواريخِ؛ يُهدِّد المَمْلَكَةَ، ودِولَ الجوارِ، فكانَ فعلُ التَّعَهُّد القصدُ منهُ مواجهَةُ هذا المشروعِ الذي يمثّلُ خَطرًا شديدًا عَلَى الأمنِ والسَّلَامِ.

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

وَيَأْتِي فِعلُ التَّعهُّدِ في أقوى صوره حين ينسب إلى الله غز وجلّ ليصير أقوى العهود في قولِ الملكِ – حَفِظَهُ الله–: " **ويأتي في مُقدّمةِ التزامَاتِنَا مَا شَرَّفَ اللهُ بهِ بلادَنا مِن خِدْمةِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ وقَاصدِيهما مِن حُجَّاجٍ ومُعتمرينَ وزُوَّارٍ، وهُو التزامٌ نفخرُ ونعتزُّ بهِ، وقدْ عاهَدْنا الله ﷻ عَلَى بذلِ الغالي والنَّفيسِ في سبيلِ ذلكَ، ويأتي في هذَا السِّيَاقِ اهتمامُ الدَّوْلَةِ بعِمَارةِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ وتَوسِعتِهما**"(١).

لَقَدْ شرَّفَ اللهُ المَمْلَكَةَ لخدمةِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ، وخِدمةِ ضيُوفِ الرَّحمَنِ مِن الحُجَّاجِ والمعتمرينَ، وهذا مما لا شكَّ فيهِ مَصدرُ فَخرٍ واعتِزازٍ لأيَّةِ دَولةٍ شَرَّفها اللهُ بهذَا الأَمرِ؛ وبالتَّالي جَاءَ فعلُ التَّعَهُّدِ مَعَ اللهِ سبحانَهُ وتعالي؛ لأنَّ الخِطَاب يوقنُ بأنَّ التَّشريفَ من قبلِ الله ﷻ، فالعَهْدُ لبَذلِ الغَالي والنَّفيسِ في خِدمةِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ؛ وبالتَّالي يأتي الاهتمامُ بعمارةِ الحَرَمَينِ، ومَشرُوعِ التَّوسِعَةِ خيرُ بُرْهانٍ عَلَى ذَلكَ.

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّادِسَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٤/١/٣– أفعالُ السِلُوكِ: (Behabitives) تُعبّرُ عن ردِّ فعلٍ لِسُلُوكٍ ما، والأَفْعَالُ المعبرةُ عَن ذلكَ: يَعتذِرُ– يَشكُرُ– يُواسِي– يتَحَدَّى(١).

ومن أفعال السّلوك المتكررة في الخطاب الملكيّ أَفعالُ الشُّكرِ، ونذكُرُ منها" **ونحمدُ الله الّذي منَّ علينا بشَرفِ خِدمةِ بيتهِ الحرامِ ومَسجدِ رسُولهِ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلَامِ، كما نشكرهُ ﷻ عَلَى فضلهِ وتوفيقهِ إلى النَّجَاحِ المتميّزِ لموسمِ حَجِّ العامِ الماضِي، وهذَا مَا لَمسنَاهُ مِن مَشَاعِرِ حُجَّاجِ بيتِ الله الحرَامِ والمسؤولينَ من دولٍ مختلفةٍ**(٢).

أَعظمُ آياتِ الشُّكْرِ؛ هي للهِ ﷻ عَلَى نِعمِهِ؛ وفي هذا الخطابِ؛ تتوجَّهُ المقصدية إلى حمد الله ﷻ عَلَى توفيقِ المَمْلَكَةِ عَلَى نجَاحِ مَوسمِ الحجِّ، وهذا النَّجَاحُ مَقصدٌ لهُ أهميتُهُ العظمى؛ ومِن هُنا جَاءَ فِعلُ السِلُوكِ مُوجِّهًا الشُّكرَ للهِ صَاحبِ المنَّةِ والفَضْلِ عَلَى هذَا النَّجاحِ.

ويتوجَّهُ الخِطَابُ بالشُّكرِ إلى مجلسِ الشُّورَى" **أشكرُ معالي رئيسِ مجلسِ الشُّورَى، والإخوةَ والأخواتِ الأعْضاءَ في المجلسِ عَلَى جُهُودِهم ومسَاهمَاتِهم، مُتمنيًا لهُم التَّوفيقَ والسَّدَادَ**(٣).

ونرَى الشُّكرَ نَفسَهُ لِرئيسِ المجلِسِ والأعضَاءِ في خِطابٍ آخرَ، يَتوَجَّهُ الملكُ – حَفِظَهُ اللهُ– بالشُّكرِ لمجلسِ الشُّورَى: رئيسًا وأَعْضاءَ، وهذا يدلُّ

---

(١) يُرَاجَعُ: ليندة قياس، لسانيات النص، ص ١٩٣.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

(٣) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

دلالةً واضِحَةً عَلَى التَّناغُم والانسجامِ بين السُّلطة التَّنْفِيذِيَّة والمجلس، ومن ثمَّ يكونُ المقصِدُ الكَامِنُ في فِعْلِ السُلُوكِ إِظهَارَ هذَا الانسِجامِ بَينَ السُّلْطتينِ للشَّعْبِ.

وتتَّسِعُ دَائرةُ الشُّكرِ في الخِطَابِ الملَكِيّ **"وفي هذه المناسبَة، أكرّرُ شُكري لإخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي المُوَاطِنِينَ والمقيمين عَلَى أرض المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، عَلَى تفهمهم وتعاونهم في اتّباع التَّعليماتِ وتنفيذ الإجراءاتِ، كما أشكرُ أجهزةَ الدَّوْلَةِ كافَّةً، واللّجانَ المشكَّلَةَ وفِرقَ العملِ المنبثقةَ منها، عَلَى ما تبذلهُ جميعُها في سَبيلِ مُكافَحةِ هَذهِ الجائحَةِ العَالمِيَّة"**(١).

إنَّ نجاحَ المَمْلَكَةِ في مواجهَةِ جائحةِ كُورونا، وتَعاون أبناءِ المَمْلَكَةِ، والمقيمينَ، واتّباعِهِم تعليماتِ السَّلَامةِ، وتنفيذِهِم الإجراءَاتِ الاحترازيَّةَ، دَفعَ الملِكُ – حَفِظَهُ الله– إلى شُكرِ الجميعِ؛ بأُسْلُوبٍ يصِلُ إلى أعَلَى دَرَجَاتِ التَّلطُّفِ في الخِطَابِ، عَبرَ الملفوظِ اللُّغويّ" إخوَاني وأَخَوَاتي وأبنائي وبناتي"، ويتوجَّهُ الخِطَابُ أيضًا إلى أَجهزةِ الدَّوْلَة، واللّجان المشكَّلة لمواجَهةِ الجائِحَةِ، وكذلكَ فِرَق العملِ المنبثقَة مِنَ اللّجَان؛ إنَّ الجُهُودَ المبذولةَ مِن هذهِ الأَجهزةِ، والتَّعَاوُن المجْتَمَعيّ، يَستحقُّونَ هذا الشُّكرَ، ويكُونُ المقصدُ مِن هذا الفِعلِ السُلُوكِيّ تشجيعَ الجميعِ عَلَى الاستمرارِ في مُواجهةِ الجائحَةِ، حتَّى تنتهي.

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٣/١/٥- أَفعَالُ الإيضَاحِ: (Expositives) الهدَفُ مِنهَا تسويغ وِجهَةِ نَظَرٍ مُعَيَّنةٍ، أو الإفصَاحُ عَن رَأْيٍ، وإثبَاتُ ذلكَ بالبرَاهينِ والحُجَجِ، ومما يدل عليها الأَفْعَال الآتية: أُثبتُ، وأُنكرُ، وأُلاحِظُ، وأشُكُّ، وأُصوِّبُ[١].

ويتفق أوستين في هذهِ الأَفْعَالِ الإخباريّاتِ أو التَّقاريرُ مع تصنيفِ سيرل للأفعالِ الكَلَاميَّة، وتكمنُ غايتُهما الكَلَاميَّةُ في جعلِ المتَكَلِّمِ مَسؤولًا عَن وجودِ وَضعِ الأشياءِ، واتِّجاهِ المطابقةِ في الوضْعِ الإخباريّ.

والغَرضُ الإنجازيّ لهذهِ الأَفْعَالِ نَقلُ المتَكَلِّمِ لواقعةٍ مِن خلَالِ قَضِيَّةٍ معيَّنةٍ، وأفعالُ هذا الصّنفِ تحملُ الصِّدْقَ والكذبَ، وتتضمَّنُ أفعالَ الإيضاحِ[٢].

وتتجلَّى أفعالُ الإيضاحِ في الاستنكارِ في الخِطَاباتِ الملكيَّةِ الشوريّة عَلَى حدِّ قولِ الملكِ –حَفِظَهُ الله– **" ولا نزالُ نأملُ بأن تُحَقِّقَ الجُهُودُ الدَّوليّةُ من خِلالِ المبعوثِ الأمميّ نتائجَ إيجَابِيَّةً تُنهِي مُعاناةَ الشَّعْبِ اليَمَنِيّ، وتُحَقِّقَ الأمنَ والاستقرارَ في اليَمَنِ الشَّقِيقِ، وفي هذا السِّيَاقِ نُعبّرُ عَنْ تنديدِنا واستنكارِنا لمحاولةِ الانقلابيّينَ الحُوثِيّينَ استهدافَ الأماكنِ المُقَدَّسَةِ، والّذي لاقَى شَجْبًا واسْتِنْكَارًا عالميّينِ، لما في هذه الخطُواتِ الْإِجْرَامِيَّةِ من اِسْتِفْزَازٍ لمَشَاعِرِ المسْلِمِينَ في أنحاء العَالمِ كَافَّةً**[٣].

---

(١) يُرَاجَعُ: ليندة قياس، لسانيات النص، ص ١٩٣.

(٢) يُرَاجَعُ: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣٠.

(٣) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

إنَّ تَعَدِّي الحُوثِيّينَ عَلَى الأماكنِ المقَدَّسَةِ؛ يُعدُّ أَمْرًا مُستفزًّا لمشَاعِرِ المسْلِمِينَ في كُلّ أنحاءِ العَالمِ، وهذا الأمرُ غَيرُ مقبولٍ مَحليًّا وعَالميًّا، ولهذَا جَاءَ فِعلُ الإيضَاحِ مُتمثّلًا في استِنكَارِ الخِطَابِ الملَكيّ؛ مُعبّرًا عن استنكارِ المسْلِمِينَ جَمِيعًا لفعلِ جمَاعةِ الحوثيّ المشينِ، واتَّسعَ الفِعلُ ليشملَ اسْتِنْكَارًا عَالميًّا.

والتَّحيُّز الأَمريكِيّ لدولةِ الاحتلالِ ضِدَّ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ؛ لاقَى اسْتِنْكَارًا في الخِطَابِ الملَكِيّ " **إنَّنا نؤكّدُ موقفَ المْلَكَةِ الثَّابتَ مِنَ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ في قضيّتِهِ العادلةِ، والمْلَكَةُ تُعتبرُ القَضِيَّةَ الفَلَسْطِينِيّةَ في مُقدّمةِ اهتِمامَاتِها، وسيظلُّ موقِفُها كمَا كانَ دائمًا مُسْتَنِدًا إلى ثَوَابتَ ومُرتكزاتٍ تهدفُ إلى تحقيقِ السَّلَامِ العادلِ والشَّامِلِ، عَلَى أساسِ استردادِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ لحُقُوقِهِ المشروعةِ، بما في ذلكَ حقّهُ المشروعُ في إنشاءِ دَولتِهِ المستقلَّةِ وعاصمُتها القُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ وَفقًا لقراراتِ الشَّرْعِيَّةِ الدَّولِيّةِ ذاتِ الصِّلةِ، ومبادرةِ السَّلَامِ العَرَبِيَّةِ التي رَحَّبَ بها المجْتَمَعُ الدَّولِيُّ, وفي هذهِ المناسبةِ فإنَّ المْلَكَةَ تؤكّدُ استنكارَها وأسفَها الشَّديدَ للقرارِ الأَمريكِيّ بشأنِ القُدْسِ لما يمثّلُهُ من انحيازٍ كَبيرٍ ضِدَّ حُقُوقِ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ التَّاريخيَّةِ والثَّابتةِ في القُدْسِ التي كَفَلتْها القراراتُ الدَّوليّةُ، وحَظيَتْ باعترافِ وتأييدِ المجْتَمَعِ الدَّولِيّ**"[1]

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

كَانَ للقَضِيَّةِ الفَلَسْطِينيّةِ حُضُورٌ بارِزٌ في الخِطَاباتِ الملَكيَّةِ، فلَم يكد يخْلو خِطابٌ منَ خطاباته الشّوريّة من الحديثِ عنِ القَضِيَّةِ، والتَّأكيدِ عَلَى حقِّ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينيّ في تقريرِ مَصيرِه، واستردادِ حُقُوقِهِ المشروعةِ، وإنشاءِ دَولتِهِ المستقلَّةِ وعاصمتِها القُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ، ومِن هُنا جاءَ استنكارُ المَمْلَكَةِ للقرارِ الأَمريكِيّ؛ الذي ينصُّ عَلَى القُدْسِ عاصِمةً لدولةِ الاحتلالِ، وهذا القرارُ يمثّلُ انحيازًا ضدَّ الشَّعْبِ الفَلَسْطِينيّ، وفعل الإيضاحِ المتمثِّل في الاستنكارِ جاءَ مُنسجمًا، ومُتوافقًا لرؤيةِ المَمْلَكَةِ الثَّابتِ تُجاهَ القَضِيَّةِ الفَلَسْطِينيّةِ.

ويمكنا استكمال هذه الرؤية بما أضافه سيرل من إضافات مهمة لرؤية أوستين؛ منها:

٢/٣- الأَفْعَالُ الكَلَاميَّةُ عندَ سيرل:

١/٢/٣- التَّوجِيهِيَّاتُ (directives) وتُسَمَّى الأمريَّاتِ أَو الطَّلبيَّاتِ، وغَرضُها الإنجازيُّ محاولةُ المتَكَلِّمِ توجيهَ المخاطَبِ لفعلِ شيءٍ ما[١]. ويَدخلُ ضِمنَ أفعالِهِ: الاستِفهَامُ، والأَمرُ، والرجاء والاستعطاف، والتَّشْجيعُ، والدَّعوَةُ، والإذْنُ، والنَّصْحُ[٢].

يَحملُ الاستفهامُ دلالةَ السُّؤَالِ، ولم يأتِ السُّؤَالُ بِصِيغتهِ المباشرةِ، و يَرِدُ في الخِطَابات مُوجّهًا للذَّات العليَّةِ، في مفتتحِ الخِطَابِ أو ختامِهِ، وتكونُ بصيغةِ الفعلِ، أو اسمَ الفاعلِ؛ ولَعَلَّنا نجدُ ذلكَ في بدايةِ الخِطَابِ وختامِهِ "**بسمِ اللهِ**

(١) يُرَاجَعُ: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغَويّ المعاصر، ص ٨٢.

(٢) يُرَاجَعُ: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١١، ص ٦٠.

وعَلَى بركةِ اللهِ وبعونِهِ وتوفيقِهِ نفتتحُ أعمالَ السَّنَةِ الأُولى منَ الدَّورَةِ السَّابِعَةِ لمجلسِ الشُّورَى، سَائلينَ اللهَ العَزِيزَ القديرَ أنْ يوفِّقَنا جَمِيعًا لخدْمةِ الدِّينِ، ثمَّ الوَطنِ والمواطنِ"."في الختامِ، أسألُ المولَى القديرَ لكُم العونَ والتَّوفيقَ في دورتِكُم الجديدةِ، وأَدْعُو اللهَ العليَّ العظيمَ أن يحفظَ بلادَنا وأمتَنا مِن كلِّ مَكرُوهٍ، وأنْ يُديمَ عَلَينا نِعَمهُ الظَّاهِرةَ والباطنةَ، ويوفِّقَنا لما يحبُّهُ ويرضاهُ.. والسَّلَامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ"(١).

السُّؤَالُ موجّهٌ للهِ تَعالَى ربَّما هذَا قد يكونُ تَقْليدًا في بدايةِ الخِطَاباتِ، وهو دليلٌ عَلَى ارتباطِ المخلوقِ بالخالقِ، فالعونُ والتَّوفيقُ منَ الله وحدَهُ دونَ غيرِهِ، وسؤالُ اللهِ يكمنُ فيه أيضًا توجيهُ المخاطبين إلى التَّوَجُّهِ إليه ﷻ، وطلبِ المددِ والعونِ منهُ، والسُّؤَالُ في الخِطَابِ للدّعاء والتَّضرُّعُ إلى الله ﷻ.

ولم نلمح فعلَ الأمرِ صريحًا في الخِطَابِ، بل ربَّما نلمحُ بعضَ الأساليبِ التي تحملُ الأمرَ "**وإنّني أطالبُكم جَمِيعًا أنْ تضعُوا مَصَالِحَ الوطنِ والمُوَاطِنِينَ نصبَ أعينِكُم دَائِمًا، وإبداءَ المرئيَّاتِ حِيالَ ما تتضمنهُ تقاريرُ الحكومةِ المعروضةِ عَلَى المجلسِ، والتَّشاوُر معَ المسؤولينَ، وعَلَى المسْؤولينَ في الجِهَاتِ كافَّةً التَّعَاوُنُ معَ المجلسِ، وتزويدُهُ بما يحتاجُهُ من معلوماتٍ، مُتمنيًا**

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

لكُم التَّوفيقَ في عملكُم الذِي نعقدُ عليهِ آمالًا كَبِيرةً، ونحنُ عَلَى يقينٍ بأنَّكم إنْ شاءَ الله أهلٌ لِذلكَ(١).

يطلبُ الملكُ – حَفِظَهُ اللهُ– من أعضاءِ المجلسِ أن يَضَعُوا مصلحةَ الوطنِ والمواطِنِينَ نصبَ أعينِهم، وهو فعلٌ إنجازيٌّ يوجّهُ المخاطبينَ/ أعضاءَ المجلسِ إلى تقديمِ مصلحةِ الوطنِ والمواطنِ فوقَ كلِّ شيءٍ آخرَ، كما يوجّهُ المسؤولينَ كافَّةً للتَّعاونِ معَ المجلسِ، وهذا الأُسْلُوبُ خبريٌّ لفظًا إنشائيٌّ معنًى، يحملُ دلالةَ الأمرِ.

ولا نكادُ نعثرُ عَلَى الأَفْعَالِ الأخرى في الخِطَاباتِ، فلا نجدُ لأفعَالِ الأمْرِ ذِكرًا في جلِّ خِطاباتِ الملكِ سلمانَ، حفِظَهُ اللهُ؛ مِمَّا يُؤَكّدُ بُعدَهُ التّلقائيّ التّامّ عن فكرِ التّسلُّط عَلَى رقابِ شعبِهِ ورعيتِهِ، بلْ هو ملتزمٌ بما يَذكرهُ في خطابِهِ من التَّأكيدِ عَلَى مَبدأ الشُّورَى؛ أساسًا مِن أُسسِ حُكمِهِ الرّشيدِ.

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمِينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٢/٢/٣- الوَعديَّاتُ أو الالتزَاميَّاتُ: (Commissives) تكمنُ غايةُ الوَعديَّاتِ أو الالتزَاميَّاتِ الكَلَاميَّةُ في التزامِ المتَكَلِّمِ بفعلِ شيءٍ ما[١]. "وشروطُ الإخلاصِ فيها يكمنُ في القصدِ؛ أي القيامِ بفعلِ شَيءٍ في المستقبلِ للمتَكَلِّمِ، وقدرتِهِ عَلَى أداءِ ما يُلزمُ بهِ نفسَهُ"[٢].

ونلحظُ هذهِ الوَعديَّاتِ أو الالتزَميَّاتِ في مجال السِيَاسَةِ الخَارِجِيّةِ **"أيُّها الإخوةُ والأخواتُ: في مجالِ السِّيَاسَةِ الخَارِجِيّةِ سَنَسْتَمِرُّ بالأخذِ بنهجِ التَّعَاوُنِ معَ المجْتَمَعِ الدَّولِيّ لتحقيقِ السَّلَام العالميّ، وتعزيزِ التَّفاعلِ معَ الشُّعُوبِ لترسيخِ قيمِ التَّسامُحِ والتَّعايُشِ المشتركِ، ونرَى أنَّ خيارَ الحلّ السِّيَاسِيّ للأَزَماتِ الدَّولِيّةِ هُوَ الأَمثلُ لتحقيقِ تَطلُّعاتِ الشُّعُوبِ نحوَ السَّلَامِ، وبما يفسَحُ المجالَ لتحقيقِ التَّنمِيَةِ"**[٣].

إنَّ سينَ الاستِقبالِ في الفِعلِ "سَنَسْتَمِرُّ" تدلُّ دلالةً واضحةً عَلَى فعلِ شيءٍ في المستقبلِ، والفعلُ قائمٌ في الحاضرِ، ولكنَّ هناكَ وَعْدًا بالاستمرارِ في هذا الفِعلِ القائمِ عَلَى التَّعَاوُنِ معَ المجْتَمَعِ الدَّولِيّ؛ لتحقيقِ السَّلَامِ العالميّ، وتَرسيخِ قيمِ التَّسَامُحِ، والتَّعايُشِ المشتركِ بينَ دِولِ العالمِ، كَمَا يُبيّنُ رؤيةَ

---

(١) يُرَاجَعُ: خليفة أبو جادي، في اللِّسَانِيَّات التَّدَاوُلِيَّة محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط١، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٩٩.

(٢) طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص ٣١.

(٣) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

المَمْلَكَةِ في خِيَارِ الحلِّ السِّيَاسِيّ للأزماتِ التي تُعاني منها كثيرٌ مِنْ دولِ العالمِ؛ حتَّى تُحَقِّقَ الشُعُوبُ آمالَها في السَّلَامِ، وتحقيق التَّنميةِ، والقصدُ مِنَ الفِعلِ بيانُ دورِ المَمْلَكَةِ الرَّائدِ بينَ دِولِ العالمِ.

ويقطَعُ الملكُ وَعدًا عَلَى نَفسهِ في المستقبلِ عَلَى حَدِّ قولهِ: **"وستُواصِلُ المَمْلَكَةُ جُهُودَها دَعْمًا لهذهِ القَضِيَّةِ مِن أجلِ إقامةِ الدَّوْلَةِ الفَلَسْطِينِيّةِ وعاصمتِها القُدْسِ الشَّريفِ، وإعادَة الحُقُوقِ للشَّعبِ الفَلَسْطِينِيّ الشَّقِيقِ"**(١).

وتظلُّ القَضِيَّةُ الفَلَسْطِينِيّةُ مُسَيطرةً عَلَى الخِطَابِ الملكيّ، ويتعهَّدُ الملكُ بمواصلةِ الجُهُودِ لِدعمِ القَضِيَّةِ في المستَقبلِ، كمَا دعَمَها في الماضِي، والقَصْدُ مِنَ الفعلِ إقامةُ الدَّوْلَةِ الفَلَسْطِينِيّةِ وعاصِمتُها القُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ، وكذلكَ إعادةُ الحَقِّ المسلُوبِ للشَّعْبِ الفَلَسْطِينِيّ المنكُوبِ.

ويتَحَوَّلُ فِعلُ الوَعدِ إلى مُكَافَحَةِ الفَسادِ **"كَمَا أنَّ القَضَاءَ عَلَى الفَسَادِ واجتِثاثَ جذُورِهِ مهمةٌ وطنيَّةٌ جليلةٌ في سَبيلِ الحِفاظِ عَلَى المالِ العامِ وحمايةِ المكتسباتِ الوطنيَّةِ، ومنعِ التَّكسُّبِ غَيرِ المشرُوعِ الذي يُنافي ما جاءَ به الشَّرعُ الحنيفُ، وإنَّ الدَّوْلَةَ ماضيةٌ في نَهجِها الواضِحِ بمكافَحةِ**

(١) المصدر السابق

الفسادِ والقَضَاءِ عليهِ، والإعلانِ عن كلّ قضايا الفسَادِ، وما تتوصَّلُ إليهِ التَّحقيقاتُ بِكُلّ شَفافيةٍ(١).

الفَسَادُ جَريمةٌ بَشِعَةٌ تُقوِّضُ الدّولَ، وتُهدِرُ ثرَواتِها، وتَزدادُ مُعدَّلاتُ الفَقرِ، وتَزدادُ نِسبَةُ البطالةِ، وتتركّزُ الثّروةُ في يَدِ فِئةٍ مُعيّنةٍ؛ بينما يَعِيشُ السَّوادُ الأعظمُ منَ الشَّعْبِ تحتَ خطِّ الفَقرِ، مِن ثمّ أَصبحَ مُحاربتهُ واجتثاثُ جذورِهِ مهمَّةٌ وطنيَّةٌ، تتَضافرُ كلُّ الجُهُودِ من أجلِ الحفاظِ عَلَى المالِ العامِ، ولخُطُورةِ الفَسادِ، وصُعُوبةِ مُحاربتهِ، نَسَبَ الخِطَابُ فِعلَ الوعدِ وإنجازَهُ في المستقبلِ إلى الدَّوْلَةِ، وليسَ لفردٍ بعينهِ "وإنَّ الدَّوْلَةَ ماضيةٌ في نَهجِها الواضحِ بمكافحةِ الفَسَادِ والقَضاءِ عليهِ"، وعضَّدَ الخِطَابُ الأُسْلُوبَ بحرفِ التَّوكيدِ "إنَّ"، وتوجيهِ المخاطبينَ منَ الشَّعْبِ للتَّعاوُنِ، وعدَمِ الإقدامِ عَلَى هذهِ الجريمةِ البَشعَةِ.

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٣/٢/٣- التَّعْبِيراتُ أو البوحيَّاتُ (Expressive) وَغَرَضُ التَّعْبِيراتِ أَوِ البَوحيَّاتِ الإنجازيُّ التَّعْبِيرُ عَنِ الموقفِ النَّفْسيّ في قَضِيَّةٍ ما، ويدخُلُ في هذا الصّنفِ أفعالُ: الشُّكرِ- والتَّهنئةِ- والاعتِذَارِ- والتَّعزيَةِ- والتَّرحيبِ[١].

وقدْ تناولنَا أَفعَالَ الشُّكرِ معَ أفعالِ السُّلُوكِ في تصنيفِ أوستين، ومِنَ الأَفْعَالِ التي وردَتْ في الخِطَاباتِ أفعالُ التَّعزيةِ، والتَّرْحيبِ.

فكانَ لشُهداءِ الحدّ الجنوبيّ نصيبٌ منَ الخِطَاباتِ" **وسَيظَلُّ شُهدَاؤُنا** ﷺ، **في ذاكِرَتِنا وعَائلاتِهم محلَّ رِعَايَتِنا واهتِمَامِنَا دَومًا، كَمَا أنَّنا سَنُواصِلُ بَرامِجَ تَطْويرِ قُوَّاتِنا العَسكريَّةِ بما في ذلكَ النُّهُوضُ بِبَرَامِجِ تَوطينِ الصِّناعاتِ العَسكَريَّةِ والتِقَنِيّاتِ اللَّازِمَةِ لها بِوَتيرةٍ مُتَسارِعَةٍ**"[٢]

إنَّ الأُسْلُوبَ هُنا بمنزلة التَّعزيَةِ، والمواسَاةِ، لَيسَ لِذَوي الشُّهدَاءِ، بَلْ للشَّعبِ كُلِّهِ، فهُم استُشهِدُوا مِن أجلِ الوطنِ، والدّفاعِ عَن مُقَدّساتِهِ، ومِن ثمَّ فقدْ أصبحُوا أيقونةً، تظلُّ خالدةً في الذَّاكرةِ، ولابدَّ من تطويرِ القوَّاتِ العسكريَّةِ، وتطويرِ الصِّناعاتِ العَسكريَّةِ، حتَّى يَستطِيعَ الجنودُ الثَّأرَ لإخوانِهم الشُّهداءِ.

والتَّحيَّةُ تَقليدٌ قَديمٌ في الخِطَاباتِ، وتَختلفُ مِن بِيئَةٍ إلَى بِيئةٍ، ومِن زَمَنٍ إلى زمَنٍ

---

(١) يُرَاجَعُ: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللُّغَويّ المعاصر، ص ٨٣.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثالثة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

"بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلَامُ عَلَى نبيّهِ وصَحابتِهِ أجمعينَ الإخوةُ والأَخوَاتُ أعضاءَ مجلِسِ الشُّورَى السَّلَامُ عَليكُم ورَحمةُ الله وبرَكَاتهُ يسرُّنا افتِتاحُ أعمالِ السَّنَةِ الأُولى مِنَ الدَّورَةِ الثَّامنةِ لمجلسِ الشُّورَى"(١).

التَّحيَّةُ هُنا السَّلَامُ؛ تحيَّةُ الإسْلَامِ، وهذِهِ التَّحيَّةُ مُناسبةٌ للمتَكَلِّمِ والمخاطَبِ؛ فالدَّوْلَةُ تتّخذُ الشَّريعةُ الإسْلَاميَّةُ مِنهَاجًا يُطبَّقُ في كلِّ مناحِي الحَيَاةِ، وكذلكَ تنطلقُ مِن مبدأ الشُّورَى، مُنذُ المؤَسّسِ الأوّلِ — ﷺ- مِن ثمَّ يكونُ المقصدُ منَ التَّحيَّةِ التَّأكيدَ عَلَى منهجِ المَمْلَكَةِ المستمَدِّ مِن تَطبيقِ الكتَابِ والسُّنَّةِ.

***

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٣/٢/٤– الإعلَانيَّاتُ: (Declaratives) غايَةُ الإعلَانيَّاتِ الكَلَاميَّةُ؛ وقتَ النُّطق بها؛ تكمنُ في إحداثِ تغييرٍ عن طريقِ الإعلانِ[١]. والغرض التَّداوليُّ هو إعلانُ حقائقَ غابتْ عَن ذِهنِ المخاطَبِ باختلَاطِ الأمُورِ لَديهِ، وتَفعيلِ الخِطَابِ، وتَسريعِ عَمَلِيَّةِ التَّواصُلِ والتَّفاعُلِ مِن طَرَفيْ، أو عنصريْ العَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ، وإفادةِ المخاطَبِ؛ لما يتضمَّنهُ النَّصُّ مِن حَقائقَ"[٢].

ويمكنا تحليل بعضَ النَّماذجِ الدَّالَّةِ عَلَى ذلكَ؛ نذكرُ منهَا **"إنَّ الفسادَ بكُلّ أنواعِهِ وأشكالِهِ آفةٌ خطيرةٌ تقوضُ المجْتَمَعاتِ، وتحُولُ دُونَ نَهضَتِها وتَنميتِها، وقدْ عَزمْنَا بحولِ الله وقوّتِهِ عَلَى مواجهتِهِ بعدلٍ وحَزمٍ لتنعمَ بلادُنا بإذنِ الله بالنَّهْضَةِ والتَّنميةِ التي يرجُوها كلُّ مواطنٍ، وفي هذا السّيَاقِ جاءَ أمرُنا بتشكيلِ لجنةٍ عُلْيا لقضَايَا الفَسَادِ برئاسَةِ سموّ وَليّ العَهدِ ونحمَدُ اللهَ أنَّ هؤلاءِ قلَّةٌ قليلةٌ ومَا بدرَ منهُم لا ينالُ مِن نزاهةِ مُواطِني هذهِ البلَادِ الطَّاهرةِ الشُّرفاءِ مِنَ الأُمراءِ والوُزراءِ ورِجَالِ الأَعمالِ والموظَّفينَ والعاملينَ عَلَى كافَّةِ المستوياتِ وفي مختلفِ مواقعِ المسؤُوليَّةِ في**

(١) يُرَاجَعُ: خليفة أبو جادي، في اللِّسَانيَّات التَّدَاوُليَّة محاولة تأصيلية في الدرس العربيّ القديم، ص ١٠٠.

(٢) عبد الباقي الخزرجي، ومهدي حسن نصر الله، القَصْدِيَّة الإنجازيَّة في خطاب البيان والتَّبيين للجاحظِ، مجلة الباحث، ع٣٢، الجزائر، ٢٠١٩م، ص ٥٠٩.

القِطاعَينِ: العَامِ والخاصّ، وكَذلكَ المقيمُونَ بها مِن عامِلينَ ومُستَثمرينَ الّذِينَ نعتزُّ ونَفخرُ بهم ونَشُدُّ عَلَى أَيدِيهم ونتمنَّى لَهُم التَّوفيقَ"[1].

يُوضّحُ الخِطَابُ خُطُورةَ الفَسادِ الذي يَهدِمُ المجْتَمَعاتِ، ويَحُولُ دُونَ نَهضَةِ الأممِ، وتَقدُّمِ الشُعُوبِ، ومِن ثمَّ لابُدَّ مِن فِعلٍ إنجازيٍّ يُواجهُ هَذِهِ الظَّاهِرةَ، وهذِهِ الآفةَ المدَمّرةَ؛ فَكانَ الأمْرُ الملَكِيُّ بتَشكيلِ لجنةٍ بِرئاسةِ وليّ العَهدِ لمكافَحةِ الفَسَادِ.

وهذا الأمرُ بمنزلة الإعلانِ؛ لكنَّ هُناكَ حقائقَ قدْ تغيبُ عَن ذهنِ المخاطَبِ، فجَاءَ الإعلانُ ليزيلَ اللَّبسَ، ويُوضّحَ الأَمرَ، وَقَدْ تختلطُ الأُمُورَ في ذِهنِ المتَلَقّي؛ فيظنُّ أنَّ الفسَادَ ظاهرةٌ تعمُّ المجْتَمَعَ بأسرِه؛ فبيَّنَ النَّسقُ اللَّفظيُّ أنَّ مُرتكبي هذهِ الجريمةِ قلَّةٌ، ولتفعيلِ الخِطَاب، وتسريعِ عَمَلِيَّةِ التَّواصُلِ بينَ طرفيْ الخِطَاب نفَى النَّصُّ الفَسَادَ عَلَى السَّوادِ الأَعظَمِ منَ المسؤولينَ، ووَصَفَهُم بالنَّزاهةِ؛ مُضيفًا لهم المواطِنِينَ الشُّرفاءَ، والمقِيمينَ الأُمناءَ.

ويَتَجَلَّى الفِعلُ الكَلَاميُّ في إشهار الملك حفظه الله ببدء المملكة في تنفيذ مشروعات تنموية ضخمة ذات اعتمادات كبيرة موفورة؛ توافرت نتيجة تدفق عائدات النفط، وبرزت هذه القصدية من الإعلانيَّاتِ المترتبة عليها في الخِطَابِ الملَكِيّ " **لقدْ أسهمَ ارتفاعُ أسعارِ النّفطِ خِلالَ السَّنواتِ الماضيةِ في تدفُّقِ إيراداتٍ ماليَّةٍ كَبيرةٍ حَرصَتِ الدَّوْلَةُ مِن خِلالها عَلَى اعتمادِ**

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

العَديدِ مِنَ المشَاريعِ التَّنمويَّةِ الضَّخمةِ وتطويرِ البنيةِ التَّحتيَّةِ إضَافةً إلى تعزيزِ الاحتياطيّ العامّ للدَّولةِ ممَّا مكّنَ بلادَنا بفَضلِ اللهِ مِن تجاوزِ تدَاعياتِ انخفاضِ أسعارِ النّفطِ، بما لا يُؤثّر عَلَى استِمرارِ مَسيرةِ البِناءِ وتَنفيذِ خُططِ التَّنميةِ ومَشروعَاتِها، ولقَدْ وَاصَلَ اقتصادُنا – ولله الحمدُ – نموَّهُ الحقيقيَّ عَلَى الرَّغمِ مِنَ التَّقلُّباتِ الاقتصادِيّةِ الدَّولِيّةِ وانخفاضِ أسعارِ النّفطِ، والفَضْلُ– بعد الله – يَعُودُ إلَى السِّيَاسَاتِ الاقتصَادِيّةِ المتوازِنةِ والحكيمةِ التي تتبعُها الدَّوْلَةُ في ضبطِ الأوضاعِ الماليَّةِ العامَّةِ، والمحافَظةِ عَلَى الاستقرارِ والتَّوازُنِ بينَ الموارِدِ والإنفاقِ عَلَى المشروعاتِ التّنمويَّةِ الكَبيرةِ في جميعِ القِطاعاتِ"[1].

يُشيرُ الخِطَابُ إلى مُشكلةِ انخفاضِ أسعارِ النّفطِ، وهذهِ المشكلَةُ قدْ تثيرُ مخاوفَ لدى المخاطبِ، وهناكَ حقائقُ قد تغيبُ عن ذَهنِهِ، وقدْ تختلطُ عليهِ الأمورُ، وتدورُ في نفسِهِ بعضُ التَّساؤلاتِ؛ من أهمّها: كيفَ تواجهُ المْلَكَةُ هذهِ المشكلةَ؟ وكيفَ تُوفّر احتياجاتِ المَواطِنينَ؟

فيأتي الفِعلُ الإنجازيُّ كَاشِفًا الحقائقَ التي غابتْ عَن ذِهنِ المخاطَبِ؛ فقد أفادتِ المْلَكَةُ مِن ارتفاعِ أَسعارِ النّفطِ في السَّنواتِ الماضيةِ؛ فاعتمدَتِ المشاريعَ التَّنمويَّةَ طويلةَ الأجلِ، وطوَّرتِ البنيةَ التَّحتيَّةَ، وعزَّزتِ الاحتياطيَّ العامَ للدَّولةِ، ومِن هُنا؛ تجاوزَتِ المْلَكَةُ هذهِ الأزمةَ عَن طريقِ اتّباعِ سِيَاسَةِ

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكيّ السَّنَويّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة مِنَ الدَّورَةِ السَّادِسَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

الاقتِصادِ المتوازنِ، والمحافظةِ عَلَى الاستقرارِ والتَّوازُنِ بينَ الموارِدِ والإنفاقِ عَلَى المشرُوعاتِ.

وهَذَا الفِعلُ الإعلانيُّ أَسهَمَ في تَفْعيلِ الخِطَابِ بينَ طَرَفَيِ التَّوَاصُلِ، كَمَا أَفَادَ المخَاطبُ بالحقائقِ التي تضمَّنَها النَّصُّ، وساعدَ عَلَى تَثْبِيتِها في نَفْسِهِ، كَمَا أَسهمَ في مَدِّ جَسُورِ الثِّقةِ بينَ طَرَفَيِ الخِطَابِ.

***

٤- المبدَأُ التَّعَاوُنِيُّ: (the cooperative principle)

مبدأ غرايس (ghrays) هو مبدأ التعاون الحواري وله عدد من القواعد من مثل قاعدة الكم والكيف والملاءمة إلى آخره واختلال إحدى القواعد يفرز الاستلزام الحواري، وقد تحقق منه في الخطاب الملكي الصدق والمعرفة المشتركة.

يَرتَبطُ المبدَأُ التَّعَاوُنِيُّ بغرايس؛ فقدْ " قَدَّمَ مَفَاهيمَ أكثرَ اتِّسَاعًا مِن مَفاهيمِ أوستين، وسِيرلَ، حَيثُ اقترحَ مَفَاهِيمَ تَنظيميَّةٍ للتَّواصُلِ مِنهَا؛ أنَّهُ مُؤسَّسُ مبدَأُ التَّعَاوُنِ دَاخِلَ التَّبادُلِ التَّعَاوُنِيّ حَولَ مَقَاصِدِ المشَارِكِينَ، وهذهِ المقَاصِدُ ليسَتْ في الواقعِ صَرِيحَةً بَينَ أَطرَافِ التَّواصُلِ والتَّبادُلِ"(١).

وتَكمنُ في المبدأ التَّعَاوُنِيّ عناصرُ خَفيَّةٌ في شَكلِ اتّفاقٍ ضِمنيّ مِن قبلِ المتخاطبينَ الذينَ يَظلُّونَ في عَمَلِيَّةِ منَ التَّواصُلِ بموجَبِ لُعبَةٍ ذَكِيَّةٍ مِنَ الاستنتاجاتِ(٢).

ويمكنُ دراسةُ المبدإِ التَّعَاوُنِيّ عِندَ غرايس مِن خِلالِ محورينِ رَئيسَينِ؛ هُما: الصِّدْقُ، والمعرفةُ المشتركةُ.

---

(١) محمد بكاي، التصورات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، ص ١٩٣.

(٢) يُرَاجَعُ: حفناوي بعلي، الشِّعريَّات والتَّداوليَّات مقاربة في المفاهيم والأقاليم وجماليَّات التَّلقي، مجلة التبيين، ع٢٣، الجزائر، ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٥٧.

١/٤ – الصِّدْقُ (Honesty)

يُعَدُّ الصِّدْقُ في القصديَّة شَرطًا تَعاوُنيًّا رئيسًا؛ لنَجَاحِ الفِعلِ الكَلَاميّ. والمستويانِ: اللَّفظِيّ والذِّهنِيّ اللَّذانِ يُعبِّر بهما المتَكَلِّمُ عنِ الفِعلِ الإنجازيّ؛ لا بُدَّ أنْ يتَمَاشَيَا مَعَ شُروطِ الصِّدْقِ حتّى يَتمكَّنَ المتَلَقِّي مِن تَحديدِ الوظائفِ القَصْدِيَّةِ للفِعلِ الكَلَاميّ الّذي يُؤَدّيهِ المتَكَلِّمُ دُونَ خِداعٍ[١].

وتتّسِمُ كُلُّ خِطَاباتِ الملكِ سَلْمَانَ – حَفِظَهُ اللهُ – بالصِّدْقِ، وتَنأَى عَنِ التَّشويهِ والخِدَاعِ؛ فليسَ أمامَنا إلَّا أَنْ نسلُكَ سَبيلَ الاختيارِ حتَّى لَا يضِيقَ بنَا المجَالُ.

ويمكننا تحليل بعض النماذج لاختبار ذلك الصِّدْق في قولِهِ، حَفظَهُ اللهُ: **"وقَدْ أكَّدتِ البَياناتُ تَراجُعَ العَجزِ الماليّ حتَّى الرُّبعِ الثَّالِثِ من عامِ ٢٠١٧م بنسبةِ ٤٠ بالمائةِ مُقارنةً بالفَترةِ المماثلةِ منَ العامِ الماضِي.**

وطوّرتِ الدَّوْلَةُ الاستثمارَ في الصّناعاتِ العسكريَّةِ والتّحويليّةِ والاستهلاكيَّةِ لتقليلِ استيرادِ البضَائعِ مِن خَارجِ المْلَكَةِ إضافةً إلى التَّوسُّعِ في الخصخصةِ ويُتوَقَّعُ أن تُحَقِّقَ هذهِ الخُطواتُ في مجموعِها بإذنِ الله إيراداتٍ جيّدةٍ ومستدامةٍ ترفعُ الكفاءةَ وذلكَ من أجلِ تنويعِ الموارِدِ وتوفيرِ المزيدِ من فُرصِ العَملِ لأبنائِنا وبناتِنا"[٢].

---

(١) يُرَاجَعُ: شريفة أحمد وعائشة صالح، البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، ص ١١٤، ١١٥.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبد العزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الثانية من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

اعتمدَ الخِطَابُ عَلَى الصِّدْقِ والشَّفافيَّةِ، فقدْ أكَّدَ عَلَى العَجزِ الذي تُواجهُهُ الموازنَةُ العامّةُ للدّولةِ، الذي وصَلَ إلى أربعينَ بالمائةِ؛ إذَا قُورنَ الأمرُ بالعامِ الماضِي. والفعلُ الكَلَاميُّ داخلَ النَّسَقِ اللَّفظِيّ يحقّقُ درجةً عاليةً منَ النَّجاحِ لاعتمادهِ عَلَى الصِّدْقِ، والبُعدِ عنِ الخِداعِ.

ومِن ثمَّ؛ يتّجِهُ الخِطَابُ إلَى بَيانِ الخُطَّةِ التي تُواجِهُ عَجزَ الموازَنةِ؛ التي تَقُومُ عَلَى تَطويرِ الاستِثمَاراتِ في الصّناعَاتِ العَسكَريَّةِ والتَّحويليَّةِ والاستِهلاكيَّةِ؛ بهدَفِ تقليلِ الاستيرادِ مِنَ الخَارجِ؛ كما تهدفُ الخُطَّةُ إلى التَّخفِيفِ عَن كَاهِلِ القِطَاعِ العامِ؛ فتَوسَّعتْ في الخَصْخصَةِ، وهذهِ الخُطَّةُ تزيدُ من كفاءَةِ الأفرادِ، وتوفّرُ فُرصَ العَملِ.

وتَقومُ هَذهِ الخُطَّةُ عَلَى فعلٍ إنجازيٍّ؛ يُعبّرُ بهِ المتَكَلِّمُ عنْ قَصدهِ؛ وفقًا لشُروطِ الصِّدْقِ؛ ممّا يكونُ من شأنِهِ دفعُ المخاطبِ إلى التَّعَاوُنِ والمشاركَةِ في خُطَّةِ التَّنميةِ والبِنَاءِ.

ولَعَلَّنا نَرى الصِّدْقَ أيضًا في الخِطَاب الملَكِيّ" **لَقَدْ شَرَّفَ اللهُ المَمْلَكَةَ بأَنْ جَعَلَهَا حَاضِنَةَ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ، اللَّذينِ تتُوقُ إليهِما نفُوسُ المسْلِمِينَ في كلِّ مَكانٍ، وشَرَّفَها بخدمَةِ ضُيُوفِ الرَّحمَنِ، ومنْ مُنطلَقِ اضطلَاعِ المَمْلَكَةِ بهَذِهِ المسؤوليَّةِ الجليلةِ؛ فَقَدْ جَاءَ بَرنامَجُ خِدمَةِ ضُيُوفِ الرَّحمَن عَلَى رَأسِ أولويّاتِ رُؤيةِ ٢٠٣٠ لإتاحةِ الفُرصَةِ لعَددٍ أكبرَ مِنَ المسْلِمِينَ لأداءِ مَناسِكِ الحجِّ والعُمرَةِ، وقدْ أثمَرَ هذا البَرنامجُ المبارَكُ نجاحَ المَمْلَكَةِ في استضَافَةِ أَعدادٍ أكبرَ منَ الحُجَّاجِ والمعتمِرينَ عامًا بَعدَ عامٍ معَ الاستِمرارِ في ما نُوليهِ مِن حِرصٍ بالغٍ عَلَى أنْ تَكُونَ رِحلةُ الحاجِّ والمعْتمِرِ مُنذُ**

مغادرتِهِ وطنَهُ حتَّى العَودة إليهِ رِحلةً ثريَّةً بالمشَاعِرِ الإيمانيَّةِ يؤدِّي خلَالها الحاجُّ والمعْتمرُ نُسَكَهُ وعِبَادَاتَهُ بكُلّ أمنٍ و يُسرٍ وطُمأنينةٍ"[1].

تتّسِعُ دائرةُ الخِطَابِ؛ لتَشملَ عدَدًا كَبِيرًا منَ المخاطبينَ؛ حيثُ يمثّلُ الحجُّ الرُّكْنَ الخامسَ من أركانِ الإسْلَامِ؛ فتتوقُ نفوسُ المسْلِمِينَ إلى الأماكنِ المقَدَّسَةِ، وتهوِي إليهَا الأفئدَةُ؛ وتَتَعَلَّقُ بها المهجُ والأرواحُ؛ فيكونُ الطَّرفُ الثَّاني مِن طَرَفَيِ الخِطَابِ جَمِيعَ المسْلِمِينَ.

ومِن هُنا يكونُ ثمّةَ اتّفاقٌ ضمنيٌّ بينَ المتَكَلِّمِ والمخاطبينَ، بأنَّ الممْلَكَةَ تقومُ بخدمةِ الحجَّاجِ والمعتمرينَ/ المخَاطَبِ، فاتَّسَمَ الخِطَابُ بالصِّدْقِ، وتَقديمِ رُؤيةٍ شَاملةٍ، وبرنامجٍ يستوعبُ أكبرَ عددٍ منَ الحجَّاجِ والمعتمرينَ مِن كلِّ دِوَلِ العالمِ، وتوفيرِ الأمنِ والسَّلَامِ لهمْ.

ومن ثمَّ؛ يُحقِّقُ الفعلُ الإنجازيُّ مَقصدَهُ منَ الصدق بينَ المخاطِبِ والمخاطَبِ، مِن خِلالِ مَجمُوعةٍ منَ المفاهيمِ التَّنظيميَّةِ التي تُحَقِّقُ هذا المبدأَ.

---

(١) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

٢/٤- المعْرفَةُ المشْتركَةُ (Shared knowledge)

الخِطَابُ شرِكةٌ بينَ المخاطِبِ والمخاطَبِ، ويُعَدُّ المخاطَب طَرَفًا مُهِمًّا في الخِطَابِ؛ فهُو يَصِلُ "إلى غَايةِ المتَكَلِّمِ عَبرَ المعرفةِ المشترَكةِ بَينهُما، المتَمثّلةِ في الأعرَافِ والأَساليبِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لَرَفعِ اللَّبْسِ والإفادةِ، وهُو مِنْ مَبَادئِ التَّعَاوُنِ عِندَ غرايسَ"(١).

مِن نَماذِجها " **إنَّنا مِن مَقَرِّ مَجلسِكُم المباركِ نُؤَكِّدُ عَلَى أهميَّةِ دَوركِم الفَعَّالِ في تَعزيزِ شُمُوخِ هَذا الوَطنِ العَزِيزِ الذي غَرسَ جُذورَهُ وأَرْسَى رَكَائِزَهُ المؤسِّسُ يرَحِمَهُ اللهُ، وَوَاصَلَ البِنَاءَ والتَّمكِينَ مِن بعدِهِ أَبنَاؤُهُ ملُوكُ هذهِ البلَادِ المباركَةِ، لتكُونَ بَوصَلةَ التَّقدُّمِ، ومَنارَةَ الحَضَارَةِ، وموطنَ العَدلِ، وإشعاعَ السَّلَامِ للعَالمِ قَاطِبَةً**"(٢).

الخطاب مَعرفةٌ مُشتركةٌ بينَ المخاطِبِ والمخاطَبِ؛ فِكِلَاهُما تَجمَعُهُما لُغَةٌ مُشترَكَةٌ، وهذَا قَدْ يكُونُ كَافيًا لتَحقِيقِ مَبدَأ التَّعَاوُنِ بَينَهما، ودَورُ الملِكِ المؤَسّسِ – رحمه الله- في غَرسِ تلكَ الرَّكائِزِ مَعْرُوفٌ معرفةً مُشترَكةً بينَ المخاطِبِ والمخاطَبِ؛ فالأَمرُ جَلِيٌّ لا يَخفَى عَلَى أحَدٍ مِنَ المتَلَقِّينَ، وكَذلكَ دَورُ الأَبناءِ الملُوكِ في السَّيرِ عَلَى نَهجِ المؤَسّسِ؛ لَيسَ خَافيًا عَلَى جُمُوعِ المخَاطبينَ؛ فهَذهِ المعرِفةُ تُعضِّدُ التَّواصُلَ بينَ طَرفَي الخِطَابِ.

---

(١) شريفة أحمد حسن، وعائشة صالح بابصيل، البعد القصدي لتداولية أفعال الكلام في الخطاب القرآني، ص ١١٦.

(٢) الملك سَلْمَان بن عبد العزيز، الخطاب الملكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعزيز آل سُعُود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثَّامِنَة لمجلِسِ الشُّورَى. (مصدر سابق)

ونَذكُرُ مِن نماذِجِ المعْرفةِ المشترَكةِ **"وفي مَجَالِ المسَاعَدَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ والتَّنمَوِيَّةِ قدَّمتِ المَمْلَكَةُ خِلَالَ العُقُودِ الثَّلَاثةِ الماضيةِ أكثرَ مِن (٨٦) مِليارَ دُولارٍ منَ المساعدَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ، استفَادتْ مِنهَا (٨١) دَوْلةً"**[١]

أَصبحَتِ المسَاعَداتُ الإِنْسَانِيَّةُ عُرفًا؛ تَنتهجُهُ المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة؛ لم تقِفْ عندَ دَولةٍ بعينِها؛ بلْ تمتَدُّ لتَشمَلَ كُلَّ مَنكُوبٍ، وكلُّ مُحتاجٌ، والعُرفُ مَعرفةٌ مُشترَكَةٌ بينَ المتَكَلِّمِ والمتَلَقِّي، وهذَا يُسهِمُ في التَّواصُلِ والتَّعَاوُنِ بَينَهُما.

وآخرُ نماذجِ المعرفةِ المشتركةِ **"أيُّها الإخْوةُ والأَخوَاتُ: إنَّهُ لمنْ دَوَاعِي سُرُورِنا أنْ نلتقِيَ بكُمُ اليومَ لاستعرَاضِ السِّيَاسَةِ الدَّاخِلِيَّةِ والخَارجِيّةِ للدَّولةِ، وما تمَّ إنجازُهُ عَلَى الصَّعيدِ الدَّاخِليّ من خُططٍ وبرامجَ ومَشَاريعَ تنْمويَّةٍ، وما تمَّ اتِّخاذُهُ من سِيَاسَاتٍ ومواقفَ خَارِجيَّةٍ،كانَ لهَا الأثرُ الملمُوسُ في الحفَاظِ عَلَى مصالحِها وأمنِها الوطنِيّ، وتعزيزِ علَاقاتِها الثُّنائيَّةِ معَ الدّولِ الشَّقِيقَةِ والصَّديقةِ، وتَعزيزِ الأمنِ والسَّلَامِ والاستقرارِ عَلَى الصَّعيدينِ: الإقليميَّ والدَّوليّ"**

إنَّ الخِطَابَ موجَّهٌ إلى أعضاءِ مجلِسِ الشُّورَى، والهدَفُ مِن لِقَاءِ المتَكَلِّمِ والمخَاطَبينَ عَرضُ السِيَاسَةِ الدَّاخِلِيَّةِ والخَارجِيّةِ للدَّولةِ، وعَرضُ ما تمَّ إنجازُهُ مِن خُططٍ ومشَاريعَ دَاخليَّةٍ، وعَرضُ السِيَاسَاتِ الخَارجِيّةِ التي تُحافظُ عَلَى مَصلَحةِ الوَطْنِ، وتُحَقِّقُ مَصَالحَهُ، وتُعَزّزُ الأمنَ والسَّلَامَ إقليميًّا ودَوليًّا.

وهذهِ الخُططُ التي سَيتمُّ عَرضُها؛ قدْ قُدمتْ للمَجْلِسِ مُنذُ عَامٍ، ومِنْ ثَمَّ؛ فالمتَكَلِّمُ والمخاطَبُ عَلَى عِلمٍ بتَفَاصِيلِ الخُطَطِ والمشَاريعِ، وبالتَّالي فَهُناكَ مَعْرفةٌ مُشترَكَةٌ سَلَفًا بَينَ طَرَفَيِ التَّواصُلِ، ومِن هُنا يتُحَقِّقُ مَبدَأُ التَّعَاوُنِ بينَهُما، وهذَا مَقصِدٌ مِن مَقاصِدِ الخِطَابِ.

---

(١) المصدر السابق

الخاتمةُ:

تتميَّزُ خِطَاباتُ الملكِ سَلْمَانَ – حَفِظَهُ اللهُ- بأُسْلُوبٍ مُحكَمٍ، ولُغَةٍ وَاضِحَةٍ، بَعيدةٍ عَنِ الغُمُوضِ والتَّعقِيدِ، وتَتَّكئُ عَلَى سَوقِ الأدِلَّةِ والبَرَاهِينِ، ومِنْ ثَمَّ يتَجَلَّى فيهَا عُنْصُرُ الإقنَاعِ.

ولأنَّ الخِطَابَ السِّيَاسِيَّ شَكلٌ مِن أَشكَالِ التَّفاعُلِ الاجتِماعيِّ، وشَكلٌ مِنْ أَشكَالِ التَّعْبِيرِ مِن قِبَلِ النِّظَامِ السِّيَاسِيّ؛ لإيصَالِ الأَفْكَارِ إلى الجُمْهُورِ، ومِن ثمَّ كان هذا النَّوعُ مِنَ الخِطَاباتِ؛ مُناسِبًا للدِّراسَةِ القَصْدِيَّةِ.

وقدْ ضمن البَحْثُ ثلاثة مبَاحِثَ رَئِيسَةٍ:

المبحَثُ الأَوَّلُ: سياقات القصديَّة، وهيَ سياقات سياسية، واقتصاديّة، واجتِمَاعِيَّةٌ، ونَفْسِيَّةٌ، وقِدِ اختَلَطَتِ السّياقات الاقتصادِيَّةُ بالسّياقات الاجتِمَاعِيَّةِ في الخِطَابِ الملَكِيّ؛ فالسّياقات الاقتصادِيَّةُ تُحَقِّقُ القصديَّة الاجتِمَاعِيَّةَ، وقَدْ تجلَّتِ القصديَّة الاجتِمَاعِيَّةَ في قَضَايا المرأةِ، وحَلّ مُشْكِلَةِ البَطَالَةِ، وتَوفيرِ فُرَصِ العَمَلِ، وتَوفيرِ المسَاكِنِ.

وأَحدَثَ الخِطَابُ مُراوحَةً بينَ المشَاعِرِ الإيجَابِيَّةِ، والمشَاعِرِ السَّلْبِيَّةِ في ثَنايَا المقَاصِدِ النَّفْسيَّةِ؛ فبرَزَتِ المشَاعِرُ الإيجَابِيَّةُ في دَورِ المَمْلَكَةِ في مُسَانَدَةِ الدِّوَلِ الإِسْلَاميَّةِ، والمشَارَكَةِ في حَلِّ قَضَايَاهَا، ودَورِهَا في خِدْمَةِ الحَرَمَينِ، وبَدَتِ المشَاعِرُ السَّلْبِيَّةُ وَاضِحَةً تُجَاهَ جمَاعَةِ الحُوثِيّ وَإيرَانَ.

وَبيَّنت في المبحَثِ الثانية نظرية الأَفْعَالِ الكَلَاميَّةِ؛ وَفْقًا لتَصْنِيفيْ: أُوستين وسيرلَ؛ فَدَرسَ في تَصنِيفِ أُوستن (Austin): أَفْعالَ الأَحكَامِ، وأَفعالَ القَراراتِ، وأفعالَ التَّعَهُّدِ، وأَفْعالَ السُلُوكِ، وأفعالَ الإيضَاحِ.

كما بيّنت في تصنيفِ جون سيرل (John Searle): الإخبَارِيَّاتِ، والتَّوَجُّهياتِ، والوَعدِيَّاتِ، والتَّعْبِيراتِ، والإعلانيَّاتِ.

وقدِ توصّلت إلى أنَّ هذهِ الأَفْعَالَ الدَّلاليَّةَ؛ تُرجمتْ إلى مَقَاصِدَ، وإلَى أَعمالٍ لُغَويَّةٍ؛ أيْ إلى جُملٍ، وتخضعُ للتَّواصُلِ، وقَد أَظهَرَتْ أَفعَالُ الكَلَامِ دَورَ المقَاصِدِ في مُمارسَةِ العَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِيَّةِ.

وخُتمَ البَحثُ بالمبحثِ الثَّالث الذي خصَّ المبدأَ التَّعَاوُنِيّ، وهوَ مبدأٌ أسَّسَهُ غرايسُ (ghrays) حَولَ مَقَاصِدِ المشَارِكِينَ، وتَكْمُنُ فِيهِ عَناصِرُ خَفِيَّةٌ في شَكلٍ ضِمْنِيّ مِن قِبَلِ المتَخَاطِبينَ.

وقد تَناولتُ هذَا المبْحَثَ مِن خِلَالِ مِحوَرَي: الصِّدْقِ والمعرفةِ المشتركَةِ. والصِّدْقُ فعلٌ إنجازِيٌّ عَبَّرَ بهِ المخاطِبُ عَنْ قَصْدِهِ، فَدَفَعَ المخاطَبَ إلَى المشَاركةِ، والتَّفاعُلِ معَ مقاصدِ الخِطَابِ، وقدْ تُحَقَّقَ الهدَفُ نَفسُهُ في المعرفةِ المشتركَةِ، ووَحَدَّتِ الأَعرَافُ والأَساليبُ اللُّغَوِيَّةُ المخاطِبَ والمخَاطَبَ في شَكلِ تَعاضُدٍ وتَضَامُنٍ.

***

– قائمة بأهم المصادرِ والمراجعِ:

– أولًا: المصادرُ:

– الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، خطاب خادم الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ لافتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّادِسة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

– الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، الخِطَاب الملَكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعَزِيز آل سعود في افتتاح أعمال السَّنَة الرَّابِعَة من الدَّورَة السَّادِسة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

– الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، الخِطَاب الملَكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعَزِيز آل سعود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

– الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، الخِطَاب الملَكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعَزِيز آل سعود في افتتاح أعمال السَّنَة الثَّانِيَة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

– الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، الخِطَاب الملَكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعَزِيز آل سعود في افتتاح أعمال السَّنَة الثَّالِثة من الدَّورَة السَّابِعَة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

- الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز، الخِطَاب الملَكِيّ السَّنَوِيّ لِخَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ الملك سَلْمَان بن عبدالعَزِيز آل سعود في افتتاح أعمال السَّنَة الأولى من الدَّورَة الثامنة لمجلس الشُّورَى.

https://www.shura.gov.sa/wps/wcm/connect/ShuraArabic/internet/Royal+Speeches/

ثانيًا: المراجع:

- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، مسند الإمام، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
- أحمد بن فارس معجم مقاييس اللُّغَة، تحقيق: عبد السَّلَام هارون، دار الفكر، بيروت.
- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، ٢٠٠١م.
- باتريك شارودو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبد القادر المهيري، وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

جاك موشلر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين المجدوب دار سيانترا — تونس،١٩٩٤م،٧٥.

- جون سيرل، العقل واللُّغَة والمجْتَمَع " الفلسفة في العالم والواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، الدار العَرَبِيَّة للعلوم ناشرون، الدار البيضاء، المركز الثَّقَافِيّ العربي، بيروت، ٢٠٠٦م.

- جون سيرل، القَصْدِيَّة بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩م.
- حسام أحمد فرج، نظرية علم النَّصّ، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- حصة بنت سعود الهزاني، السِّمَات الأُسْلُوبية في خطاب خادم الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ الملك سَلْمَان بن عبد العَزِيز " الخِطَاب السَّنَوِيّ لمجلس الشُّورَى نموذجًا"، حولية كلية اللُّغَة العَرَبِيَّة بإتياي البارود، جامعة الأزهر، ع٣٢، ١٤٤٠- ٢٠١٩م.
- حفناوي بعلي: الشعريات والتداوليات مقاربة في المفاهيم والأقاليم وجَمَالِيّات التلقي، مجلة التبيين، ع٢٣، الجزائر، ديسمبر ٢٠٠٤م.
- خليفة أبو جادي، في اللسانيات التَّدَاوُلِيَّة محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط١، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩م.
- دلال وشن، القَصْدِيَّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللُّغَة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإِنْسَانِيَّة، ع٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٠م.
- روبرت دي بوجراند، النَّصّ والخِطَاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- سلطان الزغول، المقْصِدِيَّة نظرية المعرفة وآفاق اللُّغَة والأدب، صحيفة الرَّأْي، ٤/٢/ ٢٠١٢م.
- شريفة أحمد حسن، وعائشة صالح بابصيل، البعد القصدي لتداولية أفعال الكَلَام في الخِطَاب القُرْآني، مجلة العلوم الإِنْسَانِيَّة مج٣، ع١، المركز القومي للبحوث بغزة، يناير ٢٠١٩م.
- صابر محمود الحباشة، الأُسْلُوبية والتَّدَاوُلِيَّة " مدخل لتحليل الخِطَاب"، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م.
- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأَفْعَال الكَلَامِيَّة بين فلاسفة اللُّغَة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت، ١٩٨٤م.

- عبد الباقي الخزرجي، ومهدي حسن نصر الله، القَصْدِيَّة الإنجازية في خطاب البيان والتبيين للجاحظ، مجلة الباحث، ع٣٢، الجزائر، ٢٠١٩م.
- عبد الوهاب صديقي، نحو الخِطَاب الوظيفي من تنميط اللغات إلى تنميط الحكايات مقاربة أحمد المتوكل نموذجًا، مجلة الدراسات اللُّغَوِيَّة والأَدَبِيّة، ع٢، اتحاد الجامعات العَرَبِيَّة، السَّنَة الخامسة، ديسمبر ٢٠١٤م.
- عزة شبل محمد، علم لغة النَّصّ النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٧م.
- عمر بلخير، تحليل الخِطَاب المسرحي في ضوء النظرية التَّدَاوُلِيَّة، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠١١.
- فليب بلانشيه، التَّدَاوُلِيَّة من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار، سورية، ٢٠٠٧م.
- ليندة قياس، لسانيات النَّصّ، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- مازن أحمد صدقي، وسوزان جمعة يعقوب، الخِطَاب السِّيَاسِيّ للملك عبد الله الثاني بن الحسين وأثره في التنمية البشريَّة في الأردن ١٩٩٩- ٢٠١٥، مجلة دراسات العلوم الإِنْسَانِيَّة والاجتِمَاعِيَّة، الجامعة الأردنية، مج٤٦، ع٣، ٢٠١٩م.
- مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظميّ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي — الإمارات، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- محروس بريك، التَّأْوِيل التداولي في كتاب سيبويه، كتاب المؤتمر الدَّولِيّ السَّادِس لقسم النحو والصرف، سيبويه إمام العَرَبِيَّة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٨- ٩ مارس ٢٠١٠م.
- محمد إسماعيل حسونة، تجليات المَقْصِدِيَّة الدروشية دراسة أُسْلُوبية، مجلة العلوم الإِنْسَانِيَّة، كلية الآداب، جامعة البحرين، ع ٢٤، ٢٠١٤م.

- محمد بكاي، التَّصوُّرات التَّدَاوُلِيَّة لمبحث القَصْدِيَّة، مجلة العَرَبِيَّة للترجمة، مج٦، ع ٢١، المنظمة العَرَبِيَّة للترجمة، ٢٠١٥م.
- محمد سيد علي عبدالعال، بلاغة الحجاج في الشعر العربي القديم، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٤م.
- محمد عبد الرَّحمَن عطا الله، النَّصّيّة في خطبة الحجاج ولاية العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة السويس، ع٢، ديسمبر ٢٠١٥م.
- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٨٧م.
- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النَقْدِيّة المعاصرة، ط٢، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغويّ المعاصر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.
- محمود عكاشة، تحليل الأَفْعَال الإنجازيّة في الخِطَاب السِّيَاسِيّ دلالة الفعل في خطاب السلطة في ضوء نظرية الموافقة المقَامِيَّة، ط١، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠١٦م.
- مختار درقاوي، الآليات التَّدَاوُلِيَّة لتحليل الخِطَاب من وجهتيْ نظر الأصوليين والتّداوليين المحدثين، النَّدوة الدَّولِيّة الثَّانِيَة، قراءة التراث الأَدَبِيّ واللغوي في الدّراسات الحديثة، جامعة الملك سعود، ٥٢-٢٧/ ٤/ ١٤٣٥- ٢٥- ٢٧/ ٢/ ٢٠١٤م.
- مليكة بلقاسمي، وصالح مسعود، إشكاليَّة القصد وتأويل المضمر في التَّواصل مقاربة تداوليَّة، مجلة جرش البحوث والدراسات، مج١، ع٢، الأردن، ٢٠٢٠م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،١٩٦٨ (قصد)، ويراجع، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- نور الدين قارة مصطفى، النَّصّ الأَدَبِيّ من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٠م.

- نورية لعرباوي، أليات الحجاج في الخِطَاب السِّيَاسِيّ " الرسائل السِّيَاسِيّة للأمير عبد القادر نموذجًا، رسالة دكتوراه، جامعة وهران- أحمد بن بلة، الجزائر، ٢٠١٨م.
- وسام مرزوقي، وفوتال فضيلة، القَصْدِيَّة وأثرها في توجيه الخِطَاب الشعري، مجلة إشكالات في اللُّغَة والأدب، الجزائر، مج٨، ع١، ٢٠١٩م.

***

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..

2. Sources and references must be listed at the end.

3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.

4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body ofthe research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. Rejected articleswill not be returned to authors.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh,11432 P.O. Box 5701
Tel: 2582051 - Fax 2590261
www. imamu.edu.sa
E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on UniversityCampus.It publishes scientific research according to the following regulations:

I.Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II.Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.

2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).

3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.

4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.

III. Documentation:

Editor –in- Chief

Prof. Ibrahim Ibn Abdulaziz Abu Haimed
Applied Linguistics- Institute for Teaching Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Prof. Ibrahim Ibn Mohammad Abanami
Literature department College of Arabic Language - Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Pro. Mohammad Mohammad Abu Musa
Department of Rhetoric and Criticism- Faculty of Arabic Language- Al-Azhar University

Prof. Nawal, Bint of Ibrahim Al-Hilweh
Arabic Language department- Faculty of Arts - Princess Nourah Bint Abdul Rahman University

Prof. Yusef Ibn Abdullah Al-Aliwi
Department of Rhetoric and Criticism- College of Arabic Language- Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Editorial-secretary
Prof. Mamdouh Ibrahim Mahmoud
Deanship of Scientific Research

Chief Administrator
H.E.Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri
President of the University

Deputy Chief Administrator
Prof. Abdullah ibn Abdulaziz Al-Tamim
Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief
Prof. Saud Ibn Abdulaziz Al-Hanin
Grammar Department- College of Arabic Language

Managing Editor
Dr. Abdulaziz ali alghamdi
vice Deanship of Scientific Research